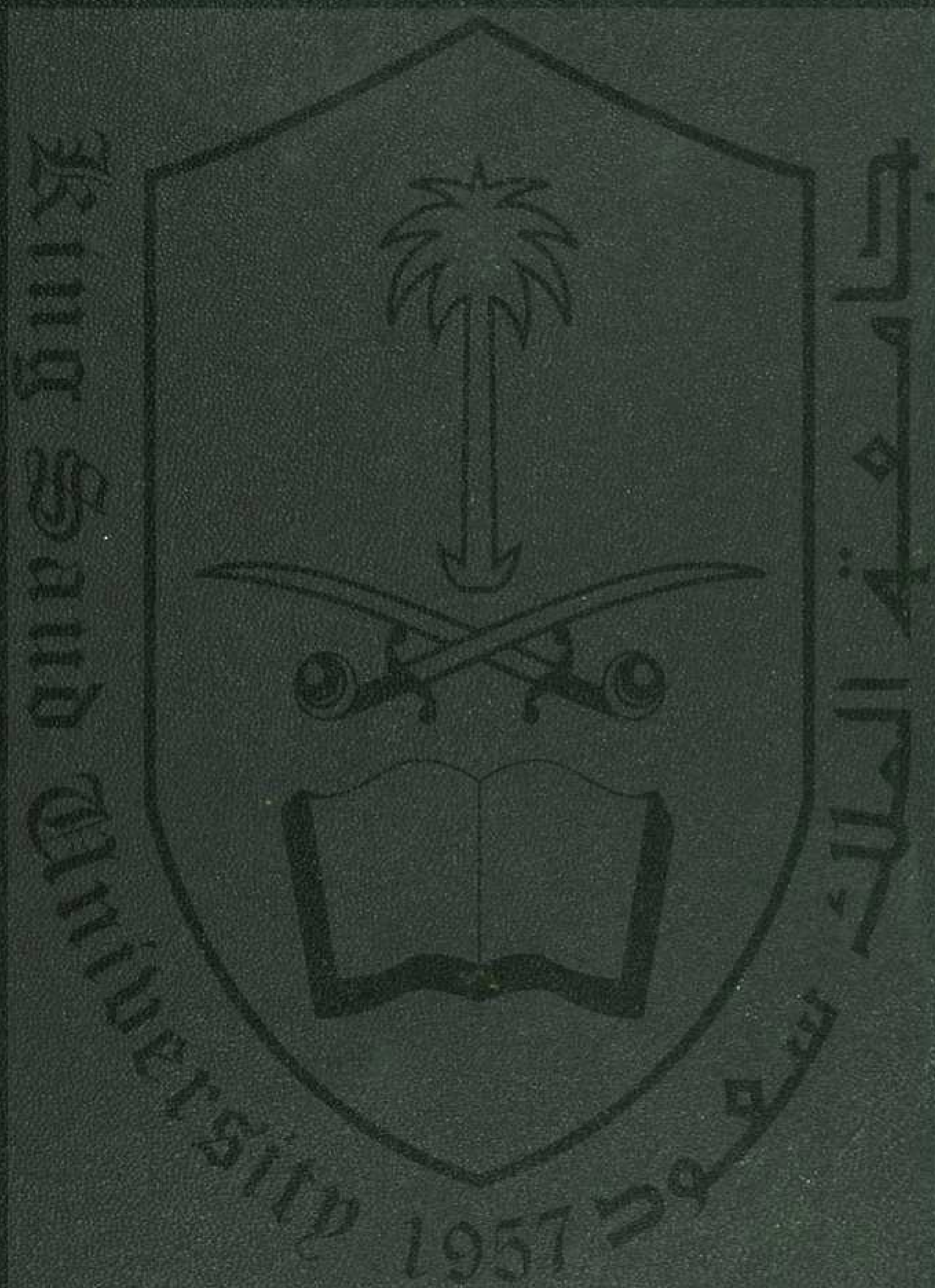
تفسير القرآن

١

الخازن


King Saud University 1957
جامعة الملك سعود

لباب التأويل في معاني التنزيل، تأليف علي بن محمد الخازن، -٧٤١هـ. كتب في القرن الثاني عشر الهجري تقديرا.

ج١ (٢٢٧ق) ٢٥ س ٢١,٥×١٥,٥سم

نسخة حسنة، خطها نسخ حسن، ناقصة الآخر، بها آثار رطوبة، طبع.

الأزهرية ١ : ٢٨٦، معجم المطبوعات ١ : ٨٠٩

١- التفسير، القرآن الكريم وعلومه أ- الخازن، علي بن محمد -٧٤١هـ ب- تاريخ النسخ.

لباب التأويل في معاني التنزيل

المدخل : الخازن

يا مولاي يا واحد يا مولاي يا دائم يا علي يا حكيم

الأول ... الثاني

ص ١

تفسير الخازن (١)



الحمد لله

وقف هذا الجزء الشريف لله تعالى الأستاذ أبو الأنوار
محمد بن وفا حفظه الله بالطافه الخفية وبلغه في الدارين كل امنية على طلبة
العلم وجعل مقره زاوية اسلافه السادات الوفائية نفعنا الله بهم ومددنا
من مددهم وشرط ان لا يعطى منه الا الثقة او برهن راجيا من الوهاب
جزيل الثواب سائلا ممن نظر فيه الدعاء له ولوالديه وجميع محبيه وصلى
الله على نبيه الأعظم وعلى آله وصحبه وسلم

... النكت ... ٢

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر ولا تعسر يا كريم

الحمد لله الذي خلق الاشيا فقدرها تقديرا وصور شكل الانسان
فاحسنه تصويرا ومنحه بالعقل وجعله سميعا بصيرا وشرفه
من العلم ونور قلبه تنويرا وهداه الي معرفته فيا لها من [illegible]
كبيرا واطلق لسانه فاذعن بشكره تحميدا وتهليلا وتكبيرا وارسل محمدا
صلي الله عليه وسلم الي كافة الخلق بشيرا ونذيرا وانزل عليه كتابا منيرا
واودعه حكمة وحكما وترغيبا وتحذيرا والهم حفاظه تلاوته [illegible]
وعلم عباده علومه تفهيما وتبصيرا وضرب فيه الامثال ليزيدهم بيانه
وتخبيرا وجعله برهانا واضحا وصوابا بلا [illegible] ووفر فضله توفيرا في
الصدور محفوظا وبالالسنة متلوا وفي الصحف مسطورا يهدي للتي هي
اقوم ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وجعل
كل بليغ عن الاتيان بسورة مثله حسيرا قل لين اجتمعت الانس والجن علي
ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا
احمده علي تواتر انعامه حمدا كثيرا واتوكل عليه مفوضا امري اليه
ومستخيرا واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة [illegible]
قلب قايلها مطمينا مستنيرا واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله
الذي كساه من فضله عزا ومهابة وتوقيرا صلي الله عليه وعلي
اله واصحابه كما اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وبعد
فان الله جل ذكره وتقدس امره ارسل محمدا صلي الله عليه وسلم
بالهدي ودين الحق ليظهره علي الدين كله رحمة للعالمين وبشيرا للمومنين
ونذيرا للمخالفين اكمل به تبيان بنيان النبوة وختم به ديوان الرسالة
واتم به مكارم الاخلاق ونشر فضله في الافاق وانزل عليه نورا واهدي
به من الضلالة وانقذ به من الجهالة وحكم بالفوز والفلاح لمن اتبعه
وبالخسران لمن اعرض عنه بعد ما سمعه عجز الخلق
حين تحداهم علي ان ياتوا بسورة من مثله [illegible]







[illegible] هداه المومنين مع اعجازه تلاوته ويسر علي الالسن قراته امر فيه وزجر
وبشر وانذر وذكر المواعظ ليتذكر وضرب فيه الامثال ليتدبر وقص فيه من
اخبار الماضين ليعتبر ودل فيه علي ايات التوحيد ليتفكر ثم لم يرض منا بسرد
حروفه دون حفظ حدوده ولا باقامة كلماته دون العمل بمحكماته ولا
بتلاوته دون تدبر اياته في قراته ولا بدرسه دون تعلم حقايقه وتفهم
دقايقه ولا حصول لهذه المقاصد منه الا بدراية تفسيره واحكامه
ومعرفة حلاله وحرامه واسباب نزوله واقسامه والوقوف علي
ناسخه ومنسوخه في خاصه وعامه فانه ارسخ العلوم اصلا واسبقها
فرعا واصلا واكرمها نتاجا وانورها سراجا فلا شرف الا وهو السبيل
اليه ولا خير الا وهو الدال عليه وقد قيض الله تعالي رجالا موفقين
وبالحق ناطقين حتي صنفوا في ساير علومه المصنفات وجمعوا ساير
فوايده المتفرقات كل علي قدر فهمه ومبلغ علمه نظرا للخلف واقتدا
بالسلف فشكر الله سعيهم ورحم كافتهم ولما كان كتاب معالم التنزيل
الذي صنفه الشيخ الجليل والحبر النبيل الامام العالم العامل محيي السنة
فقيه الامة وامام الايمة مفتي الفرق ناصر الحديث ظهير الدين ابو
محمد الحسين بن مسعود البغوي قدس الله روحه ونور ضريحه من اجل
المصنفات في علم التفسير واعلاها وانبلها واسناها جامعا للصحيح
من الاقاويل عاريا عن الشبه والتصحيف والتبديل محلا بالاحاديث
النبوية مطرزا بالاحكام الشرعية مطرزا بالقصص الغريبة واخبار
الماضين العجيبة مرصعا باحسن الاشارات مخرجا باوضح العبارات مفرغا
في قالب الجمال بافصح مقال فرحم الله تعالي مصنفه واجزل ثوابه وجعل
الجنة متقلبه ومابه ولما كان هذا الكتاب كما وصفت احببت ان
انتخب من غرر فوايده ودرر فرايده وجواهر نصوصه مختصرا جامعا
[illegible] التنزيل وا التعبير حاويا بالخلاصة منقوله
[illegible] لنكته واصوله مع فوايد نقلتها وفوايد لخصتها من كتب

التفاسير المصنفة في ساير علومه المولفة ولم اجعل لنفسي تصرفا سوى
النقل والانتخاب مجتنبا حد التطويل والانتهاب وحذفت [illegible] الاسناد
لانه اقرب الي تحصيل المراد فما اوردت فيه من الاحاديث النبوية والاخبار
المصطفوية علي تفسير آية او بيان حكم فان الكتاب يطلب [illegible] السنة
وعليهما مدار الشرع واحكام الدين عزوته الي مخرجه وبينت اسم
ناقله وجعلت عوض كل اسم حرفا يعرف به ليهون علي الطالب طلبه فما
كان من صحيح ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري فعلامته قبل ذكر اسم
الصحابي الراوي للحديث خ وما كان من صحيح ابي الحسين مسلم بن الحجاج
النيسابوري فعلامته م وما كان مما اتفقا عليه فعلامته ق وما كان
من كتب السنن كسنن ابي داود والترمذي والنسائي فاني اذكر اسمه
بغير علامة وما لم اجده في هذه الكتب ووجدت البغوي قد اسنده
بسند له انفرد قلت روي البغوي بسنده وما رواه البغوي باسناد
الثعلبي قلت روي البغوي باسناد الثعلبي وما كان فيه من احاديث
زايدة والفاظ متغيرة فاعتمده فاني اجتهدت في تصحيح ما اخرجه
من الكتب المعتبرة عند العلما كالجمع بين الصحيحين للحميدي وكتاب
جامع الاصول لابن الاثير الجزري ثم اني عوضت عن حذف الاسانيد
شرح غريب الحديث وما يتعلق به ليكون اكمل فايدة في هذا الكتاب
واسهل علي الطلاب وسقته بابلغ ما قدرت عليه من الايجاز وحسن
الترتيب مع التسهيل والتقريب وينبغي لكل مولف كتابا في فن قد
سبق اليه ان لا يخلو كتابه من خمس فوايد استنباط كل شي كان
معضلا او جمعه ان كان متفرقا او شرحه ان كان غامضا او حسن
نظم وتاليف او اسقاط حشو وتطويل وارجو ان لا يخلو هذا
الكتاب عن هذه الخصال التي ذكرت وسميته لباب التاويل
في معاني التنزيل والله تعالي اسال التوفيق لاتمام ما قصدت
[illegible] وان يجعله خالصا لوجهه الكريم

ان يتقبله مني انه هو السميع العليم وهو حسبي ونعم الوكيل عليه توكلت واليه
انيب وقبل ان اشرع في الكلام علي التفسير اقدم مقدمة تتضمن ثلاثة فصول
الفصل الاول في فضل القران وتلاوته وتعليمه م عن زيد بن ارقم قال
قام رسول الله صلي الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعي خما بين مكة
والمدينة فحمد الله واثني عليه ووعظ وذكر ثم قال اما بعد الا ايها
الناس انما انا بشر يوشك ان ياتيني رسول ربي فاجيب واني تارك فيكم
ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدي والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا
به فحث علي كتاب الله ورغب فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل
بيتي اذكركم الله في اهل بيتي زاد في رواية كتاب الله فيه الهدي والنور
من استمسك به واخذ به كان علي الهدي ومن اخطاه ضل وفي
رواية كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان علي الهدي ومن تركه كان
علي ضلالة وفي رواية الترمذي عنه قال قال رسول الله صلي الله
عليه وسلم اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي احدهما
اعظم من الاخر وهو كتاب الله حبل ممدود من السما الي الارض
وعترتي اهل بيتي لن يتفرقا حتي يردا علي الحوض فانظروا كيف
تخلفوني فيهما م عن عمر بن الخطاب قال اما ان نبيكم صلي الله
عليه وسلم قال ان الله تعالي يرفع بهذا الكتاب اقواما ويضع
به اخرين عن الحارث الاعور قال مررت في المسجد فاذا الناس
يخوضون في الاحاديث فدخلت علي علي فقلت يا امير المومنين
الا تري الناس قد خاضوا في الاحاديث قال او قد فعلوها قلت
نعم قال اما اني سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول الا
انها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب
الله فيه نبا ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو
الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغي الهدي
في غيره اضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم

وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الاهوا ولا تلتبس به الا[لسنة]
ولا تشبع منه العلما ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجايبه هو الذي لم تنته
الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به من قال
به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعي اليه هدي الى صراط مستقيم
خذها اليك يا اعور اخرجه الترمذي وقال حديث غريب واسناده مجهول
وفي الحارث مقال **قوله** هو الفصل اي الفاصل بين الحق والباطل ليس بالهزل
اي هو جد كله ليس فيه شي من الهزل والجبار في صفة الادمي هو المتمرد
العاتي المتكبر على الناس قصمه الله اي اهلكه **قوله** هو حبل الله المتين الحبل
يرد على وجوه منها العهد ومنها الامان فاذا اعتصم به الانسان اوصله
الله الى جواره والذكر الشرف والحكيم المحكم العاري من الاختلاف
والاضطراب والصراط المستقيم الطريق الواضح ومعنى لا تزيغ به الاهوا
اي لا يميل عن الحق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الرجل الذي ليس في جوفه شي من القران وهو كه
يتتعتع فيه كالبيت الخرب اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح
خ عن عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القران
وعلمه ق عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر
بالقران مع السفرة الكرام البررة والذي يقرا القران وهو يتتعتع
فيه وهو عليه شاق له اجران **قوله** للماهر يعني الحاذق الكامل الحافظ
الجيد التلاوة وقوله مع السفرة جمع سافر وهو الرسول من الملايكة
سمي بذلك لانه يسفر برسالات الله الى انبيايه وقيل السفرة الكتبة
من الملايكة المطيعون لله تعالى فيما يامر به ومعنى كونه مع الملايكة
ان له منازل في الجنة يكون فيها رفيقا لهم **وقوله** يتتعتع اي يتردد
في تلاوته لضعف حفظه له اجران يعني اجر بسبب القراة واجر
بسبب تعبه فيها والمشقة التي تحصل له فيها وليس معناه ان له
اجرا اكثر من الماهر بل الماهر افضل منه واكثر اجرا ق عن ابي موسى



الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المومن الذي يقرا
القران كمثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المومن الذي
لا يقرا القران كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل الفاجر الذي
يقرا القران كمثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها ومثل الفاجر
الذي لا يقرا القران كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها فيه دليل على
فضيلة حفاظ القران واستحباب ضرب الامثال لايضاح المقاصد عن
ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حرفا من
كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف ولكن
الف حرف وميم حرف اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب
وقد رفعه بعضهم عن ابن مسعود ووقفه بعضهم عليه عن ابن عباس
قال قال رجل يا رسول الله اي الاعمال احب الى الله تعالى قال الحال
المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذي يضرب من اول القران الى اخره
كلما حل ارتحل اخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القران اقرا وارقا
ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند اخر اية تقراها
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح عن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال يجي القران يوم القيامة فيقول يا رب حله فيلبس
تاج الكرامة ثم يقول يا رب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول يا رب
ارض عنه فيرضى عنه فيقال اقرا وارقا ويزداد بكل اية حسنة اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن عن سهل بن معاذ الجهني عن ابيه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا القران وعمل به البس
والداه يوم القيامة تاجا ضووه احسن من ضوء الشمس في بيوت
الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا اخرجه ابو داود
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرا القران فاستظهره [illegible] وحرم حرامه

ادخله الله به الجنة وشفعه في عشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت لهم
النار اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وليس له اسناد صحيح ق عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اذن الله لشيء ما اذن
لنبي يتغنى بالقران يجهر به معنى اذن في اللغة استمع ولا يجوز
الاصغا فانه يستحيل على الله تعالى بل هو كناية عن تقريبه قارئ
القران واجزال ثوابه وذلك لان سماع الله لا يختلف فوجب تاويل
الحديث **وقوله** يتغنى بالقران اي تحسن صوته به ويكون ذلك
تحزين وترقيق في القراة وقيل معناه يستغني به عن الناس والقول
الاول اولى ويدل عليه سياق الحديث وهو قوله يجهر به عن ابي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليس منا من لم يتغن بالقران **الفصل الثاني** في وعيد من قال في
القران برايه من غير علم ووعيد من اوتي القران فنسيه ولم يتعاهده
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قال في القران بغير علم فليتبوا مقعده من النار وفي رواية
من قال في القران برايه فاصاب فقد اخطا اخرجه ابو داود
والترمذي وقال حديث غريب وسئل ابو بكر الصديق رضي الله
عنه عن قوله تعالى وفاكهة وابا فقال اي سما تظلني او اي
ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله بغير علم قال العلما النهي
القول في القران بالراي انما ورد في حق من يتاول القران على
مراد نفسه وما هو تابع لهواه وهذا لا يخلو اما ان يكون عن علم
او لا فان كان عن علم كمن يحتج ببعض ايات القران على تصحيح
بدعته وهو يعلم ان المراد من الاية غير ذلك لكن غرضه ان
يلبس على خصمه بما يقوي حجته على بدعته كما يستعمله الباطنية
والخوارج وغيرهم من اهل البدع في المقاصد الفاسدة ليموهوا
بذلك الناس وان كان القول في القران بغير علم لكن عن جـ



او في القران بكون الاية محتملة لوجه فيفسرها بغير ما تحتمله من المعاني والوجوه
فهذان القسمان مذمومان وكلاهما داخل في النهي والوعيد الوارد في ذلك
فاما التاويل وهو صرف الاية على طريق الاستنباط الى معنى يليق بها محتمل
لما قبلها وما بعدها وغير مخالف للكتاب والسنة فقد رخص فيه اهل العلم
فان الصحابة رضي الله عنهم قد فسروا القران واختلفوا في تفسيره على وجوه
وليس كل ما قالوه سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم ولكن على قدر
ما فهموا من القران تكلموا في معانيه وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم
لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل وكان اكثر
ما نقل عنه التفسير والله اعلم ق عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاهدوا هذا القران فوالذي نفس
محمد بيده لهو اشد تفلتا من الابل في عقلها ق عن ابن عمر رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثل صاحب القران كمثل
صاحب الابل المعقلة ان تعاهد عليها امسكها وان اطلقها ذهبت
الابل المعقلة التي حبست بالعقال وهذا مثل ضربه لصاحب القران
ففيه الحث على تعاهده بكثرة التلاوة والتكرار ليلا ينسى ق عن عبد
الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس ما لاحدهم
ان يقول نسيت اية كيت وكيت بل هو نسي استذكروا القران فانه
اشد تفصيا من صدور الرجال من النعم من عقلها وفي رواية لا يقول
احدكم نسيت اية كذا وكذا بل هو نسي **قوله** بئس ما لاحدهم اي
بئست الحالة حالة من حفظ القران ثم غفل عنه حتى نسيه **قوله**
لا يقول احدكم نسيت كذا وكذا معناه انما كره نسبة النسيان
الى النفس لاجل ان الله تعالى هو المقدر للاشيا كلها وهو الذي
انساه اياه وقيل اصل النسيان الترك فكره ان يقول تركت القران
او قصدت الى نسيانه **قوله** بل نسي هو بضم النون وتشديد السين
وفتح اليا اي عوقب بالنسيان على ذنب صدر منه او لسوء تعهده

القران وقوله اشد تفصيا اي خروجا من صدور الرجال و في معناه
تفلتا من الابل في عقلها اي تخلصا من العقال وهو الحبل الذي يربط
به عن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من امرئ يقرا القران ثم ينساه الا لقي الله يوم القيامة
اجذم اخرجه ابو داود الاجذم قيل هو مقطوع اليد وقيل مقطوع
الحجة وقيل هو الذي به جذام عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال عرضت علي اجور امتي حتى القذاة يخرجها
الرجل من المسجد وعرضت علي ذنوب امتي فلم ار فيها ذنبا اعظم من
سورة في القران او اية اوتيها رجل ثم نسيها اخرجه ابو داود
والترمذي وقال حديث غريب ق عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسافروا بالقران الى ارض
العدو مخافة ان ينال بسوء اراد بالقران المصحف ولا يجوز حمله الى
ارض العدو وهي بلاد الكفار للنهي الوارد فيه ولو كتب اليهم كتابا فيه
اية من القران فلا باس بذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى
هرقل ملك الروم قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم
عن عمران بن حصين انه مر على رجل يقرا ثم سال فاسترجع ثم قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا القران فليسال
الله به فانه سيجي اقوام يقرون القران يسالون به الناس اخرجه
الترمذي عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما امن بالقران من استحل محارمه اخرجه الترمذي وقال ليس اسناده
بالقوي عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول الجاهر بالقران كالجاهر بالصدقة والمس بالقران
كالمس بالصدقة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب

الفصل الثالث في جمع القران وترتيب نزوله وفي كونه نزل على
سبعة احرف خ عن زيد بن ثابت قال بعث الي ابو بكر لمقتل اهل

اليمامة

اليمامة وعنده عمر فقال ابو بكر ان عمر جاءني فقال ان القتل قد
استحر يوم اليمامة بقراء القران واني اخشى ان يستحر القتل بالقراء في
المواطن فيذهب من القران كثير واني ارى ان تامر بجمع القران فان
قلت لعمر كيف افعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
عمر هو والله خير فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري
للذي شرح له صدر عمر ورايت في ذلك الذي راى عمر قال زيد
فقال ابو بكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك قد كنت تكتب الوحي
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القران فاجمعه قال زيد
فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان اثقل علي مما امرني به
من جمع القران فقلت كيف تفعلان شيا لم يفعله رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ابو بكر هو والله خير فلم يزل ابو بكر
يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر ابي بكر
وعمر ورايت في ذلك رايا قال فتتبعت القران اجمعه من
الرقاع والعسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت اخر سورة
التوبة مع خزيمة او مع ابي خزيمة الانصاري فلم اجدها مع احد
غيره لقد جاءكم رسول من انفسكم خاتمة سورة براءة فالحقتها في
سورتها قال فكانت الصحف عند ابي بكر حياته حتى توفاه الله
ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر قال
بعض الرواة اللخاف يعني الخزف خ عن انس ان حذيفة بن اليمان قدم
على عثمان وكان يغازي اهل الشام في فتح ارمينية واذربيجان
مع اهل العراق فافزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة
لعثمان يا امير المومنين ادرك هذه الامة قبل ان يختلفوا في
الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فارسل عثمان الى حفصة
ان ارسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك
فارسلت بها اليه فامر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد

ابن العاص وعبد الله بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم فنسخوها في
المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت
في شي من القران فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا حتى اذا نسخوا
الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة وارسل الى كل افق بمصحف
مما نسخوا وامر بما سوى ذلك من القران في كل صحيفة او مصحف ان يحرق
قال ابن شهاب واخبرني خارجة بن زيد انه سمع زيد بن ثابت يقول
فقدت اية من سورة الاحزاب حين نسخنا الصحف قد كنت سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقرا بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة
ابن ثابت الانصاري من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
فالحقناها في سورتها في المصحف قال في رواية بن اليمان مع خزيمة بن
ثابت الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين
زاد في رواية قال ابن شهاب اختلفوا يوميذ في التابوت فقال زيد التابوه
وقال عبد الله بن الزبير وسعد بن العاص التابوت فرفع اختلافهم الى
عثمان فقال اكتبوه التابوت فانه بلسان قريش **شرح** غريب
الفاظ الاحاديث وما يتعلق بها **قوله** بعث الي ابو بكر لمقتل اهل
اليمامة اي لاوان قتلهم واراد بها الوقعة التي كانت باليمامة في زمن
ابي بكر الصديق وهي واقعة الردة مع اصحاب الردة فقتل فيها خلق
كثير من قرا القران واليمامة مدينة باليمن على يومين من الطايف وهي
على اربعة ايام من مكة ولها عماير وهي في مقدار ارض نجد **قوله**
استحر القتل اي كثر واشتد المكروه الى الحر والمحبوب الى البرد وشرح
الصدر سعته وقبوله الخير **قوله** فتتبعت القران اجمعه من الرقاع
جمع رقعة وهي ما يكتب فيها والعسب بضم العين والسين المهملتين
جمع عسيب وهو جريد النخل وسعفه واللخاف حجارة بيض رقاق
واحدتها لخفة **قوله** يغازي اهل الشام اي مع اهل الشام وفتح
ارمينية بكسر الهمزة وتخفيف الميا لا غير سميت بارمين بن لنطا

المطا بن لوقمن بن يافث بن نوح وهو اول من نزل بها سميت باسمه واذربيجان
بفتح الهمزة وسكون الذال وغيره لك في ضبطها وقال ابن جني فيها خمس
[illegible] من الصرف التعريف والتانيث والعجمة والتركيب والالف والنون
وهو موضع من بلاد العجم يشتمل على بلاد كثيرة **قوله** حتى وجدت اخر
سورة التوبة مع خزيمة او ابي خزيمة بن ثابت الانصاري من المومنين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية فاعلم ان المذكور في الحديث
[illegible] غير المذكور في الحديث الثاني وهما قضيتان فاما المذكور في
الحديث الاول فهو ابو خزيمة بن اوس بن زيد بن اصرم بن ثعلبة
[illegible] بن مالك بن النجار الانصاري شهد بدرا وما بعدها وتوفي
[illegible] خلافة عثمان وهو الذي وجدت عنده اخر سورة التوبة كذا ذكره
ابن عبد البر واما المذكور في الحديث الثاني فهو ابو عمارة خزيمة
[illegible] ثابت بن فاله بن ثابت بن ثعلبة بن ساعدة الخطمي الاوسي
الانصاري يعرف بذي الشهادتين شهد بدرا وما بعدها وقتل
يوم صفين مع علي بن ابي طالب **قوله** فقدت اية من سورة الاحزاب
الى قوله فوجدناها مع خزيمة معناه انه كان يتطلب بنسخ القران
الاصل الذي كتب بامر النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه
فلم يجد تلك الاية الا مع خزيمة وليس فيهما اثبات القران بقول
الواحد لان زيدا كان قد سمعهما من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعلم موضعهما من سورة الاحزاب بتعليم رسول الله صلى
الله عليه وسلم كما صرح به الحديث قد كنت اسمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقرا بها وتتبعه الرجال كان للاستظهار لا للا
علم بان القران العظيم كان محفوظا عند زيد وغيره من الصحابة
فقد ثبت في الصحيح عن انس قال جمع القران على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم اربعة كلهم من الانصار ابي بن كعب
[illegible] بن جبل [illegible] وابو زيد وزيد يعني بن ثابت قلت

لانس من ابو زيد قال احد عمومتي اخرجاه في الصحيحين اسم ابي زيد
سعد بن عبيد واخرج الترمذي من حديث بن عمر قال قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم خذوا القران من اربعة من ابن مسعود وابي
كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولي ابي حذيفة قال حديث حسن صحيح و
حديث زيد بن ثابت وفيه انه استحر القتل بقرا القران فثبت بمجموع هذه
الاحاديث ان القران كان علي هذا التاليف والجمع في زمن رسول الله
صلي الله عليه وسلم وانما ترك جمعه في مصحف واحد لان النسخ كان
يرد علي بعضه ويرفع الشي بعد الشي من التلاوة كما كان ينسخ بعض
احكامه فلم يجمع في مصحف واحد ثم لو رفع بعض تلاوته ادي ذلك
الي الاختلاف واختلاط امر الدين فحفظ الله كتابه في القلوب الي
انقضاء زمن النسخ ثم وفق لجمعه الخلفا الراشدين رضي الله عنهم وثبت
بالدليل الصحيح ان الصحابة انما جمعوا القران بين الدفتين كما انزله
عز وجل علي رسوله صلي الله عليه وسلم من غير ان زادوا فيه
او نقصوا منه شيا والذي حملهم علي جمعه ما جا مبينا في الحديث
وهو انه كان مفرقا في العسب واللخاف وصدور الرجال فخافوا
ذهاب بعضه بذهاب حفظته ففزعوا فيه الي خلافة رسول
رب العالمين صلي الله عليه وسلم ابي بكر فدعوه الي جمعه فراي
في ذلك رايهم فامر بجمعه في موضع واحد باتفاق من جميعهم
فكتبوه كما سمعوه من رسول الله صلي الله عليه وسلم من غير
ان قدموا او اخروا شيا ووضعوا له ترتيبا لم ياخذوه من رسول
الله صلي الله عليه وسلم وكان رسول الله صلي الله عليه
وسلم يلقن اصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من القران علي الترتيب
الذي هو الان في مصاحفنا بتوقيف جبريل عليه السلام اياه
علي ذلك واعلامه عند نزول كل اية ان هذه الاية تكتب عقب اية
كذا في سورة كذا فثبت ان سعي الصحابة كان في جمعه في موضع وا



القران ثم ثبته وان القران مكتوب في اللوح المحفوظ علي النحو الذي هو
في مصاحفنا الان وقد صح في حديث بن عباس ان النبي صلي الله عليه
وسلم كان يعرض القران علي جبريل في كل عام مرة في رمضان وانه
عرضه في العام الذي توفي فيه مرتين ويقال ان زيد بن ثابت شهد
العرضة الاخيرة التي عرضها رسول الله صلي الله عليه وسلم علي
جبريل وهي العرضة التي نسخ فيها ما نسخ وبقي ما بقي ولهذا اقام
ابو بكر زيد بن ثابت في كتابة المصحف والزمه بها لانه قرا علي
النبي صلي الله عليه وسلم في العام الذي توفي فيه مرتين فكان
القران سببا لبقايه في الامة رحمة من الله تعالي بعباده وتحقيقا
لوعده في حفظه علي ما قال تعالي انا نحن نزلنا الذكر وانا له
لحافظون واعلم ان الله تعالي انزل القران المجيد من اللوح المحفوظ
جملة واحدة الي سما الدنيا في شهر رمضان في ليلة القدر ثم كان ينزله
مفرقا علي لسان جبريل عليه السلام الي النبي صلي الله عليه وسلم مدة
رسالته نجوما عند الحاجة وحدوث ما يحدث علي ما يشا الله تعالي
وترتيب نزول القران غير ترتيبه في التلاوة والمصحف فاما ترتيب
نزوله علي رسول الله صلي الله عليه وسلم فاول ما نزل من القران
بمكة اقرا باسم ربك الذي خلق ثم ن والقلم ثم يا ايها
المزمل ثم المدثر ثم تبت يدي ابي لهب ثم اذا الشمس كورت ثم
سبح اسم ربك الاعلي ثم والليل اذا يغشي ثم والفجر ثم والضحي
ثم الم نشرح ثم والعصر ثم والعاديات ثم انا اعطيناك الكوثر ثم
الهاكم التكاثر ثم ارايت ثم قل يا ايها الكافرون ثم الفيل ثم
قل هو الله احد ثم والنجم ثم عبس ثم سورة القدر ثم سورة
البروج ثم والتين ثم لايلاف قريش ثم القارعة ثم القيامة ثم
الهمزة ثم والمرسلات ثم ق ثم سورة البلد ثم الطارق
ثم اقتربت الساعة ثم ص ثم الاعراف ثم الجن ثم يس ثم الفرقان

ثم فاطر ثم مريم ثم طه ثم الواقعة ثم الشعرا ثم النمل ثم القصص ثم
بنو اسرايل ثم يونس ثم هود ثم يوسف ثم الحجر ثم الانعام ثم والصافات
ثم لقمان ثم سبا ثم الزمر ثم المومن ثم السجدة ثم حمعسق ثم الزخرف ثم
الدخان ثم الجاثية ثم الاحقاف ثم الذاريات ثم الغاشية ثم الكهف
ثم النحل ثم نوح ثم ابراهيم ثم الانبيا ثم المومنون ثم تنزيل السجدة
ثم الطور ثم الملك ثم الحاقة ثم سال سايل ثم عم يتسالون ثم
النازعات ثم اذا السما انفطرت ثم اذا السماء انشقت ثم الروم
ثم العنكبوت واختلفوا في اخر ما نزل بمكة فقال ابن عباس العنكبوت
وقال الضحاك وعطا المومنون وقال مجاهد ويل للمطففين فهذا
ترتيب ما نزل من القران بمكة فذلك ثلاثة وثمانون سورة علي ما استقر
عليه روايات الثقاة واما ما نزل بالمدينة فاحد وثلاثون سورة
فاول ما نزل بالمدينة سورة البقرة ثم الانفال ثم ال عمران ثم الاحزاب
ثم الممتحنة ثم النسا ثم اذا زلزلت الارض ثم الحديد ثم سورة محمد
صلي الله عليه وسلم ثم الرعد ثم سورة الرحمن ثم هل اتي علي الانسان
ثم الطلاق ثم لم يكن ثم الحشر ثم الفلق ثم الناس ثم اذا جاء
نصر الله والفتح ثم النور ثم الحج ثم المنافقون ثم المجادلة ثم
الحجرات ثم التحريم ثم الصف ثم الجمعة ثم التغابن ثم الفتح ثم التوبة
ثم المايدة ومنهم من يقدم المايدة علي التوبة فهذا ترتيب
ما نزل من القران بالمدينة واختلفوا في شوري فقيل نزلت بمكة
وقيل نزلت بالمدينة وسنذكر ذلك في مواضعها ان شا الله تعالي
فصل في كون القران نزل علي سبعة احرف وما قيل في ذلك **ق** عن
عمر بن الخطاب رضي الله تعالي عنه قال سمعت هشام بن حكيم بن
حزام يقرا سورة الفرقان في حيات رسول الله صلي الله عليه وسلم
فاستمعت لقرائته فاذا هو يقرا علي حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول
الله صلي الله عليه وسلم فكدت اساوره في الصلاة فتربصت



حتي سلم فلببته بردايه فقلت من اقراك هذه السورة التي سمعتك
تقراها قال اقرانيها رسول الله صلي الله عليه وسلم فقلت كذبت
فان رسول الله صلي الله عليه وسلم قد اقرانيها علي غير ما قرات فانطلقت
به اقوده الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني
سمعت هذا يقرا سورة الفرقان علي حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله
صلي الله عليه وسلم ارسله اقرا يا هشام فقرا عليه القراة التي
سمعته يقراوها فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم هكذا انزلت
ان هذا القران انزل علي سبعة احرف فاقروا ما تيسر منه **قوله** فكدت
اساوره في الصلاة اي اواثبه واقاتله وهو في الصلاة والتربص
التثبت **قوله** فلببته بردايه هو بتشديد البا الاولي ومعناه اخذت
بمجامع ردايه في عنقه وجذبته به ماخوذ من اللبة وفيه بيان ما كانوا
عليه من الاعتنا بالقران والذب عنه والمحافظة علي لفظه كما سمعوه من
غير عدول الي ما تجوزه العربية واما امر النبي صلي الله عليه وسلم
عمر بارساله فلانه لم يثبت عنده ما يقتضي تعزيره ولان عمر انما
نسبه الي مخالفته في القراة والنبي صلي الله عليه وسلم كان يعلم من
جواز القراة ووجوهها ما لا يعلمه عمر ولانه اذا قرا وهو ملبب لا يتمكن
من حضور القلب وتحقيق القراة تمكن المطلق **قوله** ان هذا القران انزل
علي سبعة احرف فاقروا ما تيسر منه قال العلما سبب انزاله علي سبعة احرف
التخفيف والتسهيل واختلفوا في المراد بسبعة احرف فقيل هو توسعة
وتسهيل ولم يقصد به الحصر وقال الاكثرون هو حصر العدد في سبعة احرف
ثم قيل في سبعة من المعاني كالوعد والوعيد والمحكم والمتشابه والحلال
والحرام والقصص والامثال والامر والنهي وقيل هي في صورة التلاوة
وكيفية النطق بكلمات القران من ادغام واظهار وتفخيم وترقيق
ومد وقصر وامالة لان العرب كانت مختلفة اللغات في هذه الوجوه
فيسر الله تعالي عليهم ليقرا كل انسان بما يوافق لغته ويسهل علي لسانه

وقال ابو عبيد هي لغات من لغات العرب تميما وعمدها وهي افصح لغات العرب
واعلاها وقيل هي لغة قريش وهوازن وهذيل واهل اليمن وقيل السبعة
ظهرت كلها لمضر وحدها وهي متفرقة في القران العزيز غير مجتمعة في
كلمة واحدة وقيل بل هي مجتمعة في بعض الكلمات كقوله تعالى وعبد الطاغوت
ونرتع ونلعب وباعد بين اسفارنا وبعذاب بيس وقيل سبع قراءات
وهو الصحيح الموافق للحديث لان هذه السبعة ظهرت واستفاضت عن النبي
صلى الله عليه وسلم وضبطها عنه الصحابة واثبتها عثمان والجماعة
في المصاحف واخبروا بصحتها وحذفوا عنها ما لم يثبت متواترا وان
هذه الاحرف مختلف معانيها تارة والفاظها اخرى وليست متضادة
ولا متباينة فاما من قال ان المراد بالاحرف السبعة معان مختلفة
كالاحكام والامثال والقصص فخطا محض لان النبي صلى الله عليه وسلم
اشار الى جواز القراة بكل واحد من الحروف وابدال حرف بحرف وقد
تقرر اجماع المسلمين انه يحرم ابدال اية امثال باية احكام وقول من
قال المراد خواتيم الاي فيجعل مكان غفور رحيم سميع عليم ففاسد
ايضا وخطا للاجماع على انه لا يجوز تغيير نظم القران والله اعلم
ق عن بن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اقراني جبريل على حرف فراجعته فزادني فلم ازل استزيده
ويزيدني حتى انتهى الى سبعة احرف معنى الحديث لم ازل اطلب من
جبريل ان يطلب من الله عز وجل الزيادة في الاحرف والتوسعة
والتخفيف ويسال جبريل ربه عز وجل فيزيده حتى انتهى الى السبعة
م عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال كنت في المسجد فدخل رجل يصلي
فقرا قراءة انكرتها عليه ثم دخل اخر فقرا قراءة سوى قراءة صاحبه
فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت ان هذا قرا قراءة انكرتها عليه ثم دخل اخر فقرا قراءة سوى قراءة
صاحبه فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا فحسن النبي

صلى الله عليه وسلم شانهما فسقط في نفسي من التكذيب ولا اذ كنت
في الجاهلية فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غشيني
ضرب على صدري ففضت عرقا وكانما انظر الى الله عز وجل فرقا فقال
لي يا ابي ارسل الي ان اقرا على حرف واحد فرددت اليه ان هون على امتي
فرد لي الثانية ان اقروه على حرفين فرددت اليه ان هون على امتي
فرد لي الثالثة ان اقراه على سبعة احرف ولك بكل ردة رددتكها
مسالة تسالنيها فقلت اللهم اغفر لامتي اللهم اغفر لامتي واخرت
الثالثة ليوم ترغب الي الناس كلهم حتى ابراهيم قوله فسقط
في نفسي من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية معناه وسوس لي الشيطان
تكذيبا للنبوة اشد مما كنت عليه في الجاهلية لانه كان في الجاهلية
غافلا او متشككا فوسوس اليه الشيطان الجزم بالتكذيب وقيل
معناه انه اعتراه حيرة ودهشة ونزغ الشيطان في قلبه تكذيبا
لم يعتقده وهذه الخواطر اذا لم يستمر عليها الانسان لا يواخذ بها
قوله ضرب في صدري ففضت عرقا قال القاضي عياض ضربه
صلى الله عليه وسلم تثبيتا له حين راه قد غشيه ذلك الخاطر
المذموم قوله وكانما انظر الى الله عز وجل فرقا الفرق بالتحريك
الخوف والخشية والمعنى انه غشيه من التهنيد والخوف والعظمة
حين ضرب ما ازال عنه ذلك الخاطر قوله ولك بكل ردة
رددتكها مسالة تسالنيها معناه مسالة مجابة قطعا واما باقي
الدعوات فمرجوة الاجابة وليست قطعية الاجابة والله اعلم
روى البغوي بسنده عن بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان القران نزل على سبعة احرف لكل اية منه ويروي لكل
حرف منه ظهر وبطن ولكل حد مطلع وقيل معناه الظهر لفظ القران
والبطن تاويله وقيل الظهر ما حدث عن اقوام انهم عصوا فعوقبوا
فهم في الظاهر خبر وفي الباطن عظة وقيل الظهر التلاوة في اللسان

كما انزل والبطن للتدبر والتفهم يكون بصدق النية وتعظيم الحرمة واخلاص
العمل وطيب المطعم من الحلال المحض **قوله** ولكل حد مطلع معناه مصعد يصعد
اليه من معرفة عمله وقيل المطلع الفهم وقد يفتح الله تعالى على المتدبر والمتفكر في
القران العزيز من التاويل والمعاني ما لا يفتحه على غيره وفوق كل ذي علم عليم
فصل في معنى التفسير والتاويل فاما التفسير فاصله في اللغة من الفسر
وهو كشف ما غطي وبيان المعاني المعقوله وكل ما يعرف به الشي ومعناه فهو
تفسير وقد يقال فيما يختص بمفردات الالفاظ وغريبها تفسير وقيل هو من
التفسره وهو الدليل الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض فكذلك
المفسر يكشف عن معنى الاية وشانها وقصدها واما التاويل فاشتقاقه
من الاول وهو الرجوع الى الاصل يقال اولته اي صرفته فانصرف وهو رد الشي
الى الغاية والمراد منه بيان غايته المقصودة منه فالتاويل بيان المعاني
والوجوه المستنبطة الموافقة للفظ الاية والفرق بين التفسير والتاويل
ان التفسير يتوقف على النقل المسموع والتاويل يتوقف على الفهم الصحيح
والله اعلم **القول** في الاستعاذة ولفظها المختار اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم لموافقة قوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان
الرجيم ومعنى اعوذ بالله التجي اليه وامتنع به مما اخشاه من عاذ يعوذ
والشيطان اصله من شطن اي تباعد من الرحمة وقيل من شاط يشيط اذا
هلك واحترق غضبا والشيطان اسم لكل عادم عاتي من الجن والانس
وشيطان الجن مخلوق من قوة النار فلذلك فيه القوة الغضبية الرجيم
فعيل بمعنى فاعل اي يرجم بالوسوسة والشر وقيل بمعنى مفعول اي
مرجوم بالشهب عند استراق السمع وقيل مرجوم بالعذاب وقيل مرجوم
بمعنى مطرود عن الرحمة وعن الخيرات وعن منازل الملا الاعلى واما
حكم الاستعاذة ففيه مسايل المسلة الاولى اتفق الجمهور ان الاستعاذة
سنة في الصلوات فلو تركها لم تبطل صلاته سوا تركها عمدا او سهوا
ويستحب لقاري القران خارج الصلاة ان يتعوذ ايضا وحكي عن عطا

وجوبها





وجوبها سوا كانت في الصلاة او غيرها وقال ابن سيرين ان تعوذ
الرجل في عمره مرة واحدة كفى في اسقاط الوجوب دليل الوجوب ظاهر
قوله تعالى فاستعذ والامر للوجوب وان النبي صلى الله عليه وسلم واظب
على التعوذ فيكون واجبا ودليل الجمهور ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يعلم الاعرابي الاستعاذة في جملة اعمال الصلاة وتاخير البيان عن
وقته غير جايز واجيب عن قوله تعالى فاستعذ بالله بان معناه
عند جماهير العلما اذا اردت القراة فاستعذ كقوله اذا قمتم الى الصلاة
فاغسلوا معناه اذا اردتم القيام الى الصلاة واجيب عن مواظبة النبي
صلى الله عليه وسلم بانه صلى الله عليه وسلم واظب على اشيا كثيرة
من افعال الصلاة ليست بواجبة كتكبيرات الانتقالات والتسبيحات
في الصلاة وكان التعوذ مثلها المسلة الثانية وقت الاستعاذة قبل
القراة عند الجمهور سوا في الصلاة او خارجها وحكي عن النخعي انه بعد
القراة وهو قول داود واحد الروايتين عن ابن سيرين حجة الجمهور
ما روي عن ابي سعيد الخدري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام
الى الصلاة بالليل كبر ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك
اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يقول الله اكبر كبيرا ثم يقول
اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه
اخرجه الترمذي وقال هذا الحديث اشهر حديث في الباب وقد تكلم
في بعض رجاله وقال احمد لا يصح ولابي داود والنساي عن ابي سعيد
نحوه وعن جبير بن مطعم انه راى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة
قال عمرو ولا ادري اي صلاة هي قال الله اكبر كبيرا الله اكبر كبيرا والحمد
لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة واصيلا ثلاثا اعوذ بالله من
الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه قال نفخه الكبر ونفثه الشعر
وهمزه الموتة اخرجه ابو داود وقيل الموتة الجنون لان من جن
فقد مات عقله وقيل همزه هو الذي يوسوس في الصلاة ونفخه

هو الذي يلقيه من الشبه في الصلاة ليقطع عليه صلاته واحتج مخالف الجمهور
بظاهر قوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ **واجيب** عنه بما تقدم وقال
مالك لا يتعوذ في المكتوبة ويتعوذ في قيام رمضان بعد القراة على ما تقدم
من الادلة المسالة الثالثة المختار من لفظ الاستعاذة عند الشافعي اعوذ
بالله من الشيطان الرجيم وبه قال ابو حنيفة لموافقة قوله تعالى
فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ولحديث جبير بن مطعم وقال احمد
الاولى ان يقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم جمعا بين
هذه الاية وبين قوله تعالى فاستعذ بالله انه هو السميع العليم
وحديث ابي سعيد وقال الثوري والاوزاعي الاولى ان يقول اعوذ
بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم وبالجملة فالاستعاذة
تطهر القلب عن كل شي يشغل القلب عن الله تعالى ومن لطايف الاستعاذة
ان قوله اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اقرار من العبد بالعجز والضعف
واعتراف من العبد بقدرة الباري عز وجل وانه الغني القادر عن دفع
المضرات والافات واعتراف من العبد ايضا بان الشيطان عدو مبين
ففي الاستعاذة الالتجا الى الله تعالى القادر على دفع وسوسة الشيطان
الغوي الفاجر وانه لا يقدر على دفعه عن العبد الا الله تعالى والله اعلم

تفسير سورة الفاتحة وهي سبع ايات بالاتفاق وسبع وعشرون
كلمة ومائة واربعون حرفا واختلف العلما في نزولها فقيل نزلت بمكة
وهو قول اكثر العلما وقيل نزلت بالمدينة وهو قول مجاهد وقيل
نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة وسبب ذلك التنبيه على شرفها
وفضلها ولها عدة اسما وكثرة الاسما تدل على شرف المسمى وفضله
فاول ذلك فاتحة الكتاب سميت بذلك لان بها افتتح القران وبها
تفتتح كتابة المصاحف وبها تفتتح الصلاة الثاني سورة الحمد
سميت بذلك لافتتاحها بالحمد لله الثالث ام القران وام الكتاب
سميت بذلك لانها اصل القران وام كل شي اصله وقيل هي امام

يتلوها

يتلوها من السور الرابع السبع المثاني سميت بذلك لانها تثنى في الصلاة
ويقراونها في كل ركعة وقيل ان الله تعالى استثناها لهذه الامة وذخرها
لهم لم ينزلها على غيرهم وقيل انزلت مرتين الخامس الوافية سميت
بذلك لانها لا تقسم في القراة في الصلاة كما يقسم غيرها من السور
السادس الكافية سميت بذلك لانها تكفي عن غيرها في الصلاة ولا يكفي
عنها غيرها **فصل** في ذكر فضلها خ عن ابي سعيد بن المعلى قال
كنت اصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم
اجبه ثم اتيته فقلت يا رسول الله اني كنت اصلي فقال الم يقل الله
استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم قال لي الا اعلمك سورة
سورة هي اعظم السور في القران قبل ان تخرج من المسجد ثم اخذ بيدي
فلما اراد ان يخرج قلت له الم تقل لاعلمنك سورة هي اعظم سورة في
القران قال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقران العظيم
الذي اوتيته ورواه مالك في الموطا عنه وقيل فيه ان النبي صلى الله
عليه وسلم نادى ابي بن كعب وهو يصلي وذكر نحوه وفيه حتى تعلم
سورة ما انزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور مثلها ورواه
الترمذي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج على
ابي وهو يصلي وذكر نحو رواية الموطا وقال فيه حديث حسن صحيح
عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انزل الله
في التوراة ولا في الانجيل مثل ام القران وهي السبع المثاني وهي مقسومة
بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال اخرجه الترمذي والنسائي عن ابي
هريرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب
العالمين ام القران وام الكتاب والسبع المثاني اخرجه ابو داود
والترمذي قال حديث حسن صحيح م عن ابن عباس قال بينما جبريل
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه

فرفع رأسه فقال هذا باب من السما فتح اليوم ولم يفتح قط الا اليوم
فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم
وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يوتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم
سورة البقرة لن تقرا بحرف منها الا اعطيته قوله سمع نقيضا هو با...
والضاد المعجمة اي صوتا كصوت الباب م عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرا فيها بام القران فهي
خداج هي خداج هي خداج غير تمام قال فقلت يا ابا هريرة انا احيانا
نكون ورا الامام فغمز ذراعي وقال اقرا بها في نفسك يا فارسي
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي
ولعبدي ما سال فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني
عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال اثنى علي عبدي واذا قال ملك يوم
الدين قال مجدني عبدي وقال مرة فوض الي عبدي واذا قال اياك
نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال
واذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير
المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ما سال
قوله فهي خداج اي ناقصة فغمز ذراعي اي لمس ساعدي بيده
قوله قسمت الصلاة اي اراد بالصلاة هنا القراة لانه فسره
بها لان القراة ركن من اركانها وجز من اجزايها قوله نصفين
حقيقة هذه القسمة التي جعلها بينه وبين عبده راجعة الى
المعنى لا الى اللفظ لان هذه السورة من جهة المعنى نصفها
ثنا ونصفها مسئلة ودعا وقسم الثنا انتهى عند قوله تعالى اياك
نعبد وقوله واياك نستعين من قسم الدعا ولهذا قال هذه بيني
وبين عبدي ولعبدي ما سال قوله تعالى حمدني عبدي
ومجدني اي اثنى علي ثم ان الحمد هو الثنا بجميل الفعال والتمجيد
والثنا بصفات الجلال وقيل التمجيد التعظيم قوله ... بها



قال فوض الي عبدي وجه بطلاقة هذا القول ملك يوم الدين
يقال فلان فوض امره الى فلان اذا رده اليه وعول فيه عليه
وفي الحديث دليل على وجوب قراة الفاتحة وانها متعينة وهو مذهب
الشافعي وجماعة وستاتي هذه المسالة ان شا الله تعالى بعد ذكر
تفسير الفاتحة والله اعلم بسم الله الرحمن الرحيم البا في
بسم الله حرف خافض يخفض ما بعده مثل من وعن والمتعلق به مضمر
... لدلالة الكلام عليه تقديره ابدا ببسم الله او بسم الله ابدا
... وانما طولت البا في بسم الله واسقطت الالف طلبا للخفة وقيل
لما اسقطوا الالف ردوا طوله على البا ليدل على طولها على الالف المحذوفة
واثبت الالف في قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لقلة استعماله
وقيل انما طولوا البا لانهم ارادوا ان يستفتحوا كتاب الله بحرف
معظم وقيل البا حرف منخفض الصورة فلما اتصلت ببسم الله ارتفعت
واستعلت وقيل ان عمر بن عبد العزيز كان يقول لكتابه طولوا
البا من بسم الله واظهروا السين ودوروا الميم تعظيما لكتاب
الله عز وجل والاسم هو المسمى عينه وذاته قال الله تعالى
انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ثم نادى الاسم فقال يا يحيى وقال
سبح اسم ربك وتبارك اسم ربك وهذا القول ليس بقوي
والصحيح المختار ان الاسم غير المسمى وغير التسمية فالاسم
ما تعرف به ذات الشي وذلك لان الاسم هو الاصوات المقطعة
والحروف المولفة الدالة على ذات الشي المسمى به فثبت بهذا
ان الاسم غير المسمى وايضا قد تكون الاسما كثيرة والمسمى واحد
كقوله تعالى ولله الاسما الحسنى وقد يكون الاسم واحدا
والمسميات كثيرة كالاسما المشتركة وذلك يوجب المغايرة
وايضا فقوله فادعوه بها امران يدعا الله تعالى باسمايه
فالاسم آلة الدعا والمدعو هو الله تعالى فالمغايرة حاصلة



بين ذات المدعو وبين اللفظ المدعو به واجيب عن قوله تعالى انا نبشرك
بغلام اسمه يحيى بان المراد ذات الشخص المعبر عنه بيحيى لا نفس الاسم وليجب
عن قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم وتبارك اسم ربك بان معنى هذه
الالفاظ اضافة الاسم الى الله تعالى واضافة الشي الى نفسه محال وقيل
كما يجب تنزيه ذاته سبحانه وتعالى عن النقص فكذلك يجب تنزيه اسمائه
وكون الاسم غير التسمية هو ان التسمية عبارة عن تعيين اللفظ المعين
لتعريف ذات الشي فالاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر
واختلفوا في اشتقاق الاسم فقال البصريون من السمو وهو العلو واسم
الشي ما علاه حتى ظهر به وعلا عليه فكانه على معناه وصار علما وقال
الكوفيون من السمة وهي العلامة فكان علامة لمسماه وحجة البصريون
لو كان اشتقاقه من السمة لكان تصغيره وسيم وجمعه اوسام واجمعوا
على ان تصغيره سمي وجمعه اسما واسامي الله هو اسم علم خاص لله تعالى
تفرد به الباري سبحانه وتعالى ليس بمشتق ولا يشركه فيه احد وهو
الصحيح المختار دليله قوله تعالى هل تعلم له سميا يعني لا يقال لغير الله
وقيل هو مشتق من اله يأله الاهة مثل عبد الرجل يعبد عبادة دليله
ويذرك والهتك اي وعبادتك ولعل معناه المستحق للعبادة
دون غيره وقيل من الوله اي الفزع لان الخلق يولهون اليه اي يفزعون
اليه في حوايجهم قال بعضهم ولهت اليكم في بلايا تنوبني فالفيتكم فيها
كرايم محمدا وقيل اصله اله يقال الهت الى فلان اي سكنت اليه فكان الخلق
يسكنون اليه ويطمئنون بذكره وقيل اصله ولاه فابدلت الواو بهمزة
سمي بذلك لان كل مخلوق واله نحوه اما بالتخير او بالارادة ومن هذا
قيل الله محبوب كل الاشيا يدل عليه وان من شي الا يسبح بحمده ومن
خصايص هذا الاسم انك اذا حذفت منه شيا بقي الباقي يدل عليه
فان حذفت الالف بقي لله وان حذفت اللام واثبت الالف بقي اله
وان حذفتهما بقي له وان حذفت الالف واللامين معا بقي هو والواو

عوض

عوض عن الضمة وذهب بعضهم الى ان هذا الاسم هو الاسم الاعظم لانه
يدل على الذات وباقي الاسما تدل على الصفات الرحمن الرحيم قال ابن عباس
هما اسمان رقيقان احدهما ارق من الاخر فقيل هما بمعنى مثل ندمان ونديم
ومعناهما ذو الرحمة وانما جمع بينهما للتاكيد وقيل ذكر احدهما بعد الاخر
تطميعا لقلوب الراغبين اليه وقيل الرحمن فيه معنى العموم والرحيم
فيه الخصوص فالرحمن بمعنى الرازق في الدنيا وهو على العموم لكافة الخلق
المومن والكافر والرحيم بمعنى العفو الكافي للمومنين في الاخرة فهو على
الخصوص ولذلك قيل رحمن الدنيا ورحيم الاخرة ورحمة الله اي ارادة
الخير والاحسان لاهله وقيل هو ترك عقوبة من يستحق العقاب واسدا
الخير والاحسان الى من لا يستحق فهو على الاول صفة ذات وعلى الثاني
صفة فعل وقيل الرحمن بكشف الكروب والرحيم بغفر الذنوب وقيل الرحمن
بتبيين الطريق والرحيم بالعصمة والتوفيق

فصل في حكم البسملة

وفيه مسئلتان الاولى في كون البسملة من الفاتحة وغيرها من السور
سوى سورة براة اختلف العلما في ذلك فذهب الشافعي وجماعة
من العلما الى انها اية من الفاتحة ومن كل سورة ذكرت في اولها سوى
سورة براة وهو قول ابن عباس وابن عمر وابي هريرة وسعيد
ابن جبير وعطا وابن المبارك واحمد في احد الروايتين عنه واسحاق
ونقل البيهقي هذا القول عن علي بن ابي طالب والزهري والثوري
ومحمد بن كعب وذهب الاوزاعي ومالك وابو حنيفة ان البسملة
ليست اية من الفاتحة زاد ابو داود ولا من غيرها من السور وانما
هي بعض اية في سورة النمل وانما كتبت للفصل والتبرك قال مالك
ولا يستفتح بها في الصلاة المفروضة وللشافعي قول انها ليست من
اوايل السور مع القطع بانها من الفاتحة فاما حجة من منع كون
البسملة اية من الفاتحة ومن غيرها حديث انس المشهور المخرج في
الصحيح من حديث عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

الصلاة بالتكبير والقراة وبالحمد لله رب العالمين قالوا ولان اول ما انزل
به جبريل اقرا باسم ربك الذي خلق ولم يذكر البسملة في اولها فدل على انها
ليست منها قالوا ولان محل القران لا يثبت الا بالتواتر والاستفاضة ولان
الصحابة اجمعوا على عدد كثير من السور منها سورة الملك ثلاثون اية
وسورة الكوثر ثلاث ايات وسورة الاخلاص اربع ايات فلو كانت البسملة
منها لكانت خمسا واما حجة من ذهب الى اثباتها في اوايل السور من جهة النقل
فقد صح عن ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا البسملة في اول
الفاتحة في الصلوة وعدها اية منها وعن بن عباس في قوله ولقد اتيناك
سبعا من المثاني والقران العظيم قال هي فاتحة الكتاب قال فاين
السابعة قال بسم الله الرحمن الرحيم اخرجها ابن خزيمة وغيره وروي بن
عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يعلم فصل السورة وفي
رواية انقضا السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم اخرجه ابو
داود والحاكم ابو عبد الله في مستدركه وقال فيه انه صحيح على شرط
الشيخين وروي الدارقطني عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا قراتم الحمد لله فاقروا بسم الله الرحمن الرحيم فانها
ام القران وام الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم احدى
اياتها قال الدارقطني في رجال اسناده كلهم ثقات وروي موقوفا
وروي الدارقطني عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يقرا بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الى اخرها قطعها اية اية
وعدها عد الاعراب وعد بسم الله الرحمن الرحيم اية ولم يعد عليهم
واخرج مسلم في افراده عن انس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين اظهرنا اذ اغفا اغفاة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما اضحكك
يا رسول الله قال انزلت علي انفا سورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم
انا اعطيناك الكوثر الحديث قال البيهقي احسن ما احتج به اصحابنا
في ان بسم الله الرحمن الرحيم من القران وانها من فواتح السورة

سوى

سوى سورة براة فكيف يتوهم متوهم انهم كتبوا فيها مايه وثلاثة عشر
اية ليست من القران قال وقد علمنا بالروايات الصحيحة عن بن عباس انه كان يعد
لا يدع بسم الله الرحمن الرحيم لام القران اية من الفاتحة وروي الشافعي بسنده
عن ابن عمر انه كان لا يدع بسم الله الرحمن الرحيم لام القران والسورة التي
بعدها زاد غيره عنه انه كان يقول لما كتبت في المصحف لم تقرا وروي
الشافعي عن بن عباس انه كان يفعله ويقول انتزع الشيطان منهم خير اية
في القران وفي افراد البخاري من حديث انس انه سئل كيف كانت قراة رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرا بسم الله الرحمن الرحيم
يمد بالرحمن ويمد الرحيم فقد ثبت بهذه الادلة الصحيحة الواضحة
ان البسملة من الفاتحة ومن كل موضع ذكرت فيه وايضا فاجمعوا الصحابة
على اثباتها في المصاحف وانهم طلبوا بكتابة المصاحف تجريد كلام الله
عز وجل المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم قرانا وتدوينه من ان
يزيدوا فيه او ينقصوا منه ولهذا لم يكتبوا فيه لفظة امين وان
كان قد ورد انه كان يقولها بعد الفاتحة فلو لم تكن البسملة من القران
في اوايل السور لما كتبوها وكان حكمها حكم امين المسئلة الثانية
في حكم الجهر بالبسملة والاسرار اذا ثبت بما تقدم من الادلة ان
البسملة اية من الفاتحة ومن غيرها من السور حيث كتبت كان حكمها
في الجهر والاسرار حكم الفاتحة فيجهر بها مع الفاتحة في الصلوة
الجهرية ويسر بها مع الفاتحة في الصلاة السرية وممن قال بالجهر
من الصحابة ابو هريرة وبن عباس وبن عمر وبن الزبير ومن التابعين
فمن بعدهم سعيد بن جبير وابو قلابة والزهري وعكرمة وعطا وطاوس
ومجاهد وعلي بن الحسين وسالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي وابن
سيرين وابن المنكدر ونافع مولى بن عمر وزيد بن اسلم ومكحول
وعمر بن عبد العزيز وعمرو بن دينار ومسلم بن خالد واليه ذهب

الشافعي واحد قول بن وهب صاحب مالك ويحكي ايضا عن المبارك وابي
ثور وممن ذهب الي الاسرار بها من الصحابة ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وبن
مسعود وعمار بن ياسر وابن مغفل وغيرهم ومن التابعين فمن بعدهم الحسن
والشعبي وابراهيم النخعي وقتادة والاعمش والثوري واليه ذهب مالك
وابو حنيفة واحمد وغيرهم اما حجة من قال بالجهر فقد روي جماعة من
الصحابة منهم ابو هريرة وبن عباس وانس وعلي بن ابي طالب وسمرة بن
جندب وام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم جهر بالبسملة فمنهم من
صرح بذلك ومنهم من فهم ذلك من عبادته ولم يرد في صحيح الاسرار بها
عن النبي صلى الله عليه وسلم الا روايتان احدهما ضعيفة وهي رواية عبد
الله بن مغفل والاخرى عن انس وهي في الصحيح وهي معللة بما اوجب
سقوط الاحتجاج بها وروي نعيم بن عبد الله المجمر قال صليت وراء ابي
هريرة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرا بام القران وذكر الحديث وفيه
ثم يقول اذا سلم اني لاشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم
اخرجه النسايي وبن خزيمة في صحيحه وقال اما الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم
فقد ثبت وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اقرا وهو يوم الناس
افتتح ببسم الله الرحمن الرحيم وذكر الحديث قال الدارقطني وقال ليس
في روايته مجروح واخرجه الحاكم ابو عبد الله وقال اسناده صحيح وليس له
علة وفي رواية عن بن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم اخرجه الدارقطني وقال صحيح
ليس في اسناده مجروح واخرجه الترمذي وقال ليس اسناده بذاك
قال الشيخ ابو شامة اي لا يماثل اسناده ما في الصحيح ولكن اذا انضم
الي ما تقدم من الادلة رجح علي ما في الصحيح وعن انس قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يجهر بالقراة ببسم الله الرحمن الرحيم
اخرجه الدارقطني وقال اسناده صالح وفيه عن محمد بن ابي السري
العسقلاني قال صليت خلف المعتمر بن سليمان ما لا احصي صلاة
الصبح والمغرب فكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة

سمرة
صرح

الكتاب



الكتاب وبعدها وسمعت المعتمر يقول ما الوى ان اقتدي بصلاة انس بن
مالك وقال انس بن مالك ما الوى ان اقتدي بصلاة رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخرجه الدارقطني وقال كلهم ثقاة واخرجه الحاكم
ابو عبد الله وقال رواة هذا الحديث عن اخرهم كلهم ثقاة قلت وفي
الباب احاديث وادلة وايرادات واجوبة من الجانبين يطول ذكرها وفي
هذا القدر كفاية وبالله التوفيق والله اعلم قوله عز وجل **الحمد**
لله لفظه خبر كانه سبحانه وتعالى يخبر ان المستحق للحمد هو الله تعالى
ومعناه الامر اي قولوا الحمد لله وفيه تعليم الخلق كيف يحمدونه والحمد
والمدح اخوان وقيل بينهما فرق وهو ان المدح قد يكون للاحسان
وبعده والحمد لا يكون الا بعد الاحسان وقيل ان المدح قد يكون
منهيا عنه واما الحمد فمامور به والحمد يكون بمعنى الشكر علي النعمة
ويكون بمعنى الثنا بجميل الافعال تقول حمدت الرجل علي علمه وكرمه
والشكر لا يكون الا علي النعمة فالحمد اعم من الشكر اذ لا تقول شكرت
فلانا علي علمه فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامدا وقيل الحمد
باللسان قولا والشكر بالاركان فعلا والحمد ضد الذم واللام في لله
لام الاستحقاق كقولك الدار لزيد يعني انه المستحق للحمد لانه
المحسن المتفضل علي كافة الخلق علي الاطلاق **رب العالمين** بمعنى
المالك كما يقال رب الدار ورب الشي اي مالكه ويكون بمعنى التربية
والاصلاح يقال رب فلان الضيعة يربها اذا اصلحها فالله تعالى
ملك العالمين ومربيهم ولا يقال الرب للمخلوق معرفا بل يقال رب
الشي مضافا والعالمين جمع عالم لا واحد له من لفظه وهو اسم لكل موجود
سوى الله تعالى فيدخل فيه جميع الخلق وقال بن عباس هم الجن
والانس لانهم المكلفون بالخطاب وقيل العالم اسم لذوي العلم من
الملايكة والجن والانس ولا يقال للبهايم عالم لانها لا تعقل
واختلف في مبلغ عددهم فقيل لله الف عالم ستماية عالم في

البحر وار بعماية في البر وقيل ثمانون الف عالم المراد بعون الفاني البر ومثلهم في البحر وقيل ثمانية عشر الف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمران في الخراب الا كفسطاط في صحرا الفسطاط الخيمة واشتقاق العالم من العلم وقيل من العلامة وانما سمي بذلك لانه دال على الخالق سبحانه وتعالى

الرحمن الرحيم فالرحمن هو المنعم بما لا يتصور صدور تلك النعمة من العباد والرحيم هو المنعم بما يتصور صدور تلك النعمة من العباد فلا يقال لغير الله رحمن ويقال لغيره من العباد رحيم فان **قلت** قد سمي مسيلمة الكذاب برحمن اليمامة وهو قول شاعرهم فيه وانت غيث الورى لا زلت رحمن **قلت** هو باب من تعنتهم في كفرهم ومبالغتهم في مدح صاحبهم فلا يلتفت الى قولهم هذا فان **قلت** قد ذكر الرحمن والرحيم في البسملة فما فايدة تكريره هنا **قلت** ليعلم ان العناية بالرحمة اكثر من غيرها من الامور وان الحاجة اليها اكثر فنبه سبحانه وتعالى بتكرير ذكر الرحمة على كثرتها وانه هو المتفضل على خلقه

قوله تعالى **ملك يوم الدين** يعني انه تعالى صاحب ذلك اليوم الذي يكون فيه الجزا والملك هو المتصرف بالامر والنهي وقيل هو القادر على اختراع الاعيان من العدم الى الوجود ولا يقدر على ذلك الا الله تعالى وقيل مالك اوسع من ملك لانه تعالى مالك العبد والدابة ولا يقال ملك هذه الاشيا ولانه لا يكون ملكا للشي الا وهو يملكه وقيل ملك اولى لان كل ملك مالك وليس كل مالك ملك وقيل هما بمعنى واحد مثل فرهين وفارهين قال ابن عباس ملك يوم الدين قاضي يوم الحساب وقيل الدين الجزا يقع على الخير والشر يقال كما تدين تدان وقيل هو يوم لا ينفع فيه الا الدين وقيل الدين القهر يقال دنته فدان اي قهرته فذل فان **قلت** لم خص يوم الدين بالذكر مع كونه مالكا للايام كلها **قلت** لان ملك الاملاك يومئذ زايلة فلا ملك ولا امر يومئذ الا لله تعالى كما قال تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن وقال لمن الملك اليوم لله الواحد

القهار



القهار وقد يسمي في دار الدنيا احاد الناس بالملك وذلك على المجاز لا على الحقيقة قوله تعالى **اياك نعبد** رجع من الخبر الى الخطاب وفايدة ذلك من اول السورة الى هنا ثنا والثنا في الغيبة اولى من قولهم اياك نعبد دعا والخطاب في الدعا اولى وقيل فيه ضمير اي قولوا اياك نعبد والمعنى اياك نخص بالعبادة ونوحدك ونعظمك خاضعين لك والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل وسمي العبد عبدا لذلته وانقياده وقيل العبادة عبارة عن الفعل الذي يودي به الغرض لتعظيم الله تعالى فقول العبد اياك نعبد معناه لا اعبد احدا سواك والعبادة غاية التذلل من العبد وغاية التعظيم للرب سبحانه لانه العظيم المستحق للعبادة ولا تستعمل العبادة الا في الخضوع لله تعالى لانه مولى اعظم النعم وهي ايجاد العبد من العدم الى الوجود ثم هداه الى دينه فكان العبد حقيقا بالخضوع والتذلل له **واياك نستعين** اي منك نطلب المعونة على عبادتك وعلى جميع امورنا فان **قلت** الاستعانة على العمل انما تكون قبل الشروع فيه فلم اخر الاستعانة على العبادة وما الحكمة فيه **قلت** ذكروا فيه وجوها احدها ان هذا يلزم من يجعل الاستطاعة قبل الفعل ونحن بحمد الله نجعل التوفيق والاستطاعة مع الفعل فلا فرق بين التقديم والتاخير الثاني ان الاستعانة نوع تعبد فكانه ذكر جملة العبادة اولا ثم ذكر ما هو من تفاصيلها ثانيا الثالث كان العبد يقول شرعت في العبادة فانا استعين بك على اتمامها فلا يمنعني من اتمامها مانع الرابع ان العبد اذا قال اياك نعبد حصل له الفخر وذلك منزلة عظيمة فيحصل بسبب ذلك العجب فاردف ذلك بقوله واياك نستعين ليزول ذلك العجب الحاصل بسبب تلك العبادة **اهدنا الصراط المستقيم** اي ارشدنا وقيل ثبتنا وهو كما تقول للقايم قم حتى اعود اليك ومعناه دم على ما انت عليه وهذا الدعا من المومنين مع كونهم على الهداية بمعنى سوال التثبت وطلب مزيد

الهداية لان الالطاف والهدايات من الله تعالي لا تتناهي وهذا مذهب
اهل السنة والصراط الطريق قال جرير امير المومنين ان يكونوا علي صراط
اذا اعوج الموارد مستقيم اي علي طريقة حسنة قال بن عباس هو دين
الاسلام وقيل هو القران وروي ذلك مرفوعا وقيل السنة والجماعة
وقيل معناه اهدنا صراط المستحقين للجنة **صراط الذين انعمت عليهم**
هذا بدل من الاول اي الذين مننت عليهم بالهداية والتوفيق وهم الانبيا
والمومنون الذين ذكرهم الله في قوله اولئك الذين انعم الله عليهم من
النبيين والصديقين والشهدا والصالحين وقال بن عباس هم قوم
موسي وعيسي الذين لم يغيروا ولم يبدلوا وقيل هم اصحاب محمد صلي الله
عليه وسلم واهل بيته **غير المغضوب عليهم** يعني غير صراط الذين
غضبت عليهم والغضب في الاصل هو ثوران دم القلب وارادة الانتقام ومنه
قوله صلي الله عليه وسلم اتقوا الغضب فانه جمرة تتوقد في قلب بن
ادم الم تروا الي انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه واذا وصف الله به فالمراد
منه الانتقام فقط دون غيره وهو انتقامه من العصاة وغضب الله
لا يلحق عصاة المومنين وانما يلحق الكافرين **ولا الضالين** اي وغير
الضالين عن الهدي واصل الضلال الغيبوبة والهلاك يقال ضل الما في
اللبن اذا غاب فيه وهلك وقيل غير المغضوب عليهم هم اليهود والضالين
هم النصاري عن عدي بن حاتم عن النبي صلي الله عليه وسلم اليهود
مغضوب عليهم والنصاري ضلال اخرجه الترمذي وذلك لان الله
تعالي حكم علي اليهود بالغضب فقال من لعنه الله وغضب عليه وحكم
علي النصاري بالضلال فقال ولا تتبعوا اهوا قوم قد ضلوا من قبل
وقيل غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة **فصل**
في امين وحكم الفاتحة وفيه مسئلتان الاولي السنة للقاري بعد فراغه
من الفاتحة ان يقول امين مفصولا عنها بسكتة ليتميز وهو مخفف وفيه
لغتان المد والقصر قال في المد ويرحم الله عبدا قال امينا وقال في

القصر

القصر امين فزاد الله ما بيننا بعدا ومعني امين اللهم اسمع واستجب
وقال بن عباس معناه كذلك يكون وقيل هو اسم من اسما الله تعالي
وقيل هو خاتم الله علي عباده يدفع به عنهم الافات ق عن ابي هريرة — في الهامش: يدفع به عنهم الافات
ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال اذا امن الامام فامنوا فان من
وافق تامينه تامين الملايكة غفر له ما تقدم من ذنبه قال شهاب
كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول امين وفي رواية للبخاري
ان الامام اذا قرا غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا امين فان
الملايكة تقول امين فمن وافق تامينه تامين الملايكة غفر له ما تقدم من
ذنبه قوله فمن وافق تامينه تامين الملايكة معناه وافقهم في وقت
التامين فامن مع تامينهم وقيل وافقهم في الصفة والخشوع والاخلاص
والقول الاول هو الصحيح واختلفوا في هولا الملايكة فقيل هم الحفظة
وقيل غيرهم من الملايكة وقوله غفر له ما تقدم من ذنبه يعني تغفر
له الذنوب الصغاير دون الكباير وقول بن شهاب كان رسول الله
صلي الله عليه وسلم يقول امين معناه ان هذه صفة تامينه صلي
الله عليه وسلم المسئلة الثانية في حكم الفاتحة اختلف العلما في حكم — في الهامش: وجوب
قراة الفاتحة فذهب مالك والشافعي واحمد وجمهور العلما الي وجوب
الفاتحة وانها متعينة في الصلاة ولا تجزي الا بها واحتجوا بما روي
عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لا صلاة
لمن لم يقرا بفاتحة الكتاب اخرجاه في الصحيحين ولحديث ابي هريرة
من صلي صلاة لم يقرا فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج ثلاثا غير تمام
الحديث وقد تقدم في فضل سورة الفاتحة وذهب ابو حنيفة الي ان
الفاتحة لا تتعين علي المصلي بل الواجب عليه قراة اية من القران طويلة
او ثلاث ايات قصار واحتج بقوله تعالي فاقروا ما تيسر منه وبقوله
صلي الله عليه وسلم في حديث الاعرابي المسي صلاته ثم اقرا بما تيسر
معك من القران اخرجاه في الصحيحين دليل الجمهور ما تقدم من الاحاديث

فان قيل المراد من الحديث لا صلاة كاملة قلت هذا خلاف ظاهر
لفظ الحديث ومما يدل عليه حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا تجزي صلاة لمن لم يقرا بفاتحة الكتاب اخرجه الدار
قطني وقال اسناده صحيح وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امره ان
يخرج فينادي لا صلاة الا بفاتحة الكتاب فما زاد اخرجه ابو داود د
واجيب عن حديث الاعرابي بانه محمول على الفاتحة فانها متيسرة او
على ما زاد على الفاتحة او على العاجز عن قراة الفاتحة والله اعلم تفسير
سورة البقرة قال بن عباس هي اول ما نزل بالمدينة قيل سوى ا[illegible]
وهي قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فانها نزلت يوم النحر
بمكة في حجة الوداع وهي وست وقيل سبع وثمانون اية وستة الاف وماية
واحدى وعشرون كلمة وخمسة وعشرون الف حرف وخمسماية حرف
فصل في فضلها م عن ابي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول اقروا القران فانه ياتي يوم القيامة شفيعا لاصحابه اقراو
الزهراوين البقرة وال عمران فانهما ياتيان يوم القيامة كانهما
غمامتان او غيايتان او كانهما فرقان من طير صواف يحاجان عن
صاحبهما اقرا البقرة فان اخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها
البطلة قال معاوية بن سلام بلغني ان البطلة السحرة قوله اقراوا
الزهراوين سميتا بذلك لنورهما يقال لكل مستنير زاهر وقوله
كانهما غمامتان او غيايتان قال اهل اللغة الغمامة والغياية كل شي
اظل الانسان فوق راسه من سحابة وغيرها والمعنى ان ثوابهما ياتي
كغمامتين قوله فرقان من طير صواف الفرق الجماعة من الطير
والصواف جمع صافة وهي التي تصف اجنحتها عند الطيران المحاجة
المجادلة والمخاصمة واظهار الحجة والبطلة السحرة كما جا في الحديث
مبينا يقال ابطل اذا جا بالباطل وفي الحديث دليل على جواز قول سورة
البقرة وسورة ال عمران وكذلك باقي السور لانه لا كراهة في



ذلك وكرهه بعض المتقدمين وقال انما يقال السورة التي تذكر فيها
البقرة وكذا باقي السور والصواب هو الاول وبه قال الجمهور ولورود
النص به م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا
بيوتكم مقابر ان الشيطان يفر من البيت الذي تقرا فيه سورة البقرة
وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شي سنام وان
سنام القران سورة البقرة وفيها اية هي سيدة اي القران اية الكرسي
اخرجه الترمذي وقال حديث غريب بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز
وجل الم قيل ان حروف التهجي اوايل السور من المتشابه الذي استاثر
الله بعلمه وهي سر الله في القران فنحن نومن بظاهرها ونكل العلم فيها
الى الله تعالى وفايدة ذكرها طلب الايمان بها قال ابو بكر الصديق
رضي الله عنه في كل كتاب سر وسر الله في القران اوايل السور وقال
علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب
حروف التهجي واورد على هذا القول بانه لا يجوز ان يخاطب الله عباده
بما لا يعلمون واجيب عنه بانه يجوز ان يكلف عباده بما لا يعقل
معناه كرمي الجمار فانه مما لا يعقل معناه والحكمة فيه هو كمال
الانقياد والطاعة فكذلك هذه الحروف يجب الايمان بها ولا يلزم
البحث عنها وقال اخرون من اهل العلم هي معروفة المعاني ثم اختلفوا
فيها فقيل كل حرف منها مفتاح اسم من اسما الله تعالى فالالف مفتاح
اسم الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد
وقيل الالف الا الله واللام لطفه والميم ملكه ويويد هذا ان العرب
تذكر حرفا من كلمة تريد كلها قال الراجز قلت لها قفي فقالت ق
لا تحسبي انا نسينا الايجاف قوله ق اي وقفت فاكتفت بجزء الكلمة
عن كلها والايجاف الاسراع في السير قال بن عباس الم انا الله اعلم
وقيل هي اسما الله مقطعة لو علم الناس تاليفها لعلموا اسم الله
الاعظم الا ترى انك تقول الر وحم ون فيكون مجموعها الرحمن
وكذلك سايرها ولذلك من بينهما تاليفها جميعا وقيل اسما
السور وبه قال جماعة من المحققين وقال بن عباس هي اقسام

فيها

قيل اقسم الله بهذه الحروف لشرفهما وفضلها لانها مباني كتبه المنزلة
واسمايه الحسني وصفاته العليا وانما اقتصر علي بعضها وان كان المراد
كلها فهو كما تقول قرات الحمد لله وتريد انك قرات السورة بكمالها
فانه تعالي اقسم بهذه الحروف ان هذا الكتاب هو الكتاب المثبت في اللوح
المحفوظ وقيل ان الله تعالي لما تحداهم بقوله فاتوا بسورة من مثله
بعشر سور مثله فعجزوا عنه انزل هذه الاحرف ومعناه ان القران
ليس هو الا من هذه الحروف وانتم قادرون عليها فكان يحسن ان
تاتوا بمثله فلما عجزتم عنه دل ذلك علي انه من عند الله لا من عند
البشر وقيل انهم اعرضوا عن سماع القران فاراد الله صلاح بعضهم انزل
هذه الاحرف فكانوا اذا سمعوها قالوا كالمتعجبين اسمعوا الي ما يجي به
محمد صلي الله عليه وسلم فاذا اصغوا اليه وسمعوه رسخ في
قلوبهم فكان ذلك سببا لايمانهم وقيل ان الله تعالي حير عقول
الخلق في ابتدا خطابه ليعلموا ان لا سبيل لاحد الي معرفة خطابه الا
باعترافهم بالعجز عن معرفة كنه حقيقة خطابه واعلم ان مجموع
هذه الحروف المنزلة في اوايل السور اربعة عشر حرفا في تسع وعشرين
سورة وهي الالف واللام والميم والصاد والرا والكاف والها والبا
والعين والطا والسين والحا والقاف والنون وهي نصف حروف
المعجم وسياتي الكلام علي باقيها في مواضعها ان شا الله تعالي
وقوله تعالي **ذلك الكتاب** اي هذا الكتاب يعني القران وقيل فيه
اضمار والمعني هذا الكتاب الذي وعدتك به وكان الله قد وعد
نبيه صلي الله عليه وسلم ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الما ولا يخلق
علي كثرة الرد فلما انزل القران قال هذا ذلك الكتاب الذي وعدتك
به وقيل ان الله وعد بني اسرايل ان ينزل كتابا ويرسل رسولا
من بني اسماعيل فلما هاجر رسول الله صلي الله عليه وسلم الي
المدينة وبها من اليهود خلق كثير انزل الله هذه الاية
الم ذلك الكتاب اي هذا الكتاب الذي وعدته به علي لسان موسي

ان



ان انزله علي النبي الذي من ولد اسماعيل والكتاب مصدر بمعني
المكتوب واصله الضم والجمع ومنه يقال للجند كتيبة لاجتماعها
فسمي الكتاب كتابا لانه يجمع الحروف بعضها الي بعض والكتاب اسم
من اسما القران **لا ريب فيه** اي لا شك فيه انه من عند الله وانه الحق
والصدق وقيل هو خبر بمعني النهي اي لا ترتابوا فيه فان قلت
قد ارتاب فيه قوم فما معني لا ريب فيه قلت معناه انه في نفسه حق
وصدق فمن حقق النظر عرف حقيقة ذلك **هدي للمتقين** الهدي
عبارة عن الدلالة وقيل هي دلالة تلطف وقيل الهداية الارشاد
والمعني هو هدي للمتقين وقيل هو هاد لا ريب في هدايته والمتقي
اسم فاعل من وقاه فاتقي والتقوي جعل النفس في وقاية مما
يخاف وقيل التقوي في عرف الشرع حفظ النفس مما يوثم وذلك
بترك المحظور وبعض المباحات قال ابن عباس المتقي من يتقي الشرك
والكباير والفواحش وهو ماخوذ من الاتقا واصله الحجز بين
الشيئين يقال اتقي بترسه اي جعله بينه وبين ما يقصده
وفي الحديث كنا اذا اشتد الباس اتقينا برسول الله صلي الله عليه
وسلم معناه انا كنا اذا اشتد الحرب جعلنا رسول الله صلي الله عليه
وسلم حاجزا بيننا وبين العدو فكان المتقي يجعل امتثال اوامر
الله واجتناب نواهيه حاجزا بينه وبين النار وقيل المتقي هو
من لا يري نفسه خيرا من احد وقيل التقوي ترك ما حرم الله وادا
ما افترض وقيل التقوي ترك الاصرار علي المعصية وترك الاغترار
بالطاعة وقيل التقوي ان لا يراك مولاك حيث نهاك وقيل التقوي
الاقتدا بالنبي صلي الله عليه وسلم واصحابه وفي الحديث جماع التقوي
في قوله تعالي ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية وقيل المتقي
هو الذي يترك ما لا باس به حذرا مما به باس وخص المتقين بالذكر تشريفا لهم لان
مقام التقوي مقام شريف عزيز لانهم هم المتقون بالهداية

ولو لم يكن للمتقين فضل الا قوله هدي للمتقين لكفاهم فان قلت
كيف قال هدي للمتقين والمتقون هم المهتدون قلت هو كقوله للعزيز
الكريم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة لما هو ثابت فيه كقوله
تعالي اهدنا الصراط المستقيم **الذين يومنون بالغيب** اي يصدقون بالغيب
واصل الايمان في اللغة التصديق قال تعالي وما انت بمومن لنا اي بمصدق
فاذا فسر الايمان بهذا فانه لا يزيد ولا ينقص لان التصديق لا يتجزي
حتي يتصور كماله مرة ونقصانه اخري والايمان في لسان الشرع
عبارة عن التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان واذا
فسر بهذا فانه يزيد وينقص وهو مذهب اهل السنة من اهل
الحديث وغيرهم وفايدة هذا الخلاف تظهر في مسالة وهي ان
المصدق بقلبه اذا لم يجمع الي تصديق العمل بموجب الايمان من الصلاة
والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك من اركان الدين هل يسمي مومنا ام لا
فيه خلاف والمختار عند اهل السنة انه لا يسمي مومنا لقوله صلي
الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن فنفي عنه اسم
الايمان او كمال الايمان وانكر اكثر المتكلمين زيادة الايمان
ونقصانه وقالوا متي قبل الزيادة والنقص كان ذلك شكا وكفرا
وقال المحققون من متكلمي اهل السنة ان نفس التصديق لا يزيد ولا
ينقص والايمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة الاعمال ونقصانها
وبهذا امكن الجمع بين ظواهر نصوص الكتاب والسنة التي
جات بزيادة الايمان ونقصانه واصله من اللغة وقال بعض المحققين
ان نفس التصديق قد يزيد وينقص بكثرة النظر في الادلة والبراهين
وقلة امعان النظر في ذلك ولهذا يكون ايمان الصديقين
اقوي واثبت من ايمان غيرهم لانهم لا تعتريهم شبهة في ايمانهم
ولا تتزلزل واما غيرهم من احاد الناس فليس كذلك اذ لا يشك
عاقل ان نفس تصديق ابي بكر رضي الله عنه لا يساويه تصديق

غيره



الثالث من تفسير الخازن

غيره من احاد الامة وقيل انما سمي الاقرار والعمل ايمانا لوجه المناسبة
لانه من شرايعه والدليل علي ان الاعمال من الايمان ما روي عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة
فضلها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذي عن الطريق والحيا
شعبة من الايمان اخرجاه في الصحيحين البضع بكسر البا ما بين الثلاثة
الي العشرة والشعبة القطعة من الشي واماطة الاذي عن الطريق
هو عزل الحجر والشوك ونحو ذلك عنه والحيا بالمد هو انقباض النفس
عن فعل القبيح وانما جعل من الايمان وهو اكتساب لان المستحيي ينزجر
باستحيايه عن المعاصي فصار من الايمان وقيل الايمان ماخوذ من
الامن فسمي المومن مومنا لانه يومن نفسه من عذاب الله والاسلام
هو الانقياد والخضوع فكل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمانا اذ
لم يكن معه تصديق وذلك ان الرجل قد يكون مستسلما في الظاهر
غير مصدق في الباطن ق عن ابي هريرة قال كان رسول الله صلي
الله عليه وسلم يوما بارزا للناس فاتاه رجل فقال يا رسول
الله ما الايمان قال ان تومن بالله وملايكته وكتبه ولقايه
ورسله وتومن بالبعث الاخر قال يا رسول الله ما الاسلام قال
ان تعبد الله ولا تشرك به شيا وتقيم الصلاة المكتوبة وتودي
الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال يا رسول الله ما الاحسان
قال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال
يا رسول الله متي الساعة قال ما المسول عنها باعلم من السايل ولكن
ساحدثك عن اشراطها اذا ولدت الامة ربتها فذاك من اشراطها واذا
كانت العراة الحفاة روس الناس فذاك من اشراطها واذا تطاول رعا
البهم في البنيان فذاك من اشراطها في خمس لا يعلمهن الا الله ثم
تلي رسول الله صلي الله عليه وسلم ان الله عنده علم الساعة
وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام الي قوله عليم خبير قال

ثم ادبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوا علي هذا
الرجل فاخذوا ليردوه فلم يروا شيا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم وفي افراد مسلم من حديث
عمر بن الخطاب نحو هذا الحديث وبمعناه وقد تقدم الكلام على معنى
الايمان والاسلام وبقي اشيا تتعلق بمعنى الحديث فقوله كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا اي ظاهرا وقوله وتومن
بالله ولقايه وتومن بالبعث الاخر هو بكسر الخا وقيل في الجمع بين
قوله وتومن بلقا الله وبالبعث فان اللقا يحصل بمجرد الانتقال
الي الدار الاخرة وهو الموت والبعث هو بعده عند قيام الساعة
وفي تقييده بالاخر وجه اخر وهو ان خروجه من الدنيا بعث من الارحام
وخروجه من القبر الي الاخرة بعث اخر قوله ما الاحسان هو
هنا الاخلاص في العمل وهو شرط في صحة الايمان والاسلام لان من
اتي بلفظ الشهادة واتي بالعمل من غير اخلاص لم يكن محسنا وقيل
اراد بالاحسان المراقبة وحسن الطاعة فان من راقب الله حسن عمله
وهو المراد بقوله فان لم تكن تراه فانه يراك واشراط الساعة
علاماتها التي تظهر قبلها قوله اذا ولدت الامة ربتها
يعني سيدها والمعني ان الرجل تكون له الامة فتلد له ولدا فيكون
ذلك الولد ابنها وسيدها ورعا البهم بكسر الرا وفتح الباء
واسكان الهاء من البهم وهي الصغار من اولاد الضان والمعني
انه يبسط المال على اهل البادية واشباههم حتي يتباهون
في البنا ويسودون الناس فذلك من اشراط الساعة والله اعلم
قوله تعالي بالغيب الغيب مصدر وضع موضع الاسم فقيل
للغايب غيب وهو ما كان مغيبا عن العيون قال ابن عباس الغيب
هنا كل ما امرت بالايمان به مما غاب عن بصرك من الملايكة والبعث
والجنة والنار والصراط والميزان وقيل الغيب هنا هو الله تعالي

وقيل القران وقيل بالاخرة وقيل بالوحي وقيل بالقدر وقال
عبد الرحمن بن يزيد كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا اصحاب محمد
وما سبقونا به فقال عبد الله بن مسعود ان امر محمد صلى الله عليه
وسلم كان بينا لمن راه والذي لا اله غيره ما امن احد قط افضل من
ايمان بغيب ثم قرا الم ذلك الكتاب لا ريب فيه الي قوله واوليك
هم المفلحون ويقيمون الصلاة اي يداومون عليها في مواقيتها
بحدودها واتمام اركانها وحفظها من ان يقع فيها خلل في فرايضها
وسننها وادابها يقال قام بالامر واقام الامر اذا اتي به معطي
حقوقه والمراد به الصلوات الخمس والصلاة في اللغة الدعا والرحمة
ومنه وصل عليهم اي ادع لهم واصله من صليت العود اذا لينته
وكان المصلي يلين ويخشع وفي الشرع اسم لافعال مخصوصة من قيام
وركوع وسجود وقعود ودعا مع النية ومما رزقناهم اي
اعطيناهم من الرزق وهو اسم لما ينتفع به من مال وولد واصله الحظ
والنصيب ينفقون اي يخرجون ويتصدقون في طاعة الله وسبيله
ويدخل فيه انفاق الواجب كالزكاة والنذر والانفاق علي النفس وعلي
من تجب نفقته عليه والانفاق في الجهاد اذا وجب عليه والانفاق
في المندوب وهو صدقة التطوع ومواساة الاخوان وهذه كلها
مما يمدح بها وادخل من التي هي للتبعيض صيانة لهم وكفا عن السرف
والتبذير والنهي عنهما في الانفاق والذين يومنون بما انزل
اليك وما انزل من قبلك اي يصدقون بالقران المنزل عليك وبالكتب
المنزلة علي الانبيا من قبل كالتوراة والانجيل والزبور وصحف الانبيا
كلها فيجب الايمان بذلك كله وبالاخرة يعني وبالدار الاخرة
سميت اخرة لتاخرها عن الدنيا وكونها بعدها هم يوقنون
من الايقان وهو العلم والمعني يستيقنون ويعلمون انها كاينة
اوليك اي الذين هذه صفتهم علي هدي من ربهم اي علي رشاد

ونور من ربهم وقيل على استقامة **واوليك هم المفلحون** اي الناجون
الفايزون نجوا من النار وفازوا بالجنة والمفلح الظافر بالمطلوب اي
الذي افتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه ويكون الفلاح بمعنى البقا
قال الشاعر • لو كان حي مدرك الفلاح • ادركه ملاعب الرماح • يريد
البقا فيكون المعنى اوليك الباقون في النعيم المقيم والفلاح والظفر وادراك
البغية من السعادة والعز والبقا والغنا واصل الفلاح الشق كما قيل
ان الحديد بالحديد يفلح اي يقطع فعلى هذا يكون المعنى اوليك هم المقطوع
لهم بالخير في الدنيا والاخرة **واعلم** ان الله عز وجل صدر هذه السورة
باربع ايات انزلها في المومنين وبايتين انزلها في الكافرين وبثلاث
عشر اية انزلها في المنافقين فاما التي في الكفار فقوله تعالى
ان الذين كفروا اي جحدوا وانكروا واصل الكفر في اللغة الستر والتغطية
ومنه سمي الليل كافرا لانه يستر الاشيا بظلمته قال الشاعر في ليلة
كفر النجوم غمامها اي سترها والكفر على اربعة اضرب كفر انكار وهو
ان لا يعرف الله اصلا ككفر فرعون وهو قوله ما علمت لكم من اله غيري
وكفر جحود وهو ان يعرف الله بقلبه ولا يعرفه بلسانه ككفر ابليس
وكفر عناد وهو ان يعرف الله بقلبه ويقر بلسانه ولا يدين ككفر امية
ابن الصلت وابي طالب حيث يقول في شعر له • ولقد علمت بان دين محمد
من خير اديان البرية دينا • لولا الملامة اوحذار مسبة • لوجدتني
سمحا بذاك مبينا • وكفر نفاق وهو ان يقر بلسانه ولا يعتقد صحة ذلك
بقلبه فجميع هذه الانواع كفر وحاصله ان من جحد الله
وانكر وحدانيته او انكر شيا مما انزله على رسوله او انكر نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم او احد من الرسل فهو كافر فان مات على
ذلك فهو في النار خالدا فيها ولا يغفر الله له نزلت في مشركي العرب
وقيل في اليهود **سوا عليهم** اي متساو لديهم **اانذرتهم** اي خوفتهم
وحذرتهم والانذار اعلام مع تخويف فكل منذر معلم وليس كل معلم

منذرا **ام لم تنذرهم لا يومنون** اي لا يصدقون وهذه الاية في اقوام
حقت عليهم كلمة العذاب في سابق علم الله الازلي انهم لا يومنون ثم
ذكر سبب تركهم الايمان فقال تعالى **ختم الله على قلوبهم** اي طبع عليها
فلا تعي خيرا ولا تفهمه واصل الختم التغطية وحقيقته الاستيثاق
من الشي لكيلا يخرج منه ما حصل فيه ولا يدخله ما خرج منه ومنه
ختم الكتاب قال اهل السنة حكم الله على قلوبهم بالكفر لما سبق في علمه
الازلي فيهم وانما خص القلب بالفهم بالختم لانه محل الفهم والعلم
وعلى سمعهم اي وختم على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون
به لانهم يمجونه وتنبوا عن الاصغا اليه كانهم مستوثق منهما بالختم ايضا
وذكر السمع بلفظ التوحيد ومعناه الجمع قيل انما وحده لانه مصدر والمصدر
لا يثنى ولا يجمع **وعلى ابصارهم غشاوة** هذا ابتدا كلام والغشاوة
الغطا ومنه غاشية السرج اي وجعل على ابصارهم غشاوة فلا يرون الحق
وهو غطا التعامي من ايات الله ودليل توحيده **ولهم عذاب عظيم**
يعني في الاخرة وقيل الاسر والقتل في الدنيا والعذاب الدايم في العقبى
وحقيقة العذاب هو كل ما يولم الانسان ويعييه ويشق عليه وقيل هو
الايجاع الشديد وقيل هو ما يمنع الانسان من مراده ومنه الماء العذب
لانه يمنع العطش والعظيم ضد الحقير قوله عز وجل **ومن الناس من
يقول امنا بالله** نزلت في المنافقين عبد الله ابن ابي بن سلول ومعتب
ابن قشير وجد بن قيس واصحابهم وذلك انهم اظهروا كلمة الاسلام ليسلموا
بها من النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه واسروا الكفر واعتقدوه
واكثرهم من اليهود وصفة المنافق ان يعترف بلسانه بالايمان ويقر
به وينكره بقلبه ويصبح على حال ويمسي على غيرها والناس جمع اناس
سمي به لانه عهد اليه فنسي قال الشاعر وسميت انسانا لانك
ناسي وقيل سمي انسانا لانه يستانس بمثله **وباليوم الاخر** اي وامنا
باليوم الاخر وهو يوم القيامة سمي بذلك لانه ياتي بعد الدنيا

وهو اخر الايام المحدودة للمعدودة وما [illegible] اخر قال الله
تعالى ردا على المنافقين وما هم بمومنين نفى عنهم الايمان اذ كلمتهم
يخادعون الله والذين امنوا اي يخالفون الله والخديعة الحيلة والمكر
واصله في الاخفا والمخادع يظهر ضد ما يضمر فهو بمنزلة النفاق وهو
خادعهم اي يظهر لهم نعيم الدنيا ويعجله لهم بخلاف ما يغيب لهم من
عذاب الاخرة فان قلت المخادعة مفاعلة وانما تجي في الفعل المشترك
والله تعالى منزه عن المشاركة قلت المفاعلة قد ترد لا على وجه
المشاركة تقول عافاك الله وطارقت النعل وعاقبت اللص والمخادعة
هنا عبارة عن فعل الواحد والله تعالى عز ان يكون منه خداع فان قلت
كيف يخادع الله والله تعالى يعلم الضماير والاسرار فمخادعة الله
ممتنعة فكيف يقال يخادعون الله قلت ان الله تعالى ذكر نفسه
واراد به رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك تفخيما لامره وتعظيما لشانه
وقيل اراد به المنافقين اذا خادعوا المومنين فكانهم خادعوا الله تعالى
وذلك انهم ظنوا ان النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين لم يعلموا
حالهم ولتجري عليهم احكام الاسلام في الظاهر وهم على خلافه في
الباطن وما يخادعون الا انفسهم اي ان الله تعالى يجازيهم على
ذلك ويعاقبهم عليه فلا يكونون في الحقيقة الا خادعين انفسهم
وقيل ان وبال ذلك الخداع راجع اليهم لان الله يطلع نبيه صلى الله
عليه وسلم على نفاقهم فيفتضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب
في العقبى والنفس ذات الشي وحقيقته وقيل للدم نفس لانه قوة البدن
وما يشعرون اي لا يعلمون ان وبال خداعهم راجع عليهم في
قلوبهم مرض اي شك ونفاق واصل المرض الضعف والخروج عن
الاعتدال الخاص بالانسان وسمي الشك في الدين والنفاق مرضا لانه
يضعف الدين كالمرض يضعف البدن فزادهم الله مرضا يعني ان
الايات كانت تنزل تترى اية بعد اية فكلما كفروا باية ازدادوا لذلك

كفرا

كفرا ونفاقا ولهم عذاب اليم اي مولم يخلص وجعه الى قلوبهم
بما كانوا يكذبون اي بتكذيبهم الله ورسوله في السر وقرئ بالتخفيف
اي بكذبهم اذ قالوا امنا وهم غير مومنين واذا قيل لهم يعني المنافقين
وقيل اليهود والمعنى اذا قال لهم المومنون لا تفسدوا في الارض اي
بالكفر وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران
قالوا انما نحن مصلحون يعني يقولون كذبا الا كلمة تنبيه ينبه
بها المخاطب انهم هم المفسدون يعني في الارض بالكفر وهو اشد
الفساد ولكن لا يشعرون وذلك لانهم يظنون ان ما هم عليه من
النفاق وابطان الكفر صلاح وهو عين الفساد وقيل لا يشعرون
ما اعد الله لهم من العذاب واذا قيل لهم يعني المنافقين وقيل اليهود
امنوا كما امن الناس يعني المهاجرين والانصار وقيل عبد الله بن سلام
واصحابه من مومني اهل الكتاب والمعنى اخلصوا في ايمانكم كما اخلص
هولا في ايمانهم لان المنافقين كانوا يظهرون الايمان قالوا انومن
كما امن السفها اي الجهال فان قلت كيف يصح النفاق مع المجاهرة
بقولهم انومن كما امن السفها قلت كانوا يظهرون هذا القول فيما
بينهم لا عند المومنين فاخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمومنين
بذلك فرد الله ذلك عليهم بقوله الا انهم هم السفها يعني الجهال
واصله السفه خفة العقل ورقة العلم وانما سمى الله المنافقين
سفها لانهم كانوا عند انفسهم عقلا روسا فقلب ذلك عليهم وسماهم
سفها ولكن لا يعلمون يعني انهم كذلك فقوله تعالى واذا لقوا
الذين امنوا يعني هولا المنافقين اذا لقوا المهاجرين والانصار
قالوا امنا كايمانكم واذا خلوا اي رجعوا وقيل هو من الخلوة الى
قيل بمعنى الباء بشياطينهم وقيل بمعنى مع شياطينهم والمراد
بشياطينهم روساهم وكهنتهم قال ابن عباس وهم خمسة نفر
كعب بن الاشرف من اليهود بالمدينة وابو بردة في بني اسلم وعبد الدار

نفح



في جهينة وعوف بن عامر في بني اسد وعبد الله بن السود بالشام ؟
ولا يكون كاهنا الا ومعه شيطان تابع له وقيل هم روسا وهم الذين
شابهوا الشياطين في تمردهم قالوا انا معكم اي على دينكم انما نحن
مستهزون اي بمحمد واصحابه بما يظهر لهم من الاسلام لنامن من
شرهم ونقف على سرهم وناخذ من غنايمهم وصدقاتهم قال بن
عباس نزلت هذه الاية في عبد الله بن ابي واصحابه وذلك انهم خرجوا
ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عبد الله بن ابي لاصحابه انظروا كيف ارد هولا السفها عنكم
فذهب فاخذ بيد ابي بكر الصديق فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم
وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل
نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر
فقال مرحبا بسيد بني عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله
الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد
علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه
وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
علي اتق الله يا عبد الله ولا تنافق فان المنافق شر خليقة الله تعالى
فقال مهلا يا ابا الحسن اني لا اقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا
كتصديقكم ثم نفر تواقفا فقال عبد الله لاصحابه كيف رايتموني فعلت
فاثنوا عليه خيرا الله يستهزي بهم اي يجازيهم جزا استهزايهم
بالمومنين فسموا الجزا باسمه لانه في مقابلته قال بن عباس يفتح
لهم باب الجنة فاذا انتهوا اليه سد عنهم وردوا الى النار ويمدهم
اي يتركهم ويمهلهم والمد والامداد واحد واصله الزيادة واكثر
ما ياتي المد في الشر والامداد في الخير في طغيانهم اي في ضلالتهم
واصل الطغيان مجاوزة الحد يعمهون اي يترددون في الضلالة
متحيرين اوليك يعني المنافقين الذين اشتروا الضلالة بالهدي

اي استبدلوا الكفر بالايمان انما اخرجه بلفظ الشرا والتجارة توسعا
على سبيل الاستعارة لان الشرا فيه اعطا بدل واخذ اخر فان قلت
كيف اشتروا الضلالة بالهدي وما كانوا على هدي قلت جعلوا له
لتمكينهم منه كانه في ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه
واستبدلوه به والضلال الجور عن القصد وفقد الاهتدا فما ربحت
تجارتهم اي ما ربحوا في تجارتهم والربح الفضل عن راس المال واضاف
الربح الى التجارة لان الربح فيها يكون وما كانوا مهتدين اي
مصيبين في تجارتهم لان راس المال هو الايمان فلما اضاعوه واعتقدوا
الضلالة فقد ضلوا عن الهدي وقيل وما كانوا مهتدين في ضلالتهم
قوله عز وجل مثلهم المثل عبارة عن قول يشبه ذلك القول قولا اخر
بينهما مشابهة ليبين احدهما الاخر وتصوره ولهذا ضرب الله تعالى
الامثال في كتابه وهو احد اقسام القران السبعة ولما ذكر الله تعالى
حقيقة وصف المنافقين عقبه بضرب المثل زيادة في الكشف
والبيان لانه يوثر في القلوب ما لا يوثره وصف الشي في نفسه
ولان المثل تشبيه الشي الخفي بالجلي فيتاكد الوقوف على ماهيته
وذلك هو النهاية في الايضاح وشرطه ان يكون قولا فيه
غرابة من بعض الوجوه كمثل الذي استوقد نارا ليتنفع بها
فلما اضاءت يعني النار ما حوله يعني حول المستوقد ذهب الله
بنورهم فان قلت كيف وحد اولا ثم جمع ثانيا قلت
يجوز وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا وقيل
انما شبه قصتهم بقصة المستوقد وقيل معناه ومثل الواحد منه
كمثل الذي استوقد نارا وتركهم في ظلمات لا يبصرون قال بن
عباس نزلت في المنافقين يقول مثلهم في نفاقهم كمثل رجل اوقد
نارا في ليلة مظلمة في مغازة فاستدفى ورأى ما حوله فاتقى
مما يخاف فبينما هو كذلك اذ طفيت ناره فبقي في ظلمة حايرا

منحو فاكذلك حال المنافقين اظهروا كلمة الايمان فامنوا بها على انفسهم واموالهم واولادهم وناكحوا المسلمين وقاسموهم في الغنايم فكذلك نورهم فلما ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف وقيل ذهاب نورهم ظهور عقيدتهم للمومنين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ذهاب نورهم في القبر او على الصراط فان قلت ما وجه تشبيه الايمان بالنور والكفر بالظلمة قلت وجه تشبيه الايمان بالنور ان النور ابلغ الاشيا في الهداية الى المحجة القصوى والى الطريق المستقيم وازالة الحيرة وكذلك الايمان هو الطريق الواضح الى الله والى جنابه وشبه الكفر بالظلمة لان الضال عن الطريق المستقيم المسلوكة في الظلمة لا يزداد الا حيرة وكذلك الكفر لا يزداد صاحبه في الاخرة الا حيرة وفي ضرب المثل للمنافقين بالنار ثلاث حكم احدها ان المستضي بالنار مستضي بنور غيره فاذا ذهب ذلك بقي هو في ظلمة وكانهم لما اقروا بالايمان من غير اعتقاد قلوبهم فكان ايمانهم كالمستعار الثانية ان النار تحتاج في دوامها الى مادة الحطب لتدوم فكذلك الايمان يحتاج الى مادة الاعتقاد ليدوم الثالثة ان الظلمة الحادثة بعد الضو اشد على الانسان من ظلمة لم يجد قبلها ضيا فشبه حالهم بذلك ثم وصفهم الله تعالى فقال **صم** اي عن سماع الحق لانهم لا يقبلونه واذا لم يقبلوه فكانهم لم يسمعوه **بكم** اي خرس عن النطق بالحق فهم لا يقولونه **عمي** اي لا بصاير لهم يميزون بها بين الحق والباطل ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له فهو اعمى كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن سماع الحق اذانهم وابوا ان تنطق به السنتهم وان ينظروا اليه بعيونهم جعلوا كمن تعطلت حواسه وذهب ادراكه قال الشاعر صموا اذا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء كلهم اذن **فهم لا يرجعون** اي عن ضلالتهم ونفاقهم قوله تعالى **او كصيب** اي من السحاب كاصحاب صيب وهو المطر وكلما نزل من الاعلى الى الاسفل

فهو صيب **من السما** ... السحاب لان كلما علاك فاظلك فهو سما ومنه قيل لسقف البيت سما وقيل من السما بعينها وانما ذكر الله تعالى السما وان كان المطر لا ينزل الا منها الرد على من زعم ان المطر ينعقد من ابخرة الارض كما زعم الحكما **فيه** اي الصيب **ظلمات** جمع ظلمة **ورعد** هو الصوت الذي يسمع من السحاب **وبرق** يعني النار التي تخرج منه قال ابن عباس الرعد اسم ملك يسوق السحاب والبرق لمعان صوت من نور يزجر به السحاب وقيل الرعد اسم ملك يزجر السحاب اذا تبددت جمعها وضمها فاذا اشتد غضبه يخرج من فيه النار فهو البرق والصواعق وقيل الرعد تسبيح الملك وقيل اسمه **يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق** جمع صاعقة وهي الصيحة التي يموت كل من سمعها او يغشى عليه وقيل الصاعقة قطعة من العذاب ينزلها الله على من يشا عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع صوت الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك اخرجه الترمذي وقال حديث غريب **حذر الموت** اي مخافة الهلاك **والله محيط بالكافرين** اي عالم بحالهم وقيل يجمعهم ويعذبهم **يكاد البرق** اي يقرب يقال كاد يفعل ولم يفعل **يخطف ابصارهم** اي يختلسها والخطف استلاب الشي بسرعة **كلما** اي متى ما **اضا لهم** يعني البرق **مشوا فيه** اي في اضاته ونوره **واذا اظلم عليهم قاموا** اي وقفوا متحيرين وهذا مثل ضربه الله تعالى للمنافقين ووجه التمثيل ان الله عز وجل شبههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في مفازة ليلة مظلمة اصابهم مطر فيه ظلمات وهي ظلمة الليل وظلمة المطر وظلمة السحاب من صفة تلك الظلمات ان السار لا يمكنه المشي فيها ورعد من صفته ان يضم سامعوه اصابعهم الى اذانهم من هوله وبرق من صفته ان يخطف ابصارهم ويعميها من شدته فهذا مثل ضربه

الله تعالى للقران وصنيع الكافرين و[illegible] المطر هو القران
لانه حياة القلوب كما ان المطر حياة الارض [illegible] في القران من
ذكر الكفر والشرك والنفاق والرعد ملخوفوا به من الوعيد وذكر
النار والبرق ما فيه من الهدي والبيان والوعد وذكر الجنة والنار
فالكافرين والمنافقون يسدون اذانهم عند قراة القران وسماعه مخافة
ان تميل قلوبهم اليه لان الايمان به عندهم كفر والكفر موت وقيل هذا
مثل ضربه الله تعالى للاسلام فالمطر هو الاسلام والظلمات ما فيه من
البلاء والمحن والرعد ما فيه من ذكر الوعيد والمخاوف في الاخرة والبرق
ما فيه من الوعد يجعلون اصابعهم في اذانهم يعني المنافقين اذا راوا
في الاسلام بلاء وشدة هربوا حذرا من الهلاك والله محيط بالكافرين
يعني لا ينفعهم الهرب لان الله تعالى من ورائهم يجمعهم ويهلكهم
يكاد البرق يعني دلايل الاسلام تزعجهم الى النظر لولا ما سبق لهم
من الشقاوة كلما اضاء لهم يعني المنافقين واصابتهم هونا كهم
بلا ابتلاء ولا امتحان مشوا فيه يعني على المسالمة باظهار كلمة
الايمان وقيل كلما نالوا غنيمة وراحة في الاسلام ثبتوا وقالوا انا
معكم واذا اظلم عليهم قاموا يعني اذا راوا شدة وبلاء تاخروا
ولو شا الله لذهب بسمعهم اي بصوت الرعد وابصارهم بوميض
البرق وقيل لذهب بسمعهم وابصارهم الظاهرة كما اذهب اسماعهم
وابصارهم الباطنة ان الله على كل شي قدير اي هو الفاعل
لما يشا لا منازع له فيه قوله عز وجل يا ايها الناس قال بن عباس
يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ويا ايها الذين امنوا خطاب لاهل المدينة
وهو هنا خطاب عام لسائر المكلفين اعبدوا ربكم قال بن عباس
وحدوا ربكم وكل ما ورد في القران من العبادة فمعناه التوحيد واصل
العبودية التذلل والعبادة غاية التذلل ولا يستحقها الا من له غاية
الافضال والاعظام وهو الله تعالى الذي خلقكم اي ابتدع خلقكم

من



من غير مثال سبق والذين من قبلكم اي وخلق الذين من قبلكم لعلكم
لعل وعسى حرفا ترجٍ وهما اي كل منهما من الله واجب تتقون اي
لكي تنجوا من العذاب وقيل معناه لتكونوا على رجا التقوى بان تصيروا في
ستر ووقاية من عذاب الله وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشا ويحكم
ما يريد الذي جعل لكم الارض فراشا اي خلق لكم الارض بساطا ووطا
مذللة ولم يجعلها حزنة لا يمكن القرار عليها والحزن ما غلظ من الارض
والسما بنا اي سقفا مرفوعا وقيل اذا تامل الانسان المتفكر في العالم
وجده كالبيت المعمور فيه كلما يحتاج اليه فالسما مرفوعة كالسقف
والارض مفروشة كالبساط والنجوم كالمصابيح والانسان كمالك
البيت وفيه ضروب النبات المهيئة لمنافعه واصناف الحيوان
مصروفة في مصالحه فيجب على الانسان المسخر له هذه الاشيا شكر
الله تعالى عليها وانزل من السما يعني السحاب ما يعني المطر فاخرج
به بذلك الما من الثمرات يعني من الوان الثمرات واصناف النبات
رزقا لكم اي وعلفا لدوابكم فلا تجعلوا لله اندادا يعني امثالا تعبدونهم
كعبادته والند المثل وانتم تعلمون يعني انكم بعقولكم تعلمون ان هذه
الاشيا والامثال لا يصلح جعلها اندادا لله وانه واحد خالق لجميع الاشيا
وانه لا مثل له ولا ضد له قوله تعالى وان كنتم في ريب اي ان كنتم في
شك لان الله علم انهم شاكون مما نزلنا على عبدنا اي محمد صلى الله
عليه وسلم لما تقرر اثبات الربوبية لله سبحانه وتعالى وانه الواحد
الخالق وانه لا ضد له ولا ند اتبعه اقامة الحجة على اثبات نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة في كون القران معجزة وانه
من عند الله تعالى لا من عند نفسه كما يدعون فيه وقوله على عبدنا
اضافة تشريف لمحمد صلى الله عليه وسلم وان القران منزل عليه
من عند الله سبحانه وتعالى فاتوا اي امر تعجيز بسورة والسورة
قطعة من القران معلومة الاول والاخر وقيل السورة اسم للمنزلة

الرفيعة ومنه سور البلد لارتفاعه سميت سورة لان القاري ينال
بها منزلة رفيعة حتي يستكمل المنازل باستكمال سور القران **من مثله**
اي مثل هذا القران وقيل الضمير في مثله راجع الي عبدنا يعني من مثل محمد
صلي الله عليه وسلم امي لم يحسن الكتابة ولم يجالس العلما ولم ياخذ العلم
من احد ورد الضمير الي القران اوجه واولي ويدل عليه ان ذلك مطابق
لساير الايات الواردة في التحدي وانما وقع الكلام في المنزل الاتري ان
المعني وان ارتبتم في ان القران منزل من عند الله فاتوا انتم بسورة مما
يماثله ويجانسه ولو كان الضمير مردود الي محمد صلي الله عليه وسلم
لقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرانا من مثل محمد صلي
الله عليه وسلم ويدل علي كون القران معجزا ما اشتمل عليه من
الفصاحة والبلاغة في طرفي الايجاز والاطالة فتارة ياتي بالقصة
باللفظ الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولا يخل بالمقصود الاول وانه
فارقت اساليبه اساليب الكلام واوزانه اوزان الاشعار والخطب
والرسايل ولهذا تحدت العرب به فعجزوا عنه وتحيروا فيه واعترفوا
بفضله وهم معدن البلاغة وفرسان الفصاحة ولهم النظم والنثر
من الاشعار والخطب والرسايل حتي قال الوليد بن المغيرة في وصف
القران والله ان له حلاوة وان عليه لطلاوة وان اصله لمغدق
وان اعلاه لمثمر **وادعوا شهداكم من دون الله** اي استعينوا بالهتكم
التي تعبدونها من دون الله والمعني ان كان الامر كما تقولون انها تستحق
العبادة فاجعلوا الاستعانة بها في دفع ما نزل بكم من امر محمد
صلي الله عليه وسلم والا فاعلموا انكم مبطلون في دعواكم انها
الهة وقيل معناه وادعوا اناسا يشهدون لكم **ان كنتم
صادقين** ان محمدا صلي الله عليه وسلم يقوله من تلقا نفسه **فان
لم تفعلوا** اي فيما مضي **ولن تفعلوا** فيما ياتي وهذه الاية دلت
علي عجزهم وانهم لم ياتوا بمثله ولا بمثل شي منه وذلك اب

النفوس

للنفوس لانه اذا قرعت بمثل هذا التقريع استفرغت الوسع بالاتيان
بمثل هذا القران وبمثل سورة منه ولو قدروا علي ذلك لاتوا به
وحيث لم ياتوا به ظهرت المعجزة للنبي صلي الله عليه وسلم وبان
عجزهم وهم اهل الفصاحة والبلاغة والقران من جنس كلامهم
وكانوا احراصا علي اطفا نوره وابطال امره ثم مع هذا الحرص الشديد
لم توجد المعارضة من احدهم ورضوا بسبي الذراري واخذ
الاموال والقتل واذا ظهر عجزهم عن المعارضة صح صدق رسول
الله صلي الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك لوجب ترك العناد
وهو قوله **فاتقوا النار** اي فامنوا واتقوا بالايمان **النار التي
وقودها** اي حطبها **الناس والحجارة** قال ابن عباس يعني حجارة
الكبريت لانها اكثر التهابا وقيل جميع الحجارة وفيه دليل علي عظم
تلك النار وقوتها وقيل اراد بها الاصنام لان اكثر اصنامهم كانت من
حجارة وانما قرن الناس مع الحجارة لانهم كانوا يعبدونها معتقدين
فيها انها تنفعهم وتشفع لهم فجعلها الله عذابهم في نار جهنم
اعدت اي هيئت **للكافرين** قوله عز وجل **وبشر الذين امنوا**
اي اخبر المومنين وهذا امر للنبي صلي الله عليه وسلم والبشارة
هي ايراد الخبر السار علي سامع ليستبشر به ويظهر السرور في
بشرة وجهه لان الانسان اذا فرح وسر به يظهر السرور في
بشرة وجهه ثم كثر حتي وضع موضع الخير والشر ومنه قوله فبشرهم
بعذاب اليم ولكن هو في السرور والخير اغلب **وعملوا الصالحات**
اي الفعلات الصالحات وهي الطاعات قيل العمل الصالح ما كان فيه
اربع اشيا العلم والنية والصبر والاخلاص وقال عثمان بن عفان
وعملوا الصالحات اي اخلصوا الاعمال عن الريا **ان لهم
جنات** جمع جنة وهي البستان الذي فيه اشجار مثمرة سميت جنة
لاجتنانها وتسترها بالاشجار والاوراق وقيل الجنة ما فيه

نخل والفردوس ما فيه كرم **تجري من تحتها** اي من تحت اشجارها ومساكنها **الانهار** اي تجري المياه في الانهار لان الانهار لا تجري وقيل معناه تجري بامرهم وفي الحديث ان انهار الجنة تجري في غير اخدود اي في غير شق والخد الشق **كلما رزقوا** اي اطعموا **منها** اي من الجنة **من ثمرة رزقا** اي طعاما **قالوا هذا الذي رزقنا من قبل** اي في الدنيا وقيل ثمار الجنة متشابهة في اللون مختلفة في الطعم فاذا رزقوا ثمرة بعد اخرى ظنوا انها الاول **واتوا به** اي بالرزق **متشابها** قال ابن عباس مختلفا في المطعوم وقيل يشبه بعضه بعضا في الجودة لا رداة فيها وقيل يشبه ثمار الدنيا في الاسم لا في الطعم م عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة ياكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يبصقون يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس طعامهم جشا ورشح كرشح المسك وفي رواية ورشحهم المسك قوله يلهمون التسبيح اي يجري على السنتهم كما يجري النفس فلا يشغلهم عن شي كما ان النفس لا يشغل عن شي قوله طعامهم جشا يعني ان فضول طعامهم يخرج في الجشا وهو تنفس المعدة والرشح العرق وقوله تعالى **ولهم فيها** اي في الجنان **ازواج** من الحور العين **مطهرة** يعني من البول والغايط والحيض والولد وساير الاقذار وقيل هي نساء الدنيا عجايزكم الرمص الغمص طهرت من قذرات الدنيا وقيل طهرن من مساوي الاخلاق قيل في الجنة جماع ما شئت ولا ولد ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على اشد كوكب دري في السما اضاءة لا يبصقون ولا يتمخطون ولا يبولون امشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة الانجوج عود الطيب ازواجهم الحور العين على خلق رجل واحد وعلى صورة ابيهم ادم ستون ذراعا في السما وفي رواية م لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من ورا اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة

وعشيا

وعشيا ق عن ابي موسى الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للمومن في الجنة لخيمة من لولوة واحدة مجوفة طولها في السما ستون ميلا للمومن فيها اهلون يطوف عليهم المومن فلا يرى بعضهم بعضا عن ابي هريرة قال قلت يا رسول الله مم خلق الله الخلق قال من الماء قلت الجنة ما بناوها قال لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها المسك الاذفر وحصباوها اللولو والياقوت وتربتها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يباس ولا يخلد ولا يموت ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ليس اسناده بذلك القوي عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة ماية درجة ما بين كل درجتين كما بين السما والارض والفردوس اعلاها درجة ومنها تتفجر انهار الجنة الاربعة ومن فوقها يكون العرش فاذا سالتم الله فاسالوه الفردوس اخرجه الترمذي م عن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لسوقا ياتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادوا حسنا وجمالا فيرجعون الى اهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم اهليهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا عن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن باصوات لم تسمع الخلايق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نباس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله تعالى **ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها** سبب نزول هذه الاية ان الله تعالى لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت وذكر النحل والنمل قالت اليهود ماذا اراد الله بذكر هذه الاشيا الخسيسة وقيل قال المشركون انا لا نعبد الها يذكر هذه الاشيا وذلك لان الكفار واليهود كانوا



متفقين على ايذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ذلك فانزل الله
تعالى ان الله لا يستحيي الحيا تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يعاب
به ويذم عليه وقيل هو انقباض النفس عن القبايح هذا اصله في وصف
الانسان والله تعالى منزه عن ذلك كله فاذا وصف الله تعالى به يكون
معناه الترك وذلك لان لكل فعل بداية ونهاية فبداية الحيا هو التغير
الذي يلحق الانسان من خوف ان ينسب اليه ذلك الفعل القبيح ونهايته
ترك ذلك الفعل القبيح فاذا ورد وصف الحيا في حق الله تعالى فليس
المراد منه بدايته وهو التغير والخوف بل المراد منه ترك الفعل الذي
هو نهاية الحيا وغايته فيكون معنى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا
اي لا يترك المثل لقول الكفار واليهود ما قيل ما صلة فيكون المعنى ان
يضرب مثلا بعوضة وقيل ليس هي صلة بل هي للابهام والنكرة والبعوض
صغار البق وهو من عجيب خلق الله تعالى فانه في غاية الصغر وله
خرطوم مجوف وهو مع صغره يغوص خرطومه في جلد الفيل والجاموس
والجمل فيبلغ منه الغاية حتى ان الجمل يموت من قرصته فما فوقها يعني
الذباب والعنكبوت وما هو اعظم منهما في الجثة وقيل معناه فما
دونها واصغر منها وهذا القول اشبه بالاية لان الغرض بيان ان
الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشي الصغير الحقير وقد ضرب النبي
صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا بجناح البعوضة وهو اصغر منها
وقد ضربت العرب المثل بالمحقرات فقيل هو احقر من ذرة واجمع من
نملة واطيش من ذبابة والح من ذبابة فاما الذين امنوا يعني
بمحمد والقران فيعلمون يعني ضرب المثل انه الحق يعني الصدق من ربهم
الثابت الذي لا يجوز انكاره لان ضرب المثل من الامور المستحسنة في
العقل وعند العرب واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا
مثلا اي بهذا المثل يضل به كثيرا اي من الكفار وذلك انهم يكذبونه
فيزدادون به ضلالة ويهدي به كثيرا يعني المومنين لتصديقهم به

ويعلمون

ويعلمون انه حق وما يضل به الا الفاسقين يعني الكافرين وقيل
المنافقين وقيل اليهود والفسق والخروج عن طاعة الله تعالى وطاعة
رسوله ثم وصفهم فقال تعالى الذين ينقضون اي يخالفون ويتركون
واصل النقض الفسخ وفك المركب عهد الله اي امر الله واصل العهد حفظ
الشي ومراعاته حالا بعد حال من بعد ميثاقه اي من بعد عقده وتوكيده
وفي معنى هذا العهد اقوال احدها انه الذي اخذه عليهم يوم الميثاق
وهو قوله الست بربكم قالوا بلى الثاني المراد به الذي اخذه على احبار
اليهود في التوراة ان يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويبينوا
نعته وصفته الثالث المراد به الكفار والمنافقين الذين نقضوا عهدا
ابرمه الله تعالى واحكمه بما انزله في كتابه من الايات الدالة على
توحيده ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يعني الايمان بمحمد صلى الله
عليه وسلم وجميع الرسل فامنوا ببعض وكفروا ببعض وهم اليهود وقيل
اراد به قطع الارحام التي امر الله بوصلها ويفسدون في الارض
يعني بالمعاصي وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران
اولئك هم الخاسرون اي المغبونون واصل الخسران النقص ثم قال الله
تعالى لمشركي العرب على وجه التعجب لكن فيه تبكيت وتعنيف لهم كيف
تكفرون بالله يعني بعد نصب الدلايل ووضع البراهين الدالة على
وحدانيته ثم ذكر الدليل فقال تعالى وكنتم امواتا يعني نطفا في
اصلاب ابايكم فاحياكم يعني في الارحام والدنيا ثم يميتكم
اي عند انقضا اجالكم ثم يحييكم يعني بعد الموت للبعث ثم اليه
ترجعون اي تردون في الاخرة فيجزيكم باعمالكم قوله عز وجل
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا يعني من المعادن والنبات والحيوان
والجبال والبحار والمعنى كيف تكفرون بالله وقد خلق لكم ما في
الارض جميعا لتنتفعوا به في مصالح الدين والدنيا اما مصالح
الدين فهو الاعتبار والتفكر في عجايب مخلوقات الله تعالى الدالة



علي وحدانيته وَاما مصالح الدنيا فهو الانتفاع بما خلق فيهما **ثم استوي الي**
الي السما اي قصد واقبل علي خلقهما وقيل عمد وقال بن عباس ارتفع وفي رواية
عنه صعد قال الازهري معناه صعد امره وكذا ذكره صاحب المحكم وذلك
ان الله تعالي خلق الارض اولا ثم عمد الي خلق السما فان **قلت** كيف
الجمع بين هذا وبين قوله تعالي والارض بعد ذلك دحاها **قلت** الدحو
البسط فيحتمل ان الله خلق جرم الارض ولم يبسطها ثم خلق السما وبسط
جرم الارض بعد ذلك فان **قلت** هذا مشكل ايضا لان قوله تعالي خلق
لكم ما في الارض جميعا يقتضي ان ذلك لا يكون الا بعد الدحو قلت **يحتمل**
انه ليس هنا ترتيب وانما هو علي سبيل تعديد النعم كقول الرجل لمن يذكره
ما انعم الله عليه الم اعطك الم ارفع قدرك الم ادفع عنك ولعل بعض هذه
النعم متقدم علي بعض والله اعلم **فسواهن سبع سموات** خلقهن سبع
سموات مستويات لا صدع فيها ولا فطور وسياتي ذكر خلق الارض والسما
عند قوله قل اينكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين في سورة حم
السجدة ان شا الله تعالي **وهو بكل شي عليم** يعني يعلم الجزئيات كما
يعلم الكليات **واذ قال ربك** اي واذكر يا محمد اذ قال ربك وكلما
ورد في القران من هذا النحو فهذا سبيله وقيل اذ زايدة والاول
اوجه **للملايكة** جمع ملك واصله مالك وهي الرسالة سالة واراد
بالملايكة الذين كانوا في الارض وذلك ان الله تعالي خلق الارض والسما
وخلق الملايكة والجن فاسكن الملايكة السما واسكن الجن الارض فعبدوا
دهرا طويلا ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فافسدوا واقتتلوا فبعث
الله اليهم جندا من الملايكة يقال لهم الجان وراسهم ابليس وهم خزان
الجان فهبطوا الي الارض وطردوا الجن الي جزاير البحور وشعوب
الجبال وسكنوا هم الارض وخفف الله عنهم العبادة واعطي الله ابليس
ملك الارض وملك سما الدنيا وخزانة الجنة وكان ابليس
رييسهم ومرشدهم واكثرهم علما وكان يعبد الله تارة في الارض

وتارة



وتارة في السما وتارة في الجنة فدخله العجب وقال في نفسه ما اعطاني
الله هذا الملك الا لاني اكرم الملايكة عليه فقال له ولجنده **اني
جاعل في الارض خليفة** اي خالق خليفة يعني بدلا منكم ورافعكم اليّ فكرهوا
ذلك لانهم كانوا اهون الملايكة عبادة والمراد بالخليفة هنا ادم عليه
الصلاة والسلام لانه خلف الجن وجا بعدهم وقيل لانه يخلفه غيره
والصحيح انه انما سمي خليفة لانه خليفة الله في ارضه لاقامة حدوده
وتنفيذ قضاياه **قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها** اي بالمعاصي
ويسفك الدما اي بغير حق كما فعل بنو الجان فان قلت من اين عرفوا
ذلك حتي قالوا هذا القول قلت يحتمل ان يكون عرفوا ذلك باخبار الله
اياهم او قاسوا الشاهد علي الغايب وقيل انهم لما راوا ان ادم خلق
من اخلاط مركبة علموا انه يكون فيه الحقد والغضب ومنهما يتولد
الفساد وسفك الدما فلهذا قالوا ذلك وقيل لما خلق الله النار خافت
الملايكة وقالوا لمن خلقت هذه النار قال لمن عصاني فلما قال اني
جاعل في الارض خليفة قالوا هو ذلك فان **قلت** الملايكة معصومون
فكيف وقع منهم هذا الاعتراض **قلت** ذهب بعضهم الي انهم غير
معصومين واستدلوا علي ذلك بوجوه منها قوله اتجعل فيها من
يفسد فيها ومن ذهب الي عصمتهم اجاب عنه بان هذا السوال انما
وقع علي سبيل التعجب لا علي سبيل الانكار والاعتراض فانهم تعجبوا
من كمال حكمة الله تعالي واحاطة علمه بما خفي عليهم ولهذا اجابهم
بقوله اني اعلم ما لا تعلمون وقيل ان العبد المخلص في حب سيده
يكره ان يكون له عبد اخر يعصيه فكان سوالهم علي وجه المبالغة
في اعظام الله عز وجل **ونحن نسبح بحمدك** اي نقول سبحان الله
وبحمده وهي صلاة الخلق وعليها يرزقون **م** عن ابي ذر ان
رسول الله صلي الله عليه وسلم سيل اي الكلام افضل قال
ما اصطفي الله للملايكة ولعباده سبحان الله وبحمده قال **بن**

ابن

عباس كلما جاء في القران من التسبيح فالمراد منه الصلاة فيكون المعنى
ونحن نصلي لك وقيل اصل التسبيح تنزيه الله عما لا يليق بجلاله
فيكون المعنى ونحن ننزهك عن كل سوء ونقيصة ومعناه نحمدك حامدين
لك ومتلبسين بحمدك فانه لولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك
ونقدس لك اصل التقديس التطهير اي نطهرك عن النقايص وعن كل سوء
ونصفك بما يليق بعزك وجلالك من العلو والعظمة واللام صلة وقيل
معناه نطهر انفسنا لطاعتك وعبادتك قال اني اعلم ما لا تعلمون
قيل انه جواب لقول الملايكة اتجعل فيها فقال الله تعالى اعلم من
وجوه المصلحة والحكمة ما لا تعلمون وقيل اعلم ان فيهم من يعبدني
ويطيعني وهم الانبيا والاوليا والصالحون ومن يعصيني منكم وهو
ابليس وقيل اعلم انهم يذنبون ويستغفرون فاغفر لهم فصل
في ماهية الملايكة ونصة خلق ادم عليه الصلاة والسلام قيل ان
الملايكة اجسام لطيفة هوايية خلقوا من النور تقدر ان تتشكل
باشكال مختلفة مسكنهم السموات عن ابي ذر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اري ما لا ترون واسمع ما لا
تسمعون اطت السما وحق لها ان تيط ما فيها موضع اربع اصابع الا
وملك واضع جبهته لله ساجدا اخرجه الترمذي بزيادة
وقال حديث حسن غريب واما صفة خلق ادم عليه الصلاة والسلام
فقال وهب بن منبه لما اراد الله تعالى ان يخلق ادم اوحي الله تعالى الي
الارض اني جاعل منك خليفة منهم من يطيعني ومنهم من يعصيني
فمن اطاعني ادخلته الجنة ومن عصاني ادخلته النار قالت الارض
اتخلق مني خلقا تكون للنار قال نعم فبكت الارض فانفجرت منه العيون
الي يوم القيامة فبعث الله اليها جبريل لياتيه بقبضة منها
من احمرها واسودها وطيبها وخبيثها فلما اتاها ليقبض منها
قالت اعوذ بعزة الله الذي ارسلك ان لا تاخذ مني شيا فقال

وانا

وانا اعوذ بالله ان لا اعصي له امرا وقبض منها قبضة من جميع بقاعها
من عذبها ومالحها وحلوها ومرها وطيبها وخبيثها وصعد بها الي
السما فسأله ربه عز وجل وهو اعلم بما صنع فاخبره بما قالت له الارض
وبما رد عليها فقال الله وعزتي وجلالي لاخلقن مما جيت به خلقا
ولا سلطنك علي قبض ارواحهم لقلة رحمتك ثم جعل الله تلك القبضة
نصفها في الجنة ونصفها في النار ثم تركها ما شا الله ثم اخرجها فعجنها
طينا لازبا مدة ثم حما مسنونا مدة ثم صلصالا ثم جعلها جسدا
والقاه علي باب الجنة فكانت الملايكة يعجبون من صفة صورته لانهم
لم يكونوا راوا امثله وكان ابليس يمر عليه ويقول لامر ما خلق
هذا ونظر اليه فاذا هو اجوف فقال هذا خلق لا يتمالك وقال
يوما للملايكة ان فضل هذا عليكم ما تصنعون قالوا نطيع ربنا
ولا نعصيه فقال ابليس في نفسه لان فضل علي لاعصينه ولان
فضلت عليه لاهلكنه فلما اراد الله ان ينفخ فيه الروح امرها ان
تدخل في جسد ادم فنظرت فرات مدخلا ضيقا فقالت يا رب
كيف ادخل هذا الجسد قال الله عز وجل ادخليه كرها وستخرجي
منه كرها فدخلت في يافوخه فوصلت الي عينيه فجعل ينظر الي ساير
جسده طينا فسارت الي ان وصلت منخريه فعطس فلما بلغت
لسانه فقال الحمد لله رب العالمين وهي اول كلمة قالها
فناداه الله تعالى يرحمك ربك يا ابا محمد ولهذا خلقتك
ولما بلغت الروح الي الركبتين هم ليقوم فلم يقدر قال الله
تعالى خلق الانسان من عجل فلما بلغت الي الساقين والقدمين
استوي قايما بشرا سويا لحما ودما وعظاما وعروقا وعصبا
واحشا وكسي لباسا من ظفر يزداد جسده جمالا وحسنا كل
يوم وجعل في جسده تسعة ابواب في راسه وهي الاذنان
يسمع بهما والعينان يبصر بهما والمنخران يشم بهما

كن ان

والفم فيه اللسان يتكلم به والاسنان يطحن بهما ما ياكله
ويجد لذة المطعومات بهما وبابين من اسفل جسده وهما القبل
والدبر يخرج منهما ثقل طعامه وشرابه وجعل عقله في دماغه
وفكره وصرامته في قلبه وشره في كليتيه وغضبه في كبده
ورغبته في رؤيته وضحكه في طحاله وفرحه وحزنه في وجهه
فسبحان من جعله يسمع بعظم ويبصر بشحم وينطق بلحم ويعرف
بدم وركب فيه الشهوة وحجزه بالحيا ق عن ابي هريرة قال
خلق الله ادم عليه الصلاة والسلام وطوله ستون ذراعا ثم قال
له اذهب فسلم على اوليك نفر من الملايكة فاسمع ما يجيبونك فانها
تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك
ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة ادم
قال فلم يزل الخلق ينقص حتى الان م عن انس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما صور الله ادم تركه ما شا الله ان يتركه
فجعل ابليس يطيف به ينظر ما هو فلما راه اجوف علم انه لا يتمالك
عن ابي موسى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
الله تعالى خلق ادم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو
ادم على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك
والسهل والحزن والخبيث والطيب اخرجه الترمذي وابو
داود قوله عز وجل وعلم ادم الاسما كلها سمي ادم لانه خلق من
اديم الارض وقيل لانه كان ادم اللون وكنيته ابو محمد وقيل
ابو البشر ولما خلق الله ادم وتم خلقه علمه اسما الاشيا كلها
وذلك ان الملايكة قالوا ليخلق ربنا ما يشا فلن يخلق خلقا اكرم
عليه منا وان كان فنحن اعلم منه لانا خلقنا قبله ورأينا ما لم
يره فاظهر الله فضل ادم بالعلم وفيه دليل لمذهب اهل السنة
ان الانبيا افضل من الملايكة وان كانوا رسلا قال ابن عباس

علمه اسم كل شي حتى القصعة والقصيعة وقيل خلق الله كل شي من
الحيوان والجماد وغير ذلك وعلم ادم الاسما كلها فقال يا ادم
هذا بعير وهذا فرس وهذه شاة حتى اتى على اخرها وقيل علم ادم
اسما الملايكة وقيل اسما ذريته وقيل علمه اللغات كلها ثم عرضهم
يعني تلك الاشخاص وانما قال عرضهم ولم يقل عرضها لان المسميات
اذا جمعت من يعقل ومن لا يعقل عبر عنه بلفظ من يعقل لتغليب
العقلا عليهم كما يعبر عن الذكور والاناث بلفظ الذكور على الملايكة
فقال يعني تعجيزا لهم انبيوني اي اخبروني باسما هولا يعني تلك الاشخاص
ان كنتم صادقين اي اني لم اخلق خلقا الا كنتم افضل منهم واعلم قالوا
يعني الملايكة سبحانك تنزيها لك وذلك لما ظهر عجزهم لا علم لنا
الا ما علمتنا اي انك اجل من ان نحيط بشي من علمك الا ما علمتنا انك
انت العليم اي بخلقك وهو من اسما الصفات التامة وهو المحيط بكل
المعلومات الحكيم في امرك وله معنيان احدهما انه القاضي العدل
الثاني المحكم للامور كي لا يتطرق اليها الفساد قال يعني الله تعالى
يا ادم انبيهم باسمايهم فلما انباهم باسمايهم قال يعني الله تعالى الم اقل لكم
يعني يا ملايكتي اني اعلم غيب السموات والارض يعني ما كان وما سيكون
وذلك انه سبحانه وتعالى علم احوال ادم قبل ان يخلقه فلهذا قال
واعلم ما تبدون يعني قول الملايكة اتجعل فيها وما كنتم
تكتمون يعني قولكم لن يخلق الله خلقا اكرم عليه منا وقال ابن
عباس اعلم ما تبدون من الطاعة وما كنتم تكتمون يعني ابليس
من المعصية قوله عز وجل واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم قيل
ان هذا الخطاب مع الملايكة الذين كانوا سكان الارض والاصح انه
خطاب مع جميع الملايكة بدليل قوله فسجد الملايكة كلهم اجمعون
الا ابليس فسجدوا يعني الملايكة وفي هذا السجود قولان م
اصحهما انه كان لادم على الحقيقة ولم يكن فيه وضع الجبهة على

الارض وانما هو الايما وكان سجود تحية وتعظيم لا سجود عبادة
كسجود اخوة يوسف له في قوله وخروا له سجدا فلما جاء الاسلام ابطل
ذلك بالسلام وفي سجود الملايكة لادم معني الطاعة لله تعالي وامتثا ل
امره والقول الثاني ان ادم كان كالقبلة وكان السجود لله تعالي
كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة والصلاة لله وفي هذه الاية دليل
مذهب اهل السنة في تفضيل الانبيا علي الملايكة **الا ابليس** سمي به
لانه ابلس من رحمة الله اي ييس وكان اسمه عزازيل بالسريانية
وبالعربية الحارث فلما عصي غير اسمه فسمي ابليس وغيرت صورته	بيان الحارث
قال بن عباس كان ابليس من الملايكة بدليل انه استثناه منهم وقيل انه
من الجن لانه خلق من النار والملايكة خلقوا من النور ولانه اصل الجن كما
كان بن ادم اصل الانس والاول اصح لان الخطاب كان مع الملايكة فهو
داخل فيهم ثم استثناه منهم **ابي** اي امتنع من السجود فلم يسجد
واستكبر اي تكبر وتعظم عن السجود لادم **وكان من الكافرين**
اي في علم الله تعالي وانه وجبت له النار لسابق علم الله تعالي بشقاوته
م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا قرا بن
ادم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله وفي رواية
يا ويلتاه امر بن ادم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود
فعصيت فلي النار قوله عز وجل **وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك**
الجنة اي اتخذاها ماوي ومنزلا وليس معناه الاستقرار لانه لم
يقل اسكنتك الجنة لانه خلق لعمارة الارض ولما اسكن الله ادم
الجنة بقي وحده ليس معه من يستانس به ويجالسه القي الله
عليه النوم ثم اخذ ضلعا من اضلاع جنبه الايسر وهو الاقصر
فخلق منه زوجته حوا ووضع مكان الضلع لحما من غير ان يحس
بذلك ادم ولم يجد الما ولو وجد الما ما عطف رجل علي امراة
قط وسميت حوا لانها خلقت من حي فلما استيقظ ادم من



نومه وراها جالسة كاحسن ما خلق الله تعالي فقال لها من انت
فقالت انا زوجتك حوا قال لما ذا خلقت قالت لتسكن الي
واسكن اليك واختلفوا في الجنة التي امر الله ادم بسكناها فقيل انما
جنة كانت في الارض بدليل انها لو كانت الجنة التي هي دار الجزا والثواب
لما اخرج منها واجاب صاحب هذا القول عن قوله تعالي اهبطا بان
المراد من الهبوط التحول والانتقال فهو كقوله تعالي اهبطوا مصرا
والقول الصحيح انها الجنة التي هي دار الجزا والثواب لان الالف واللام
للعهد والجنة بين المسلمين وفي عرفهم التي هي دار الجزا والثواب
وقيل كلا القولين ممكن فلا وجه للقطع **وكلا منها رغدا** اي واسعا
كثيرا **حيث شيتما** اي كيف شيتما ومتي شيتما واين شيتما والمقصود
منه الاطلاق في الاكل من الجنة بلا منع الا ما نهي عنه وهو قوله عز
وجل **ولا تقربا هذه الشجرة** يعني للاكل قيل انما وقع هذا النهي
عن جنس من الشجر وقيل علي شجرة مخصوصة قال بن عباس هي السنبلة
وقيل الكرمة وقيل هي شجرة التين وقيل هي شجرة العلم وقيل
الكافور وقيل ليس في ظاهر الكلام ما يدل علي التعيين اذ لا حاجة
اليه لانه ليس المقصود تعرف عين تلك الشجرة وما لا يكون
مقصودا لا يجب بيانه **فتكونا من الظالمين** يعني ان اكلتما من هذه
الشجرة ظلمتما انفسكما فمن جوز ارتكاب الذنوب علي الانبيا قال
ظلم نفسه بالمعصية واصل الظلم وضع الشي في غير موضعه ومن
لم يجوز ذلك علي الانبيا حمل الظلم علي انه فعل ما كان الاولي ما كان
يفعله وقيل يحمل علي انه فعل هذا قبل النبوة فان قلت
هل يجوز وصف الانبيا بالظلم او بظلم انفسهم قلت لا يجوز
ان يطلق عليهم ذلك لما فيه من الذم قوله عز وجل **فازلهما**
الشيطان عنها اي استزل ادم وحوا ودعاهما الي الزلة وهي
الخطيية وسياتي الكلام ان شا الله تعالي علي عصمة الانبيا

والجواب عن ما صدر منهم عند قوله عز وجل وعصى ادم ربه فغوى
في سورة طه فاخرجهما مما كانا فيه يعني من النعيم وذلك ان
ابليس اراد ان يدخل الجنة ليوسوس لادم وحوى فمنعه الخزنة فاتى
الحية وكانت صديقة لابليس وكانت من احسن الدواب لها اربع قوايم
كقوايم البعير وكانت من خزان الجنة فسالها ان تدخله الجنة في فيها
فادخلته ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون وقيل انما اراهما على
باب الجنة لانهما كانا يخرجان منها وكان ابليس بقرب الباب فوسوس
لهما وذلك ان ادم لما دخل الجنة وراى ما فيها من النعيم قال لو ان خلدا
فاغتنم ذلك الشيطان منه واتاه من قبل الخلد وقيل لما دخل الجنة
وقف على ادم وحوى وهما لا يعلمان انه ابليس فبكى وناح نياحة
احزنتهما وهو اول من ناح فقالا ما يبكيك قال ابكي عليكما انكما
تموتان فتفارقان ما انتما فيه من النعمة فوقع ذلك في انفسهما
واغتما ومضى ابليس ثم اتاهما بعد ذلك وقال يا ادم هل ادلك
على شجرة الخلد فابى ان يقبل منه فقاسمهما بالله انه لهما لمن
الناصحين فاغترا وما ظنا ان احدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتي
لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش فيها الا نكدا فاهبط من
الجنة وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وزرع وسقى حتى
اذا بلغ واشتد حصده ثم درسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه
وخبزه ثم اكله فلم يبلغه حتى بلغ منه بالجهد وفي رواية اخرى
عن بن عباس ان ادم لما اكل من الشجرة التي نهي عنها قال الله
تعالى يا ادم ما حملك على ما صنعت قال يا رب زينته لي حوى
قال فاني اعقبتها ان لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها ودميتها
في الشهر مرتين فرنت حوى عند ذلك فقيل عليك الرنة وعلى
بناتك والرنة الصوت فلما اكلا من الشجرة تهافتت عنهما ثيابهما
وبدت سواتهما واخرجا من الجنة فذلك قوله عز وجل وقلنا

اهبطوا

اهبطوا اي انزلوا الى الارض يعني ادم وحوا وابليس والحية فهبط
ادم بسرنديب من ارض الهند على جبل يقال له نود واهبطت حوا
بجده وابليس بالابلة من اعمال البصرة والحية باصبهان بعضكم
لبعض عدو يعني العداوة التي بين المومنين من ذرية ادم وبين
ابليس واليه الاشارة بقوله عز وجل ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه
عدوا والعداوة التي بين ذرية ادم والحية عن بن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الحيات مخافة
طلبهن فليس منا ما سالمناهن منذ حاربناهن اخرجه ابو
داود وله عن بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اقتلوا الحيات كلهن فمن خاف من ثارهن فليس مني وفي
رواية اقتلوا الكبار كلها الا الجان الابيض الذي كانه قضيب فضة
م عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان بالمدينة جنا قد اسلموا فاذا رايتم منها شيا فاذنوه ثلاثة
ايام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فانه هو شيطان وفي رواية
ان بهذه البيوت عوامر فاذا رايتم منها شيا فحرجوا عليها ثلاثا
فان ذهب والا فاقتلوه فانه كافر ولكم في الارض مستقر
اي موضع قرار ومتاع وبلغة ومستمتع الى حين اي وقت انقضا
اجالكم قوله عز وجل فتلقى ادم اي فتلقن والتلقي هو قبول
عن فطنة وفهم وقيل هو التعليم من ربه كلمات اي كانت
سبب توبته وقيل ان تلك الكلمات هي قوله ربنا ظلمنا انفسنا
الاية وقيل قال لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا
وظلمت نفسي فاغفر لي انك انت الغفور الرحيم لا اله الا انت سبحانك
وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمني انك انت ارحم الراحمين
وقيل قال ادم يا رب ارايت ما اتيت اشي ابتدعته من تلقا نفسي
ام شي قدرته علي قبل ان تخلقني قال بلى شي قدرته عليك قبل ان اخلقك

قال يا رب فكما قدرته علي فاغفر لي وقيل ان الله تعالى امر ادم
بالحج وعلمه اركانه فطاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ربوة حمرا ثم صلى
ركعتين ثم استقبل البيت وقال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل
معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سولي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي
فاوحى الله يا ادم قد غفرت لك ذنوبك وقيل ان ادم لما اهبط الى
الارض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع راسه الى السما حيا من الله تعالى
وقيل هي ثلاثة اشيا الحيا والدعا والبكا قال ابن عباس بكى ادم وحوا
على ما فاتهما من نعيم الجنة مايتي سنة ولم ياكلا ولم يشربا اربعين
يوما وقيل لو ان دموع اهل الارض جمعت لكانت دموع ادم اكثر حيث
اخرجه من الجنة **فتاب عليه** اي فتجاوز عنه وغفر له واصل التوبة من
تاب يتوب اذا رجع فكان التايب رجع عن ذلك الذنب الذي كان
عليه ولا يتحقق التوبة منه الا بثلاثة امور علم وحال وعمل اما
العلم فهو ان يعلم العبد ضرر الذنب وانه حجاب عن الله تعالى فاذا حصل
هذا العلم تالم القلب فعند ذلك يحصل الندم وهو الحال فيترك
العبد الذنب ويعزم في المستقبل ان لا يعود اليه وهو العمل فاذا تحققت
هذه الثلاثة امور حصلت التوبة وسياتي بسط هذا عند قوله توبوا
الى الله توبة نصوحا في سورة التحريم ان شا الله تعالى **انه هو**
التواب الرحيم اي الرجاع على عباده بقبول التوبة والتواب في وصف
الله سبحانه وتعالى المبالغة في قبول توبة عباده الرحيم اي
بخلقه وصف سبحانه وتعالى نفسه مع كونه توابا بانه رحيم **قلنا**
اهبطوا منها جميعا يعني هولا الاربعة وقيل ان الهبوط الاول
من الجنة الى سما الدنيا والهبوط الثاني من سما الدنيا الى
الارض وفيه ضعف لانه قال في الهبوط الاول ولكم في الارض
مستقر فدل على انه كان من الجنة الى الارض والاصح انه للتاكيد
فاما ياتينكم مني هدى فيه تنبيه على عظم نعم الله على ادم وحوى

كانه

كانه قال وان اهبطتكم من الجنة الى الارض فقد انعمت عليكم بهدايتي
التي تؤديكم الى الجنة مرة اخرى على الدوام الذي لا ينقطع وقيل المخا طب
هم ذرية ادم يعني يا ذرية ادم اما ياتينكم مني رشد وبيان وشريعة
وقيل كتاب ورسول **فمن تبع هداي فلا خوف عليهم** يعني فيما
يستقبلهم **ولا هم يحزنون** اي على ما خلفوا وقيل لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون في الاخرة **والذين كفروا** اي جحدوا **وكذبوا**
باياتنا اي بالقران **اولئك اصحاب النار** اي يوم القيامة **هم فيها**
خالدون اي لا يخرجون منها ولا يموتون فيها قوله عز وجل **يا بني**
اسرائيل اتفق المفسرون على ان اسرائيل هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم
صلى الله عليهم وسلم اجمعين ومعنى اسرائيل عبد الله وقيل صفوة الله
والمعنى يا اولاد يعقوب **اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** اي اشكروا نعمتي
وانما عبر عنه بالذكر لان من ذكر النعمة فقد شكرها ومن جحدها فقد
كفرها وقيل الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان ووحد النعمة لانها
المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير ومعناه ان المضرة
المحضة لا تكون نعمة ولو فعل الانسان منفعة وقصد نفعها بها
لا تسمى نعمة اذا لم يقصد بها الغير ثم ان النعم ثلاثة نعمة تفرد
بها الله تعالى وهي ايجاد الانسان ورزقه ونعمة وصلت الى الانسان
بواسطة الغير لكن الله مكنه من ذلك فالمنعم بها في الحقيقة هو الله
تعالى ونعمة حصلت للانسان بسبب الطاعة وهي ايضا من الله تعالى
فالله هو المنعم المطلق في الحقيقة لان اصول النعم كلها منه واما النعم
المختصة ببني اسرائيل فكثير لان قوله اذكروا نعمتي لفظها واحد ومعناها
الجمع فمن النعم ان الله انقذهم من فرعون وفلق البحر لهم واغرق فرعون
وتظليلهم الغمام وانزال المن والسلوى في التيه عليهم وانزال التوراة
في نعم غير هذه كثيرة فان قلت اذا فسرت النعمة بهذا فما كانت على
المخاطبين بها بل كانت على ابايهم فكيف تكون نعمة عليهم حتى ذكروها قلت



انما ذكر المخاطبين بها لان فخر الآبا فخر الابناء ولان الابنا اذا تيقنوا ان الله انعم
على ابائهم بهذه النعم فقد وجب عليهم ذكرها وشكرها وقيل ان هذه
النعمة هي ادراك المخاطبين بها ومن محمد صلى الله عليه وسلم وذكرها الايمان
به **واوفوا بعهدي** اي امتثلوا امري **اوف بعهدكم** اي بالقبول والثواب
واصل العهد حفظ الشي ومراعاته حالا بعد حال ومنه سمي الموثق الذي
يلزم مراعاته عهدا وقيل اراد بالعهد جميع ما امر الله به من غير تخصيص
ببعض التكليف دون بعض وقيل اراد به ما ذكر في سورة المائدة وهو قوله
ولقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الى قوله
لاكفرن عنكم سيئاتكم فلهذا قوله اوف بعهدكم وقيل هو قوله واذ اخذنا
ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة يعني شريعة التورية
وقيل هو قوله واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وقيل اراد
بهذا العهد ما اثبته في كتب الانبيا المتقدمة في وصف محمد صلى الله عليه وسلم
وانه مبعوث في اخر الزمان وذلك ان الله عهد الى بني اسرائيل على لسان موسى
عليه السلام اني باعث من بني اسماعيل نبيا اميا فمن تبعه وصدق الذي
ياتي به غفرت له ذنبه وادخلته الجنة وجعلت له اجرين اثنين وهو قوله
واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس يعني امر محمد صلى
الله عليه وسلم **واياي فارهبون** اي فخافوني في نقضكم العهد **وامنوا
بما انزلت** يعني بالقران **مصدقا لما معكم** يعني ان القران موافق لما في التوراة
من التوحيد والنبوة والاخبار ونعت النبي صلى الله عليه وسلم فالايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران تصديق للتوراة لان التوراة فيها الاشارة
الى نعت النبي صلى الله عليه وسلم وانه نبي مبعوث فمن امن به فقد امن بما في
التوراة ومن كذب به وكفر به فقد كذب التوراة وكفر بها **ولا تكونوا اول
كافر به** الخطاب لليهود نزلت في كعب بن الاشرف ورؤسا اليهود والمعنى
فلا تكونوا يا معشر اليهود اول من كفر به فان قلت جعلوا اول من كفر به
وقد سبقهم الى الكفر به مشركوا العرب من اهل مكة وغيرهم قلت هذا

تعريض بهم والمعنى كان يجب ان تكونوا اول من امن به لانكم تعرفون نعته
وصفته بخلاف غيركم وكنتم تستفتحون به على الكفار فلما بعث كان امر
اليهود بالعكس وقيل معناه ولا تكونوا اول كافر به من اليهود فيتبعكم
غيركم على ذلك فتبوؤا باثمكم واثم غيركم ممن تبعكم على ذلك **ولا تشتروا**
اي ولا تستبدلوا **باياتي** اي ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم التي
في التوراة **ثمنا قليلا** اي عوضا يسيرا من الدنيا لان الدنيا بالنسبة
الى الاخرة كالشي اليسير الحقير الذي لا قيمة له والذي كانوا ياخذونه من الدنيا
كالشي اليسير بالنسبة الى جميعها فهو قليل القليل فلهذا قال الله تعالى ولا تشتروا
باياتي ثمنا قليلا وذلك ان كعب بن الاشرف ورؤسا اليهود وعلمائهم كانوا
يصيبون الماكل من سفلتهم وجهالهم وكانوا ياخذون منهم في كل سنة شيا
معلوما من زرعهم وثمارهم ونقودهم وضروعهم فخافوا ان بينوا صفة
محمد صلى الله عليه وسلم واتبعوه ان تفوتهم تلك الماكل فغيروا انعته وكتموا
اسمه واختاروا الدنيا على الاخرة واصروا الكفر **واياي فاتقون** اي فخافون
في امر محمد صلى الله عليه وسلم والتقوى قريب من معنى الرهبة والفرق بينهما
ان الرهبة خوف مع حوف واضطراب والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف
قوله عز وجل **ولا تلبسوا الحق بالباطل** اي ولا تكتبوا في التوراة ما ليس فيها
فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم وقيل معناه ولا تخلطوا الحق الذي
انزلت عليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة بالباطل الذي تكتبونه
بايديكم من تغيير صفته وقيل لا تخلطوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم التي هي الحق
بالباطل اي بصفة الدجال وذلك لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حسده
اليهود وقالوا ليس هو الذي ننتظره وانما هو المسيح بن داود يعني الدجال كذبوا
فيما قالوه **وتكتموا الحق وانتم تعلمون** يعني ان محمدا صلى الله عليه وسلم نبي مرسل وفيه
تنبيه لساير الخلق وتحذير من مثله فصار هذا الخطاب وان كان خاصا في
الصورة فانه عام في المعنى فعلى كل احد ان لا يلبس الحق بالباطل ولا يكتم الحق لما فيه
من الضرر والفساد وفيه دلالة ايضا على ان العالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم

واقيموا الصلوة يعني الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها وجميع
اركانها واتوا الزكوة اي ادوا الزكاة المفروضة عليكم في اموالكم واركعوا
مع الراكعين اي صلوا مع المصلين يعني محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه
وعبر عن الصلاة بالركوع لانه ركن من اركانها وهذا خطاب لليهود
لان صلاتهم ليس فيها ركوع فكانه قال لهم صلوا صلاة ذات ركوع فلهذا
المعنى اعاده بقوله واقيموا الصلاة لان الاول خطاب للكافة والثاني
خطاب قوم مخصوصين وهم اليهود وقيل حث على اقامة الصلاة في
الجماعة فكانه قال صلوا مع المصلين في الجماعة قوله عز وجل اتامرون
الناس بالبر الاستفهام فيه للتقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم
والبر اسم جامع لجميع اعمال الخير والطاعات نزلت هذه الاية في علماء
اليهود وذلك ان الرجل منهم كان يقول لقريبه وحليفه من المسلمين
اذا ساله عن امر محمد صلى الله عليه وسلم اثبت على دينه فان امره حق وقوله
صدق وقيل ان جماعة من اليهود قالوا لمشركي العرب ان رسولا سيظهر منكم
ويدعوكم الى الحق وكانوا يرغبونهم في اتباعه فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
حسدوه وكفروا به فبكتهم الله ووبخهم بذلك حيث انهم كانوا يامرون
بالطاعة والصلاة والزكاة وانواع البر ولا يفعلونه فوبخهم الله بذلك
وتنسون انفسكم اي وتغفلون عما فيه نفع والنسيان عبارة عن السهو
الحادث بعد حصول العلم والمعنى اتتركون انفسكم ولا تتبعون محمدا صلى الله
عليه وسلم وانتم تتلون الكتاب يعني تقرؤن التوراة وتدرسونها وفيها
بعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وفيها ايضا الحث على الافعال الحسنة
والاعراض عن الافعال القبيحة والاثم افلا تعقلون يعني انه الحق فتتبعونه
والعقل قوة قبول العلم ويقال للعلم الذي يستفيده الانسان بتلك القوة
عقل ومنه قول علي بن ابي طالب العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع
مطبوع اذا لم يكن مسموع كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع واصل
العقل الامساك فانه ماخوذ من عقال الدابة كعقال البعير بالعقال ليمنعه

من الشرود

من الشرود فكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود والافعال القبيحة
ومعنى الاية ان المقصود من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو ارشاد الغير
الى تحصيل المصلحة وتحذيره عما يوقعه في المفسدة والاحسان الى
النفس اولى من الاحسان الى الغير وذلك لان الانسان اذا وعظ غيره ولم يتعظ
هو فكانه اتى بفعل متناقض لا يقبله العقل فلهذا قال افلا تعقلون
وقيل ان من وعظ الناس يجتهد ان تنفذ موعظته الى القلوب فاذا خالف
قوله فعله فكان ذلك سببا في تنفير القلوب عن قبول موعظته ق عن
اسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالرجل يوم القيمة
فيلقى في النار فتندلق اقتاب بطنه فتدور بها كما يدور الحمار في الرحى فيجتمع
اليه اهل النار فيقولون يا فلان ما لك الم تكن تامر الناس بالمعروف وتنهى
عن المنكر فيقول بلى كنت امر بالمعروف ولا اتيه وانهى عن المنكر واتيه
قوله فتندلق اي تخرج اقتاب بطنه اي امعا بطنه واحدها قتب
ورو ى البغوي بسنده عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت ليلة
اسري بي رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من هولاء قال هولاء
خطباء من امتك يامرون الناس بالبر وينسون انفسهم وهم يتلون الكتاب
افلا يعقلون قيل مثل الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كالسراج يضي للناس
ويحرق نفسه وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن وعظ بفعله
نفذت سهامه وقال بعضهم

ابدا بنفسك فانهها عن غيها ... فاذا انتهت عنه فانت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويقتدى ... بالقول منك وينفع التعليم

قوله عز وجل واستعينوا بالصبر والصلاة قيل ان المخاطبين بهذا هم
المومنون لان من ينكر الصلاة والصبر على دين محمد صلى الله عليه وسلم
لا يقال له استعن بالصبر والصلاة فلا جرم وجب صرفه الى من صدق
محمدا صلى الله عليه وسلم وامن به وقيل يحتمل ان يكون الخطاب لبني اسرائيل
لان الخطاب اليهم يوجب تفكيك نظم القران ولان اليهود لم ينكروا

اصل الصلاة والصبر لكن صلاتهم غير صلاة المومنين فعلى هذا
القول ان الله تعالى لما امرهم بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والتزام
شريعته وترك الرياسة والجاه والمال فقال لهم استعينوا بالصبر
اي بحبس النفس عن اللذات وان ضممتم الى ذلك الصلاة هان
عليكم ترك ما انتم فيه من حب الرياسة والجاه والمال وعلى القول
الاول يكون معنى الاية واستعينوا على حوايجكم الى الله وقيل
على ما يشغلكم من انواع البلا وقيل على طلب الاخرة بالصبر وهو
حبس النفس عن اللذات وترك المعاصي وقيل بالصبر على ادا الفرايض
وقيل الصبر هو الصوم لان فيه حبس النفس عن المفطرات وعن ساير اللذات
وفيه انكسار النفس بالصلاة اي اجمعوا بين الصبر والصلاة وقيل معناه
واستعينوا بالصبر على الصلاة وعلى ما يجب فيها من تصحيح النية واحضار
القلب ومراعاة الاركان والاداب مع الخشوع والخشية فان من اشتغل
بالصلاة ترك ما سواها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احزنه
امر فزع الى الصلاة اي اذا اهمه امر لجا الى الصلاة وعن ابن عباس
انه نعي اليه اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع ثم تنحى عن الطريق
فصلى ركعتين اطال فيهما السجود ثم قام الى راحلته وهو يقول
استعينوا بالصبر والصلاة وانها اي الصلاة وقيل الاستعانة لكبيرة
اي ثقيلة الا على الخاشعين يعني المومنين وقيل الخايفين وقيل المطيعين
المتواضعين لله واصل الخشوع السكون فالخاشع ساكن الى الطاعة وقيل
الخشوع الضراعة واكثر ما يستعمل في الجوارح وانما كانت الصلاة ثقيلة
على غير الخاشعين لان من لم يرجو لها ثوابا ولا يخاف على تركها عقابا فهي
ثقيلة عليه والخاشع الذي يرجو لها ثوابا ويخاف على تركها العقاب
فهي سهلة عليه الذين يظنون اي يستيقنون وقيل يعلمون انهم ملاقوا ربهم
يعني في الاخرة وفيه دليل على ثبوت روية الله تعالى في الاخرة وانهم اليه
راجعون يعني بعد الموت فيجزيهم باعمالهم قوله عز وجل يا بني اسرايل



اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم انما اعاد هذا الكلام مرة اخرى توكيدا للحجة
عليكم وتحذيرا من ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم واني فضلتكم على العالمين
يعني على عالمي زمانكم وهذا التفضيل وان كان في حق الابا ولكن يحصل به
الشرف للابنا واتقوا يوما واخشوا عذاب يوم لا تجزي اي لا تقضي نفس عن نفس
شيا يعني حقا لزمها وقيل معناه لا تنوب نفس عن نفس يوم القيمة ولا ترد
عنها شيا مما اصابها بل يفر المرء من اخيه وامه وابيه ولا يقبل منها
شفاعة اي في ذلك اليوم والمعنى لا تقبل الشفاعة اذا كانت النفس كافرة
وذلك ان اليهود قالوا يشفع لنا اباونا فرد الله عليهم ذلك بقوله ولا تقبل
منها شفاعة وقيل ان طاعة المطيع لا تقضي عن العاصي ما كان واجبا عليه
وقيل معناه ان النفس الكافرة لو جات بشفيع لا يقبل منها ولا يوخذ منها
عدل اي فدية وهو مماثلة الشي بالشي ولا هم ينصرون لا يمنعون من العذاب
قوله عز وجل واذ نجيناكم اي اذكروا اذ خلصنا اسلافكم واجدادكم فعدها
نعمة ومنة عليهم لانهم نجوا بنجاة اسلافهم من ال فرعون اي من اتباعه واهل
دينه وفرعون اسم علم لمن كان يملك مصر من القبط ومن العماليق وكان اسمه
الوليد بن مصعب بن الريان وعمر اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم اي يكلفونكم
ويذيقونكم سوء العذاب اي اشد العذاب واسواه وقيل يصرفونكم في العذاب
مرة كذا ومرة كذا وذلك ان فرعون جعل بني اسرايل خدما وخولا وصنفهم
في الاعمال اصنافا صنفا يبنون ويزرعون وصنفا يخدمون ومن لم يكن في
عمل وضع عليه الجزية وقال وهب كانوا اصنافا في اعمال فرعون فذو القوة
يسلخون السواري من الجبال حتى تقرحت ايديهم واعناقهم ودبرت ظهورهم
من قطعها ونقلها وصنف ينقلون الحجارة والطين يبنون له القصور
وطايفة نجارون وحدادون والضعفة منهم يضرب عليهم الخراج يعني الجزية
ضريبة يودونها كل يوم فمن غربت عليه الشمس قبل ان يودي ضريبته
غلت يده شهرا والنسا يغزلون الكتان وينسجونه وقيل تفسير يسومونكم
سوء العذاب ما بعده قوله عز وجل يذبحون ابناكم ويستحيون نساكم

اي يتركوهن احيا وذلك ان فرعون راي في منامه كان نارا اقبلت عليه
من بيت المقدس واحاطت بمصر واحرقت كل قبطي ولم تتعرض لبني اسرايل
فاهاله ذلك وسال الكهنة عن روياه فقالوا يولد غلام يكون على يديه
هلاكك وزوال ملكك فامر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني اسرايل
ووكل بالقوابل فكن يفعلن ذلك حتى قتل في طلب موسى اثني عشر الفا
واسرع الموت في مشيخة بني اسرايل فدخل روسا القبط على فرعون
وقالوا ان الموت قد وقع ببني اسرايل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم
فيوشك ان يقع العمل علينا فامر فرعون ان يذبحوا سنة ويتركوا
سنة فولد هارون في السنة التي لا يذبح فيها وولد موسى في السنة
التي يذبح فيها **وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم** اي اختبار وامتحان والبلا يطلق
على النعمة العظيمة وعلى المحنة الشديدة ليختبر الله العبد على النعمة
بالشكر وعلى الشدة بالصبر فان حمل قوله وفي ذلكم بلا من ربكم عظيم على
صنع فرعون كان من البلا والمحنة وان حمل على الانجا كان من النعمة قوله
عز وجل **واذ فرقنا بكم البحر** اي فصلنا بعضه بعضه من بعض وجعلنا فيه
مسالك بسبب دخولكم البحر سمي بحرا لاتساعه **ذكر سياق القصة في ذلك**
وذلك ان الله لما دنى هلاك فرعون امر الله عز وجل موسى ان يسري ببني اسرايل
من مصر بالليل فامر موسى قومه ان يسرجوا السرج الى الصبح وان يستعيروا
حلي القبط لتبقى لهم او ليتبعوهم لاجل المال واخرج الله كل ولد زنا كان
في القبط من بني اسرايل الى بني اسرايل وكل ولد زنا كان في بني اسرايل من
القبط الى القبط حتى يرجع كل ولد الى ابيه والقى الله تعالى الموت على القبط
فمات كل بكر لهم فاشتغلوا بدفنهم • وقيل بلغ ذلك فرعون فقال لا اخرج
في طلبهم حتى يصيح الديك فما صاح تلك الليلة ديك وخرج موسى في بني
اسرايل وهم ستماية الف وعشرون الفا لا يعدون ابن عشرين
سنة لصغره ولا ابن ستين لكبره وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب
اثنان وسبعون انسانا ما بين رجل وامراة فلما ارادوا السير ضرب عليهم

التيه



التيه فلم يدروا اين يذهبون فدعا موسى مشيخة بني اسرايل وسالهم
عن ذلك فقالوا ان يوسف لما حضره الموت اخذ على اخوته عهدا ان لا يخرجوا
من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك انسد علينا الطريق فسالهم عن موضع
قبره فلم يعلموه فقام موسى ينادي انشد الله كل من يعلم اين قبر يوسف الا اخبر
به ومن لم يعلم صمت اذناه عن سماع قولي فكان يمر بالرجل وهو ينادي
فلا يسمع صوته حتى سمعته عجوز منهم فقالت له ارايتك ان دللتك على قبره
اتعطيني كلما اسئلك فابى عليها وقال حتى اسال ربي فامره ان يعطيها
سولها فقالت اني عجوز لا استطيع المشي فاحملني معك واخرجني من مصر
هذا في الدنيا واما في الاخرة فاسلك ان لا تنزل غرفة من غرف الجنة
الا نزلتها معك قال نعم قالت انه في النيل في جوف الما فادع الله ان يحسر
عنه الما فدعا الله ان يحسر عنه الما ودعا الله ان يوخر عنه طلوع الفجر
حتى يفرغ من امر يوسف ثم حفر موسى ذلك الموضع فاستخرجه وهو في صندوق
من مرمر وحمله معه حتى دفنه بالشام فعند ذلك فتح لهم الطريق فسار
موسى ببني اسرايل وهو في ساقتهم وهارون في مقدمتهم ثم خرج فرعون في
طلبهم في الف الف وسبعماية الف وكان فيهم سبعون الف من دهم الخيل سوى
سائر الشيات وقيل كان معهم ماية الف حصان ادهم وكان فرعون في الدهم
وكان على مقدمة عسكره هامان وكان في سبعة الاف وكان بين يديه مائة الف
ناشب وماية الف حراب وماية الف معهم الاعمدة وسار بنو اسرايل
حتى وصلوا البحر والما في غاية الزيادة ونظروا حين اشرقت الشمس فاذا
هم بفرعون في جنوده فبقوا متحيرين وقالوا يا موسى اين ما وعدتنا به كيف
نصنع هذا فرعون خلفنا ان ادركنا قتلنا والبحر امامنا ان دخلنا ه
غرقنا فاوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضربه فلم يطعه فاوحى
الله اليه ان كنه فضربه وقال انفلق ابا خالد فانفلق فكان كل فرق كالطود
العظيم وظهر فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط منهم طريق وارتفع الما بين
كل طريقين كالجبل وارسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبسا وخاضه

بنوا اسرائيل البحر كل سبط في طريق عن جوانبهم الما كالجبل الضخم لا يرى بعضهم
بعضا فخافوا وقال كل سبط منهم قد هلك اخواننا فاوحى الله الى جبال الما
ان تشبكي فصار الما كالشبابيك يرى بعضهم بعضا ويسمع كلام بعضهم
بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم
يعني من فرعون واغرقنا آل فرعون وذلك ان فرعون لما وصل الى البحر فراه
منفلقا قال لقومه انظروا الى البحر كيف انفلق من هيبتي حتى ادرك اعبيدي
الذين ابقوا مني ادخلوا البحر فهاب قومه ان يدخلوا وقيل قالوا له ان كنت
ربا فادخل البحر كما دخل موسى وكان فرعون على حصان ادهم ولم يكن في خيل
فرعون فرس انثى فجا جبريل عليه السلام على فرس انثى ودنق فتقدمهم
وخاض البحر فلما شم ادهم فرعون ريحها اقتحم البحر في اثرها ولم يملك
فرعون من امره شيئا واقتحمت الخيول خلفه في البحر وجا ميكائيل عليه
السلام خلفهم يسوقهم وهو على فرس ويقول الحقوا باصحابكم حتى صاروا
كلهم في البحر وخرج جبريل من البحر وهم اولهم بالخروج امر الله البحر ان
ياخذهم فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين فكان بين طرفي البحر اربع فراسخ
وهو بحر القلزم وهو طرف من بحر فارس وقيل هو بحر من ورا مصر يقال
له اساف وكان اغراق آل فرعون بمراى من بني اسرائيل فذلك قوله
تعالى وانتم تنظرون يعني الى هلاككم وقيل الى مصارعهم وقيل ان البحر
قذفهم حتى نظروا اليهم واتفق ذلك يوم عاشورا فصامه موسى فذلك اليوم
شكر الله تعالى قوله عز وجل واذ وعدنا من المواعدة وهو من الله الامر
ومن موسى القبول وذلك ان الله وعده لمجي الميقات موسى اسم عبري معرب
فهو بالعربية الما والشي وهو الشجر سمي موسى لانه اخذ من بين الما والشجر
ثم قلبت الشين سينا فسمي موسى اربعين ليلة اي انقضاء اربعين ليلة
ثلاثين من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة وقرن التاريخ بالليل دون النهار
لان اشهر العربية وضعت على سير القمر وقيل لان الظلمة اقدم من الضوء
والله اعلم ذكر [illegible] قال العلما انجى الله بني اسرائيل

من البحر



من البحر واغرق عدوهم لم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون
اليهما وعد الله موسى ان ينزل عليه التوراة فقال موسى
لقومه اني ذاهب الى ميقات ربي لاتيكم منه بكتاب فيه بيان
ما تاتون وما تذرون ووعدهم اربعين ليلة واستخلف عليهم
اخاه هارون فلما جا الوعد اتاه جبريل عليه السلام على فرس يقال
له فرس الحياة لا يصيب شيئا الا حيي ليذهب بموسى الى ميقات
ربه فراه السامري وكان صائغا اسمه ميخا وقال ابن عباس
اسمه موسى بن ظفر وقيل كان من اهل باجرى وقيل كرمان وقيل
من بني اسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة وكان منافقا اظهر الاسلام
وكان من قوم يعبدون البقر فلما راى جبريل على ذلك الفرس وراى
موضع قدم الفرس يخضر في الحال فقال في نفسه ان لهذا شانا
وقيل راى جبريل حين دخل البحر امام فرعون فقبض قبضة من تراب
فرسه والقي في روعه انه اذا القي في شي حيي ولما ذهب موسى الى
الميقات ومكث على الطور اربعين ليلة وانزل الله عليه التوراة في
الالواح وكانت تلك الالواح من زبرجد وقربه نجيا واسمعه صرير
الاقلام وقيل انه بقي اربعين ليلة لم يحدث فيها حدثا حتى هبط من
الطور وكانت بنو اسرائيل قد استعاروا حليا كثيرا من القبط
حين ارادوا الخروج من مصر بعلة عرس لهم فلما هلك فرعون
وقومه بقي ذلك الحلي في ايديهم فلما فصل موسى قال لهم السامري
ان الحلي التي استعرتموها من القبط غنيمة لا تحل لكم فاحفروا حفيرة
وادفنوها فيها حتى يرجع موسى ويرى فيها رايه وقيل ان هارون
امرهم بذلك فلما اجتمعت الحلي اخذها السامري وصاغها عجلا
في ثلاثة ايام ثم القي فيه القبضة التي اخذها من تراب فرس جبريل
فخرج عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر له خوار وقيل كان يخور
ويمشي فقال لهم السامري هذا الهكم واله موسى فنسي اي فتركه هاهنا

وخرج يطلبه وكانت بنوا اسرآئيل قد اخلفوا الوعد نعدوا اليوم مع
الليلة يومين فلما مضى عشرون يوما ولم يرجع موسى وقعوا في الفتنة
وقيل كان موسى وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة فكانت فتنتهم
في تلك العشرة فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى ظنوا انه قد
مات ورأوا العجل وسمعوا قول السامري فعكف عليه ثمانية الاف رجل يعبدونه
وقيل عبده كلهم الا هارون مع اثني عشر الف رجل وهذا اصح فذلك
قوله تعالى ثم اتخذتم العجل يعني الها من بعده اي من بعد موسى وانتم
ظالمون اي وانتم ضارون لانفسكم بالمعصية حيث وضعتم
العبادة في غير موضعها ثم عفونا عنكم اي محونا ذنوبكم وتجاوزنا
عنكم من بعد ذلك اي من بعد عبادتكم العجل لعلكم تشكرون اي لكي
تشكروا عفوي عنكم وحسن صنيعي اليكم واصل الشكر هو تصور
النعمة واظهارها ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها
والشكر على ثلاثة اضرب شكر القلب وهو تصور النعمة وشكر
اللسان وهو الثناء على المنعم وشكر سائر الجوارح وهو مكافاة
النعمة بقدر استحقاقها وقيل الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح
في السر والعلانية وقيل حقيقة الشكر العجز عن الشكر وحكي
ان موسى عليه السلام قال الهي انعمت علي النعم السوابغ وامرتني
بالشكر وانما شكري اياك نعمة منك فاوحى الله تعالى اليه يا موسى
تعلمت العلم الذي لا يفوقه علم حسبي من عبدي ان يعلم ان ما به من
نعمة فهي مني وقال داود عليه السلام سبحان من جعل اعتراف
العبد بالعجز عن شكره شكرا له كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته
معرفته وقال الفضيل شكر كل نعمة ان لا يعصى الله بعدها بتلك
النعمة وقيل شكر النعمة ذكرها وقيل شكر النعمة ان لا يراها البتة
ويرى المنعم وقيل الشكر لمن فوقك بالطاعة والثناء ولنظيرك
بالمكافاة ولمن دونك بالاحسان والافضال قوله عز وجل واذ اتينا

موسى

موسى الكتاب يعني التوراة والفرقان قيل هو نعت الكتاب والواو زائدة
والمعنى الكتاب المفرق بين الحلال والحرام والكفر والايمان وقيل الفرقان
هو النصر على الاعداء والواو على اصلها لعلكم تهتدون يعني
بالتوراة واذ قال موسى لقومه يعني الذين عبدوا العجل يا قوم انكم
ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل يعني الها تعبدونه فكانهم قالوا
اي شيء نصنع قال فتوبوا الى بارئكم اي ارجعوا الى خالقكم بالتوبة قالوا
كيف نتوب قال فاقتلوا انفسكم يعني ليقتل البريء منكم المجرم فان
قلت التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح والعزم على ان لا يعود
اليه وهذا مغاير للقتل فكيف يجوز تفسير التوبة بالقتل قلت
ليس المراد تفسير التوبة بالقتل بل بيان ان توبتهم لا تتم الا بالقتل
وانما كان كذلك لان الله اوحى الى موسى عليه السلام ان توبة المرتد لا تتم
الا بالقتل فان قلت التائب من الردة لا يقتل فكيف استحقوا القتل
وقد تابوا من الردة قلت ذلك مما يختلف فيه الشرائع فلعل شرع
موسى كان يقتضي ان يقتل التائب عن الردة اما عاما في حق الكل او
خاصا في حق الذين عبدوا العجل ذلكم خير لكم عند بارئكم يعني القتل
وتحمل هذه الشدة لان الموت لا بد منه فلما امرهم موسى بالقتل قالوا
نصبر لامر الله تعالى فجلسوا محتبين من الحبوة وهي ضم الساق الى البطن
بثوب وقيل لهم من حل حبوته او مد طرفه الى قاتله او اتقاه بيد
او رجل فهو ملعون مردودة توبته واصلت القوم الخناجر والسيوف
واقبلوا عليهم فكان الرجل يرى ابنه واباه واخاه وقريبه وصديقه
وجاره فيرق له فلم يمكنهم المضي لامر الله تعالى فقالوا يا موسى كيف نفعل
فارسل الله عليهم سحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضا فكانوا يقتلون
الى المساء فلما كثر القتل دعا موسى وهارون الله وبكيا وتضرعا اليه وقالا
يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشف الله السحابة عنهم
وامرهم ان يكفوا عن القتل فتكشفت عن الوف من القتلى قال علي بن ابي طالب

كان عدد القتلى سبعين الفا فاشتد ذلك على موسى فاوحى الله اليه اما
يرضيك ان ادخل القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل منهم شهيدا
ومن بقي مكفرا عنه ذنوبه فذلك قوله تعالى فتاب عليكم اي فعلتم
ما امرتم به فتجاوز عنكم انه هو التواب اي الرجاع بالمغفرة القابل
للتوبة الرحيم بخلقه قوله عز وجل واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك
اي لن نصدقك حتى نرى الله جهرة اي عيانا وذلك ان الله عز وجل
امر موسى ان ياتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة
العجل فاختار موسى من قومه سبعين رجلا من خيارهم وقال لهم
صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ففعلوا وخرج بهم موسى الى طور
سينا لميقات ربه فقالوا لموسى اطلب لنا ان نسمع كلام ربنا قال
افعل فلما دنا من الجبل وقع عليه عمود من الغمام وتغشى الجبل كله
فدخل موسى في الغمام وقال للقوم ادنوا حتى دخلوا في الغمام وخروا
سجدا وكان موسى اذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع
احد ان ينظر اليه فضرب دونهم الحجاب وسمعوه يكلم موسى يامره وينهاه
واسمعهم الله تعالى اني انا الله لا اله الا انا ذو بكة اخرجتكم من ارض
مصر بيد شديدة فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما فرغ موسى
وانكشف الغمام اقبل اليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة انما
قالوا جهرة توكيدا للرؤيا لئلا يتوهم متوهم ان المراد بالرؤيا العلم
فاخذتكم الصاعقة يعني الموت وفيه ضعف لان قوله وانتم تنظرون
يرده اذ لو كان المراد منها الموت لامتنع كونهم ناظرين اليها وقيل ان
الصاعقة هي سبب الموت واختلفوا في ذلك السبب فقيل نار نزلت
من السماء فاحرقتهم وقيل جاءت صيحة من السماء وقيل ارسل جنودا من
الملائكة فسمعوا حسهم فخروا صعقين وانتم تنظرون اي ينظر
بعضكم الى بعض كيف ياخذه الموت فلما هلكوا جعل موسى يبكي ويتضرع
ويقول الهي ماذا اقول لبني اسرائيل اذا اتيتهم

لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا فلم يزل يناشد
ربه حتى احياهم الله رجلا بعد رجل بعدما ماتوا يوما وليلة ينظر بعضهم
الى بعض كيف يحيون فذلك قوله تعالى ثم بعثناكم اي احييناكم من
بعد موتكم اي لتستوفوا بقية اجالكم وارزاقكم ولو انهم كانوا قد
ماتوا لانقضاء اجالهم لم يبعثوا الا يوم القيامة لعلكم تشكرون
قوله تعالى وظللنا عليكم الغمام يعني في التيه يقيكم حر الشمس وذلك
انه لم يكن لهم في التيه شيء يسترهم ولا يستظلون به فشكوا الى موسى
فارسل الله غماما ابيض رقيقا يسترهم من الشمس وجعل لهم عمودا
من نور يضيء لهم بالليل اذا لم يكن قمر وانزلنا عليكم المن والسلوى
في التيه والاكثرون على ان المن هو الترنجبين وقيل هو شيء كالصمغ
يقع على الشجر طعمه كالشهد وقال وهب هو الخبز الرقاق واصل
المن هو ما يمن الله به من غير تعب ق عن سعيد بن زيد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الكماة من المن وماؤها شفاء للعين ومعنى الحديث
ان الكماة شيء انبته الله من غير سعي احد ولا مؤنة فهو بمنزلة المن الذي
كان ينزل على بني اسرائيل وقوله وماؤها شفاء للعين معناه ان يخلط
مع الادوية فينتفع به لا انه يقطر ماؤها بحتا في العين وقيل ان
تقطيره في العين ينفع لكن لوجع مخصوص وليس يوافق لكل وجع
في العين وكان هذا المن ينزل على اشجارهم في التيه في كل ليلة من وقت
السحر الى طلوع الشمس كالثلج لكل انسان صاع فقالوا يا موسى قد قتلنا
هذا المن بحلاوته فادع لنا ربك ان يطعمنا اللحم فارسل الله عليهم
السلوى وهو طير يشبه السماني وقيل هو السماني بعينه فكان الرجل منهم
ياخذ ما يكفيه يوما وليلة فاذا كان يوم الجمعة اخذ ما يكفيه ليومين
لانه لم يكن ينزل يوم السبت شيء كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات اي
حلالات ما رزقناكم ولا تدخروا لغد فخالفوا وادخروا فدود وفسد
فقطع الله عنهم ذلك وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا حوا لم
تخن انثى زوجها الدهر قوله لم يخنز اللحم اي لم ينتن ولم يتغير وما
ظلمونا اي وما بخسوا حقنا ولكن كانوا انفسهم يظلمون يعني
باخذهم اكثر مما حد لهم فاستحقوا بذلك عذابي وقطع مادة الرزق
الذي كان ينزل عليهم بلا مؤونة ولا تعب في الدنيا ولا حساب في
العقبى قوله تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية سميت قرية
لاجتماع الناس فيها قال ابن عباس هي اريحا وهي قرية الجبارين وكان
فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة وراسهم عوج بن عنق
فعلى هذا يكون القايل يوشع بن نون لانه هو الذي فتح اريحا
بعد موسى لان موسى مات في التيه وقيل هي بيت المقدس فعلى
هذا يكون القايل موسى والمعنى اذا خرجتم من التيه بعد مضي
الاربعين سنة ادخلوا بيت المقدس فكلوا منها حيث شئتم رغدا
اي موسعا عليكم وادخلوا الباب فمن قال ان القرية اريحا قال ادخلوا
اي باب كان من ابوابها وكان لها سبعة ابواب ومن قال ان القرية
هي بيت المقدس قال هو باب حطة سجدا منحنين خضعا متواضعين
كالراكع ولم يرد به نفس السجود وقولوا حطة اي حط عنا خطايانا
امروا بالاستغفار وقال ابن عباس قولوا لا اله الا الله لانها تحط
الذنوب والخطايا على تقدير مسالتنا حطة نغفر لكم خطاياكم
اي نسترها عليكم من الغفر وهو الستر لان المغفرة تستر الذنوب وسنزيد
المحسنين يعني ثوابا فبدل اي فغير الذين ظلموا قولا غير الذي قيل
لهم اي قالوا قولا غير الذي قيل لهم وذلك انهم بدلوا قول الحطة
بالحنطة فقالوا بلسانهم حنطا سمقاثا اي حنطة حمرا وذلك
استخفافا منهم بامر الله تعالى وقيل طوطي لهم الباب ليخفضوا
روسهم فابوا ذلك ودخلوا زحفا على استاههم فخالفوا في الفعل
كما خالفوا في القول ويدل له ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال

قال



قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب
سجدا وقولوا حطة فبدلوا ودخلوا يزحفون على استاههم وقالوا
حبة في شعرة فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السما يعني عذابا
من السما قيل ارسل عليهم طاعونا فهلك منهم في ساعة واحدة
سبعون الفا بما كانوا يفسقون اي يعصون ويخرجون عن
امر الله تعالى قوله عز وجل واذ استسقى موسى لقومه اي طلب
السقيا لقومه وذلك انهم عطشوا في التيه فسالوا موسى
ان يستسقي لهم ففعل فاوحى الله اليه كما قال مبينا فقلنا اضرب
بعصاك وكانت العصى من اس الجنة طولها عشرة اذرع على طول
موسى ولها شعبتان تتقدان في الظلمة نورا واسمها عليق
وقيل نبعة حملها ادم معه من الجنة فتوارثها الانبيا حتى
وصلت الى شعيب فاعطاها موسى الحجر قال وهب لم يكن حجرا
معينا بل كان موسى يضرب اي حجر كان فينفجر عيونا لكل سبط
عين وكانوا اثني عشر سبطا وقيل كان حجرا معينا بدليل انه
عرفه بالالف واللام قال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا على قدر
راس الرجل وكان موسى يضعه في مخلاته فاذا احتاجوا الى الما وضعه
وضربه بعصاه وقيل كان للحجر اربعة وجوه في كل وجه ثلاثة
اعين لكل سبط عين وقيل كان من الرخام وقيل كان من الكذان وهي
الحجارة اللينة وقيل هو الحجر الذي وضع موسى عليه ثوبه ليغتسل
ففر به فاتاه جبريل وقال ان الله يامرك ان ترفع هذا الحجر
فلي فيه قدرة ولك فيه معجزة فوضعه في مخلاته فلما سالوه
السقيا قيل اضرب بعصاك الحجر فكان اذا احتاج الى الما وضعه
وضربه بعصاه فينفجر منه عيونا لكل سبط عين تسيل اليهم
في جدول وكان اذا اراد حمله ضربه بعصاه فيذهب الما
وييبس الحجر فذلك قوله فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا يعني

علي عدد اسباط بني اسرائيل والمعني فضرب فانفجرت قال المفسرون
انفجرت وانبجست بمعني واحد وقيل انبجست اي عرقت وانفجرت سالت
قد علم كل اناس مشربهم اي موضع شربهم لا يدخل سبط مع غيره كلوا
واشربوا اي وقلنا لهم كلوا واشربوا من رزق الله يعني من المن
والسلوي والما فهذا كله من رزق الله كان ياتيهم بلا مشقة ولا كلفة
ولا تعثوا في الارض مفسدين العثي اشد الفساد وفي هذه الاية
معجزة عظيمة لموسي عليه السلام حيث انفجر من الحجر الصغير ما روي منه
الجمع الكثير ومعجزة نبينا محمد صلي الله عليه وسلم اعظم لانه انفجر الما
من بين اصابعه صلي الله عليه وسلم فروي منه الجم الغفير لان انفجار
الما من اللحم والدم اعظم من انفجاره من الحجر قوله تعالى واذ قلتم يا موسي
لن نصبر علي طعام واحد وذلك انهم سئموا من المن والسلوي وملوه
فاشتهوا غيره لان المواظبة علي الطعام الواحد تكون سببا لنقصان
الشهوة فان قلت هما طعامان فما لهم قالوا علي طعام واحد قلت ارادوا
بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان علي مائدة الرجل عدة الوان
يداوم عليها في كل يوم لا يبدلها كانت بمنزلة الطعام الواحد فادع
لنا ربك اي فسل لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها
وقثائها وفومها قال ابن عباس الفوم الخبز وقيل هو الحنطة وقيل هو
الثوم وعدسها وبصلها انما طلبوا هذه الانواع لانها تعين علي تقوية
الشهوة او لانهم ملوا من البقا في التيه فسالوا هذه الاطعمة التي لا توجد
الا في البلاد وكان غرضهم الوصول الي البلاد لا لتلك الاطعمة قال
يعني موسي اتستبدلون الذي هو ادني اي الذي هو اخس وارذي وهو
الذي طلبوه بالذي هو خير يعني بالذي هو اشرف وافضل وهو ما هم فيه
اهبطوا مصرا يعني فان ابيتم الا ذلك فانزلوا مصرا من الامصار وقيل
بل هو مصر البلد الذي كانوا فيه ودخول التنوين عليه كدخوله علي
نوح ولوط والقول هو الاول فان لكم ما سالتم يعني من نبات الارض

وضربت

وضربت عليهم الذلة اي جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم
والزموا الذل والهوان وقيل الذلة الجزية وزي اليهودية وفيه بعد
لانه لم يكن ضربت عليهم الجزية بعد والمسكنة اي الفقر والفاقة
وسمي الفقير مسكينا لان الفقر اسكنه واقعده عن الحركة فترى اليهود
وان كانوا اغنيا مياسير كانهم فقرا فلا ترى احدا من اهل الملل اذل
ولا احرص علي المال من اليهود وباؤا اي رجعوا ولا يقال باء الا بشر
بغضب من الله وغضب الله ارادة الانتقام ممن عصاه ذلك اي الغضب
بانهم كانوا يكفرون بايات الله اي بصفة محمد صلي الله عليه وسلم
واية الرجم التي في التوراة ويكفرون بالانجيل والقران ويقتلون النبيين
النبي معناه المخبر من انبا ينبي وقيل هو بمعني الرفيع ماخوذ
من النبوة وهو المكان المرتفع بغير الحق اي بغير جرم فان قلت قتل
الانبيا لا يكون الا بغير حق فما فايدة ذكره قلت ذكره وصفا للقتل والقتل
يوصف تارة بالحق وهو ما امر الله به وتارة بغير الحق وهو قتل العدوان
فهو كقوله قل رب احكم بالحق فالحق وصف للحكم لان الحكم ينقسم الي حق
وجور يروي ان اليهود قتلت سبعين نبيا في اول النهار وقامت سوق
بقلها في اخره وقتلوا زكريا ويحيي وشعيبا وغيرهم من الانبيا
ذلك بما عصوا اي ذلك القتل والكفر بما عصوا امري وكانوا يعتدون
اي يتجاوزون امري ويرتكبون محارمي ان الذين امنوا والذين هادوا
يعني اليهود سموا بذلك لقولهم انا هدنا اليك اي ملنا اليك وقيل
هادوا اي تابوا من عبادة العجل وقيل انهم مالوا عن دين الاسلام
ودين موسي والنصاري سموا بذلك لقول الحواريين نحن انصار الله
وقيل لاعتزائهم الي قرية يقال لها ناصرة وكان المسيح ينزلها والصابئين
اصله من صبا اذا خرج من دين الي دين اخر سموا بذلك لخروجهم من الدين
قال عمر وابن عباس هم قوم من اهل الكتاب قال عمر ذبائحهم ذبائح اهل
الكتاب وقال ابن عباس لا تحل ذبائحهم ولا مناكحتهم وقيل هم قوم بين اليهود

والنصارى يحلقون اوساط روسهم وقيل هم قوم يقرؤون بالله ويقرؤون
الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون الى الكعبة اخذوا من كل دين شيا والاكثر
انهم قوم يعبدون الكواكب وذلك انهم يعتقدون ان الله تعالى خلق هذا
العالم وجعل الكواكب مدبرة له فيجب على البشر عبادتها وتعظيمها لانها
هي التي تعبد الله تعالى ولما ذكر الله هذه الطوايف قال من امن بالله واليوم
الاخر فان قلت كيف قال في اول الاية ان الذين امنوا وقال في اخرها
من امن بالله فما فايدة التعميم اولا ثم التخصيص اخرا قلت اختلف العلما
في حكم الاية فلهم فيه طريقان احدهما انه اراد بقوله الذين امنوا على
التحقيق ثم اختلفوا فيهم فقيل هم الذين امنوا في زمن الفترة وهم
طلاب الدين مثل حبيب النجار وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل
وبحيرا الراهب وابي ذر الغفاري وسلمان الفارسي فمنهم من ادرك النبي صلى
الله عليه وسلم وتابعه ومنهم من لم يدركه فكانه تعالى قال ان الذين امنوا
قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم والذين كانوا على الدين الباطل المبدل
من اليهود والنصارى والصابئين من امن منهم بالله واليوم الاخر وبمحمد
صلى الله عليه وسلم فلهم اجرهم عند ربهم وقيل هم المومنون من الامم
الماضية وقيل هم المومنون من هذه الامة والذين هادوا يعني الذين
كانوا على دين موسى ولم يبدلوا والنصارى الذين كانوا على دين عيسى
ولم يغيروا والصابئين في زمن استقامة امرهم من امن منهم ومات
وهو مومن لان حقيقة الايمان تكون بالوفاة واما الطريقة الثانية
فقالوا ان المذكورين بالايمان في اول الاية انما هو على طريق المجاز
دون الحقيقة وهم الذين امنوا بالانبيا الماضين ولم يومنوا
بك وقيل هم المنافقون الذين امنوا بالسنتهم ولم يومنوا بقلوبهم
واليهود والنصارى والصابئين فكانه تعالى قال هولا المبطلون
كل من امن منهم الايمان الحقيقي صار مومنا عند الله تعالى وقيل ان المراد
من قوله تعالى ان الذين امنوا يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم في الحقيقة

في الماضي

في الماضي وتثبتوا على ذلك في المستقبل وهو المراد من قوله من امن بالله
واليوم الاخر وعمل صالحا اي في ايمانه فلهم اجرهم عند ربهم اي جزا
اعمالهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون اي في الاخرة قوله تعالى واذ اخذنا
ميثاقكم اي عهدكم يا معشر اليهود ورفعنا فوقكم الطور يعني الجبل العظيم
قال ابن عباس امر الله جبلا من جبال فلسطين فانقلع من اصله حتى قام
على روسهم وسبب ذلك ان الله تعالى لما انزل التوراة على موسى وامرهم
ان يعملوا باحكامها فابوا ان يقبلوها لما فيها من الاصار يعني الاثقال
والتكاليف الشاقة امر الله تعالى جبريل عليه السلام ان يقلع جبلا على
قدر عسكرهم وكان قدره فرسخا في فرسخ ورفعه فوق روسهم قدر قامة
كالظلة وقيل لهم ان لم تقبلوا ما في التوراة والا ارسلت هذا الجبل
عليكم خذوا اي قلنا لهم خذوا ما اتيناكم اي اعطيناكم بقوة اي بجد
واجتهاد واذكروا ما فيه اي ادرسوا ما فيه لعلكم تتقون اي لكي تنجوا
من الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى والا رضخت روسكم
بهذا الجبل فلما راوا ذلك نازلا بهم قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون
الجبل وهم سجود فصار ذلك سنة في سجود اليهود لا يسجدون
الا على انصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع عنا العذاب
ثم توليتم اي اعرضتم من بعد ذلك اي من بعد ما قبلتم التوراة فلولا
فضل الله عليكم ورحمته اي بالامهال لكنتم من الخاسرين اي المغبونين
بذهاب الدنيا والعذاب في العقبى قوله عز وجل ولقد علمتم الذين اعتدوا
منكم اي جاوزوا الحد في السبت يقال سبتت اليهود قطعت اعمالهم لانهم يقطعون
ويقطعون فيه اعمالهم واصل السبت القطع ذكر الاشارة الى القصة
قال العلما بالاخبار انهم كانوا في زمن داود عليه السلام قرية بارض ايلة
فحرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فكان اذا دخل يوم السبت
لم يبق حوت في البحر الا اجتمع هناك حتى لا يرى الماء من كثرتها فاذا
مضى السبت تفرقت الحيتان ولزمت قعر البحر فذلك قوله اذ تاتيهم

حيتانهم يوم سبتهم شرعًا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم ثم ان الشيطان
وسوس اليهم وقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت ولم تنهوا
عن اخذها في غيره فعمد رجال منهم فحفروا احياضا كبارا حول البحر
وشرعوا منه اليها انهارًا فاذا كان عشية يوم الجمعة فتحوا تلك الانهار
فيقبل الموج من البحر بالحيتان الى تلك الحياض فيقعن فيها ولا يقدرن
على الخروج منها لعمقها فاذا كان يوم الاحد اخذوها وقيل انهم كانوا
ينصبون الشخوص والحبائل يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد ففعلوا
ذلك زمانا ولم ينزل بهم عقوبة فتجرؤا على السبت وقالوا ما نرى السبت
الا قد احل لنا فاخذوا وملحوا واكلوا وباعوا واثروا فلما فعلوا ذلك
صار اهل القرية ثلاثة اصناف وكانوا نحو سبعين الفا صنف
امسك عن الصيد ونهى عن الاصطياد وصنف امسك ولم ينه
وصنف انتهكوا الذنب وهتكوا الحرمة وكان الصنف الناهون
اثني عشر الفا فلما ابى المجرمون قبول نصحهم قالوا والله لا نساكنكم
في قرية واحدة فقسموا القرية بينهم بجدار فعبر على ذلك سنين
ثم لعنهم داود وغضب الله عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج
الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين احد ولم يفتحوا
الباب فلما ابطؤا تسوروا عليهم الجدار فاذا هم جميعا قردة لهم
اذناب وهم يتعاوون وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير
فمكثوا ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يمكث مسخ فوق ثلاث ولم يتوالدوا
قال الله تعالى فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين امر تحويل وتكوين ومعنى
خاسئين مبعدين مطرودين وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره
كونوا خاسئين قردة ولهذا لم يقل خاسئات فجعلناها يعني عقوبتهم
بالمسخ نكالا اي عقوبة وعبرة لما بين يديها وما خلفها قيل نجعلها
عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم وقيل جعلنا عقوبة
قرية اصحاب السبت عبرة لما بين يديها من القرى التي كانت

عامرة



عامرة في الحال وما خلفها اي ما يحدث بعدها من القرى ليتعظوا
بذلك وهو قوله تعالى وموعظة للمتقين اي المؤمنين من امة محمد
صلى الله عليه وسلم لئلا يفعلوا مثل فعلهم قوله تعالى واذ قال موسى
لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة البقرة واحدة البقر وهي
الانثى واصلها البقر وهو الشق سميت بذلك لانها تشق الارض
للحراثة والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده الاشارة الى القصة
قال علماء السير والاخبار انه كان رجل غني في بني اسرائيل وله
ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله
الى قرية اخرى والقاه على بابها ثم اصبح يطلب ثاره وجاء بناس الى موسى
يدعي عليهم بالقتل فجحدوا واشتبه امر القتيل على موسى فسألوا
موسى ان يدعو الله ليبين لهم ما اشكل عليهم فسأل موسى ربه في ذلك
فامره بذبح بقرة وامره ان يضرب ببعضها فقال لهم ان الله يأمركم
ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا اي نحن نسألك عن امر القتيل
وانت تستهزئ بنا وتأمرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لبعد ما بين
الامرين في الظاهر ولم يعلموا انما وجه الحكمة فيه قال يعني موسى اعوذ
بالله اي امتنع بالله ان اكون من الجاهلين اي من المستهزئين بالمؤمنين
وقيل من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال فلما علموا ان ذبح البقرة
عزم من الله تعالى استوصفوه اياها ولو انهم عمدوا الى اي بقرة
كانت فذبحوها لاجزأت عنهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم وكان
في ذلك حكمة لله عز وجل وذلك انه كان رجل صالح في بني
اسرائيل وله ابن طفل وله عجلة فاتى بها غيضة وقال اللهم
اني استودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر ومات ذلك الرجل
فصارت العجلة في الغيضة عوانا وكانت تهرب من الناس فلما
كبر ذلك الطفل وكان بارا بامه وكان يقسم الليلة ثلاثة اجزاء
يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند راس امه ثلثا فاذا اصبح

انطلق فيحتطب ويأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله فيتصدق بثلثه
ويأكل ثلثه ويعطي امه ثلثه فقالت له امه يوما يا بني ان اباك
ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق اليها وادع اله ابراهيم
واسماعيل واسحاق ان يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها
يخيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة
لحسنها وصفرتها فاتى الفتى الغيضة فراها ترعى فصاح بها
وقال اعزم عليك باله ابراهيم واسماعيل واسحاق فاقبلت البقرة
حتى وقفت بين يديه فقبض على قرنها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله
تعالى وقالت ايها الفتى البار بامه اركبني فانه اهون عليك
فقال الفتى ان امي لم تامرني بذلك فقالت البقرة والله لو ركبتني
ما كنت تقدر علي ابدا فانطلق فانك لو امرت الجبل ان ينقلع
من اصله لانقلع لبرك امك فسار الفتى بها الى امه فقالت له
امه انك رجل فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار
والقيام بالليل فانطلق فبع البقرة فقال بكم ابيعها قالت بثلاثة
دنانير ولا تبع بغير مشورتي وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق
بها الفتى الى السوق وبعث الله تعالى ملكا ليري خلقه قدرته وليختبر
الفتى كيف بره بامه وهو اعلم فقال له الملك بكم هذه البقرة قال
بثلاثة دنانير واشترط عليك رضى امي فقال له الملك لك ستة
دنانير ولا تستامر امك فقال له الفتى لو اعطيتني وزنها ذهبا
لم اخذه الا برضى امي ورجع الفتى الى امه فاخبرها بالثمن فقالت له
ارجع فبعها بستة دنانير ولا تبعها الا برضاي فرجع بها الى
السوق واتى الملك فقال استامرت امك قال الفتى نعم انها
امرتني ان لا انقصها من ستة على رضاها فقال له الملك اني اعطيك
اثني عشر دينارا ولا تستامرها فابى الفتى ورجع الى امه فاخبرها
بذلك فقالت له امه ان الذي ياتيك ملك في صورة ادمي ليجربك

فاذا اتاك

فاذا اتاك فقل له اتامرنا ان نبيع هذه البقرة ام لا ففعل فقال
له الملك اذهب الى امك وقل لها امسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران
يشتريها منك لقتيل يقتل في بني اسرائيل فلا تبيعوها الا بملء مسكها
ذهبا والمسك الجلد فامسكوها وقدر الله تعالى على بني اسرائيل ذبح
البقرة بعينها فما زالوا يستوصفون البقرة حتى وصفت لهم تلك
البقرة بعينها مكافاة لذلك الفتى على بره بامه فضلا من الله ورحمة
فذلك قوله تعالى قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي ما سنها قال يعني
موسى انه يقول يعني الله عز وجل انها بقرة لا فارض ولا بكر اي لا كبيرة
ولا صغيرة والفارض المسنة التي لا تلد والبكر الفتية التي لم تلد عوان
اي نصف بين ذلك اي بين السنين فافعلوا ما تؤمرون اي من ذبح البقرة
ولا تكثروا السوال قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول
انها بقرة صفراء فاقع لونها قال ابن عباس شديدة الصفرة وقيل لونها
صاف وقيل الصفراء السوداء والاول اصح لانه يقال اصفر فاقع واسود
حالك تسر الناظرين اي يعجبهم حسنها وصفاء لونها قالوا ادع لنا
ربك يبين لنا ما هي اي اسائمة هي ام عاملة ان البقر تشابه علينا اي
التبس واشتبه امرها علينا وانا ان شاء الله لمهتدون اي الى وصفها
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وايم الله لو لم يستثنوا لما تبينت لهم
اخر الدهر قال انه يقول انها بقرة لا ذلول اي ليست مذللة بالعمل
تثير الارض تقلبها للزراعة ولا تسقي الحرث اي ليست بسانية والسانية
هي التي تسقي الماء من البير لسقي الارض مسلمة اي بريئة من العيوب
لا شية فيها اي لا لون فيها غير لونها قالوا الان جئت بالحق اي بالبيان
التام الذي لا اشكال فيه فطلبوها فلم يجدوا بقرة بكمال وصفها الا
بقرة ذلك الفتى فاشتروها منه بملء مسكها ذهبا فذبحوها وما
كادوا يفعلون اي وما قاربوا ان يفعلوا لما اخروه قيل لغلاء ثمنها
وقيل لخوف الفضيحة وقيل لعزة وجودها بهذه الاوصاف جميعا

[illegible]

قوله عز وجل **وإذ قتلتم نفسا** خوطبت الجماعة لوجود القتيل فيهم **فادارأتم**
فيها قال ابن عباس اي اختلفتم واختصمتم من الدرء وهو الدفع لان المتخاصمين
يدفع بعضهم بعضا **والله مخرج ما كنتم تكتمون** اي مظهر ما كتمتم
من امر القتيل لا محالة ولا يتركه مكتوما **فقلنا اضربوه** يعني القتيل
ببعضها اي ببعض البقرة قال ابن عباس ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف
وهو اصل الاذن وقيل ضربوه بلسانها وقيل بعجب الذنب وقيل بفخذها
اليمنى والاقرب انهم كانوا مخيرين في ذلك البعض وانهم اذا ضربوه
باي جزء منها اجزا وحصل المقصود ولانه ليس في القران ما يدل على
ذلك البعض ما هو وذلك يقتضي التخيير وفي الاية اضمار تقديره
فضربوه فحيي وقام باذن الله تعالى واوداجه تشخب دما وقال
قتلني فلان يعني ابن عمه ثم سقط ميتا مكانه فحرم قاتله الميراث
وفي الخبر ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة **كذلك** اي كما احيى الله عاميل
صاحب البقرة **يحيي الله الموتى** يعني يوم القيمة **ويريكم اياته لعلكم**
تعقلون اي تمنعون انفسكم عن المعاصي فان قلت كان حق هذه القصة
ان يقدم ذكر القتيل اولا ثم يذكر ذبح البقرة بعد ذلك فما وجه
ترتيب هذه القصة على هذا الترتيب قلت وجهه ان الله
تعالى لما ذكر من قصص بني اسرائيل وما وجد من جناياتهم تقريعا
على ذلك وما وجد فيهم من الايات العظيمة وهاتان قصتان كل واحدة
منها مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين
في نفس الامر فالاولى لتقريعهم على ترك المسارعة الى امتثال الامر
وما يتبعه والثانية لتقريعهم على قتل النفس المحرمة فلو قدم
ذكر قصة القتيل على قصة الذبح لكانت قصة واحدة ولذهب
الغرض من تثنية التقريع فلهذا قدم ذكر الذبح اولا ثم
عقبه بذكر القتيل فان قلت ما فائدة ضرب القتيل ببعض
البقرة والله تعالى قادر على ان يحييه ابتداء من غير ضرب بشي تلك



الغاية فيه ان تكون الحجة اوكد وعن الحيلة ابعد لاحتمال ان يتوهم متوهم
ان موسى انما احياه بضرب من السحر او الحيلة فاذا احيى القتيل عند ما ضرب
ببعض البقرة انتفت الشبهة وعلم ان ذلك من عند الله وبامره كان ذلك
فان قلت هلا امروا بذبح غير البقرة قلت الكلام في غير البقرة لو امروا
به كالكلام في البقرة ثم في ذبح البقرة فوائد منها التقرب بالقربان على
ما كانت العادة جارية عندهم ومنها ان هذا القربان كان عندهم
من اعظم القرابين ومنها تحمل المشقة العظيمة في تحصيلها بتلك
الصفة ومنها حصول ذلك المال العظيم الذي اخذه صاحبها
في ثمنها والله سبحانه وتعالى اعلم **فصل** في حكم هذه المسألة في
شريعة الاسلام اذا وقعت وذلك انه اذا وجد قتيل في موضع
ولا يعرف قاتله فان كان ثم لوث على انسان ادعي به واللوث ان
يغلب على الظن صدق المدعي بان اجتمع جماعة في بيت او صحرا
ثم تفرقوا عن قتيل فيغلب على الظن ان القاتل فيهم او وجد
قتيل في محلة او قرية وكلهم اعداء للقتيل لا يخالطهم غيرهم
فيغلب على الظن انهم قتلوه فان ادعى الولي على بعضهم حلف خمسين
يمينا على من يدعي عليه وان كان الاوليا جماعة توزع الايمان عليهم
فاذا حلفوا اخذوا الدية من عاقلة المدعى عليه ان ادعوا قتل
خطا وان ادعوا قتل عمد فمن مال المدعى عليه ولا قود عليه في قول
الاكثرين وذهب عمر بن عبد العزيز الى وجوب القود وبه قال
مالك واحمد فان لم يكن ثم لوث فالقول قول المدعى عليه لان
الاصل براءة ذمته من القتل وهل يحلف يمينا واحدة ام خمسين
يمينا فيه قولان احدهما انه يحلف يمينا واحدة كما في سائر الدعاوي
والثاني يحلف خمسين يمينا تغليظا لامر القتل وعند ابي حنيفة
لا حكم للوث ولا يبدأ بيمين المدعي بل اذا وجد قتيل في محلة يختار
الامام خمسين رجلا من صلحاء اهلها فيحلفهم انهم ما قتلوه ولا

بعد قوله فان لا فان حلفوا والا اخذوا الدية من سكانها والدليل
على ان البداية بيمين المدعي عند وجود اللوث ما روي عن سهل
ابن ابي حثمة قال انطلق عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود
الى خيبر وهي يومئذ صلح فتفرقا فاتى محيصة الى عبد الله بن سهل
وهو يتشحط في دمه قتيلا فدفنه ثم قدم المدينة فانطلق
عبد الرحمن بن سهل ومحيصة وحويصة ابنا مسعود الى النبي
صلى الله عليه وسلم فذهب عبد الرحمن يتكلم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كبر كبر وهو احدث القوم سنا فسكت
فتكلما فقال اتحلفون وتستحقون قاتلكم او قال صاحبكم قالوا
كيف نحلف ولم نشهد ولم نر قال فتبريكم يهود بايمان خمسين
منهم قالوا كيف ناخذ بايمان قوم كفار فعقله النبي صلى الله
عليه وسلم من عنده وفي رواية يقسم خمسون منكم على رجل منهم
فيدفع برمته وذكر نحوه وزاد في رواية فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يبطل دمه فوداه بماية من ابل الصدقة اخرجاه في الصحيحين
وجه الدليل من هذا الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم بدا بايمان
المدعين ليتقوى جانبهم باللوث لان اليمين ابدا تكون لمن يقوى جانبه
وعند عدم اللوث يكون من جانب المدعى عليه من حيث ان الاصل
براة ذمته فكان القول قوله مع يمينه والله اعلم قوله تعالى
ثم قست قلوبكم اي يبست وجفت وقساوة القلب انتزاع الرحمة
منه وقيل معناه غلظت واسودت من بعد ذلك اي من بعد ظهور
الدلالات التي جا بها موسى وقيل هو اشارة الى احيا القتيل بعد
ضربه ببعض البقرة فهي يعني القلوب كالحجارة اي كالشي الصلب الذي
لا تخلخل فيه او اشد قسوة قيل او بمعنى بل وقيل بمعنى الواو
اي واشد قسوة فان قلت لم شبه قلوبهم بالحجارة ولم يشبهها
بالحديد وهو اشد من الحجارة واصلب قلت لان الحديد قابل اللين

بالنار



بالنار وقد لان لداود عليه السلام والحجارة ليست قابلة للين فلا تلين
قط ثم فضل الحجارة على القلب القاسي فقال وان من الحجارة لما يتفجر
منه الانهار قيل اراد به جميع الحجارة وقيل اراد به الحجر الذي كان يضرب
عليه موسى ليسقي الاسباط والتفجير التفتح بالسعة والكثرة وان منها
لما يشقق فيخرج منه الماء يعني العيون الصغار التي هي دون الانهار
وان منها لما يهبط من خشية الله اي ينزل من اعلا الجبل الى اسفله
وخشيتها عبارة عن انقيادها لامر الله تعالى وانها لا تمتنع عما يريد
منها وقلوبكم يا معشر اليهود لا تلين ولا تخشع فان قلت الحجر جماد لا يعقل
ولا يفهم فكيف يخشى قلت ان الله قادر على افهام الحجر والجماد فتعقل وتخشى
بالهامه لها ومذهب اهل السنة ان لله تعالى في الجمادات والحيوانات
علما وحكمة لا يقف عليه غيره فلها صلاة وتسبيح وخشية يدل عليه
قوله وان من شي الا يسبح بحمده وقال تعالى والطير صافات كل قد علم صلاته
وتسبيحه فيجب على المرء الايمان به ويكل علمه الى الله تعالى م عن جابر بن سمرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم
علي قبل ان ابعث واني لاعرفه الان عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها
فما استقبله شجر ولا جبل الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله
اخرجه الترمذي وقال حديث غريب خ عن جابر بن عبد الله قال كان في مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم جذع في قبلته يقوم اليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم في خطبته فلما وضع له المنبر سمعنا للجذع مثل اصوات
العشار حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه وفي رواية
صاحت النخلة صياح الصبي فنزل النبي صلى الله عليه وسلم حتى اخذها
فضمها اليه فجعلت تئن انين الصبي الذي يسكت حتى استقرت قال
بكت على ما كانت تسمع من الذكر قال مجاهد ما ينزل حجر من اعلا الى اسفل
الا من خشية الله وذلك يشهد لما قلنا وما الله بغافل عما تعملون

فيه وعيد وتهديد والمعنى ان الله بالمرصاد لهولاء القاسية قلوبهم
وحافظ لاعمالهم حتى يجازيهم بها في الاخرة قوله عز وجل **أفتطمعون**
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لانه هو الداعي الى الايمان وانما ذكره بلفظ
الجمع تعظيما له وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لانهم
كانوا يدعونهم الى الايمان ايضا ومعنى افتطمعون افترجون **ان يؤمنوا لكم**
اي يصدقكم اليهود بما تخبرونهم وقيل معناه افتطمعون ان يؤمنوا لكم
مع انهم لم يؤمنوا بموسى عليه السلام وكان هو السبب في خلاصهم من
الذل وظهور المعجزات على يده **وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله** قيل
المراد بالفريق هم الذين كانوا مع موسى يوم الميقات وهم الذين سمعوا كلام الله
تعالى وقيل المراد بهم الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو
الاقرب لان الضمير راجع اليهم في افتطمعون ان يؤمنوا لكم فعلى هذا
يكون معنى يسمعون كلام الله يعني التوراة لانه يصح ان يقال لمن يسمع
التوراة يسمع كلام الله **ثم يحرفونه** اي يغيرون كلام الله ويبدلونه فمن
فسر الفريق الذين يسمعون كلام الله بالفريق الذين كانوا مع موسى
استدل بقول ابن عباس انها نزلت في السبعين الذين اختارهم
موسى لميقات ربه وذلك انهم لما رجعوا الى قومهم بعد ما سمعوا كلام
الله اما الصادقون منهم فادوا كما سمعوا وقالت طائفة منهم سمعنا
الله يقول في اخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا فافعلوا وان شئتم
فلا تفعلوا فكان هذا تحريفهم ومن فسر الفريق الذين يسمعون كلام الله
بالذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان تحريفهم وتبديلهم
صفة النبي صلى الله عليه وسلم واية الرجم من التوراة **من بعد ما عقلوه**
اي علموا صحة كلام الله تعالى ومراده فيه ثم بعد ذلك خالفوه **وهم يعلمون**
اي فساد مخالفته ويعلمون ايضا انهم كاذبون قوله تعالى **واذا لقوا**
الذين امنوا قالوا امنا نزلت في اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ابن عباس ان منافقي اليهود كانوا اذا لقوا الصحابة من رسول الله

صلى الله



صلى الله عليه وسلم قالوا لهم امنا بالذي امنتم به وان صاحبكم صادق
وقوله حق وانا نجد نعته وصفته في كتابنا **واذا خلا بعضهم الى بعض**
يعني كعب بن الاشرف وكعب بن اسد ووهب بن يهودا ورؤسا اليهود
لاموا منافقي اليهود على ذلك **قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم** يعني
قضى الله عليكم في كتابكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق وقوله
صدق **ليحاجوكم به** اي ليخاصموكم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويحتجوا
عليكم بقولكم فيقولون لكم قد اقررتم انه نبي حق في كتابكم ثم لا تتبعونه
وذلك ان اليهود قالوا لاهل المدينة حين شاوروهم في اتباع محمد صلى
الله عليه وسلم امنوا به فانه نبي حق ثم لام بعضهم بعضا وقالوا اتحدثونهم
بما فتح الله عليكم لتكون لهم الحجة عليكم **عند ربكم** اي في الدنيا والاخرة
وقيل هو قول بني قريظة بعضهم لبعض حين قال لهم النبي صلى الله عليه
وسلم يا اخوان القردة والخنازير قالوا من اخبر محمدا بهذا ما خرج هذا
الا منكم وقيل ان اليهود اخبروا المؤمنين بما عذبهم الله به على الجنايات
فقال بعضهم لبعض اتحدثونهم بما قضى الله عليكم من العذاب ليعيروا
الكرامة لانفسهم عليكم عند الله **افلا تعقلون** ان ذلك لا يليق بما انتم عليه
اولا يعلمون يعني اليهود **ان الله يعلم ما يسرون** اي ما يخفون **وما يعلنون**
اي ما يبدون ويظهرون قوله عز وجل **ومنهم** اي اليهود **اميون** اي
لا يحسنون الكتابة ولا القراءة جمع امي وهو المنسوب الى امه كانه باق
على ما انفصل من الام لم يتعلم كتابة ولا قراءة **لا يعلمون الكتاب**
الا اماني جمع امنية وهي التلاوة ومنه قول الشاعر

تمنى كتاب الله اول ليله ... تمني داود الزبور على رسل

اي تلا كتاب الله وقال ابن عباس معناه غير عارفين بمعاني كتاب الله
تعالى وقيل الاماني الاحاديث الكاذبة المختلقة وهي الاشياء التي
كتبها علماؤهم من عند انفسهم واضافوها الى الله وذلك من تغيير
نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته وغير ذلك وقيل هو من التمني

وهو قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة وغير ذلك مما تمنوه فعلى
هذا يكون المعنى لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون اشياء لا تحصل لهم وان هم
الا يظنون اي ليسوا على يقين فويل الويل كلمة تقولها العرب لكل من
وقع في هلكة واصلها في اللغة العذاب والهلاك وقال ابن عباس
الويل شدة العذاب وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ
قعره اخرجه الترمذي وقال حديث غريب الخريف سنة للذين يكتبون
الكتاب بايديهم تاكيد للكتابة لانه يحتمل ان يامر غيره بان يكتب
فقال بايديهم والمراد بالذين يكتبون الكتاب اليهود وذلك ان رؤساء
اليهود خافوا ذهاب ماكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي صلى الله عليه
وسلم المدينة فاحتالوا في تعويق سفلتهم عن الايمان به فعمدوا الى
صفته في التوراة فغيروها وكانت صفته فيها حسن الوجه حسن
الشعر اكحل العين ربعة فغيروا ذلك وكتبوا مكانه طوال ازرق
العين سبط الشعر فكان اذا سالهم سفلتهم عن صفته قرؤا عليهم ما كتبوا
ثم يقولون هذا من عند الله يعني هذه الصفة التي كتبوها فاذا نظروا
الى النبي صلى الله عليه وسلم والى تلك الصفة فيجدونه مخالفا لها
فيكذبونه ويقولون انه ليس به ليشتروا به بما كتبوا ثمنا قليلا اي المآكل
اي المآكل والرشى التي كانوا ياخذونها من سفلتهم قال الله تعالى فويل لهم
مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون قوله تعالى وقالوا اي اليهود
لن تمسنا اي لن تصيبنا النار الا اياما معدودة اي قدرا مقدرا
ثم يزول عنا العذاب قال ابن عباس قالت اليهود مدة الدنيا سبعة
الاف سنة وانما نعذب بكل الف سنة يوما ثم ينقطع عنا العذاب بعد
سبعة ايام وقيل انهم عنوا بالايام الاربعين يوما التي عبدوا فيها
العجل وقيل ان اليهود زعموا ان الله تعالى عتب عليهم في امر فاقسم
ليعذبنا اربعين يوما تحلة القسم فقال الله تعالى ردا عليهم وتكذيبا

لهم قل اي يا محمد قل لليهود اتخذتم عند الله عهدا يعني موثقا
ان لا يعذبكم الا هذه المدة فلن يخلف الله عهده اي وعده ام تقولون
على الله ما لا تعلمون بلى اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله
لن تمسنا والمعنى بلى تمسكم النار ابدا من كسب سيئة السيئة
اسم يتناول جميع المعاصي كبيرة كانت او صغيرة والسيئة هنا
الشرك في قول ابن عباس واحاطت به خطيئته اي احدقت به من جميع
جوانبه قال ابن عباس هي الشرك يموت عليه صاحبه وقيل احاطت به
اي اهلكته خطيئته واحبطت ثواب طاعته فعلى مذهب اهل السنة
يتعين تفسير السيئة والخطيئة في هذه الاية بالكفر والشرك
لقوله فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون فان الخلود في النار
انما هو للكفار والمشركين والذين امنوا وعملوا الصالحات فان العمل
الصالح خارج عن اسم الايمان لانه تعالى قال والذين امنوا وعملوا الصالحات
فلو دل الايمان على العمل الصالح لكان ذكر العمل الصالح بعد الايمان
تكرارا قلت اجاب بعضهم بان الايمان وان كان يدخل فيه جميع الاعمال
الصالحة الا ان قوله امنوا لا يفيد الا انه فعل فعلا واحدا من اعمال
الايمان فلهذا حسن ان يقول والذين امنوا وعملوا الصالحات وقيل
ان قوله امنوا يفيد الماضي وعملوا الصالحات يفيد المستقبل فكانه
تعالى قال امنوا اولا ثم داموا عليه اخرا ويدخل فيه جميع الاعمال الصالحة
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل
يعني في التوراة والميثاق العهد الشديد لا تعبدون الا الله اي امر الله
تعالى بعبادته فيدخل تحته النهي عن عبادة غيره لان الله تعالى هو المستحق
للعبادة لا غيره وبالوالدين احسانا اي برا بهما ورحمة لهما ونزولا عند
امرهما فيما لا يخالف امر الله تعالى ويوصل اليهما ما يحتاجان اليه ولا يؤذيهما
[illegible] وان كانا كافرين بل يجب عليه الاحسان اليهما ومن الاحسان اليهما
ان يدعوهما الى الايمان بالرفق واللين وكذا ان كانا فاسقين يامرهما

بالمعروف بالرفق واللين من غير عنف وانما عطف بر الوالدين على
الامر بعبادته لان شكر المنعم واجب ولله على عبده اعظم النعم لانه
هو الذي خلقه واوجده بعد العدم فيجب تقديم شكره على
شكر غيره ثم ان للوالدين على الولد نعمة عظيمة لانهما السبب
في كون الولد ووجوده ثم ان لهما عليه حق التربية ايضا فيجب
شكرهما ثانيا وذي القربى اي القرابة لان حق القرابة تابع لحق الوالدين
والاحسان اليهم انما هو بواسطة الوالدين فلهذا احسن عطف القرابة
على الوالدين واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه وهو طفل فاذا بلغ
الحلم زال عنه اليتم ويجب رعاية حقوق اليتيم لثلاثة امور لصغره
ويتمه ولخلوه عمن يقوم بمصلحته اذ لا يقدر ان ينتفع بنفسه
ولا يقوم بحوايجه والمساكين جمع مسكين وسياتي بيانه ان شاء الله
تعالى وانما تاخرت درجة المساكين عن اليتامى لانه قد يمكن ان ينتفع
بنفسه وينفع غيره بالخدمة وقولوا للناس حسنا فيه وجهان
احدهما انه خطاب للحاضرين من اليهود في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا
عدل من الغيبة الى الحضور والمعنى قولوا حقا وصدقا في شان محمد صلى
الله عليه وسلم فمن سالكم عنه فاصدقوه وبينوا صفته ولا تكتموه قاله
ابن عباس الوجه الثاني ان المخاطبين به هم الذين كانوا في زمن موسى صلى
الله عليه وسلم واخذ عليهم الميثاق وانما عدل من الغيبة الى الحضور على
طريق الالتفات كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقيل
فيه حذف تقديره وقلنا لهم في الميثاق وقولوا للناس حسنا ومعناه
امروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر وقيل هو اللين في القول والعشرة وحسن
الخلق واقيموا الصلوة واتوا الزكوة ولما امرهم الله تعالى بهذه التكاليف
الثمانية لتكون لهم المنزلة عنده بما التزموا به اخبر عنهم انهم ما وفوا بذلك
بقوله تعالى ثم توليتم اي اعرضتم عن العهد الا قليلا منكم يعني الذين
امنوا منهم كعبد الله بن سلام واصحابه فانهم وفوا بالعهد وانتم معرضون

ايكاعراض

اي كاعراض ابائكم قوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم قيل هو خطاب لمن كان
في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود وقيل هو خطاب لابائهم وفيه
تقريع لهم لا تسفكون دماءكم اي لا تهرقون دماءكم اي لا يسفك بعضكم
دم بعض وقيل معناه لا تسفكوا دماء غيركم فكانكم انتم تسفكون دماء
انفسكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم اي لا يخرج بعضكم بعضا من
داره وقيل لا تفعلوا اشيا تخرجون بسببه من دياركم ثم اقررتم
اي بهذا العهد انه حق وانتم تشهدون يعني انتم يا معشر اليهود اليوم
تشهدون على ذلك ثم انتم هؤلاء يعني يا هؤلاء اليهود تقتلون انفسكم
اي يقتل بعضكم بعضا وتخرجون فريقا منكم من ديارهم اي يخرج بعضكم
بعضا من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان اي تتعاونون
عليهم بالمعصية والظلم وان ياتوكم اسارى جمع اسير تفدوهم وهو محرم
عليكم اخراجهم اي بالمال وهو استنقاذهم بالشراء وتردونهم
اي تبادلوهم وهو مفاداة الاسير بالاسير ومعنى الاية ان الله تعالى
اخذ على بني اسرائيل في التوراة ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم
بعضا من ديارهم وايما عبد او امة من بني اسرائيل وجدتموه فاشتروه
بما قام من ثمنه واعتقوه وكانت قريظة حلفاء الاوس والنضير حلفاء
الخزرج وكان بين الاوس والخزرج حروب فكانت بنو النضير تقاتل
مع حلفائهم وبنو قريظة تقاتل مع حلفائهم فاذا غلب احد الفريقين
اخرجوهم من ديارهم واخربوها وكان اذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له
مالا يفدونه به فعيرتهم العرب وقالوا كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم
فقالوا انما امرنا ان نفديهم فقالوا كيف تقاتلونهم فقالوا انا نستحيي
ان يستذل حلفاؤنا فعيرهم الله تعالى فقال ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم
وفي الاية تقديم وتاخير تقديره وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون
عليهم بالاثم والعدوان وهو محرم عليكم اخراجهم وان ياتوكم اسارى تفدوهم
فكان الله تعالى اخذ عليهم اربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك

ترك المظاهرة

المظاهرة مع اعدآيهم وفك اسرائهم فاعرضوا عن الكل الا الفدا قال الله تعالى
افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض معناه ان وجدتموه في يد غيركم
فديتموه وانتم تقتلونهم بايديكم فكان ايمانهم الفدا وكفرهم قتل بعضهم
بعضا فذمهم على مناقضة افعالهم لا على الفدا لانهم اتوا ببعض ما وجب
عليهم وتركوا البعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم يعني يا معشر اليهود الا
خزي في الحيوة الدنيا اي عذاب وهوان فكان خزي بني قريظة القتل
والسبي وخزي بني النضير الاجلا والنفي من منازلهم الى اريحا واذرعات
من ارض الشام ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب يعني عذاب النار
وما الله بغافل عما يعملون فيه وعيد وتهديد عظيم اولئك الذين اشتروا
الحيوة الدنيا بالاخرة لان الجمع بين لذات الدنيا والاخرة غير ممكن فمن اشتغل
بتحصيل لذات الدنيا فاتته لذات الاخرة فلا يخفف عنهم العذاب اي فلا يهون
عليهم ولا هم ينصرون اي ولا يمنعون من عذاب الله تعالى قوله عز وجل ولقد
آتينا اي اعطينا موسى الكتاب يعني التوراة جملة واحدة وقفينا اي واتبعنا
من التقفية وهو ان يتبع اثر الاخر من بعده اي من بعد موسى بالرسل يعني
يعني رسولا بعد رسول وكانت الرسل من بعد موسى الى زمن عيسى عليهما السلام
متواترة يظهر بعضهم في اثر بعض والشريعة واحدة قيل ان الرسل بعد
موسى يوشع بن نون واشمويل وداود وسليمان وارميا وحزقيل والياس
ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وكانوا يعملون ويحكمون بشريعة موسى الى ان
بعث الله تعالى عيسى عليه السلام فجاءهم بشريعة جديدة وغير بعض احكام
التوراة فذلك قوله تعالى وآتينا عيسى ابن مريم البينات اي الدلالات الواضحات
وهي المعجزات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وقيل هي الانجيل واسم عيسى
بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل هو اسم [illegible] الرجال
وايدناه اي وقويناه بروح القدس قيل اراد بالروح الذي نفخ فيه [illegible]
هو الله تعالى واضاف روح عيسى [illegible] تشريفا وتكريما [illegible]
عبد الله وامة الله وبيت الله وناقة الله وقال ابن عباس هو [illegible]

الذي



الذي كان عيسى يحيي به الموتى وقيل هو الانجيل لانه به حياة القلوب سماه
روحا كما سمى القران روحا وقيل هو جبريل ووصف بالقدس وهو الطهارة
لانه لم يقترف ذنبا قط وقيل القدس هو الله تعالى والروح جبريل كما تقول
عبد الله سمي جبريل روحا للطافته لانه روحاني خلق من النور وقيل سمي
روحا لكونه من الوحي الذي هو سبب حياة القلوب وحمل روح القدس
هنا على جبريل اولى لانه تعالى قال وايدناه بروح القدس اي قويناه بجبريل
وذلك انه امر ان يكون مع عيسى ويسير معه حيث سار فلم يفارقه حتى
صعد به الى السما فلما سمعت اليهود بذكر عيسى قالوا يا محمد لا مثل عيسى
كما تزعم عملت ولا كما تقص علينا من اخبار الانبيا فعلت فاتنا بما اتى به
عيسى ان كنت صادقا قال الله تعالى افكلما جاءكم يعني يا معشر اليهود رسول
بما لا تهوى انفسكم استكبرتم اي تعظمتم عن الايمان به ففريقا كذبتم
يعني مثل عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وفريقا تقتلون يعني مثل زكريا
ويحيى وساير من قتلوه وذلك ان اليهود كانوا اذا جاءهم رسول بما لا تهوى
انفسهم كذبوه فان تهيا لهم قتله قتلوه وانما كانوا كذلك لارادتهم
الدنيا وطلب الرياسة فيها وقالوا يعني اليهود قلوبنا غلف جمع اغلف
وهو الذي عليه غشاوة فلا يعي ولا يفقه قال ابن عباس غلف بضم اللام
جمع غلاف والمعنى ان قلوبنا اوعية للعلم فلا تحتاج الى علمك وقيل
اوعية من الوحي اي لا نسمع حديثا الا وعيته الا حديثك فانها لا تفقهه
ولا تعقله ولو كان خيرا لفقهته ووعته قال الله تعالى بل لعنهم الله
بكفرهم اي طردهم وابعدهم من كل خير وسبب كفرهم انهم اعترفوا بنبوة
محمد صلى الله عليه وسلم ثم انهم انكروه وجحدوه فلهذا لعنهم الله
فقليلا ما يؤمنون اي لم يؤمن منهم الا قليل لان من آمن من المشركين
اكثر من اليهود قوله تعالى ولما جاءهم كتاب من عند الله يعني القرآن
[illegible] مصدق لما معهم يعني التوراة [illegible] في صحة نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم لان نعته وصفته ثابتة في التوراة وكانوا يعني

يستفتحون

اليهود من قبل اي من قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يستفتحون اي
يستنصرون به على الذين كفروا يعني مشركي العرب وذلك انهم كانوا اذا
حزبهم امر او دهمهم عدو يقولون اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث
في اخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة فكانوا ينصرون وكانوا يقولون
لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم
معه قتل عاد وارم فلما جاءهم ما عرفوا يعني الذي عرفوه يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم عرفوا نعته وصفته وانه من غير بني اسرائيل كفروا به
اي جحدوه وانكروه بغيا وحسدا فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا
به انفسهم اي بئس الشيء الذي اختاروه لانفسهم حين استبدلوا الباطل
بالحق واشتروا بمعنى باعوا والمعنى بئس ما باعوا به حظ انفسهم ان يكفروا
بما انزل الله يعني القران بغيا اي حسدا ان ينزل الله من فضله اي
الكتاب والنبوة على من يشاء من عباده يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
فباءو اي رجعوا بغضب على غضب اي مع غضب قال ابن عباس الغضب
الاول بتضييعهم التوراة وتبديلها والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
والقران وقيل الاول بكفرهم بعيسى والانجيل والثاني بمحمد صلى الله عليه وسلم
والقران وقيل بعبادتهم العجل والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وللكافرين
يعني الجاحدين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم عذاب مهين
اي يهانون به واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله يعني بالقران وقيل بكل
ما انزل الله على انبيائه قالوا نؤمن بما انزل علينا يعني بالتوراة وما انزل
على انبيائهم ويكفرون بما وراءه اي بما سواه من الكتب وقيل بما بعده يعني
الانجيل والقران وهو الحق يعني القران مصدقا لما معهم يعني التوراة
قل يا محمد فلم تقتلون انبياء الله من قبل انما اضاف القتل الى المخاطبين
من اليهود وان كان سلفهم قتلوهم لانهم رضوا بفعلهم وقيل اذا عملت
المعصية في الارض فمن كرهها وانكرها برئ منها ومن رضيها كان كمن عملها
ان كنتم مؤمنين اي بالتوراة وقد نهيتم فيه عن قتل الانبياء وقيل [illegible]

ولقد

ولقد جاءكم موسى بالبينات اي بالدلالات الواضحة والمعجزات الباهرة
ثم اتخذتم العجل من بعده اي من بعد موسى لما ذهب الى الميقات
وانتم ظالمون انما كرره تبكيتا لهم وتاكيدا للحجة عليهم واذ اخذنا
ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا
اي استجيبوا واطيعوا اي فيما امرتم به قالوا سمعنا يعني قولك وعصينا
يعني امرك وقيل انهم لم يقولوا هذا بالسنتهم ولكن لما سمعوه وتلقوه
تلقوه بالعصيان فنسب اليهم ذلك واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخل
حبه في قلوبهم والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ في الثوب وقيل
ان موسى امر ان يبرد العجل ويذر في النهر وامرهم ان يشربوا منه
فمن بقي في قلبه شيء من حب العجل ظهرت سحالة الذهب على شاربه قل
بئسما يامركم به ايمانكم اي بان تعبدوا العجل والمعنى بئس الايمان ايمان
يامر بعبادة العجل ان كنتم مؤمنين اي بزعمكم وذلك انهم قالوا نؤمن بما انزل
علينا فكذبهم الله تعالى بذلك قوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الاخرة
عند الله خالصة من دون الناس وذلك ان اليهود ادعوا دعاوى باطلة
منها قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقولهم نحن ابناء الله واحباؤه
فكذبهم الله تعالى والزمهم الحجة فقال قل يا محمد لليهود ان كانت لكم الدار الاخرة
يعني الجنة خالصة اي خاصة لكم من دون الناس فتمنوا الموت اي فاطلبوه
واسألوه لان من علم ان الجنة ماواه واشتاق اليها ولا سبيل الى دخولها
الا بعد الموت فاستعجله بالتمني ان كنتم صادقين اي في قولكم ودعواكم روى
ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو تمنوا الموت لغص كل انسان
بريقه وما بقي على وجه الارض يهودي الا مات قال الله تعالى ولن يتمنوه
ابدا اي لعلمهم انهم في دعواهم كاذبين بما قدمت ايديهم يعني من الاعمال
الخبيثة وانما اضاف العمل الى اليد لان اكثر جنايات الانسان تكون من يده
والله عليم بالظالمين فيه تخويف وتهديد لهم وانما خصهم بالظلم لانه اعم
من الكفر لان كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافرا فلهذا كان اعم وكان اولى بهم

ولتجدنهم اللام للقسم والنون للتوكيد تقديره والله لتجدنهم يا محمد [illegible]
اليهود احرص الناس على حياة اي حياة متطاولة والحرص اشد الطلب
ومن الذين اشركوا تبين هو متصل بما قبله ومعطوف عليه والمعنى واحرص
من الذين اشركوا فان قلت الذين اشركوا قد دخلوا تحت الناس في قوله
احرص الناس فلم افردهم بالذكر قلت افردهم بالذكر لشدة حرصهم وفيه
توبيخ عظيم لليهود لان الذين لا يومنون بالمعاد ولا يعرفون الا الحياة
الدنيا لا يستبعد حرصهم عليها فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو
مقر بالبعث والجزا كان حقيقا بالتوبيخ العظيم وقيل ان الواو واو استئناف
تقديره ومن الذين اشركوا اناس يود احدهم وهم المجوس سموا بذلك
لانهم يقولون بالنور والظلمة يود اي يتمنى احدهم لو يعمر الف سنة اي
تعمير الف سنة وانما خص الالف لانها نهاية العقود وقيل لانها تحية المجوس
فيما بينهم يقولون زه هزار سال اي عش الف سنة او الف نيروز او الف
مهرجان فهذه تحيتهم والمعنى ان اليهود احرص من المجوس الذين يقولون
ذلك وما هو بمزحزحه اي بمباعده من العذاب اي النار ان يعمر اي
عمر طول عمره لا ينقذه من العذاب والله بصير بما يعملون اي لا يخفى عليه
خافية من احوالهم قوله عز وجل قل من كان عدوا لجبريل قال ابن عباس
سبب نزول هذه الاية ان عبد الله بن صوريا حبر من احبار اليهود
قال للنبي صلى الله عليه وسلم اي ملك ياتيك من السما قال جبريل قال
ذاك عدونا ولو كان ميكائيل لامنا بك ان جبريل ينزل بالعذاب والشدة
والخسف وانه عادانا مرارا واشد ذلك علينا ان الله انزل على نبينا
ان بيت المقدس سيخرب على يد رجل يقال له بخت نصر فلما كان وقته
بعثنا من يقتله فلقيه [illegible]
عنه جبريل وقال ان كان الله امره بهلاككم فلن تسلط عليه [illegible]
هو وان يكن [illegible]
بيت المقدس [illegible]

ان الله امر ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا فاتخذناه عدوا وقيل
ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان له ارض باعلى المدينة وكان ممره اليها
على مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر ما في اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم احب الينا منك وانا لنطمع فيك فقال عمر والله
ما اتيتكم لحبكم ولا اسالكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة
في امر محمد صلى الله عليه وسلم وارى اثاره في كتابكم فقالوا من صاحب محمد
الذي ياتيه من الملائكة قال جبريل قالوا ذلك عدونا يطلع محمدا صلى الله
عليه وسلم على سرنا وهو صاحب كل عذاب وخسف وشدة وان ميكائيل
يجي بالخصب والسلامة فقال لهم تعرفون جبريل وتنكرون محمدا قالوا نعم
قال فاخبروني عن منزلة جبريل وميكائيل من الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه
وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر اشهد انه من كان عدوا
لاحدهما كان عدوا للاخر ومن كان عدوا لهما كان الله له عدوا ثم رجع عمر
الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقرا رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذه الايات وقال لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر والله لقد
رايتني بعد ذلك في دين الله اصلب من الحجر والاقرب ان سبب هذه العداوة
كون جبريل كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي لان قوله فانه نزله
على قلبك مشعر بذلك وقوله فانه نزله يعني جبريل نزل بالقران كناية عن
غير مذكور على قلبك يا محمد وانما خص القلب بالذكر لانه محل الحفظ باذن الله اي
بامره مصدقا اي موافقا لما بين يديه اي لما قبله من الكتب وهدى وبشرى
للمومنين اي في القران هداية للمومنين الى الاعمال الصالحة التي يترتب عليها
الثواب وبشرى لهم بثوابها اذا اتوا بها من كان عدوا لله وملائكته ورسله
وجبريل وميكال لما بين في الاية الاولى ان من كان عدوا لجبريل لاجل انه
نزل بالقران على قلب محمد صلى الله عليه وسلم بين في هذه الاية ان من كان
عدوا لاحد هولاء فانه عدو للجميع [illegible] ان الله عدو [illegible] بقوله
فان الله عدو للكافرين [illegible] لهم

تؤديهم الى العذاب الدائم الاليم الذي لا اضر واعظم منه وقيل المراد
من عداوتهم لله عداوة اوليائه واهل طاعته فهو كقوله انما جزاء
الذين يحاربون الله ورسوله اي يحاربون اولياء الله واهل طاعته
وقوله وملائكته ورسله يعني ان من عادى واحدا منهم لا دونه
عادى جميعهم ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بجميعهم وجبريل
وميكائيل انما خصهما بالذكر وان كانا داخلين في جملة الملائكة لبيان
شرفهما وفضلهما وعلو منزلتهما وقدم جبريل على ميكائيل لفضله
عليه ولان جبريل نزل بالوحي الذي هو غذاء الارواح وميكائيل ينزل
بالمطر الذي هو سبب غذاء الابدان وجبريل وميكائيل اسمان اعجميان
ومعناهما عبد الله وعبد الله لان جبر وميك بالسريانية هو العبد
وايل هو الله **ولقد انزلنا اليك آيات بينات** قال ابن عباس هو جواب
لابن صوريا حيث قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ما جئتنا بشيء
نعرفه وما انزل عليك آية بينة فنتبعك بها فانزل الله هذه
الآيات ومعنى بينات اي واضحات مفصلات بالحلال والحرام والحدود
والاحكام **وما يكفر بها** اي وما يجحد بهذه الآيات **الا الفاسقون**
اي الخارجون عن طاعتنا وما امروا به **او كلما عاهدوا عهدا** قال ابن
عباس لما ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخذ عليهم من العهد
في محمد صلى الله عليه وسلم وان يؤمنوا به قال مالك بن الصيف والله
ما عهد الينا في محمد صلى الله عليه وسلم عهدا فانزل الله هذه الآية
او كلما استفهام انكار عاهدوا عهدا اي هو قولهم انه قد اظل زمان
نبي مبعوث وانه في كتابنا وقيل انهم عاهدوا الله عهودا [illegible]
نقضها **نبذه** اي طرح العهد ونقضه **فريق منهم** [illegible]
بل اكثرهم لا يؤمنون يعني كفر فريق منهم بنقض العهد [illegible]
منهم بالجحد للحق **ولما جاءهم رسول من عند الله** يعني [illegible]
مصدق لما معهم يعني [illegible] التوراة [illegible]

وقيل



وقيل ان التوراة لما بشرت بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد صلى
الله عليه وسلم كان بمجرد مبعثه مصدقا للتوراة **نبذ فريق من**
الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم قيل اراد بالكتاب
القرآن وقيل التوراة وهو الاقرب لان النبذ لا يكون الا بعد التمسك
ولم يتمسكوا بالقرآن اما نبذهم للتوراة فانهم كانوا يقرؤونها ولا يعملون
بها وقيل انهم ادرجوها في الحرير وحلوها بالذهب ولم يعملوا بما فيها
كانهم لا يعلمون يعني انهم نبذوا كتاب الله ورفضوه عن علم به ومعرفة
وانما حملهم على ذلك عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وهم علماء اليهود
الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكتموا امره وكان اولئك النفر
قليل قوله تعالى **واتبعوا ما تتلوا الشياطين** يعني اليهود نبذوا
كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين ومعنى تتلو تقرا من التلاوة
وقيل معناه تفتري وتكذب **على ملك سليمان** وهو قولهم ان سليمان
ملك الناس بالسحر وقيل على ملك سليمان اي على عهده وزمانه والله اعلم
وقصة ذلك ان الشياطين كتبوا السحر والنيرنجات على
لسان آصف بن برخيا هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان الملك وكتبوا
ودفنوه تحت كرسيه وذلك حين نزع الله عنه الملك ولم يشعر بذلك
وقيل ان بني اسرائيل اشتغلوا بتعلم السحر في زمانه فمنعهم من
ذلك سليمان واخذ كتبهم ودفنها تحت سريره فلما مات استخرجها
الشياطين وقالوا للناس انما ملككم سليمان بهذا فتعلموه فاما صلحاء
بني اسرائيل وعلماؤهم فانكروا ذلك وقالوا معاذ الله ان يكون هذا
العلم من علم سليمان واما السفلة منهم فقالوا هذا هو علم سليمان
واقبلوا على تعليمه ورفضوا كتب انبيائهم وفشت الملامة لسليمان
فلم تزل هذه حالهم الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وانزل
عليه براءة سليمان عليه السلام فقال تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين
على ملك سليمان **وما كفر سليمان** يعني بالسحر ولم يعمل به وفيه تنزيه

تؤديهم إلى العذاب الدائم الأليم الذي لا ضرر أعظم منه وقيل المراد
من عداوتهم لله عداوة أوليائه واشتراطا عنه فهو كقوله إنما جزاء
الذين يحاربون الله ورسوله أي يحاربون أولياء الله وأهل طاعته
وقوله وملائكته ورسله يعني أن من عادى واحدا منهم فكأنما
عادى جميعهم ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بجميعهم وجبريل
وميكائيل إنما خصهما بالذكر وإن كانا داخلين في جملة الملائكة لبيان
شرفهما وفضلهما وعلو منزلتهما وقدم جبريل على ميكائيل لفضله
عليه ولأن جبريل نزل بالوحي الذي هو غذاء الأرواح وميكائيل نزل
بالمطر الذي هو سبب غذاء الأبدان وجبريل وميكائيل اسمان أعجميان
ومعناهما عبد الله وعبد الله لأن جبر وميك بالسريانية هو العبد
وايل هو الله **ولقد أنزلنا إليك آيات بينات** قال ابن عباس هو جواب
لابن صوريا حيث قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ما جئتنا بشيء
نعرفه وما أنزل عليك آية بينة فنتبعك بها فأنزل الله هذه
الآيات ومعنى بينات أي واضحات مفصلات بالحلال والحرام والحدود
والأحكام **وما يكفر بها** أي وما يجحد بهذه الآيات **إلا الفاسقون**
أي الخارجون عن طاعتنا وما أمروا به **أوكلما عاهدوا عهدا** قال ابن
عباس لما ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخذ عليهم من العهد
في محمد صلى الله عليه وسلم وأن يؤمنوا به قال مالك بن الصيف والله
ما عهد إلينا في محمد صلى الله عليه وسلم عهدا فأنزل الله هذه الآية
أوكلما استفهام إنكار عاهدوا عهدا أي هو قولهم إنه قد أظل زمان
نبي مبعوث وإنه في كتابنا وقيل إنهم عاهدوا الله عهودا [illegible]
نقضوها **نبذه** أي طرحه [illegible] ونقضه **فريق منهم** [illegible]
بل أكثرهم لا يؤمنون يعني كفر فريق منهم بنقض العهد [illegible]
منهم بالجحد للحق **ولما جاءهم رسول من عند الله** يعني [illegible]
مصدق لما معهم يعني [illegible] التوراة [illegible]

وقيل



وقيل إن التوراة قد بشرت بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد صلى
الله عليه وسلم كان بمجرد مبعثه مصدقا للتوراة **نبذ فريق من
الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم** قيل أراد بالكتاب
القرآن وقيل التوراة وهو الأقرب لأن النبذ لا يكون إلا بعد التمسك
ولم يتمسكوا بالقرآن إنما نبذهم للتوراة فإنهم كانوا يقرؤونها ولا يعملون
بها وقيل إنهم أدرجوها في الحرير وحلوها بالذهب ولم يعملوا بما فيها
كأنهم لا يعلمون يعني أنهم نبذوا كتاب الله ورفضوه عن علم به ومعرفة
وإنما حملهم على ذلك عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وهم علماء اليهود
الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكتموا أمره وكان أولئك النفر
قليل قوله تعالى **واتبعوا ما تتلوا الشياطين** يعني اليهود نبذوا
كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين ومعنى تتلوا تقرأ من التلاوة
وقيل معناه تفتري وتكذب **على ملك سليمان** وهو قولهم إن سليمان
ملك الناس بالسحر وقيل على ملك سليمان أي على عهده وزمانه والله أعلم
وقصة ذلك أن الشياطين كتبوا السحر والنيرنجات على
لسان آصف بن برخيا هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان الملك وكتبوا
ودفنوه تحت كرسيه وذلك حين نزع الله عنه الملك ولم يشعر بذلك
وقيل إن بني إسرائيل اشتغلوا بتعلم السحر في زمانه فمنعهم من
ذلك سليمان وأخذ كتبه ودفنها تحت سريره فلما مات استخرجها
الشياطين وقالوا للناس إنما ملككم سليمان بهذا فتعلموه فأما صلحاء
بني إسرائيل وعلماؤهم فأنكروا ذلك وقالوا معاذ الله أن يكون هذا
العلم من علم سليمان وأما السفلة منهم فقالوا هذا هو علم سليمان
وأقبلوا على تعلمه وتركوا كتب أنبيائهم وفشت الملامة لسليمان
فلم تزل هذه حالهم إلى أن بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل
عليه براءة سليمان عليه السلام فقال تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين
على ملك سليمان **وما كفر سليمان** [illegible] بالسحر ولم يعمل به وفيه تنزيه

سليمان عن السحر وذلك ان اليهود انكروا نبوة سليمان وقالوا انما حصل
له هذا الملك وسخرت له الجن والانس بسبب السحر وقيل ان اليهود من
اليهود زعموا انهم اخذوا السحر عن سليمان فبرأه الله عن ذلك وقيل
ان بعض احبار اليهود قال الا تعجبون من محمد يزعم ان سليمان كان
نبيا وما كان الا ساحرا فانزل الله وما كفر سليمان يعني ان كون سليمان
نبيا ينافي كونه ساحرا كافرا ثم بين تعالى الذي براه منه لاحق بغيره
فقال **ولكن الشياطين كفروا** يعني ان الذين اتخذوا السحر لانفسهم
هم الذين كفروا ثم بين سبب كفرهم فقال تعالى **يعلمون الناس السحر**
يعني ما كتب لهم الشياطين من كتب السحر وقيل يحتمل ان يكون يعلمون
يعني اليهود الذين عنوا بقوله واتبعوا وسمي السحر سحرا لخفاء سببه ولانه
يفعل في خفية وقيل معنى السحر الازالة وصرف الشيء عن وجهه تقول
العرب ما سحرك عن كذا اي ما صرفك عنه فكان الساحر لما ارى الباطل
في صورة الحق فقد سحر الشيء عن وجهه اي صرفه هذا اصله من حيث
اللغة واما حقيقته فقد قيل انه عبارة عن التمويه والتخييل
ومذهب اهل السنة ان له وجودا وحقيقة والعمل به كفر اذا اعتقد
ان الكواكب هي المؤثرة في قلب الاعيان وروي عن الشافعي انه قال السحر
يخيل ويمرض وقد يقتل حتى اوجب القصاص على من يقتل به وقيل
ان السحر يؤثر في قلب الاعيان فيجعل الانسان على صورة الحمار والحمار
على صورة الكلب وقد يطير الساحر في الهوى وهذا القول ضعيف عند
اهل السنة لانهم قالوا ان الله تعالى هو الخالق الفاعل لهذه الاشيا
عند عمل الساحر لذلك لا ان الساحر هو الفاعل لها المؤثر فيها
والاصح ان السحر يخيل ويؤثر في الابدان بالامراض والجنون والموت
ويدل على ذلك ان للكلام تاثيرا في الطباع فقد يسمع الانسان
ما يكره فيحم وقد مات قوم بكلام سمعوه والسحر بمنزلة العلل
في الابدان واما حكمه فانه من الكبائر التي نهي عنها ويحرم

لما روي

لما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا
السبع الموبقات قيل يا رسول وما هن قال الاشراك بالله
والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم والربا
والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات اخرجاه
في الصحيحين فعد رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر من الكبائر وثناه
بالشرك وامرنا باجتنابه وقوله الموبقات يعني المهلكات والسحر على
قسمين احدهما يكفر به صاحبه وهو ان يعتقد ان القدرة لنفسه في
ذلك وهو المؤثر او يعتقد ان الكواكب هي المؤثرة الفعالة فاذا انتهى به
السحر الى هذه الغاية صار كافرا بالله ويجب قتله لما روي عن جندب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حد الساحر ضربه بالسيف اخرجه
الترمذي والقسم الثاني من السحر وهو التخييل الذي يشاكل النيرنجات
والشعبذة ولا يعتقد صاحبه لنفسه فيه قدرة ولا ان الكواكب
هي المؤثرة ويعتقد ان القدرة لله تعالى وانه هو المؤثر فهذا القدر
لا يكفر به صاحبه ولكنه معصية وهي من الكبائر ويحرم فعله
فان قتل بسحره قتل قصاصا لما روي عن مالك انه بلغه ان حفصة
زوج النبي صلى الله عليه وسلم قتلت جارية لها سحرتها وقد كانت دبرتها
فامرت بها فقتلت اخرجه في الموطا قوله عز وجل **وما انزل على
الملكين** اي ويعلمون الذي انزل على الملكين والانزال هنا بمعنى الالهام
والتعليم اي ما الهما وعلما وقرئ في الشاذ الملكين بكسر اللام فانهما رجلان
ساحران كانا ببابل وقيل علجان ووجهه ان الملائكة لا يعلمون السحر
والقراءة المشهورة بفتح اللام فان قلت كيف يجوز ان يضاف الى الله
تعالى انزال ذلك على الملائكة وكيف يجوز للملائكة تعليم السحر قلت
قال ابن جرير الطبري ان الله تعالى عرف عباده جميع ما امرهم به
وجميع ما نهاهم عنه ثم امرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون
وينهون عنه ولو كان الامر على غير ذلك لما كان للامر والنهي معنى

بانه

مفهوم والسحر مما نهى عباده من بني ادم عنه فغير منكر ان يكون الله
تعالى علمه الملكين اللذين سماهما في تنزيله وجعلهما فتنة لعباده
من بني ادم كما اخبر عنهما انهما يقولان لمن جا يتعلم ذلك منهما انما نحن فتنة
فلا تكفر ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن السحر وعن التفريق بين
المرء وزوجه فيتمحص المومن بتركه التعلم منهما ويخزي الكافر بتعلمه
السحر والكفر ويكون الملكين في تعليمهما ما علما من ذلك مطيعين لله
تعالى اذ كانا عن اذن الله تعالى لهما بتعليم ذلك وغير ضارهما سحر من سحر
ممن تعلم ذلك منهما بعد نهيهما اياه عنه بقولهما انما نحن فتنة فلا تكفر
اذ كانا قد اديا ما امرا به وقال غيره انهما لا يتعمدان ذلك بل يصفان
السحر ويذكران بطلانه ويامران باجتنابه فالشقي من ترك نصيحتهما
وتعلم السحر من وصفهما والسعيد من قبل نصحهما وترك تعلم
السحر منهما وقيل ان الله تعالى امتحن الناس بهما في ذلك الزمان
فالشقي من تعلم السحر منهما فيكفر به والسعيد من تركه فيبقى على ايمانه
ولله تعالى ان يمتحن عباده بما شا كما امتحن بني اسرائيل بنهر
طالوت بقوله فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني **ببابل**
قيل هي بابل العراق بارض الكوفة سميت بذلك لتبلبل الالسن
بها عند سقوط صرح نمرود وقيل انها بابل دنباوند والاول
اشهر **هاروت وماروت** اسمان سريانيان **وقصته الاية**
على ما ذكره ابن عباس وغيره قالوا ان الملائكة لما راوا ما يصعد الى السما
من اعمال بني ادم الخبيثة في زمن ادريس عليه السلام فعيروهم وقالوا
هولا الذين جعلتهم في الارض واخترتهم وهم يعصونك فقال الله عز
وجل لو انزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لركبتم مثل ما ركبوا
قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نعصيك قال الله تعالى فاختاروا
ملكين من خياركم اهبطهما الى الارض فاختاروا هاروت وماروت
وكانا من اصلح الملائكة واعبدهم وكان اسم هاروت عزا وماروت عزايا

فذكر انهما لما قارفا الذنب وركب الله فيهما الشهوة واهبطهما الى الارض
وامرهما ان يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك والقتل بغير
الحق والزنا وشرب الخمر فكانا يقضيان بين الناس يومهما فاذا امسيا
ذكرا اسم الله الاعظم وصعدا الى السما فما مر عليهما شهر حتى افتتنا
وقيل بل افتتنا في اول يوم وذلك انه اختصم اليهما امراة يقال لها
الزهرة وكانت من اجمل اهل فارس وقيل كانت ملكة فلما راياها
اخذت بقلوبهما فقال احدهما لصاحبه هل سقط في نفسك مثل الذي
سقط في نفسي قال نعم فراوداها عن نفسها فابت وانصرفت ثم عادت
في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك فابت وقالت لا الا ان تعبدا هذا
الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذه الاشيا
فان الله تعالى قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها
قدح خمر وفي انفسهما من الميل اليها ما فيها فراوداها عن نفسها فعرضت
عليهما ما قالت بالامس فقالا الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس
عظيم واهون الثلاثة شرب الخمر فشربا فلما انتشيا وقعا بالمراة فزنيا
بها فراهما انسان فقتلاه خوف الفضيحة وقيل انهما سجدا للصنم
وقيل جاءتهما امراة من احسن الناس تخاصم زوجها فقال احدهما للاخر
هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي قال نعم قال هل لك ان
نقضي لها على زوجها فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من العقوبة
والعذاب فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة
فسالاها نفسها فقالت لا الا ان تقضيا لي على زوجي فقضيا ثم سالاها
نفسها فقالت لا الا ان تقتلاه فقال احدهما لصاحبه اما تعلم ما عند الله
من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من العفو
والرحمة فقتلاه ثم سالاها نفسها فقالت لا الا ان لي صنما تعبدانه
ان انتما صليتما معي عنده فعلت فقال احدهما لصاحبه مثل القول
وسجود عليه مثل فصليا معها عنده فمسخت شهابا وقال علي بن ابي



طالب قالت لهما لن تدركاني حتى تخبراني بالذي تصعدان به الى السما فقالا
اسم الله الاكبر قالت فما انتما بمدركي حتى تعلماني اياه فقال احدهما
للاخر علمها فقال اني اخاف الله فقال الاخر فاين رحمة الله فعلماها
ذلك فتكلمت به وصعدت الى السما فمسخها الله كوكبا فذهب
بعضهم الى انها هي الزهرة بعينها وانكر اخرون هذا وقالوا ان الزهرة
من الكواكب السيارة السبعة التي اقسم الله بها فقال فلا اقسم بالخنس
الجوار الكنس والتي فتنت هاروت وماروت كانت امراة تسمى الزهرة لجمالها
وحسنها فلما بغت مسخها الله تعالى شهابا قالوا فلما امسى هاروت وماروت
بعدما قارفا الذنب هما بالصعود الى السما فلم تطاوعهما اجنحتهما
فعلما ما حل بهما فقصدا ادريس عليه السلام واخبراه بامرهما وسالاه
ان يشفع لهما الى الله عز وجل وقالا له راينا يصعد لك من العبادة
مثل ما يصعد لجميع اهل الارض فاشفع لنا الى ربك ففعل ذلك ادريس
فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة فاختارا عذاب الدنيا
اذ علما انه ينقطع فهما ببابل يعذبان قيل انهما معلقان بشعورهما
الى قيام الساعة وقيل انهما منكسان يضربان بسياط من الحديد وقيل
وقيل ان رجلا قصدهما ليتعلم السحر فوجدهما معلقين بارجلهما مزرقة
اعينهما مسودة وجوههما ليس بين السنتهما وبين الما الا قدر اربع اصابع
وهما يعذبان بالعطش فلما راى ذلك هاله فقال لا اله الا الله فلما
سمعا كلامه قالا له من انت قال رجل من الناس فقالا من اي امة انت
قال من امة محمد صلى الله عليه وسلم قالا او قد بعث محمد صلى الله عليه وسلم
قال نعم قالا الحمد لله واظهرا الاستبشار فقال الرجل مما استبشاركما
قالا انه نبي الساعة وقد دنا انقضا عذابنا والله اعلم

فصل

في القول بعصمة الملائكة

اجمع المسلمون على ان الملائكة [illegible] فضلا
واتفق ائمة المسلمين على ان حكم المرسلين من الملائكة حكم النبيين [illegible]
العصمة في باب البلاغ عن الله عز وجل وفي كل شي [illegible]



الانبيا فكذلك الملائكة وانهم مع الانبيا في التبليغ اليهم كالانبيا مع اممهم
ثم اختلفوا في غير المرسلين من الملائكة فذهب طائفة من المحققين
وجميع المعتزلة الى عصمة جميع الملائكة عن جميع الذنوب والمعاصي واحتجوا
على ذلك بوجوه سمعية وعقلية وذهب طائفة الى ان غير المرسلين
من الملائكة غير معصومين واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية
منها قصة هاروت وماروت عن علي كرم الله وجهه وما نقله اهل الاخبار والسير
ونقله ابن جرير الطبري في تفسيره عن جماعة من الصحابة والتابعين فنقل
قصة هاروت وماروت بالفاظ متقاربة عن علي بن ابي طالب وابن مسعود
وابن عباس وكعب الاحبار والسدي والربيع ومجاهد واجاب من ذهب
الى عصمة جميع الملائكة عن قصة هاروت وماروت بان ما نقله
المفسرون واهل الاخبار في ذلك لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ذلك شي وهذه الاخبار انما اخذت عن اليهود وقد علم افتراوهم
على الانبيا والملائكة وقد ذكر الله عز وجل في هذه الايات افترا اليهود
على سليمان عليه السلام اولا ثم عطف على ذلك قصة هاروت وماروت
ثانيا قالوا ومعنى الاية وما كفر سليمان يعني بالسحر الذي افتعلته
عليه الشياطين واتبعهم في ذلك اليهود فاخبر عن افترايهم وكذبهم
وذكروا ايضا في الجواب عن هذه القصة وانها باطلة وجوها
الاول ان في القصة ان الله تعالى قال للملائكة لو ابتليتكم بما ابتليت
بني ادم لعصيتموني قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نعصيك وفيه
رد على الله تعالى وذلك كفر وقد ثبت انهم كانوا معصومين قبل ذلك
فلا يقع بهذا منهم الوجه الثاني انهما خيرا بين عذاب الدنيا
وعذاب الاخرة وذلك لان الله تعالى لا يخير من اشرك وان كانت قد
صحت توبته او لا عقوبة عليها الوجه الثالث ان المراة لما
فجرت [illegible] انها صعدت الى السما وصارت كوكبا وعظم الله
قدرها [illegible] ولا اقسم الخنس الجوار الكنس فان

ايه ١٧

الانبيا

بهذه الوجوه ركاكة بهذه القصة والله اعلم بصحة ذلك والاولى تنزيه
الملائكة عن كل ما لا يليق بمنصبهم وقوله تعالى وما يعلمان من احد
حتى ينصحانه اولا ويقولا انما نحن فتنة اي ابتلاء ومحنة فلا تكفر
اي فلا تتعلم السحر فتعمل به فتكفر فيقولان انما نحن فتنة فلا تكفر
سبع مرات فان ابى قبول نصحهما وصمم على التعلم يقولان له
ايت هذا الرماد فبل عليه فاذا فعل ذلك خرج منه نور ساطع في
السماء فذلك الايمان والمعرفة وينزل شي اسود يشبه الدخان حتى يدخل
مسامعه وذلك غضب الله فيتعلمون منهما يعني من الملكين ما يفرقون
به بين المرء وزوجه اي علم السحر الذي يكون سببا في التفرق بين
الزوجين كالتمويه والتخييل والنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث
الله تعالى عنده البغضاء والنشوز والخلاف بين الزوجين ابتلاء من الله
تعالى لا ان السحر له تاثير في نفسه بدليل قوله وما هم يعني السحرة
بضارين به اي بالسحر من احد اي احدا الا باذن الله اي بعلمه وقضائه
وتكوينه فالساحر يسحر والله تعالى يقدر ويكون ذلك بقضاء الله وقدره
ومشيته ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم يعني السحر لانهم يقصدون
به الشر ولقد علموا يعني اليهود لمن اشتراه اي اختار السحر لانه
ما له في الاخرة من خلاق يعني ما له نصيب في الجنة ولبئس ما شروا
به انفسهم اي باعوا حظ انفسهم حيث اختاروا السحر او الكفر على الدين الحق
لو كانوا يعلمون فان قلت كيف اثبت الله لهم العلم اولا في قوله تعالى
ولقد علموا لمن اشتراه على التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم اخرا في قوله لو كانوا
يعلمون قلت قد علموا ان من اشترى السحر ما له في الاخرة من خلاق ثم مع هذا
العلم خالفوا واشتغلوا بالسحر وتركوا العمل بكتاب الله وما جاءت به
الرسل عنادا منهم وبغيا وذلك على معرفة منهم بما لمن فعل ذلك منهم
من العقاب فجعلهم حين لم يعملوا بعلمهم كانهم منسلخون عنه [illegible] ولو انهم يعني
اليهود [illegible] يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن واتقوا يعني اليهود [illegible]

والسحر



السابع من تقسيم الخازن

٦٠

والسحر وما يؤثمهم لمثوبة من عند الله اي لكان ثواب الله اياهم خير
لهم يعني الثواب لو كانوا يعلمون يعني ذلك قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تقولوا راعنا سبب نزول هذه الاية ان المسلمين كانوا يقولون راعنا
يا رسول الله من المراعاة اي ارعنا سمعك وفرغه لكلامنا وكانت هذه
اللفظة شيئا قبيحا بلغة اليهود ومعناها عندهم اسمع لا سمعت وقيل
من الرعونة اذا ارادوا ان يحمقوا انسانا قالوا راعنا يعني احمق فلما
سمعت اليهود هذه الكلمة من المسلمين قالوا فيما بينهم كنا نسب محمدا
سرا فاعلنوا به الان فكانوا ياتونه ويقولون راعنا يا محمد ويضحكون فيما
بينهم فسمعها سعد بن معاذ رضي الله عنه ففطن لها وكان يعرف لغتهم
فقال لليهود لئن سمعتها من احد منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه
وسلم لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فانزل الله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تقولوا راعنا اي لكي لا يجد اليهود بذلك سبيلا الى شتم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقولوا انظرنا اي انظر الينا وقيل معناه انتظرنا
وتان بنا وتفهمنا واسمعوا اي ما تؤمرون به واطيعوا نهى الله تعالى
عباده المؤمنين ان يقولوا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم راعنا لئلا
يتطرق بها اليهود الى شتمه وامرهم بتوقيره وتعظيمه وان يتخيروا
لخطابه صلى الله عليه وسلم من الالفاظ احسنها ومن المعاني ارقها
وان سالوه يسالوه بتبجيل وتعظيم ولين ولا يخاطبوه بما يسر اليهود
وللكافرين يعني اليهود عذاب اليم ما يود اي ما يحب الذين كفروا
من اهل الكتاب يعني اليهود ولا المشركين يعني عبدة الاوثان
لان الكفر اسم جنس تحته نوعان اهل الكتاب وهم الذين بدلوا كتابهم
وكذبوا الرسل وعبدة اوثان ومن عبد غير الله ان ينزل عليكم من خير
من ربكم يعني [illegible] الله عز وجل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من الوحي
والنبوة وانما [illegible] اليهود واتباعهم من المشركين ذلك حسدا [illegible]
منهم على المؤمنين [illegible] المسلمين [illegible] اليهود [illegible]

حسدا

بمحمد صلى الله عليه وسلم قالوا ما هذا الذي تدعوننا اليه بخير مما نحن فيه ولوددنا
لو كان خيرا فانزل الله هذه الاية تكذيبا لهم والله يختص برحمته من يشاء
يعني ان الله تعالى يختص بنبوته ورسالته من يشاء من عباده ويتفضل
بالايمان والهداية على من أحب من خلقه رحمة منه لهم والله ذو الفضل
العظيم يعني ان كل خير يناله عباده في دينهم ودنياهم فانه منه ابتداء
وتفضلا عليهم من غير استحقاق منهم ذلك بل له الفضل والمنة على
خلقه قوله عز وجل ما ننسخ من آية او ننسها الاية وسبب
نزولها ان المشركين قالوا ان محمدا يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم
بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا ما يقول الا من تلقاء نفسه
كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله واذا بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل
قالوا انما انت مفتر وانزل ما ننسخ من اية فبين بهذه الاية وجه
الحكمة في النسخ وانه من عنده لا من عند محمد صلى الله عليه وسلم واصل
النسخ في اللغة يكون بمعنى النقل والتحويل ومنه نسخ الكتاب وهو
ان ينقل من كتاب الى كتاب اخر وذلك لا يقتضي ازالة الصورة الاولى
بل يقتضي اثبات مثله في كتاب اخر فعلى هذا المعنى يكون القران كله
منسوخا وذلك انه نسخ من اللوح المحفوظ ونزل جملة واحدة الى سماء
الدنيا وقد يكون النسخ بمعنى الرفع والازالة وهو ازالة شيء بشيء يعقبه
كنسخ الشمس الظل والشيب الشباب فعلى هذا المعنى يكون بعض القران
منسوخا وبعضه ناسخا وهو المراد من حكم هذه الاية وهو ازالة الحكم
بحكم يعقبه والله سبحانه وتعالى اعلم فصل في حكم النسخ النسخ
في اصطلاح العلماء عبارة عن رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متاخر عنه
والنسخ جائز عقلا وواقع سمعا خلافا لليهود فان منهم من [illegible]
عقلا [illegible] الآخذة قليلة من المسلمين [illegible]
النسخ [illegible] جواز النسخ [illegible]
[illegible] وبنبوته [illegible]

بالنسخ

بالنسخ وهو نسخ شرع من قبله فوجب القطع بالنسخ ولنا على
اليهود الزامات منها ان الله تعالى حرم عليهم العمل في يوم السبت ولم يحرمه
على من كان قبلهم ومنها انه جاء في التوراة ان الله تعالى قال لنوح عليه
السلام عند خروجه من الفلك اني جعلت لك كل دابة ماكولا لك ولذريتك
واطلقت ذلك لكم ثم انه تعالى حرم على موسى عليه السلام وعلى بني اسرائيل
كثيرا من الحيوانات ومنها ان ادم عليه السلام كان يزوج الاخ من الاخت
وقد حرمه على من بعده وعلى موسى عليه السلام فثبت بهذا جواز النسخ
وحيث ثبت جواز النسخ فقد اختلفوا فيه على وجوه احدها ان القران
نسخ جميع الشرائع والكتب القديمة كالتوراة والانجيل وغيرهما
الوجه الثاني المراد من النسخ هو نسخ القران ونقله من اللوح المحفوظ
الى سماء الدنيا الوجه الثالث وهو الصحيح الذي عليه الجمهور من
العلماء ان المراد من النسخ هو رفع حكم بعض الايات بدليل اخر ياتي
بعده وهو المراد بقوله تعالى ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير
منها او مثلها لان الاية اذا اطلقت فالمراد بها ايات القران لانه هو
المعهود عندنا مسئلة قال الشافعي رضي الله عنه الكتاب لا ينسخ بالسنة
المتواترة واستدل بهذه الاية وهو انه تعالى قال ما ننسخ من اية
او ننسها نات بخير منها او مثلها وذلك يفيد انه هو الاتي والماتي
انه من جنس القران وما كان من جنس القران فهو قران وقوله نات
بخير منها يفيد انه هو المنفرد بالاتيان بذلك الخير وهو القران
الذي هو كلام الله دون السنة ولان السنة لا تكون خيرا من القران
ولا مثله واحتج الجمهور على جواز نسخ الكتاب بالسنة بان اية الوصية
للاقربين منسوخة بقوله صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث ولجاب
الشافعي [illegible] ضعيف لان كون الميراث [illegible]
[illegible]
[illegible] في اصول الفقه [illegible] في القران على وجوه

[illegible]

احدها ما رفع حكمه وتلاوته كما روي عن ابي امامة بن سهل ان قوما من
الصحابة قاموا الليلة ليقرؤا سورة فلم يذكروا منها الا بسم الله الرحمن الرحيم
فغدوا الي النبي صلي الله عليه وسلم فاخبروه فقال رسول الله صلي الله عليه
وسلم تلك سورة رفعت بتلاوتها وحكمها اخرجه البغوي بغير سند
وقيل ان سورة الاحزاب كانت مثل سورة البقرة فرفع بعضها
تلاوة وحكما الوجه الثاني ما رفع تلاوته وبقي حكمه مثل اية الرجم
روي عن ابن عباس قال قال عمر بن الخطاب وهو جالس علي منبر رسول الله
صلي الله عليه وسلم ان الله بعث محمدا بالحق وانزل عليه الكتاب وكان
فيما انزل عليه اية الرجم فقراناها ووعيناها وعقلناها ورجم
رسول الله صلي الله عليه وسلم ورجمنا بعده فاخشي ان طال بالناس زمان
ان يقول قايل ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها
الله وان الرجم في كتاب الله حق علي من زنا اذا احصن من الرجال والنساء
اذا قامت البينة او كان الحبل او الاعتراف اخرجه مسلم والبخاري بنحوه
الوجه الثالث ما رفع حكمه وثبت خطه وتلاوته وهو كثير في القران
مثل اية الوصية للاقربين نسخت باية المواريث عند الشافعي وبالسنة
عند غيره واية عدة الوفاة بالحول نسخت باية اربعة اشهر وعشر
واية القتال وهي قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مايتين
الاية نسخت بقوله الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا الاية
ومثل هذا كثير في القران واما معني الاية فقوله ما ننسخ من اية
اي نرفعها او نرفع حكمها او ننسها قرئ بضم النون وكسر السين
ومعناه ننسيها علي قلبك وقال ابن عباس نتركها لا ننسخها وقيل
معناه نامر بتركها فعلي هذا يكون النسخ الاول رفعها ...
غيره مقامه والانسا ... غيره ...
ننسها ... والتنوين ...
ونرفع ... الرجم ... النسخ الاول

بعض

بعضها رفع التلاوة والحكم وقال سعيد بن المسيب وعطا ما ننسخ
من اية فهو ما نزل من القران جعلاه من نسخت الكتاب اذا نقلته
الي كتاب اخر او ننساها اي نوخرها او نتركها في اللوح المحفوظ فلا
ننزلها نات بخير منها اي بما هو انفع لكم واسهل عليكم واكثر لاجوركم
وليس معناه ان اية خير من اية لان كلام الله تعالي كله واحد او مثلها
او مثلها في المنفعة والثواب فالنسخ الي الايسر كان اسهل في العمل كالذي
كان علي المومنين من فرض قيام الليل ثم نسخ ذلك فكان خيرا لهم في عاجلهم
لسقوط التعب والمشقة عليهم وما نسخ الي الاشق كان اكمل في الثواب
كالذي كان عليهم من صيام ايام معدودات في السنة فنسخ ذلك وفرض
صيام شهر رمضان فكان صوم شهر كامل في كل سنة اثقل علي
الابدان واشق من صيام ايام معدودات فكان ثوابه اكمل واكثر
واما المثل فكنسخ التوجه الي بيت المقدس وصرفه الي البيت الحرام
واستوي الاجر في ذلك لان علي المصلي التوجه الي حيث امره الله تعالي
الم تعلم ان الله علي كل شي قدير اي من النسخ والتبديل والمعني الم تعلم
يا محمد اني قادر علي تعويضك مما نسخت من احكامي وغيرته من فرايضي التي
كنت افترضتها عليك ما اشا مما هو خير لك ولعبادي المومنين وانفع
لك ولهم عاجلا او اجلا الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض
يعني انه تعالي هو المتصرف في السموات والارض وله سلطانهما دون غيره يحكم
فيهما وفيما فيهما بما يريد من امر ونهي ونسخ وتبديل وهذا الخبر وان كان
خطابا للنبي صلي الله عليه وسلم لكن فيه تكذيب لليهود الذين انكروا النسخ
وجحدوا نبوة عيسي ومحمد عليهما السلام فاخبرهم الله ان له ملك السموات
والارض وان الخلق كلهم عبيده وتحت تصرفه ويحكم فيهم بما يشا وعليهم
السمع والطاعة وما لكم يعني يا معشر الكفار عند نزول العذاب من دون
الله من ولي اي من قريب وصديق وقيل من وال وهو القيم
بالامور ولا نصير ... يصرف عنكم ... الاعلي ...

ايها المومنون بعد الله من قيم بامركم ولا نصير ينصركم ويقويكم على
اعدائكم قوله تعالى ام تريدون ان تسالوا رسولكم نزلت في اليهود
وذلك انهم قالوا يا محمد ايتنا بكتاب من السما جملة كما اتى موسى
بالتوراة وقيل انهم سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لن
نومن لك حتى تاتي بالله والملايكة قبيلا كما سال قوم موسى فقالوا
ارنا الله جهرة فانزل الله تعالى هذه الاية والمعنى اتريدون وقيل
بل تريدون ان تسالوا رسولكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم كما سئل
موسى من قبل وذلك ان موسى ساله قومه فقالوا ارنا الله جهرة ففي الاية
منعهم ونهيهم عن السوالات المقترحة بعد ظهور الدلالات والحجج
وثبوت الحجج والبراهين على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومن يتبدل
اي يستبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل اي اخطا قصد
الطريق وقيل ان قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان خطاب للمومنين
واعلام ان اليهود اهل غش وحسد وانهم يتمنون للمومنين المكاره
فنهاهم الله تعالى ان يقبلوا من اليهود شيا ينصحونهم به في الظاهر
واخبرهم ان من ارتد عن دينه فقد اخطا قصد السبيل قوله عز وجل
ود كثير من اهل الكتاب نزلت هذه الاية في نفر من اليهود وذلك
انهم قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد لو كنتم
على الحق ما هزمتم فارجعا الى ديننا فنحن اهدى سبيلا منكم فقال
عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني عاهدت الله تعالى
ان لا اكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا
وقال حذيفة اما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام
دينا وبالقران اماما وبالكعبة قبلة وبالمومنين اخوانا ثم انهما
اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه بذلك فقال اصبتما الخير
وافلحتما فانزل الله تعالى ود كثير من اهل الكتاب [illegible]
اليهود لو يردونكم اي يا معشر [illegible] من بعد ايمانكم كفارا [illegible]
[illegible]

لما كنتم



لما كنتم عليه من الكفر حسدا اي يحسدونكم حسدا واصل الحسد تمني
زوال النعمة عمن يستحقها وربما يكون مع ذلك سعي في ازالتها والحسد مذموم
لما روي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم والحسد
فان الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب اخرجه
ابو داود فاذا انعم الله على عبد نعمة فتمنى اخر زوالها فهذا هو الحسد
وهو حرام فان استعان بتلك النعمة على الكفر والمعاصي فتمنى اخر زوالها
عنه فليس بحسد ولا يحرم ذلك فانه لم يحسده على تلك النعمة من حيث انها
نعمة بل من حيث انه يتوصل بتلك النعمة الى الشر والفساد وقوله من عند
انفسهم اي من تلقاء انفسهم لم يامرهم الله بذلك من بعد ما تبين لهم الحق
يعني في التوراة ان قول محمد صلى الله عليه وسلم ودينه حق لا يشكون فيه
فكفروا به بغيا وحسدا فاعفوا واصفحوا اي فتجاوزوا عما كان منهم
من اساءة وحسد وكان هذا الامر بالعفو والصفح قبل ان يومر بالقتال
حتى ياتي الله بامره اي بعذابه وهو القتل والسبي لبني قريظة والاجلاء
والنفي لبني النضير قال ابن عباس هو امر الله تعالى له بقتالهم في قوله قاتلوا
الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر الاية ان الله على كل شي قدير فيه وعيد
وتهديد لهم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة لما امر الله المومنين بالعفو
والصفح عن اليهود امرهم بما فيه صلاح انفسهم من اقام الصلاة وايتاء
الزكاة الواجبتين وفيه تنبيه على ساير الواجبات ثم قال تعالى وما تقدموا
لانفسكم من خير اي من طاعة وعمل صالح وقيل اراد بالخير المال يعني صدقة
التطوع لان الزكاة تقدم ذكرها تجدوه عند الله يعني ثوابه واجره حتى
التمرة واللقمة مثل احد ان الله بما تعملون بصير اي لا يخفى عليه شي من
قليل الاعمال وكثيرها ففيه ترغيب في الطاعات واعمال الخير وزجر
عن المعاصي قوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا اي يهوديا
[illegible] او نصارى [illegible] وذلك ان اليهود قالوا لن يدخل الجنة الا من
كان يهوديا ولا دين الا اليهودية وقالت النصارى لن يدخل الجنة

الا من كان

الا من كان نصرانيا ولا دين الا دين النصرانية قيل نزلت في وفد نجران وكانوا
نصارى اجتمعوا مع اليهود في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذب
بعضهم بعضا في دعواه قال الله تعالى تلك امانيهم اي شهواتهم
الباطلة التي تمنوها على الله بغير حق قل يعني يا محمد هاتوا برهانكم
اي حجتكم على دعواكم ان الجنة لا يدخلها الا من كان يهوديا او نصرانيا دون غيرهم
ان كنتم صادقين يعني فيما تدعون ثم قال الله تعالى ردا عليهم بلى اي ليس
الامر كما تزعمون ولكن من اسلم وجهه لله وهو محسن فانه الذي يدخل
الجنة وينعم فيها ومعنى اسلم وجهه لله اخلص دينه لله وقيل اخلص عبادته
لله وقيل خضع وتواضع لله لان اصل الاسلام الاستسلام وهو الخضوع
وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف الاعضاء واذا جاد الانسان بوضع وجهه
على الارض في السجود فقد جاد بجميع اعضائه قال عمرو بن نفيل واسلمت
وجهي لمن اسلمت له الارض تحمل صخرا ورمالا واسلمت وجهي لمن اسلمت له
المزن تحمل عذبا زلالا يعني بذلك اسلمت لطاعة من اسلم لطاعته
الارض والمزن وهو محسن اي في عمله لله فله اجره عند ربه اي ثواب
عمله ولا خوف عليهم اي في الاخرة ولا هم يحزنون اي على ما فاتهم
من الدنيا قوله عز وجل وقالت اليهود ليست النصارى على شيء
وقالت النصارى ليست اليهود على شيء نزلت في يهود المدينة
ونصارى نجران وذلك ان وفد نجران لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم
اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود
للنصارى ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت
النصارى لليهود ما انتم على شيء من الدين وكفروا بموسى والتوراة
فانزل الله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى
ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب يعني وكلا الفريقين يقرؤن
الكتاب وليس في كتابهم هذا الاختلاف فدل تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم
لما فيه على كونهم على الباطل وقيل ان الانجيل الذي بايدي

النصارى

النصارى يحقق ما في التوراة من نبوة موسى وما فرض الله فيها على
بني اسرائيل من الفرائض وان التوراة التي بايدي اليهود
تحقق نبوة عيسى وما جاء به من عند ربه من احكام ثم كلا الفريقين
قالوا ما اخبر الله عنهم بقوله وقالت اليهود ليست النصارى على شيء
وقالت النصارى ليست اليهود على شيء مع علم كل واحد من الفريقين
ببطلان ما قاله كذلك قال الذين لا يعلمون يعني مشركي العرب
قالوا في نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه انهم ليسوا على شيء مثل
قولهم يعني مثل قول اليهود للنصارى والنصارى لليهود وقيل امم
كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب
قالوا في انبيائهم ليسوا على شيء فالله يحكم بينهم اي يقضي بينهم
يعني بين المحق والمبطل يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون يعني
من امر الدين قوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر
فيها اسمه نزلت في خراب بيت المقدس وذلك ان طيطوس الرومي
غزى بني اسرائيل فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وحرق التوراة
وخرب بيت المقدس فلم يزل خرابا الى ان بناه المسلمون في زمن عمر بن
الخطاب فانزل الله تعالى ومن اظلم اي ومن اكفر واعتى ممن منع مساجد
الله يعني بيت المقدس ومحاريبه ان يذكر فيها اسمه اي يعبد ويصلى
له فيها وسعى في خرابها وقيل ان بخت نصر المجوسي من اهل بابل
هو الذي غزا بني اسرائيل وخرب بيت المقدس واعانه على ذلك
النصارى من اجل ان اليهود قتلوا يحيى بن زكريا اولئك ما كان لهم
ان يدخلوها الا خائفين وذلك ان بيت المقدس موضع حج النصارى
ومحل زيارتهم قال ابن عباس لم يدخلها بعد عمارتها رومي ونصراني الا خائفا
[illegible] وقيل [illegible] بالجزية والقتل فالجزية على الذمي والقتل
على الحربي وفي [illegible] فتح مدائنهم الثلاثة قسطنطينية
[illegible] لهم في الدنيا خزي يعني الصغار والذل والقتل

[illegible]

والسبي ولهم في الآخرة عذاب عظيم يعني النار وقيل الآية نزلت في مشركي
مكة وأراد بالمساجد المسجد الحرام وذلك أنهم منعوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأصحابه أن يصلوا فيه في ابتداء الإسلام ومنعوهم من حجه
والصلاة فيه عام الحديبية وإذا منعوا من يعمره بذكر الله تعالى
والصلاة فيه فقد سعوا في خرابه يعني مشركي مكة يقول الله تعالى
افتحها عليكم أيها المسلمون حتى تدخلوها وتكونوا أولى بها منهم ففتحها
عليهم وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن ينادى في الموسم لما نزلت
سورة براءة ألا لا يحجن البيت بعد هذا العام مشرك فكان هذا
خوفهم وثبت في الشرع أن لا يمكن مشرك من دخول الحرم فإن قلت
كيف قيل مساجد الله وإنما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد
وهو إما بيت المقدس أو المسجد الحرام قلت يجوز أن يجيء الحكم عاما وإن كان
السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن أظلم ممن آذى الصالحين
فإن قلت أي القولين أرجح قلت رجح الطبري القول الأول وقال إن
النصارى هم الذين سعوا في خراب بيت المقدس بدليل أن مشركي مكة لم
يسعوا في خراب المسجد الحرام وإن كانوا قد منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بعض الأوقات من الصلاة فيه وأيضا فإن الآية التي قبل هذه وبعدها
في ذم أهل الكتاب ولم يجر لمشركي مكة ذكر ولا للمسجد الحرام فتعين أن يكون
المراد بهذه بيت المقدس ورجح غيره القول الثاني بأن النصارى
يعظمون بيت المقدس أكثر من اليهود فكيف يسعون في خرابه وهو موضع
حجهم وذكر ابن العربي في أحكام القرآن قولا ثالثا وهو أنه كل مسجد قال
وهو الصحيح لأن اللفظ عام ورد بصيغة الجمع فتخصيصه ببعض المساجد
أو ببعض الأزمنة محال قوله عز وجل ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا
فثم وجه الله سبب نزول هذه الآية قال ابن عباس خرج نفر من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قبل تحويل القبلة إلى الكعبة فأصابهم الضباب
وحضرت الصلاة فتحروا القبلة وصلوا فلما ذهب الضباب استبان لهم

انهم لم يصيبوا فلما قدموا سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت
هذه الآية وعن عامر بن ربيعة عن أبيه قال كنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في سفر في ليلة مظلمة فلم ندر أين القبلة فصلى كل رجل
منا على حياله فلما أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
فأينما تولوا فثم وجه الله أخرجه الترمذي وقال حديث غريب
وقال ابن عمر نزلت في المسافر يصلي التطوع حيثما توجهت به
راحلته ق عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسبح على ظهر
راحلته حيث كان وجهه يومي وكان ابن عمر يفعله وفي رواية لمسلم
كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي على دابته وهو مقبل من مكة
إلى المدينة حيثما توجهت وفيه نزلت فأينما تولوا فثم وجه الله
الآية وقيل نزلت في تحويل القبلة إلى الكعبة وذلك أن اليهود عيرت
المؤمنين وقالوا ليست لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هكذا
وتارة يستقبلون هكذا فأنزل الله هذه الآية وقيل إنما نزلت
في تخيير النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليصلوا حيث شاؤوا
من النواحي ثم إنها نسخت بقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد
الحرام ومعنى الآية أن لله المشرق والمغرب وما بينهما خلقا وملكا
وإنما خص المشرق والمغرب اكتفاء عن جميع الجهات لأن له كلها
وما بينهما خلقه وعبيده وأن على جميعهم طاعته فيما أمرهم به
ونهاهم عنه فما أمرهم باستقباله فهو القبلة فإن القبلة ليست
قبلة لذاتها بل لأن الله تعالى جعلها قبلة وأمرنا بالتوجه إليها فأينما
تولوا فثم وجه الله أي فهناك قبلة الله التي وجهكم إليها وقيل
معناه فثم وجه الله تعالى بعلمه وقدرته والوجه صفة ثابتة لله تعالى
لا يشبه الصورة وقيل فثم رضا الله أي تريدون بالتوجه إليه رضاه
إن الله واسع يعني من السعة وهو الغني أي يسع خلقه كلهم بالكفاية
والإفضال والجود والتدبير وقيل هو واسع المغفرة عليم أي بأعمالكم

ونبيّا تكم حيث ما تصلوا وتدعوا الا يغيب عنه منها شي والله اعلم مسئلة
تتعلق بحكم الاية وهي ان المسافر اذا كان في مفازة او بلاد الترك واشتبهت
عليه القبلة فانه يجتهد في طلبها بنوع من الدلايل ويصلي الى
الجهة التي ادي اليها اجتهاده ولا اعادة عليه وان لم يجتهد وصلى
فان جهة الاجتهاد قبلة وكذلك الغريق في البحر اذا القي على لوح
فانه يصلي على حسب حاله وتصح صلاته وكذا المشدود على
جذع بحيث لا يمكنه الاستقبال قوله تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا
نزلت في يهود المدينة حيث قالوا عزير ابن الله وفي نصارى نجران حيث
قالوا المسيح ابن الله وفي مشركي العرب حيث قالوا الملايكة بنات الله
سبحانه اي تنزيها لله فنزه الله نفسه عن اتخاذ الولد وعن قولهم
وافترايهم عليه خ عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله
عز وجل كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك
فاما تكذيبه اياي فزعم اني لا اقدر ان اعيده كما كان واما
شتمه اياي فقوله لي ولد فسبحاني ان اتخذ صاحبة ولا ولدا
بل له ما في السموات والارض يعني عبيدا وملكا فكيف ينسب اليه
الولد وهو داخل فيهما وقيل ان الولد لا بد وان يكون من جنس الوالد والله
تعالى منزه عن الشبيه والنظير وقيل ان الولد انما يتخذ للحاجة اليه
والانتفاع به عند عجز الوالد وكبره والله تعالى منزه عن ذلك كله
فاضافة الولد اليه محال كل له قانتون يعني ان اهل السموات والارض
مطيعون لله ومقرون له بالعبودية واصل القنوت لزوم الطاعة
مع الخضوع وقيل اصله القيام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم افضل
الصلاة طول القنوت فعلى هذا يكون معنى الاية كل له قايمون بالشهادة
ومقرون له بالوحدانية وقيل قانتون اي مذللون مسخرون لما خلق
له واختلف العلما في حكم الاية فقال بعضهم هو خاص ثم سلكوا
في تخصيصه طريقين احدهما انه راجع الى عزير والمسيح والملايكة [illegible]

الثاني قال ابن عباس هو راجع الى اهل طاعته دون ساير الكفار وذهب
جماعة الى ان حكم الاية عام لان لفظة كل تقتضي الشمول والاحاطة
ثم سلكوا في الكفار طريقين احدهما ان ظلالهم تسجد لله وتطيعه
الثاني ان هذه الطاعة تكون في يوم القيامة ومن ذهب الى تخصيص
حكم الاية اجاب عن لفظة كل بانها لا تقتضي الشمول والاحاطة بدليل
قوله تعالى واوتيت من كل شي ولم تؤت ملك سليمان فدل على ان لفظة
كل لا تقتضي ذلك قوله عز وجل بديع السموات والارض اي خالقهما
ومنشيهما على غير مثال سبق وقيل البديع الذي يبدع الاشيا اي يحدثها
مما لم تكن واذا قضى امرا اي قدره واراد خلقه وقيل اذا احكم امرا وحتمه
واتقنه واصل القضا الحكم والفراغ والقضا في اللغة على وجوه
كلها ترجع الى انقطاع الشي وتمامه والفراغ منه فانما يقول له كن
فيكون اي اذا احكم امرا وحتمه فانما يقول له كن فيكون ذلك الامر على
ما اراد الله تعالى وجوده فان قلت المعدوم لا يخاطب فكيف قال فانما يقول
له كن فيكون قلت ان الله تعالى عالم بكل ما هو كاين قبل تكوينه واذا كان
كذلك كانت الاشيا التي لم تكن كانها كاينة لعلمه بها فجاز ان يقول
لها كوني ويامرها بالخروج من حال العدم الى حال الوجود وقيل اللام في
قوله له لام اجل فيكون المعنى واذا قضى امرا فانما يقول لاجل تكوينه
واراد به كن فيكون فعلى هذا ذهب معنى الخطاب قوله تعالى وقال
الذين لا يعلمون قال ابن عباس هم اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله
عليه وسلم وقيل هم النصارى وقيل هم مشركوا العرب لولا اي هلا يكلمنا الله
اي عيانا بانك رسوله او تاتينا اية اي دلالة وعلامة على صدقك كذلك
قال الذين من قبلهم اي كفار الامم الخالية مثل قولهم وذلك ان اليهود
سالوا موسى ان يريهم الله جهرة وان يسمعهم كلام الله [illegible]
الايات [illegible] فاخبر الله عز وجل ان الذين كانوا في زمن رسول الله
صلى الله عليه وسلم [illegible] تشابهت قلوبهم

يعني ان المكذبين للرسل تشابهت اقوالهم وافعالهم وقيل تشابهت قلوبهم في الكفر
والقسوة والتكذيب وطلب المحال **قد بينا الايات** اي الدلالات على صدق
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم **لقوم يوقنون** يعني ان ايات القران وما جاء
به محمد صلى الله عليه وسلم من المعجزات الباهرات كافية لمن كان طالبا لليقين
وانما خص اهل الايقان بالذكر لانهم هم اهل التثبت في الامور … …
الاشيا على يقين قوله عز وجل **انا ارسلناك بالحق** اي بالصدق وقال
ابن عباس بالقران وقيل بالاسلام وقيل معناه انا لم نرسلك عبثا
انما ارسلناك بالحق **بشيرا** اي مبشرا للاوليا واهل طاعتي بالثواب
العظيم **ونذيرا** اي منذرا ومخوفا للاعدا واهل معصيتي بالعذاب
الاليم **ولا تسأل** قرئ بفتح التا على النهي قال ابن عباس وذلك ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ذات يوم ليت شعري ما فعل ابواي فنزلت هذه الاية والمعنى
انا ارسلناك لتبليغ ما ارسلت به لا لتسأل عن اصحاب الجحيم وقرئ
ولا تسأل بضم التا ورفع اللام على الخبر وقيل على النفي والمعنى انا ارسلناك
بالحق لتبليغ ما ارسلت به فانما عليك البلاغ ولست مسئولا عمن كفر
عن اصحاب الجحيم اي عن اهل الجحيم سميت النار جحيما لشدة تأججها
وقيل الجحيم معظم النار قوله تعالى **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى
حتى تتبع ملتهم** وذلك انهم كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم
الهدنة ويطمعونه انه ان امهلهم اتبعوه فانزل الله هذه الاية
والمعنى وانك وان هادنتهم فلا يرضون بها وانما يطلبون ذلك
تعللا ولا يرضون منك الا باتباع ملتهم وقال ابن عباس هذا في امر
القبلة وذلك ان يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون النبي صلى الله
عليه وسلم حين كان يصلي الى بيت المقدس فلما صرفه الله الى الكعبة
ايسوا منه ان يوافقهم على دينهم فانزل الله تعالى ولن ترضى عنك اليهود
يعني الا باليهودية ولا النصارى يعني الا بالنصرانية وهذا شي لا يتصور
اذ لا يجتمع في رجل واحد شيئان في وقت واحد وهو قوله حتى تتبع ملتهم

يعني

يعني دينهم وطريقتهم **قل** اي يا محمد **ان هدى الله** يعني دين الله الذي هو الاسلام
هو الهدى اي يصح ان يسمى هدى **ولئن اتبعت** يا محمد **اهواءهم** يعني اهواء
اليهود والنصارى فيما يرضيهم عنك وقيل اهواءهم اقوالهم التي هي اهواء وبدع
بعد الذي جاءك من العلم اي البيان بان دين الله هو الاسلام وان القبلة هي
قبلة ابرهيم عليه السلام وهي الكعبة **ما لك من الله من ولي** يلي امرك ويقوم
به **ولا نصير** اي ينصرك ويمنعك من عقابه وقيل في قوله ولئن اتبعت اهواءهم
انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته والمعنى اياكم اخاطب ولكم
أؤدب وانهى فقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد جاكم بالحق والصدق
وقد عصمته فلا تتبعوا انتم اهوا الكافرين ولئن اتبعتم اهواءهم بعد الذي
جاكم من العلم والبيان ما لكم من الله من ولي ولا نصير قوله عز وجل
الذين اتيناهم الكتاب قال ابن عباس نزلت في اهل السفينة الذين قدموا
مع جعفر بن ابي طالب وكانوا اربعين رجلا اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية
من رهبان الشام منهم بحيرا الراهب وقيل هم مؤمنو اهل الكتاب مثل عبد الله
ابن سلام واصحابه وقيل هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة
وقيل المؤمنون عامة **يتلونه حق تلاوته** اي يقرؤونه كما انزل لا يغيرونه
ولا يحرفونه ولا يبدلونه ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
معناه يتبعونه حق اتباعه فيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون
بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويقفون عنده ويكلون علمه الى الله تعالى
وقيل معناه تدبروه حق تدبره وتفكروا في معانيه وحقائقه واسراره
اولئك يعني الذين يتلونه حق تلاوته **يؤمنون به** اي يصدقون به
فان قلنا ان الاية في اهل الكتاب يكون المعنى ان المؤمن بالتوراة الذي
يتلوها حق تلاوتها هو المؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم لان في التوراة نعته
وصفته وان قلنا انها نزلت في المؤمنين عامة فظاهر **ومن يكفر به** اي
بما فيه من فرايضه ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم **فاولئك هم
الخاسرون** اي خسروا انفسهم حيث استبدلوا الكفر بالايمان قوله تعالى

يعني

يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اي ايادي له [illegible]
بكم واستنقاذي اياكم من ايدي عدوكم في نعم كثيرة انعمت بها عليكم
واني فضلتكم على العالمين اي اذكروا تفضيلي اباكم على عالمي زمانكم
وفي هذه الاية عظة لليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكرر تعالى في اول السورة وهنا للتوكيد وتذكير النعم واتقوا يوما
لا تجزي نفس عن نفس شيا وفي هذه الاية ترهيب لهم والمعنى
يا معشر بني اسرائيل المبدلين كتابي المحرفين له خافوا عذابي يوم
لا تغني نفس عن نفس شيا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة
اي لا يقبل منها فدية ولا يشفع لها شافع وهذا من العام الذي
يراد بها الخاص كقوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ومعنى
الاية ولا تنفعها شفاعة اذا وجب عليها العذاب ولم تستحق سواه
وقيل انه رد على اليهود في قولهم ان اباءنا يشفعون لنا ولا هم ينصرون
اي ولا ناصر لهم ينصرهم من الله اذا انتقم منهم قوله عز وجل
واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن ابراهيم اسم اعجمي ومعناه
اب رحيم وهو ابراهيم بن تارخ وهو آزر بن ناحور بن شاروغ بن ارغوا
ابن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان
مولد ابراهيم بالسوس من ارض الاهواز وقيل ببابل وقيل بكوثى وهي قرية
من سواد الكوفة وقيل بحران ولكن اباه نقله الى ارض بابل وهي ارض
نمرود الجبار وابراهيم عليه السلام تعترف بفضله جميع الطوائف
قديما وحديثا فاما اليهود والنصارى فانهم مقرون بفضله
ويتشرفون بالنسبة اليه وانهم من اولاده واما العرب في الجاهلية
فانهم ايضا يعترفون بفضله ويفتخرون على غيرهم به لانهم من اولاده
ومن ساكني حرمه وخدام بيته ولما جاء الاسلام زاده شرفا وفضلا
فحكى الله عن ابراهيم امورا توجب على المشركين واليهود والنصارى
قبول قول محمد صلى الله عليه وسلم والاعتراف بدينه والانقياد [illegible]

لشرعه



لشرعه لان ما اوجبه الله على ابراهيم هو من خصائص دين محمد صلى الله عليه وسلم
وفي ذلك الحجة على اليهود والنصارى ومشركي العرب في وجوب الانقياد
لمحمد صلى الله عليه وسلم والايمان به وتصديقه واصل الابتلا الامتحان
والاختبار ليعرف حال الانسان وسمي التكليف بلاء لانه يشق على الابدان
وقيل لتحقيقه به حال الانسان فاذا قيل ابتلى فلان بكذا يتضمن امرين
احدهما تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من امره والثاني ظهور جودته
ورداته وابتلاء الله العباد ليس ليعلم احوالهم والوقوف على ما يجهل منها
لانه عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها على سبيل التفصيل من الازل الى
الابد ولكن ليعلم العباد احوالهم من ظهور جودة ورداة وعلى هذا يتنزل
قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات واختلفوا في تلك الكلمات التي
ابتلى الله بها ابراهيم عليه السلام فقال ابن عباس هي ثلاثون سهما هن شرائع
الاسلام لم يبتل بها احد فاقامها كلها الا ابراهيم فكتب له البراءة فقال
وابراهيم الذي وفى ومعنى هذا الكلام انه لم يبتل احد قبل ابراهيم فاما
بعده فقد ابتلي الانبيا بجميع ما امروا به من الدين خصوصا نبينا صلى الله
عليه وسلم فقد ابتلي بجميع ما امر به وهي عشرة مذكورة في سورة براءة في قوله
التائبون العابدون الاية وعشرة في سورة الاحزاب في قوله ان المسلمين
والمسلمات الاية وعشرة في سورة المومنين في قوله قد افلح المومنون الذين
هم في صلاتهم خاشعون الايات وهي مذكورة ايضا في سورة سال سايل
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ايضا قال ابتلاه الله بعشرة اشياء من الفطرة خمس
في الراس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الراس
وخمس في الجسد تقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والختان
والاستنجا بالما ف عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الفطرة خمس وفي رواية خمس من الفطرة الختان والاستحداد
وقص الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط م عن عائشة قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر من الفطرة قص الشارب واعفاء اللحية

والسواك والاستنشاق بالماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الإبط
وحلق العانة وانتقاص الماء قال مصعب ونسيت العاشرة إلا أن
تكون المضمضة قال وكيع انتقاص الماء يعني الاستنجاء قال العلماء
الفطرة السنة وقيل الملة وقيل الطريقة وهذه الأشياء المذكورة
في الحديث والخمس من الفطرة قيل كانت على إبراهيم عليه السلام فرضا
وهي لنا سنة واتفق العلماء على أنها من الملة وأما معانيها فقيل
فقص الشارب وإعفاء اللحية لمخالفة الأعاجم فإنهم كانوا يقصون
لحاهم ويوفرون شواربهم أو يوفرونهما معا وذلك عكس الجمال والنظافة
وأما السواك والمضمضة والاستنشاق فلتنظيف الفم والأنف
من الطعام والقلح والوسخ وأما قص الأظفار فللجمال والزينة فإنها
إذا طالت قبح منظرها واحتوى الوسخ فيها وأما غسل البراجم وهي العقد
التي في ظهور الأصابع فإنه يجتمع فيها الوسخ ويشين المنظر وأما حلق
العانة ونتف الإبط فللتنظيف عما يجتمع من الوسخ في الشعر وأما
الاستنجاء فلتنظيف ذلك المحل عن الأذى وأما الختان فلتنظيف القلفة
عما يجتمع فيها من البول واختلف العلماء في وجوبه فذهب الشافعي إلى أن
الختان واجب لأنه ينكشف له العورة ولا يباح ذلك إلا في الواجب وذهب
غيره إلى أنه سنة وأول من اختتن إبراهيم عليه السلام ولم يختتن أحد
قبله ق عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اختتن إبراهيم بالقدوم يروى القدوم بالتخفيف والتشديد فمن خفف
ذهب إلى أنه اسم للآلة التي يقطع بها ومن شدد قال إنه اسم موضع م عن
يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول كان إبراهيم خليل الرحمن
أول الناس ضيف الضيف وأول الناس قص شاربه وأول الناس رأى
الشيب فقال يا رب ما هذا قال الرب تبارك وتعالى وقار يا إبراهيم قال
رب زدني وقارا [illegible] وقيل في الكلمات [illegible]
وقيل ابتلاه الله بسبعة أشياء بالكوكب والقمر والشمس فأحسن النظر

فيهن

فيهن وبالنار والهجرة وذبح ولده والختان فصبر عليها وقيل إن الله
ابتلى إبراهيم بكلمات أوحاها إليه وأمره أن يعمل بهن فأتمهن أي
أداهن حق التأدية وقام بموجبهن حق القيام وعمل بهن من غير تفريط
وتوان ولم ينتقص منهن شيئا واختلفوا هل كان هذا الابتلاء قبل
النبوة أو بعدها فقيل كان قبل النبوة بدليل قوله في سياق الآية
إني جاعلك للناس إماما والسبب يتقدم على المسبب وقيل بل كان
هذا الابتلاء بعد النبوة لأن التكليف لا يعلم إلا من جهة الوحي الإلهي
وذلك بعد النبوة والصواب أنه إن فسر الابتلاء بالكوكب والقمر والشمس
كان ذلك قبل النبوة وإنه إن فسر بما وجب عليه من شرائع الدين
كان ذلك بعد النبوة وقوله تعالى قال إني جاعلك للناس إماما
أي يقتدى بك في الخير ويأتمون بسنتك وهديك والإمام هو الذي يؤتم
به قال ومن ذريتي أي قال إبراهيم واجعل من ذريتي وأولادي أئمة يقتدى
بهم قال الله لا ينال أي لا يصيب عهدي أي نبوتي وقيل الإمامة الظالمين
يعني من ذريتك والمعنى لا ينال ما عهدت إليك من النبوة والإمامة
من كان ظالما من ذريتك وولدك قوله تعالى وإذ جعلنا البيت يعني البيت
الحرام وهو الكعبة ويدخل فيه الحرم فإنه تعالى وصفه بكونه آمنا وهذه صفة
جميع الحرم مثابة للناس أي مرجعا من ثاب يثوب إذا رجع والمعنى يثوبون
إليه من كل جانب يحجونه وأمنا أي موضعا ذا أمن يأمنون فيه من أذى المشركين
فإنهم كانوا لا يتعرضون لأهل مكة ويقولون هم أهل الله وقال ابن عباس
معاذا وملجأ ق عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
فتح مكة إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو
حرام بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي
ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد
شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلاه
فقال العباس يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم وبيوتهم فقال

الا الاذخر معنى الحديث انه لا يحل لاحد ان ينصب القتال والحرب في الحرم وانما احل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فقط ولا يحل لاحد بعده قوله لا يعضد شوكه اي لا يقطع شوك الحرم واراد به ما لا يؤذي فاما المؤذي منه كالعوسج فلا باس بقطعه قوله ولا ينفر صيده اي لا يتعرض له بالاصطياد ولا يهاج قوله ولا يلتقط لقطته الا من عرفها اي ينشدها والنشد رفع الصوت بالتعريف واللقطة في جميع الارض لا تحل الا لمن يعرفها حولا فان جا صاحبها اخذها والا انتفع بها الملتقط بشرط الضمان وحكم مكة في اللقطة ان يعرفها على الدوام بخلاف غيرها من البلاد فانه محدود بسنة قوله ولا يختلى خلاه الخلا مقصور الرطب من النبات الذي يرعى وقيل هو اليابس من الحشيش واختلاه قطعه قوله لقينهم القين هو الحداد وقوله

واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى قيل الحرم كله مقام ابراهيم وقيل اراد بمقام ابراهيم جميع مشاهد الحج مثل عرفة والمزدلفة والرمي وسائر المشاهد والصحيح ان مقام ابراهيم هو الحجر الذي يصلي عنده الائمة وذلك الحجر هو الذي قام ابراهيم عليه عند بناء البيت وقيل كان اثر اصابع رجلي ابراهيم عليه السلام فيه فاندرست بكثرة المسح بالايدي وقيل انما امروا بالصلاة عنده ولم يؤمروا بمسحه وتقبيله ق عن انس بن مالك قال قال عمر وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى الحديث وكان بدو قصة المقام على ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال اول ما اتخذت النساء المنطق من قبل ام اسماعيل اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة ثم جا بها ابراهيم وبابنها اسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته ام اسماعيل فقالت يا ابراهيم الى اين تذهب

وتركنا





وتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انيس ولا شي فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له الله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات فرفع يديه فقال رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما في السقا عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى او قال يتلبط فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا فلم تر احدا فهبطت من الصفا حتى بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى احدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعي الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت ايضا فقالت يا من قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيده هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله ام اسماعيل لو تركت زمزم او قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ههنا بيتا لله يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تاتيه السيول فتاخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم او اهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كدا فنزلوا في اسفل مكة فراوا طايرا عائفا فقالوا ان هذا الطاير ليدور

لبيت

علي الما لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ما، فارسلوا جريا او جريين
فاذا هم بالما فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وام اسماعيل عند الما
فقالوا اتاذنين لنا ان ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم
في الما قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فالفى
ذلك ام اسماعيل وهي تحب الانس فارسلوا الى اهليهم فنزلوا معهم
حتى اذا كانوا بها اهل ابيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية
منهم وانفسهم واعجبهم حين شب فلما ادرك زوجوه امراة منهم
وماتت ام اسماعيل فجا ابراهيم بعد ما تزوج اسماعيل يطالع تركته
فلم يجد اسماعيل فسال امراته عنه فقالت خرج يبتغي لنا وفي رواية
ذهب يصيد لنا ثم سالها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن
في ضيق وشدة وشكت اليه فقال اذا جا زوجك اقري عليه السلام
وقولي له يغير عتبة بابه فلما جا اسماعيل كانه انس شيا فقال هل
جاكم من احد قالت نعم جانا شيخ كذا وكذا فسالنا عنك فاخبرته فسالني
كيف عيشنا فاخبرته انا في جهد وشدة فقال هل اوصاك بشي قالت نعم
امرني ان اقرا عليك السلام ويقول لك غير عتبة بابك قال ذاك ابي وقد
امرني ان افارقك الحقي باهلك فطلقها وتزوج منهم اخرى فلبث عنهم
ابراهيم ما شا الله ان يلبث ثم اتاهم بعد فلم يجده فدخل على امراته
فسالها عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف انتم وسالها عن عيشهم
فقالت نحن بخير وسعة واثنت على الله عز وجل فقال ما طعامكم قالت اللحم
قال فما شرابكم قالت الما قال اللهم بارك لهم في اللحم والما قال النبي صلى
الله عليه وسلم ولم يكن لهم يوميذ حب ولو كان لهم حب دعا لهم فيه قال فهما
لا يخلو عليهما احد بغير مكة الا لم يوافقاه وفي رواية فجا فقال
اين اسماعيل فقالت امراته ذهب يصيد فقالت امراته الا تنزل
فتطعم وتشرب قال وما طعامكم وما شرابكم قالت طعامنا اللحم
وشرابنا الما قال اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم قال فقال ابو القاسم

ابو القاسم

ابو القاسم بركة دعوة ابراهيم قال فاذا جا زوجك فاقري عليه السلام
ومريه يثبت عتبة بابه فلما جا اسماعيل قال هل اتاكم من احد
قالت نعم اتانا شيخ حسن الهيئة واثنت عليه فسالني عنك
فاخبرته فسالني كيف عيشنا فاخبرته انا بخير قال فاوصاك
بشي قالت نعم يقرا عليك السلام ويامرك ان تثبت عتبة بابك
قال ذاك ابي وانت العتبة امرني ان امسكك ثم لبث عنهم ما شا
الله ثم جا بعد ذلك واسماعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبا
من زمزم فلما راه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد
بالوالد ثم قال يا اسماعيل ان الله امرني بامر قال فاصنع ما امرك به
ربك قال وتعينني قال واعينك قال فان الله امرني ان ابني بيتا ههنا
واشار الى اكمة مرتفعة على ما حولها فعند ذلك رفع القواعد من البيت
فجعل اسماعيل ياتي بالحجارة وابراهيم يبني حتى اذا ارتفع البنا جا ابراهيم
بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني واسماعيل يناوله الحجارة وهما
يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم قال فجعلا يبنيان حتى
يدورا حول البيت وهما يقولان انك انت السميع العليم وفي رواية حتى
ارتفع البنا وضعف الشيخ عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام فجعل يناوله
الحجارة ويقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ويقال ان امراة
اسماعيل قالت لابراهيم انزل اغسل لك راسك فلم ينزل فجاته بالمقام
فوضعته عن شقه الايمن فوضع قدمه عليه فغسلت شق راسه الايمن
ثم حولته الى شقه الايسر فغسلت شق راسه الايسر فبقي اثر قدميه
عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم
يطمس نورهما لاضا ما بين المشرق والمغرب اخرجه الترمذي وقال
هذا حديث يروى عن ابن عمرو موقوفا [illegible]
[illegible] المصطفى [illegible] من الصلاة [illegible] الدعا

ومن فسر المقام بالحجر قال معناه واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى قبلة
امروا بالصلاة عنده وهذا القول هو الصحيح لان لفظ الصلاة
اذا اطلق لا يعقل منه الا الصلاة المعهودة ذات الركوع والسجود
ولان مصلى الرجل هو الموضع الذي يصلي فيه وعهدنا الى ابراهيم
واسماعيل اي امرناهما والزمناهما واوجبنا عليهما قيل انما سمي اسماعيل
لان ابراهيم كان يدعو الله ان يرزقه ولدا ويقول في دعائه اسمع
يا ايل وايل بلسان السريانية هو الله فلما رزق الولد سماه به
ان طهرا بيتي يعني الكعبة اضافه اليه تشريفا وتفضيلا وتخصيصا
اي ابنياه على الطهارة والتوحيد وقيل طهراه من سائر الاقذار
والانجاس وقيل طهراه من الشرك والاوثان وقول الزور للطائفين
يعني الدائرين حوله والعاكفين يعني المقيمين به المجاورين له والركع
السجود جمع راكع وساجد وهم المصلون وقيل الطائفين الغرباء الواردين
الى مكة والعاكفين يعني اهل مكة المقيمين بها قيل ان الطواف للغرباء افضل
والصلاة لاهل مكة بمكة افضل قوله تعالى واذ قال ابراهيم رب اجعل
هذا اشارة الى مكة وقيل الى الحرم بلدا آمنا اي ذا امن يامن فيه اهله
وانما دعا ابراهيم لهم بالامن لانه بلد ليس فيه زرع ولا ثمر فاذا لم يكن امنا
لم يجلب اليه شي من النواحي فيتعذر المقام به فاجاب الله تعالى دعا ابراهيم
وجعله بلدا امنا فما قصده جبار الا قصمه الله تعالى كما فعل باصحاب
الفيل وغيرهم من الجبابرة فان قلت قد غزا مكة الحجاج واخرب الكعبة
قلت لم يكن قصده بذلك مكة ولا اهلها ولا اخراب الكعبة وانما كان
قصده خلع ابن الزبير من الخلافة ولم يتمكن من ذلك الا بذلك فلما
حصل قصده اعاد بنا الكعبة فبناها وشيدها وعظم حرمتها
واحسن الى اهلها واختلفوا هل كانت محرمة قبل دعوة ابراهيم عليه السلام
او حرمت بدعوته على قولين احدهما انها كانت محرمة قبل دعوته بدليل
قوله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وقوله

ابراهيم

ابراهيم عليه السلام اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك
المحرم فهذا يقتضي ان مكة كانت محرمة قبل دعوة ابراهيم القول الثاني
انما حرمت بدعوة ابراهيم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم حرم
مكة واني حرمت المدينة وهذا يقتضي ان مكة كانت قبل دعوة ابراهيم
حلالا كغيرها من البلاد وانما حرمت بدعوة ابراهيم ووجه الجمع
بين القولين وهو الصواب ان الله تعالى حرم مكة يوم خلقها كما اخبر النبي
صلى الله عليه وسلم في قوله ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض
ولكن لم يظهر ذلك التحريم على لسان احد من انبيائه ورسله وانما كان
الله تعالى يمنعها ممن ارادها بسوء ويدفع عنها وعن اهلها الافات
والعقوبات فلم يزل ذلك من امرها حتى بوأها الله تعالى ابراهيم واسكن
بها اهله فحينئذ سال ابراهيم ربه عز وجل ان يظهر تحريم مكة
لعباده على لسانه فاجاب الله دعوته والزم عباده تحريم مكة فصارت
مكة حراما بدعوة ابراهيم وفرض على الخلق تحريمها والامتناع من استحلالها
او استحلال صيدها وشجرها فهذا وجه الجمع بين القولين وهو
الصواب والله اعلم وارزق اهله من الثمرات انما سال ابراهيم ذلك
لان مكة لم يكن بها زرع ولا ثمر فاستجاب الله تعالى له وجعل مكة حرما
امنا يجبى اليه ثمرات كل شي من امن منهم بالله واليوم الاخر يعني ارزق
المؤمنين من اهله خاصة وسبب هذا التخصيص ان ابراهيم عليه السلام
لما سال ربه عز وجل ان يجعل النبوة والامامة في ذريته فاجابه الله
بقوله لا ينال عهدي الظالمين فصار ذلك تاديبا له في المسئلة فلا جرم
خص بدعائه ههنا المؤمنين دون الكافرين ثم اعلمه ان الرزق في الدنيا
يستوي فيه المؤمن والكافر قال ومن كفر فامتعه اي سارزق الكافر
ايضا قليلا اي في الدنيا الى منتهى اجله وذلك قليل لانه ينقطع ثم
اضطره الى عذاب النار اي الجئه واكرهه وادفعه الى عذاب
النار [illegible] الذي لا يمكن لنفسه الامتناع مما اضطر اليه



وبئس المصير اي وبئس المكان الذي يصير اليه الكافر من العذاب
قوله عز وجل **واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل**
وكانت قصة بناء البيت على ما ذكره العلماء واصحاب السير
ان الله خلق موضع البيت قبل ان يخلق الارض بالفي عام فكانت زبدة
بيضاء على وجه الماء فدحيت الارض من تحتها فلما اهبط الله ادم
عليه السلام الى الارض استوحش فشكى الى الله تعالى فانزل الله البيت
المعمور وهو من ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد اخضر
باب شرقي وباب غربي فوضعه على موضع البيت وقال يا ادم اني
اهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي وتصلي عنده كما يصلى
عند عرشي وانزل عليه الحجر الاسود وكان ابيض فاسود من مس الحيض
في الجاهلية فتوجه ادم من الهند ماشيا الى مكة وارسل الله اليه
ملكا يدله على البيت فحج ادم البيت واقام المناسك فلما فرغ تلقته
الملائكة وقالوا له بر حجك يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي
عام قال ابن عباس حج ادم اربعين حجة من الهند الى مكة على رجليه
فكان على ذلك الى ايام الطوفان فرفعه الله الى السماء الرابعة وهو البيت
المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه وبعث الله
جبريل حتى خبأ الحجر الاسود في جبل ابي قبيس صيانة له من الغرق فكان
موضع البيت خاليا الى زمن ابراهيم عليه السلام ثم ان الله تعالى امر
ابراهيم بعد ما ولد له اسماعيل واسحق ببناء بيت يذكر فيه ويعبد
فسال الله ان يبين له موضعه فبعث الله السكينة لتدله على موضع
البيت وهي ريح خجوج لها راسان تشبه الحية والخجوج من الرياح
هي الشديدة السريعة الهبوب وقيل هي الملتوية فتبعها
ابراهيم الى ان اتت الى موضع البيت فتطوقت عليه كتطوق الحية وقال ابن عباس بعث الله تعالى
سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وابراهيم يمشي في ظلها الى ان وافق

على موضع البيت يوتوذي منها يا ابراهيم ابن على قدر ظلها ولا تزد ولا
تنقص وقيل ارسل الله الريح فكنست له ما حول الكعبة حتى ظهر له اساس
البيت الاول فذلك قوله تعالى واذ بوانا لابراهيم مكان البيت فبنى
ابراهيم واسماعيل البيت فكان ابراهيم يبنيه واسماعيل يناوله الحجارة
فذلك قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت جمع قاعدة وهي
اساس وقيل جدره من البيت قال ابن عباس بنى ابراهيم البيت من
خمسة اجبل من طور سينا وطور زيتا ولبنان جبل بالشام والجودي
جبل بالجزيرة وبنى قواعده من حراء جبل بمكة فلما انتهى ابراهيم
الى موضع الحجر الاسود قال لاسماعيل ائتني بحجر حسن يكون للناس
علما فاتاه بحجر فقال ائتني باحسن منه فمضى اسماعيل ليطلب حجرا
احسن منه فصاح ابو قبيس يا ابراهيم ان لك عندي وديعة
فخذها فقذف بالحجر الاسود فاخذه ابراهيم فوضعه مكانه
وقيل ان الله تعالى امر ابراهيم واسماعيل بسبعة املاك يعينونهما
على بناء البيت فلما فرغا من بنائه قالا **ربنا تقبل منا** وفي الاية اضمار
تقديره ويقولان ربنا تقبل منا اي ما عملنا لك وتقبل طاعتنا اياك
وعبادتنا لك **انك انت السميع** اي لدعائنا **العليم** يعني بنياتنا قوله
تعالى **ربنا واجعلنا مسلمين لك** يعني موحدين مخلصين خاضعين لك
فان قلت الاسلام اما ان يكون المراد منه الدين والاعتقاد او الاستسلام
والانقياد وقد كانا كذلك حالة هذا الدعا فما فائدة هذا الطلب
قلت فيه وجهان احدهما ان الاسلام عرض قائم بالقلب وقد لا يبقى
فقوله واجعلنا مسلمين لك يعني في المستقبل وذلك لا ينافي حصوله
في الحال الوجه الثاني يحتمل ان يكون المراد منه طلب الزيادة في الايمان
فكانهما طلبا زيادة اليقين والتصديق وذلك لا ينافي حصوله
في الحال **ومن ذريتنا** اي ومن اولادنا **امة** اي جماعة **مسلمة** اي خاضعة
منقادة **لك** وانما خصا بعض الذرية بالدعاء لان الله تعالى اعلمهما بقوله

لا ينال عهدي الظالمين أن في ذريتهما الظالم فلهذا خص بعض الذرية
بالدعا فان قلت لم خص ذريتهما بالدعا قلت لانهم احق بالشفقة والنصيحة
قال الله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا ولان اولاد الانبيا اذا اصلحوا
اصلح بهم غيرهم الا ترى ان المتقدمين من العلما والكبرا اذا كانوا على
السداد كيف يتسببون لسداد من وراهم وقيل اراد بالامة
امة محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله وابعث فيهم رسولا منهم
وارنا اي علمنا وبصرنا **مناسكنا** اي شرايع ديننا واعلام حجتنا
وقيل مناسكنا يعني مذابحنا والنسك الذبيحة وقيل متعبداتنا واصل
النسك العبادة والناسك العابد فاجاب الله دعاهما وبعث
جبريل فاراهما المناسك في يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال عرفت
قال ابراهيم نعم فسمي ذلك الوقت عرفة والموضع عرفات **وتب
علينا** اي وتجاوز عنا **انك انت التواب** اي المتجاوز عن عباده **الرحيم**
بهم واحتج بقوله وتب علينا من جوز الذنوب على الانبيا ووجهه
ان التوبة لا تطلب من الله تعالى الا بعد تقدم الذنب فلولا تقدم
الذنب لم يكن لطلب التوبة وجه واجيب عنه بان العبد وان اجتهد
في طاعة ربه عز وجل فانه لا ينفك عن تقصير في بعض الاوقات اما
على سبيل السهو وترك الاولى والافضل فكان هذا الدعا لاجل ذلك
وقيل يحتمل ان الله تعالى لما اعلم ابراهيم ان في ذريته من هو ظالم فلا جرم
سال ربه التوبة لاولئك الظلمة والمعنى وتب على الظلمة من اولادنا
حتى يرجعوا الى طاعتك فيكون ظاهر الكلام الدعا لانفسهما والمراد
ذريتهما وقيل يحتمل انهما لما رفعا قواعد البيت وكان ذلك المكان
احرى الاماكن بالاجابة فدعوا الله بذلك الدعا ليجعلوا ذلك سنة
وليقتدي من بعدهما بهما في ذلك الدعا لان ذلك المكان هو موضع التنصل
من الذنوب وسوال التوبة والمغفرة من الله قوله عز وجل **ربنا
وابعث فيهم رسولا منهم** يعني في الامة المسلمة من ذرية اسمعيل من

العرب

العرب من ولد اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وقوله رسولا منهم يعني
يدعوهم الى الاسلام ويكمل الدين والشرايع واذا كان الرسول منهم
يعرفون نسبه ومولده ومنشاه كان اقرب لقبول قوله ويكون
هو اشفق عليهم من غيره واجمع المفسرون على ان المراد بقوله رسولا
منهم محمدا صلى الله عليه وسلم لان ابراهيم عليه السلام انما دعا لذريته
وهو بمكة ولم يبعث من ذريته بمكة غير محمد صلى الله عليه وسلم فدل
على ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم وروى البغوي باسناده عن عرباض
بن سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني عند الله مكتوب
خاتم النبيين وان ادم لمنجدل في طينته وساخبركم باول امري انا
دعوة ابراهيم وبشارة عيسى ورويا امي التي رات حين وضعتني وقد
خرج لها نور ساطع اضاءت لها منه قصور الشام قوله لمنجدل في
طينته معناه مطروح على وجه الارض صورة من طين لم تجر فيه الروح
اراد بدعوة ابراهيم قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فاستجاب الله دعاء
ابراهيم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم في اخر الزمان وانقذهم به
من الكفر والظلم واراد ببشارة عيسى عليه السلام قوله في سورة
الصف ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد **يتلو عليهم** اي يقرا
عليهم **اياتك** يعني ما توحيه اليه وهو القران الذي انزله على محمد صلى الله
عليه وسلم لان الذي كان يتلو عليهم هو القران فوجب حمله عليه **ويعلمهم
الكتاب** يعني معاني الكتاب وحقايقه لان المقصود الاعظم تعليم
ما في القران من دلايل التوحيد والنبوة والاحكام الشرعية فلما ذكر الله
تعالى اولا امر التلاوة وهي حفظ القران ودراسته ليبقى مصونا عن
التحريف والتبديل ذكر بعده تعليمه حقايقه واسراره **والحكمة** اي
ويعلمهم الحكمة وهي الاصابة في القول والعمل ولا يسمى الرجل حكيما الا اذا اجتمع
فيه الامران وقيل الحكمة [illegible] انه ترده عن الجهل والخطا وذلك انما يكون
بما ذكرناه من الاصابة في القول والعمل ووضع كل شي موضعه وقيل

الحكمة معرفة الاشيا بحقايقها واختلف المفسرون في المراد بالحكمة
ههنا فروى ابن وهب قال قلت لمالك ما الحكمة قال المعرفة بالدين
والفقه فيه والاتباع له وقال قتادة الحكمة هي السنة وذلك لان الله
تعالى ذكر تلاوة الكتاب وتعليمه ثم عطف عليه بالحكمة فوجب ان يكون
شيا اخر وليس ذلك الا السنة وقيل الحكمة هي العلم باحكام الله التي
لا يدرك علمها الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم والمعرفة بها منه
وقيل الحكمة هي الفصل بين الحق والباطل وقيل هي معرفة الاحكام والقضا
وقيل هي فهم القران والمعنى ويعلمهم ما في القران من الاحكام والحكمة
ما فيه من المصالح الدينية والاحكام الشرعية وقيل كل كلمة وعظتك
او دعتك الى مكرمة او نهتك عن قبيح فهي حكمة ويزكيهم اي ويطهرهم
من الشرك وعبادة الاوثان وساير الارجاس والرذايل والنقايص
وقيل يزكيهم من التزكية اي يشهد لهم يوم القيمة بالعدالة اذا شهدوا
للانبيا بالبلاغ ثم ختم ابرهيم الدعا بالثنا على الله تعالى فقال انك انت
العزيز قال ابن عباس الذي لا يوجد مثله وقيل هو الذي يقهر ولا يقهر
وقيل هو المنيع الذي لا تناله الايدي وقيل العزيز القوي والعزة القوة
من قولهم ارض عزاز اي صلبة قوية الحكيم اي العالم الذي لا يخفى عليه خافية
وقيل هو العالم بالاشيا وايجادها على غاية الاحكام [illegible]
ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه [illegible] سبب نزول هذه
الاية ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه الى الاسلام مهاجرا وسلمة فقال لهما
قد علمتما ان الله تعالى قال في التوراة اني باعث من ولد اسماعيل نبيا اسمه
احمد فمن امن به فقد اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة
وابى مهاجر ان يسلم فانزل الله ومن يرغب عن ملة ابرهيم اي دينه [illegible]
وشريعته [illegible] بالهودية والنصرانية [illegible]
والنصارى [illegible] بالانتساب الى ابراهيم [illegible]
اسرائيل [illegible]

من ولد

[illegible] ملة ابراهيم واذا كان كذلك فان ابرهيم هو الذي طلب
بعثة هذا الرسول في اخر الزمان فمن رغب عن الايمان بهذا الرسول الذي
هو دعوة ابراهيم فقد رغب عن ملة ابرهيم ومعنى يرغب عن ملة ابرهيم
اي يترك دينه وشريعته يقال رغب في الشي اذا اراده ورغب
عنه اذا تركه الا من سفه نفسه قال ابن عباس خسر نفسه وقيل اهلك
نفسه وقيل امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة وقيل الجهل
وضعف الراي فكل سفيه جاهل لان من عبد غير الله فقد جهل نفسه
لانه لم يعرف بان الله خالقها وقد جاء من عرف نفسه فقد عرف ربه
ومعناه ان يعرف نفسه بالذل والضعف والعجز والفنا ويعرف ربه
بالعز والقدرة والقوة والبقا ويدل على هذا ان الله تعالى اوحى الى داود
اعرف نفسك واعرفني قال يا رب كيف اعرف نفسي وكيف اعرفك قال
اعرف نفسك بالضعف والعجز والفنا واعرفني بالقوة والقدرة والبقا
ولقد اصطفيناه اي اخترناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين
يعني الفايزين وقيل مع الانبيا في الجنة اذ قال له ربه اسلم اي استقم
على الاسلام واثبت عليه لانه كان مسلما لان الانبيا انما نشوا على
الاسلام والتوحيد قال ابن عباس قال له ذلك حين خرج من السرب
و[illegible] لانه بالكواكب والقمر والشمس واطلاعه على امارات
الحدوث فيها واضطرارها الى محدث مدبر فلما عرف ذلك قال له ربه
اسلم قال اسلمت لرب العالمين اي قال ابرهيم خضعت بالطاعة
واخلصت العبادة لمالك الخلايق ومدبرها ومحدثها وقيل معنى اسلم
اخلص دينك وعبادتك لله واجعلها سليمة وقيل الايمان من صفات
القلب والاسلام من صفة الجوارح وان ابراهيم كان مؤمنا بقلبه عارفا
[illegible] ايمانه بعمل جوارحه وقيل معناه اسلم نفسك الى الله تعالى
وفوض امرك اليه فقال اسلمت اي فوضت امري لرب العالمين قال ابن عباس
وقد حقق ذلك حيث لم يستعن باحد من الملايكة حين القي في النار فقوله

[illegible]

عز وجل ووصى بها ابراهيم بنيه يعني بكلمة الاخلاص وهي لا اله الا الله
وقيل بالسنة الحنيفية وكان لابراهيم ثمانية اولاد اسماعيل وامه هاجر
القبطية واسحاق وامه سارة ومدين ومدان ويقشان وزمران
ونشق وشرخ وامهم قطورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها ابراهيم
حين وفاة سارة فان قلت لم قال ووصى بها ابراهيم بنيه ولم يقل امرهم
قلت لان لفظ الوصية اوكد من لفظ الامر لان الوصية انما تكون عند
الخوف من الموت وفي ذلك الوقت يكون احتياط الانسان لولده اشد
واعظم وكانوا هم الى قبول وصيته اقرب وانما خص بنيه بهذه الوصية
لان شفقة الرجل على بنيه اكثر من شفقته على غيرهم وقيل لانهم كانوا
ايمة يقتدى بهم فكان صلاحهم صلاح لغيرهم ويعقوب اي ووصى يعقوب بنيه
مثل ما وصى به ابراهيم وسمي يعقوب لانه والعيص كانا توأمين في بطن واحد
فتقدم العيص وقت الولادة في الخروج من بطن امه وخرج يعقوب على اثره
آخذا بعقبه قاله ابن عباس وقيل سمي يعقوب لكثرة عقبه وكان ليعقوب من
الولد اثنا عشر وهم روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا وزفالون ويشجر
ودان ونفتالي وجاد واشر ويوسف وبنيامين ثم خاطب يعقوب بنيه فقال يا بني
ان الله اصطفى لكم الدين اي اختار لكم دين الاسلام فلا تموتن الا وانتم مسلمون
اي مؤمنون مخلصون والمعنى داوموا على اسلامكم حتى ياتيكم الموت وانتم مسلمون
لانه لا يعلم في اي وقت ياتي الموت على الانسان وقيل معناه وانتم مسلمون
اي محسنون الظن بالله عز وجل يدل عليه ما روي عن جابر قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة ايام يقول لا يموتن احدكم الا وهو يحسن
الظن بربه اخرجه في الصحيح قوله تعالى ام كنتم شهداء جمع شهيد
وهو بمعنى الحاضر اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت اي حين احتضر
وقرب من الموت نزلت في اليهود وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الست تعلم
ان يعقوب يوم مات اوصى بنيه باليهودية فانزل الله هذه الاية تكذيبا
لهم والمعنى ان كنتم يا معشر اليهود شهداء يعقوب اذ حضره الموت اي انكم لم

تحضروا

تحضروا اذ ذاك فلا تدعوا على انبيائي ورسلي الاباطيل وتنسبوهم الى اليهودية
فاني ما بعثت خليلي ابراهيم وولده واولادهم الا بدين الاسلام
وبذلك وصوا اولادهم وبه عهدوا اليهم ثم بين ما قال يعقوب لبنيه
فقال تعالى اذ قال يعني يعقوب لبنيه يعني لاولاده الاثني عشر
ما تعبدون من بعدي اي اي شيء تعبدون من بعدي قيل ان الله تعالى
لم يقبض نبيا حتى يخيره بين الموت والحياة فلما خير يعقوب وكان قد رأى
اهل مصر يعبدون الاوثان والنيران فقال انظرني حتى اسأل ولدي واوصيهم
فامهله فجمع ولده وولد ولده وقال لهم قد حضر اجلي ما تعبدون من بعدي
قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق انما قدم اسماعيل
لانه كان اكبر من اسحق وادخله في جملة الاباء وان كان عما لهم لان العرب تسمي
العم ابا والخالة اما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو ابيه
وقال في عمه العباس ردوا علي ابي الها واحدا ونحن له مسلمون اي مخلصون
العبودية تلك امة اشارة الى الامة المذكورة يعني ابراهيم واسماعيل واسحاق
ويعقوب وولدهم قد خلت اي مضت لسبيلها والمعنى يا معشر اليهود
والنصارى دعوا ذكر ابراهيم واسماعيل واسحاق والمسلمين من اولادهم
ولا تنسبوهم الا الى ما ليس فيهم لها ما كسبت يعني من العمل ولكم يا معشر اليهود
والنصارى ما كسبتم اي من العمل ولا تسئلون عما كانوا يعملون يعني كل فريق
يسئل عن عمله لا عن عمل غيره قوله عز وجل وقالوا كونوا هودا او نصارى
تهتدوا قال ابن عباس نزلت في رؤساء اليهود كعب بن الاشرف ومالك بن
الصيف ووهب بن يهوذا وابي ياسر بن اخطب وفي نصارى نجران السيد
والعاقب واصحابهما وذلك انهم خاصموا المسلمين في الدين كل فرقة منهم
تزعم انها احق بدين الله فقالت اليهود نبينا موسى افضل الانبياء وكتابنا
التوراة افضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفرت بعيسى والانجيل ومحمد والقرآن
وقالت النصارى نحو ذلك وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا
فلا دين الا ذلك فانزل الله عز وجل قل بل ملة ابراهيم حنيفا وكان

لابد من الاتباع فنتبع ملة ابراهيم لانه يجمع على فضله حنيفا اصله
من الحنف وهو ميل واعوجاج يكون في القدم قال ابن عباس الحنيف
هو المائل عن الاديان كلها الى دين الاسلام قال الشاعر
ولكنا خلقنا اذ خلقنا حنيفا ديننا عن كل دين والعرب تسمي
كل من حج او اختتن حنيفا تنبيها على انه على دين ابراهيم وقيل الحنيفية
الختان واقامة المناسك مسلما يعني ان الحنيفية هي دين الاسلام
وهو دين ابراهيم عليه السلام وما كان من المشركين يعني ابراهيم وفيه
تعريض باليهود والنصارى وغيرهم ممن يدعي اتباع ملة ابراهيم
وهو على الشرك ثم علم المومنين طريق الايمان فقال تعالى قولوا امنا
بالله يعني قولوا ايها المومنون لهولاء اليهود والنصارى الذين قالوا
لكم كونوا هودا او نصارى تهتدوا امنا بالله اي صدقنا بالله وما انزل
الينا يعني القران وما انزل الى ابراهيم اي وامنا بما انزل الى ابراهيم
وهي عشر صحايف واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وهم اولاد
يعقوب الاثني عشر واحدهم سبط وكانوا انبيا وقيل السبط هو ولد
الولد وهو الحافد ومنه قيل للحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله
عليه وسلم والاسباط في بني اسرائيل كالقبائل في العرب من بني اسماعيل
وكان في الاسباط انبيا وما اوتي موسى يعني التوراة وعيسى يعني الانجيل
وما اوتي النبيون من ربهم والمعنى امنا ايضا بالتوراة والانجيل والكتب
التي اوتي جميع النبيين وصدقنا ان ذلك كله حق وهدى ونور وان الجميع
من عند الله وان جميع من ذكر الله من انبيائه كانوا على حق وهدى لا نفرق
بين احد منهم اي لا نومن ببعض الانبيا ونكفر ببعض كما تبرات اليهود
من عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم واقرت ببعض الانبيا وكما تبرات النصارى
من محمد صلى الله عليه وسلم واقرت ببعض الانبيا بل نومن بكل الانبيا
وان جميعهم كانوا على حق وهدى ونحن له مسلمون اي ونحن له [illegible]
خاضعون بالطاعة [illegible]

اهل الكتاب

اهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم
وقولوا امنا بالله وما انزل الينا الاية قوله تعالى فان امنوا يعني اليهود
والنصارى بمثل ما امنتم به اي بما امنتم به ومثل صلة فهو كقوله
ليس كمثله شي اي ليس مثله شي وقيل فان اتوا بايمان كايمانكم وتوحيد
كتوحيدكم فقد اهتدوا والمعنى ان حصلوا دينا اخر مثل دينكم في
الصحة والسداد فقد اهتدوا ولكن لما استحال ان يوجد دين اخر
يساوي هذا الدين في الصحة والسداد استحال الاهتدا بغيره لان هذا
الدين مبناه على التوحيد والاقرار بكل الانبيا وما انزل اليهم وقيل معناه
فان امنوا بكتابكم كما امنتم بكتابهم فقد اهتدوا وان تولوا اي اعرضوا
فانما هم في شقاق اي في خلاف ومنازعة وقيل في عداوة ومحاربة
وقيل في ضلال واصله من الشق كانه صار في شق غير شق صاحبه
بسبب عداوته وقيل هو من المشقة لان كل واحد منهما يحرص على ما يشق
على صاحبه ويوذيه فسيكفيكهم الله اي يكفيك الله يا محمد شر اليهود
والنصارى وهو ضمان من الله تعالى لاظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه
اذا تكفل بشي انجزه وهو اخبار بغيب ففيه معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم
وقد انجز الله ما وعده بقتل بني قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير
وضرب الجزية على اليهود والنصارى وهو السميع لاقوالهم العليم باحوالهم
يسمع جميع ما ينطقون به ويعلم جميع ما يضمرون من الحسد والغل
وهو مجازيهم ومعاقبهم عليه قوله تعالى صبغة الله قال ابن عباس
دين الله وانما سماه صبغة لان اثر الدين يظهر على المتدين كما يظهر اثر
الصبغ على الثوب وقيل فطرة الله وقيل سنة الله وقيل اراد به الختان
لانه يصبغ المختتن بالدم قال ابن عباس ان النصارى اذا ولد لاحدهم
مولود فاتى عليه سبعة ايام غمسوه في ماء لهم اصفر يسمونه المعمودية
وصبغوه به ليطهروه بذلك مكان الختان فاذا فعلوا ذلك به قالوا الان

صار نصرانيا حقا فاخبر الله ان دين الاسلام ليس كما تفعله النصارى ومن
احسن من الله صبغة اي دينا وقيل تطهيرا لانه تطهير من اوساخ الكفر
ونحن له عابدون اي مطيعون قل يعني يا محمد لليهود والنصارى الذين
قالوا ان دينهم خير من دينكم وامروكم باتباعهم اتحاجوننا في الله اي
اتخاصموننا وتجادلوننا في دين الله الذي امرنا ان نتدين به والمحاجة
المجادلة لاظهار الحجة وذلك انهم قالوا ان ديننا اقدم من دينكم وان
الانبياء منا وعلى ديننا فنحن اولى بالله منكم فامر الله المؤمنين ان يقولوا
لهم اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم اي نحن وانتم في الله سواء فانه ربنا
وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعني ان لكل احد جزاء عمله ونحن له
مخلصون اي مخلصوا الطاعة والعبادة لله وفيه توبيخ لليهود والنصارى
والمعنى وانتم به مشركون والاخلاص ان يخلص العبد دينه وعمله لله تعالى
فلا يشرك به في دينه ولا يرائي في عمله قال الفضيل بن عياض ترك العمل
من اجل الناس رياء والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك
الله عنهما وهذه الاية منسوخة باية السيف قوله عز وجل ام يقولون
يعني اليهود والنصارى وهو استفهام ومعناه التوبيخ ان ابراهيم
واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى
يعني انزعمون ان ابراهيم وبنيه كانوا على دينكم وملتكم وانما
حدثت اليهودية والنصرانية بعدهم فثبت كذبكم يا معشر اليهود
والنصارى على ابراهيم وبنيه قل يا محمد أانتم اعلم يعني بدينهم ام الله
اي الله اعلم بذلك وقد اخبر ان ابراهيم وبنيه لم يكونوا على اليهودية
والنصرانية ولكن كانوا مسلمين حنفاء ومن اظلم ممن كتم يعني اخفى
شهادة عنده من الله وهي علمهم ان ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين
وان محمدا حق بنعته وصفته [illegible] وذلك [illegible]
والمعنى [illegible] اظلم [illegible] شهادة [illegible] عنده [illegible]
وما الله بغافل عما تعملون [illegible]



من ان ابراهيم

٧٨

ان ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين حنفاء وان الدين هو الاسلام لا اليهودية
ولا النصرانية والمعنى وما الله بساه عن عملكم بل هو محصيه عليكم ثم
يجازيكم عليه في الآخرة تلك امة قد خلت يعني ابراهيم وبنيه لها
ما كسبت اي جزاء ما كسبت ولكم ما كسبتم اي جزاء ما كسبتم ولا تسألون
عما كانوا يعملون يعني ان كل انسان انما يسأل يوم القيامة عن كسبه
وعمله لا عن كسب غيره وعمله وفيه وعظ وزجر لليهود ولمن
يتكل على فضل الآباء وشرفهم اي لا تتكلوا على فضل الآباء فكل يؤخذ
بعمله انما كررت هذه الاية لانه اختلفت مواطن الحجاج والمجادلة
فحسن تكريره للتذكير به وتأكيد وقيل انما كرره تنبيها لليهود لئلا
يغتروا بشرف آبائهم قوله تعالى سيقول السفهاء من الناس اي الجهال
من الناس والسفه خفة في النفس لنقصان العقل في الامور الدينية
والدنيوية ولا يشك ان ذلك في باب الدين اعظم لان العادل عن الامر الواضح
والبين بيانه يعد لسفيها فمن كان كذلك في امور دينه كان اولى بهذا
الاسم فلا تكاد تراه الا وهو سفيه ولهذا امكن حمل هذا اللفظ على اليهود والمشركين
والمنافقين وقيل نزلت هذه الاية في اليهود وذلك انهم طعنوا في
تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة لانهم لا يرون النسخ وقيل
نزلت في مشركي مكة وذلك انهم قالوا قد تردد على محمد امره واشتاق
الى مولده وقد توجه الى نحو بلدكم فلعله يرجع الى دينكم وقيل نزلت في
المنافقين وانما قالوا ذلك استهزاء بالاسلام وقيل يحتمل ان لفظ السفهاء
للعموم فيدخل فيه جميع الكفار والمنافقين واليهود ويحتمل وقوع
هذا الكلام من كلهم اذ لا فائدة في التخصيص ولان الاعداء يقولون
في الطعن والقدح [illegible] ما ولاهم
[illegible] عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني [illegible] بيت المقدس
[illegible]
[illegible] فاجاب الله تعالى عنهم بقوله قل



لله المشرق والمغرب يعني له قطرا المشرق والمغرب وما بينهما ملكا فلا يستحق
شيء ان يكون لذاته قبلة لان الجهات كلها شيء واحد وانما تصير قبلة
لان الله هو الذي جعلها قبلة فلا اعتراض عليه وهو قوله يهدي من يشاء
يعني من عباده الى صراط مستقيم يعني الجهة الكعبة وهي قبلة ابراهيم عليه
السلام قوله عز وجل وكذلك جعلناكم امة وسطا الكاف في قوله وكذلك
كاف التشبيه جاء لمشبه به وفيه وجوه احدها انه معطوف على ما تقدم
من قوله في حق ابراهيم ولقد اصطفيناه في الدنيا فكذلك جعلناكم امة وسطا
الثاني انه معطوف على قوله والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم فكذلك
هديناكم وجعلناكم امة وسطا الثالث قيل معناه كما جعلنا قبلتكم وسطا
بين المشرق والمغرب كذلك جعلناكم امة وسطا يعني عدولا اخيارا وخير الامور
اوساطها قال زهير هم وسط يرضى الانام بحكمهم اذا نزلت احدى الليالي بمعظم
وقيل متوسطة والمعنى اهل دين وسط بين الغلو والتقصير لانهما مذمومان في
الدين وهو خير [illegible] وسبب نزول هذه الآية ان رؤساء اليهود
قالوا لمعاذ بن جبل ما ترك محمد قبلتنا الا حسدا وان قبلتنا قبلة الانبياء
ولقد علم محمد انا اعدل الناس فقال معاذ انا على حق وعدل فانزل الله
هذه الآية وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا انكم
الامة توفي سبعين امة انتم اخرها وخيرها واكرمها على الله عز وجل وقوله
تعالى لتكونوا شهداء على الناس يعني يوم القيامة ان الرسل قد بلغتهم رسالة
ربهم وقيل ان امة محمد صلى الله عليه وسلم شهداء على من يترك الحق من الناس اجمعين
ويكون الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم عليكم شهيدا يعني معدلا مزكيا
لكم وذلك ان الله تعالى يجمع الاولين والآخرين في صعيد واحد ثم يقول لكفار
الامم الم يأتكم نذير فيكفرون ويقولون ما جاءنا من نذير فيسأل الله الانبياء
عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة وهو اعلم بهم اقامة
للحجة فيقولون امة محمد تشهد لنا فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم
فيشهدون لهم انهم قد بلغوا فتقول الامم الماضية من اين علموا وانما اتوا بعدنا

لغلو النصارى في عيسى وتقصير اليهود في الدين

فيسال

فيقول الله تعالى لهم [illegible] فيقولون ارسلت الينا رسولا وانزلت عليه كتابا اخبرتنا
فيه بتبليغ الرسل وانت صادق فيما اخبرت ثم يؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم
فيسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بصدقهم خ عن ابي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بنوح وامته يوم القيامة فيقال
له هل بلغت فيقول نعم اي رب فيسأل امته هل بلغكم فيقولون
ما جاءنا من بشير ولا نذير فيقال لنوح من يشهد لك فيقول محمد وامته
فيجاء بكم فتشهدون ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم
امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا زاد الترمذي
وسطا قال عدلا [illegible] وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي وما
جعلنا صرفك عن القبلة التي كنت عليها وهي بيت المقدس وانما حذف
ذكر الصرف اكتفاء بدلالة اللفظ عليه وقيل معناه وما جعلنا القبلة
التي كنت عليها منسوخة وقيل معناه وما جعلنا القبلة التي كنت عليها
الكعبة الا لنعلم من يتبع الرسول فان قلت ما معنى قوله الا لنعلم
وهو عالم بالاشياء كلها قبل كونها قلت اراد به العلم الذي يتعلق به الثواب
والعقاب فانه لا يتعلق بما هو عالم به في الغيب انما يتعلق بما يوجد
والمعنى لنعلم العلم الذي يستحق العامل عليه الثواب والعقاب وقيل
العلم هنا بمعنى الرؤية اي لنرى ونميز من يتبع الرسول في القبلة ممن ينقلب
على عقبيه وقيل معناه الا لنعلم رسلي وحزبي واوليائي من المؤمنين من
يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وكان من شأن العرب اضافة ما فعله
الاتباع الى الكبير كقولهم فتح عمر العراق وجبى خراجها وانما فعل ذلك اتباعه
عن امره وقيل انما قال الا لنعلم وهو بذلك عالم قبل كونه على وجه الرفق بعباده
[illegible] الا لتعلموا انتم اذ كنتم جهالا به قبل كونه فاضاف العلم الى نفسه
رفقا بعباده المخاطبين وقيل معناه لنعلم [illegible] في علمه [illegible] القبلة
[illegible] وضلالة [illegible] ومعنى من يتبع الرسول اي يطيعه
في امر القبلة ويتوجه اليها ممن ينقلب على عقبيه اي يرجع الى ما كان عليه من الكفر

الناسع من تفسير الخازن ٨٠

نبرئك وفي الحديث انه لما تحولت القبلة الى الكعبة ارتد قوم الى اليهودية
وقالوا رجع محمد الى دين ابايه وان كانت اي وقد كانت لكبيرة يعني
تولية القبلة بقبلة شاقة وقيل هي التولية من بيت المقدس الى الكعبة
وقيل الكبيرة هي القبلة التي وجهه اليها قبل التحويل وهي بيت المقدس
وانث الكبيرة لتانيث القبلة وقيل لتانيث التولية الا على الذين هدى الله
يعني الصادقين في اتباع الرسول وما كان الله ليضيع ايمانكم يعني صلاتكم
الى بيت المقدس وذلك ان حيي بن اخطب واصحابه من اليهود قالوا للمسلمين
اخبرونا عن صلاتكم الى بيت المقدس ان كانت على هدى فقد تحولتم عنه
وان كانت ضلالة فقد دنتم الله بها مدة ومن مات عليها فقد مات
على ضلالة فقال المسلمون انما الهدى فيما امر الله به والضلالة
فيما نهى الله عنه قالوا فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا وكان قد
مات قبل ان تحول القبلة الى الكعبة اسعد بن زرارة من بني النجار
والبراء بن معرور من بني سلمة وكانا من النقباء ورجال اخرون فانطلق
عشائرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله قد صرفك
الله الى قبلة ابراهيم فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت
المقدس فانزل الله وما كان الله ليضيع ايمانكم يعني صلاتكم الى بيت
المقدس ان الله بالناس لروف رحيم يعني لا يضيع اجورهم والرافة اشد
من الرحمة وارق وقيل الرافة اشد من الرحمة وقيل الرافة في الرحمة وقيل
في الفرق بين الرافة والرحمة ان الرافة مبالغة في رحمة خاصة وهي دفع
المكروه وازالة الضرر واما الرحمة فانها اسم جامع يدخل فيه ذلك
المعنى ويدخل فيه ايضا جميع الافضال والانعام فذكر الله الرافة اولا يعني
انه لا يضيع اعمالهم ثم ذكر الرحمة ثانيا لانها اعم واشمل قوله عز وجل
قد نرى تقلب وجهك في السماء سبب نزول هذه الاية ان النبي صلى
الله عليه وسلم واصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة
احب ان يستقبل بيت المقدس يتالف بذلك اليهود وقيل ان الله تعالى امره

بذلك

به لانه ليكون اقرب الى تصديق اليهود اياه اذا صلى الى قبلتهم مع ما يجدون
من نعته وصفته في التوراة فصلى الى بيت المقدس بعد الهجرة ستة عشر
او سبعة عشر شهرا وكان يحب ان يوجه الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم
وقيل كان يحب ذلك من اجل ان اليهود قالوا يخالفنا محمد في ديننا ويتبع
قبلتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل وددت لو حولني الله
الى الكعبة فانها قبلة ابي ابراهيم فقال له جبريل عليه السلام انما انا عبد
مثلك وانت كريم على ربك فاسال انت ربك فانك عند الله بمكان
ثم عرج جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السماء
رجاء ان ينزل جبريل بما يحب من امر القبلة فانزل الله عز وجل قد نرى
تقلب وجهك في السماء يعني تردد وجهك وتصرف نظرك في السماء
اي الى جهة السماء وهذه الاية وان كانت متاخرة في التلاوة فهي متقدمة
في المعنى لانها راس القصة واول ما نسخ من احكام الشرع امر القبلة
فلنولينك اي فلنحولنك ولنصرفنك قبلة اي ولنصرفنك عن بيت المقدس
الى قبلة ترضاها اي تحبها وتميل اليها فول وجهك شطر المسجد
الحرام اي نحوه وتلقاءه واراد به الكعبة ق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما
دخل النبي صلى الله عليه وسلم البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج
منه فلما خرج ركع ركعتين قبل الكعبة وقال هذه القبلة يعني ان امر القبلة
قد استقر على هذا البيت فلا ينسخ بعد اليوم فصلوا الى الكعبة ابدا فهي
قبلتكم ق عن البراء ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول ما قدم المدينة نزل على
اجداده او قال على اخواله من الانصار وانه صلى قبل بيت المقدس ستة
او سبعة عشر شهرا وكان يعجبه ان تكون قبلته قبل البيت وانه صلى اول صلاة
صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على
اهل مسجد وهم راكعون فقال اشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم قبل الكعبة فداروا كما هم قبل البيت وكانت اليهود قد اعجبهم
اذ كان يصلي قبل بيت المقدس وهي قبلة اهل الكتاب فلما ولى وجهه

قبل البيت انكروا ذلك قال البراء حديثه هذا وانه مات على القبلة
قبل ان تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فانزل الله وما كان
الله ليضيع ايمانكم واختلف العلماء في وقت تحويل القبلة فقال
الاكثرون كان في يوم الاثنين بعد الزوال للنصف من رجب على راس
سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقيل
كان يوم الثلاثا لثمانية عشر شهرا وقيل كان لستة عشر شهرا وقيل
لثلاثة عشر شهرا وقيل نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد
بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة
واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النسا والنسا مكان الرجال
فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين ووصل الخبر الى اهل قبا في صلاة
الصبح ق عن ابن عمر قال بينما الناس بقبا في صلاة الصبح اذ جاءهم آت
فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قد انزل عليه الليلة قران وقد امر ان يستقبل
القبلة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة
وقوله تعالى وحيث ما كنتم يعني من بر او بحر مشرق او مغرب فولوا وجوهكم
شطره اي نحو البيت وتلقاه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما بين المشرق والمغرب قبلة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح
قيل اراد بالمشرق مشرق الشتاء في اقصر يوم من السنة وبالمغرب مغرب
الصيف في اطول يوم من السنة فمن جعل مغرب الصيف في هذا الوقت
عن يمينه ومشرق الشتاء عن يساره كان مستقبلا للقبلة وهذا في حق
اهل المشرق لان المشرق الشتوي جنوبي متباعد عن خط الاستوا بمقدار
الميل والمغرب الصيفي شمالي متباعد عن خط الاستوا والذي بينهما فهو سمت
مكة والفرض لمن بمكة في القبلة اصابة عين الكعبة ولمن بعد عن مكة
اصابة الجهة ويعرف ذلك بدلائل القبلة وليس هذا موضع ذكرها
ولما تحولت القبلة الى الكعبة قالت اليهود يا محمد ما هو الا شي ابتدعته
من تلقا نفسك فتارة تصلي الى بيت المقدس وتارة الى الكعبة ولو ثبت

على قبلتنا

على قبلتنا لكنا نرجو ان تكون صاحبنا الذي ننتظره فانزل الله تعالى
وان الذين اوتوا الكتاب يعني اليهود ليعلمون انه الحق من ربهم يعني
امر القبلة وتحويلها الى الكعبة ثم هددهم فقال تعالى وما الله بغافل
عما يعملون يعني وما انا بساه عما يفعل هولا اليهود فانا اجازيهم عليه
في الدنيا والاخرة وقرئ تعملون بالتا قال ابن عباس يريد انكم يا معشر
المومنين تطلبون مرضاتي وما انا بغافل عن ثوابكم وجزائكم فانا اثيبكم
على طاعتكم افضل الثواب واجزيكم احسن الجزا قوله تعالى ولئن اتيت
الذين اوتوا الكتاب يعني اليهود والنصارى بكل اية اي بكل معجزة وقيل
بكل حجة وبرهان وذلك انهم قالوا ايتنا باية على ما تقول فانزل الله تعالى
هذه الاية ما تبعوا قبلتك يعني الكعبة وما انت بتابع قبلتهم
يعني ان اليهود تصلي الى بيت المقدس والنصارى الى المشرق وانت يا محمد
تصلي الى الكعبة فكيف يكون سبيل الى اتباع قبلة احد هولا مع اختلاف
جهاتهم فالزم انت قبلتك التي امرت بالصلاة اليها وما بعضهم بتابع
قبلة بعض يعني وما اليهود بتابعة قبلة النصارى ولا النصارى
بتابعة قبلة اليهود لان اليهود والنصارى لا يجتمعون على قبلة واحدة
ولئن اتبعت اهواهم يعني مرادهم ورضاهم لو رجعت الى قبلتهم من بعد
ما جاءك من العلم اي في امر القبلة وقيل معناه من بعد ما وصل اليك من العلم
بان اليهود والنصارى مقيمون على باطل وعناد للحق انك اذا لمن الظالمين
يعني انك ان فعلت ذلك كنت بمنزلة من ظلم نفسه وضرها قيل هذا خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الامة لانه صلى الله عليه وسلم لا يتبع اهواهم
ابدا وقيل هو خطاب له خاصة فيكون ذلك على سبيل التذكير والتنبيه
قوله عز وجل الذين اتيناهم الكتاب يعني علما اليهود والنصارى وقيل
اراد به من امن من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه يعرفونه قيل
يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم معرفة جلية بالوصف المعين الذي يجدونه
عندهم كما يعرفون ابناهم اي لا يشكون فيه ولا يشتبه عليهم كما لا يشتبه

لا يشتبه

لله المشرق والمغرب يعني له قطري المشرق والمغرب وما بينهما ملكا فلا [illegible]
شيء ان يكون لذاته قبلة لان الجهات كلها شيء واحد وانما تصير قبلة
لان الله هو الذي جعلها قبلة فلا اعتراض عليه وهو قوله يهدي من يشاء
يعني من عباده الى صراط مستقيم يعني الى جهة الكعبة وهي قبلة ابراهيم عليه
السلام قوله عز وجل وكذلك جعلناكم امة وسطا الكاف في قوله وكذلك
كاف التشبيه جاء للمشبه به وفيه وجوه احدها انه معطوف على ما تقدم
من قوله في حق ابراهيم ولقد اصطفيناه في الدنيا كذلك جعلناكم امة وسطا
الثاني انه معطوف على قوله والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم كذلك
هديناكم وجعلناكم امة وسطا الثالث قيل معناه كما جعلنا قبلتكم وسطا
بين المشرق والمغرب كذلك جعلناكم امة وسطا يعني عدولا خيارا وخير الامور
اوساطها قال زهير هم وسط يرضى الانام بحكمهم اذا نزلت احدى الليالي بمعظم
وقيل متوسطة والمعنى اهل دين وسط بين الغلو والتقصير لانهما مذمومان في
الدين [illegible] وسبب نزول هذه الاية ان رؤساء اليهود
قالوا لمعاذ بن جبل ما ترك محمد قبلتنا الا حسدا وان قبلتنا قبلة الانبياء
ولقد علم محمد انا اعدل الناس فقال معاذ انا على حق وعدل فانزل الله
هذه الاية وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا ان هذه
الامة توفي سبعين امة هي اخرها وخيرها واكرمها على الله عز وجل [illegible]
[illegible] لتكونوا شهداء على الناس يعني يوم القيامة ان الرسل قد بلغتهم رسالات
ربهم وقيل ان امة محمد صلى الله عليه وسلم شهداء على من ترك الحق من الناس اجمعين
ويكون الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم عليكم شهيدا يعني معدلا مزكيا
لكم وذلك ان الله تعالى يجمع الاولين والاخرين في صعيد واحد ثم يقول لكفار
الامم الم ياتكم نذير فينكرون ويقولون ما جاءنا من نذير فيسال الانبياء
عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسالهم البينة وهو اعلم بهم اقامة
للحجة فيقولون امة محمد تشهد لنا فيؤتى بامة محمد عليه الصلاة والسلام
فيشهدون لهم انهم قد بلغوا فتقول الامم الماضية من اين علموا وانما اتوا بعدنا

كغلو النصارى في عيسى وتقصير اليهود في الدين [illegible]

نيسا



فيقول [illegible] فيقولون ارسلت الينا رسولا وانزلت عليه كتابا اخبرتنا
فيه تبليغ الرسل وانت صادق فيما اخبرت ثم يؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم
فيسال عن حال امته فيزكيهم ويشهد بصدقهم خ عن ابي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بنوح وامته يوم القيامة فيقال
له هل بلغت فيقول نعم اي رب فيسال امته هل بلغكم فيقولون
ما جاءنا من بشير ولا نذير فيقال لنوح من يشهد لك فيقول محمد وامته
فيجاء بكم فتشهدون ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم
امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا زاد الترمذي
وسطا قال عدلا [illegible] نحوه وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي وما
جعلنا صرفك عن القبلة التي كنت عليها وهي بيت المقدس وانما حذف
ذكر الصرف اكتفاء بدلالة اللفظ عليه وقيل معناه وما جعلنا القبلة
التي كنت عليها منسوخة وقيل معناه وما جعلنا القبلة التي كنت عليها
الكعبة الا لنعلم من يتبع الرسول فان قلت ما معنى قوله الا لنعلم
وهو عالم بالاشياء كلها قبل كونها قلت اراد به العلم الذي يتعلق به الثواب
والعقاب فانه لا يتعلق بما هو عالم به في الغيب انما يتعلق بما يوجد
والمعنى لنعلم العلم الذي يستحق العامل عليه الثواب والعقاب وقيل
العلم هنا بمعنى الرؤية اي لنرى ونميز من يتبع الرسول في القبلة ممن ينقلب
على عقبيه وقيل معناه الا لنعلم رسلي وحزبي واوليائي من المؤمنين من
يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وكان من شأن العرب اضافة ما فعله
الاتباع الى الكبير كقولهم فتح عمر العراق وجبى خراجها وانما فعل ذلك اتباعه
عن امره وقيل انما قال الا لنعلم وهو بذلك عالم قبل كونه على وجه الرفق بعباده
[illegible] الا لنعلم انتم اذ كنتم جهالا به قبل كونه فاضاف العلم الى نفسه
رفقا بعباده المخاطبين وقيل معناه لنعلم [illegible] تحويل القبلة
سبب لهداية قوم وضلالة اخرين [illegible] من يتبع الرسول اي يطيعه
فيما امر به [illegible] ممن ينقلب على عقبيه اي يرجع الى ما كان عليه من الكفر

نبيه وفي الحديث انه لما تحولت القبلة الى الكعبة ارتد قوم الى اليهودية
وقالوا رجع محمد الى دين ابائه وان كانت اي وقد كانت لكبيرة يعني
تولية القبلة يعني لثقيلة شاقة وقيل هي التولية من بيت المقدس الى الكعبة
وقيل الكبيرة هي القبلة التي وجهه اليها قبل التحويل وهي بيت المقدس
وانث الكبيرة لتانيث القبلة وقيل لتانيث التولية الا على الذين هدى الله
يعني الصادقين في اتباع الرسول وما كان الله ليضيع ايمانكم يعني صلاتكم
الى بيت المقدس وذلك ان حيي بن اخطب واصحابه من اليهود قالوا للمسلمين
اخبرونا عن صلاتكم الى بيت المقدس ان كانت على هدى فقد تحولتم عنه
وان كانت ضلالة فقد دنتم الله بها مدة ومن مات عليها فقد مات
على ضلالة فقال المسلمون انما الهدى فيما امر الله به والضلالة
فيما نهى الله عنه قالوا فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا وكان قد
مات قبل ان تحول القبلة الى الكعبة اسعد بن زرارة من بني النجار
والبراء بن معرور من بني سلمة وكانا من النقباء ورجال اخرون فانطلق
عشائرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله قد صرفك
الله الى قبلة ابراهيم فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت
المقدس فانزل الله وما كان الله ليضيع ايمانكم يعني صلاتكم الى بيت
المقدس ان الله بالناس لرءوف رحيم يعني لا يضيع اجورهم والرافة اشد
من الرحمة وارق وقيل الرافة اشد من الرحمة وقيل الرافة الرحمة وقيل
في الفرق بين الرافة والرحمة ان الرافة مبالغة في رحمة خاصة وهي دفع
المكروه وازالة الضرر واما الرحمة فانها اسم جامع يدخل فيه ذلك
المعنى ويدخل فيه ايضا جميع الافضال والانعام فذكر الله الرافة اولا يعني
انه لا يضيع اعمالهم ثم ذكر الرحمة ثانيا لانها اعم واشمل قوله عز وجل
قد نرى تقلب وجهك في السما سبب نزول هذه الاية ان النبي صلى
الله عليه وسلم واصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة
احب ان يستقبل بيت المقدس يتالف بذلك اليهود وقيل ان الله تعالى امره

بذلك

الناسخ
من تفسير الخازن

١٦٢



بذلك ليكون اقرب الى تصديق اليهود اياه اذا صلى الى قبلتهم مع ما يجدون
من نعته وصفته في التوراة فصلى الى بيت المقدس بعد الهجرة ستة عشر
او سبعة عشر شهرا وكان يحب ان يوجه الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم
وقيل كان يحب ذلك من اجل ان اليهود قالوا يخالفنا محمد في ديننا ويتبع
قبلتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل وددت لو حولني الله
الى الكعبة فانها قبلة ابي ابراهيم فقال لجبريل عليه السلام انما انا عبد
مثلك وانت كريم على ربك فاسال انت ربك فانك عند الله بمكان
ثم عرج جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السما
رجاء ان ينزل جبريل بما يحب من امر القبلة فانزل الله عز وجل قد نرى
تقلب وجهك في السما يعني تردد وجهك وتصرف نظرك في السما
اي الى جهة السما وهذه الاية وان كانت متاخرة في التلاوة فهي متقدمة
في المعنى لانها راس القصة واول ما نسخ من احكام الشرع امر القبلة
فلنولينك اي فلنحولنك ولنصرفنك قبلة اي ولنصرفنك عن بيت المقدس
الى قبلة ترضاها اي تحبها وتميل اليها فول وجهك شطر المسجد
الحرام اي نحوه وتلقاه واراد به الكعبة ق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما
دخل النبي صلى الله عليه وسلم البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج
منه فلما خرج ركع ركعتين قبل الكعبة وقال هذه القبلة يعني ان امر القبلة
قد استقر على هذا البيت فلا ينسخ بعد اليوم فصلوا الى الكعبة ابدا فهي
قبلتكم ق عن البراء ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول ما قدم المدينة نزل على
اجداده او قال على اخواله من الانصار وانه صلى قبل بيت المقدس ستة
او سبعة عشر شهرا وكان يعجبه ان تكون قبلته قبل البيت وانه صلى اول صلاة
صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على
اهل مسجد وهم راكعون فقال اشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم قبل الكعبة فداروا كما هم قبل البيت وكانت اليهود قد اعجبهم
اذ كان يصلي قبل بيت المقدس وهي قبلة اهل الكتاب فلما ولى وجهه

قبل البيت انكروا ذلك قال البراء في حديثه هذا وانه مات على القبلة
قبل ان تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فانزل الله وما كان
الله ليضيع ايمانكم واختلف العلماء في وقت تحويل القبلة فقال
الاكثرون كان في يوم الاثنين بعد الزوال للنصف من رجب على راس
سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقيل
كان يوم الثلاثا لثمانية عشر شهرا وقيل كان لستة عشر شهرا وقيل
لثلاثة عشر شهرا وقيل نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد
بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة
واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النسا والنسا مكان الرجال
فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين ووصل الخبر الى اهل قبا في صلاة
الصبح ق عن ابن عمر قال بينما الناس بقبا في صلاة الصبح اذ جاءهم آت
فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قد انزل عليه الليلة قرآن وقد امر ان يستقبل
القبلة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة
وقوله تعالى وحيث ما كنتم يعني من بر او بحر مشرق او مغرب فولوا وجوهكم
شطره اي نحو البيت وتلقاه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما بين المشرق والمغرب قبلة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح
قيل اراد بالمشرق مشرق الشتاء في اقصر يوم من السنة وبالمغرب مغرب
الصيف في اطول يوم من السنة فمن جعل مغرب الصيف في هذا الوقت
عن يمينه ومشرق الشتا عن يساره كان مستقبلا للقبلة وهذا في حق
اهل المشرق لان المشرق الشتوي جنوبي متباعد عن خط الاستوا بمقدار
الميل والمغرب الصيفي شمالي متباعد عن خط الاستوا والذي بينهما فهو
مكة والغرض من بمكة في القبلة اصابة عين الكعبة ومن بعد عن مكة
اصابة الجهة ويعرف ذلك بدلائل القبلة وليس هذا موضع ذكرها
ولما تحولت القبلة الى الكعبة قالت اليهود يا محمد ما هو الا شي ابتدعته
من تلقا نفسك فتارة تصلي الى بيت المقدس وتارة الى الكعبة ولو ثبت

على قبلتنا لكنا نرجو ان تكون صاحبنا الذي ننتظره فانزل الله تعالى
وان الذين اوتوا الكتاب يعني اليهود ليعلمون انه الحق من ربهم يعني
امر القبلة وتحويلها الى الكعبة ثم هددهم فقال تعالى وما الله بغافل
عما يعملون يعني وما انا بساه عما يعمل هولاء اليهود فانا اجازيهم عليه
في الدنيا والاخرة ومن قرا تعملون بالتاء قال ابن عباس يريد انكم يا معشر
المومنين تطلبون رضائي وما انا بغافل عن ثوابكم وجزائكم فانا اثيبكم
على طاعتكم افضل الثواب واجزيكم احسن الجزا قوله تعالى ولئن اتيت
الذين اوتوا الكتاب يعني اليهود والنصارى بكل اية اي بكل معجزة وقيل
بكل حجة وبرهان وذلك انهم قالوا ائتنا باية على ما تقول فانزل الله تعالى
هذه الاية ما تبعوا قبلتك يعني الكعبة وما انت بتابع قبلتهم
يعني ان اليهود تصلي الى بيت المقدس والنصارى الى المشرق وانت يا محمد
تصلي الى الكعبة فكيف يكون سبيل الى اتباع قبلة احد هولاء مع اختلاف
جهاتها فالزم انت قبلتك التي امرت بالصلاة اليها وما بعضهم بتابع
قبلة بعض يعني وما اليهود بتابعة قبلة النصارى ولا النصارى
بتابعة قبلة اليهود لان اليهود والنصارى لا يجتمعون على قبلة واحدة
ولئن اتبعت اهواءهم يعني مرادهم ورضاهم لو رجعت الى قبلتهم من بعد
ما جاءك من العلم اي في امر القبلة وقيل معناه من بعد ما وصل اليك من العلم
بان اليهود والنصارى مقيمون على باطل وعناد للحق انك اذا لمن الظالمين
يعني انك ان فعلت ذلك كنت بمنزلة من ظلم نفسه وصرتها قيل هذا خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الامة لانه صلى الله عليه وسلم لا يتبع اهواءهم
ابدا وقيل هو خطاب له خاصة فيكون ذلك على سبيل التذكير والتنبيه
قوله عز وجل الذين اتيناهم الكتاب يعني علماء اليهود والنصارى وقيل
اراد به مومني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه يعرفونه يعني
يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم معرفة جلية بالوصف المعتبر الذي يجدونه
عندهم كما يعرفون ابناءهم اي لا يشكون فيه ولا يشتبه عليهم كما لا يشتبه

عليهم ابناؤهم من ابناء غيرهم روي ان عمر بن الخطاب قال لعبد الله بن
سلام ان الله انزل على نبيه صلى الله عليه وسلم الذين اتيناهم الكتاب
يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكيف هذه المعرفة فقال عبد الله بن
سلام يا عمر لقد عرفته حين رايته كما اعرف ابني ومعرفتي بمحمد صلى
الله عليه وسلم اشد من معرفتي بابني فقال عمر فكيف ذلك فقال
اشهد انه رسول الله حق من الله وقد نعته الله في كتابنا ولا ادري
ما تصنع النسا فقبل عمر راس عبد الله وقال وفقك الله يا ابن سلام
فقد صدقت وقيل الضمير في يعرفونه يعود الى امر القبلة
والمعنى ان علما اليهود والنصارى يعرفون ان القبلة التي صرفت
اليها هي قبلة ابراهيم وقبلة الانبيا قبلك كما يعرفون ابناءهم لا يشكون
في ذلك **وان فريقا منهم** اي من علما اهل الكتاب **ليكتمون الحق**
يعني صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل امر القبلة **وهم يعلمون**
يعني ان كتمان الحق معصية وقيل يعلمون ان صفة محمد صلى الله عليه وسلم
مكتوبة عندهم في التوراة والانجيل وهم مع ذلك يكتمونه **الحق** اي الذي
يكتمونه هو الحق **من ربك فلا تكونن من الممترين** اي من الشاكين في ان
الذي تقدم ذكرهم علموا صحة نبوتك وقيل يرجع الى امر القبلة
والمعنى ان بعضهم عاند وكتم الحق فلا تشك في ذلك فان قلت النبي
صلى الله عليه وسلم لم يكن في شك فما معنى هذا النهي قلت هذا الخطاب
وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن المراد به غيره والمعنى فلا تشكون
انتم ايها المؤمنون وقد تقدم نظير هذا قوله تعالى **ولكل وجهة**
اي ولكل اهل ملة قبلة والوجهة اسم للمتوجه اليه وقيل الوجهة
الهيئة والحالة في التوجه الى القبلة وقيل في قوله ولكل وجهة
ان المراد به جميع المسلمين اي ولكل امر جهة من الافاق وجهة من الكعبة
يصلون اليها وقيل المراد بالوجهة المنهاج والشرع والمنهج ولكل قوم
شريعة وطريقة لان الشرائع مصالح للعباد فلهذا اختلفت الشرائع

محمد

بحسب اختلاف الازمان والاشخاص **هو موليها** اي مستقبلها والمعنى
ان لكل اهل ملة وجهة هو مولي وجهه اليها وقيل مستوليها اي مختارها
وقيل ان هو عائد على اسم الله تعالى والمعنى ان الله هو موليها اياه وقرئ
مولاها اي مصروف اليها **فاستبقوا الخيرات** اي بادروا بالطاعات
وقبول الاوامر وفيه حث على المبادرة الى الاولوية والافضلية فعلى
هذا تكون الاية دليلا لمذهب الشافعي في ان الصلاة في اول الوقت افضل
لقوله فاستبقوا الخيرات لان ظاهر الامر للوجوب فاذا لم يتحقق الوجوب
فلا اقل من الندب **اينما تكونوا** يعني انتم واهل الكتاب **يات بكم الله جميعا**
يعني يوم القيمة فهو وعد لاهل الطاعة بالثواب ووعيد لاهل المعصية
بالعقاب **ان الله على كل شي قدير** اي على الاعادة بعد الموت والاثابة لاهل
الطاعة والعقوبة لمستحق العقوبة قوله عز وجل **ومن حيث خرجت**
فول وجهك شطر المسجد الحرام اي من اي موضع خرجت لسفر وغيره
فول وجهك يا محمد قبل المسجد الحرام ونحوه **وانه** يعني التوجه اليه **للحق من**
ربك اي الحق الذي لا شك فيه فحافظ عليه **وما الله بغافل عما تعملون**
اي ليس هو بساه عن اعمالكم ولكنه محصيها لكم وعليكم فيجازيكم بها يوم
القيمة **ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم**
فولوا وجوهكم شطره فان قلت هل في هذا التكرار فائدة قلت فيه فائدة
عظيمة جليلة وهي ان هذه الواقعة اول الوقائع التي ظهر النسخ فيها
في شرعنا فدعت الحاجة الى التكرار لاجل التاكيد والتقرير وازالة الشبهة
وايضاح البيان فحسن التكرار فيه لتعلقهم من جهة الى جهة **لئلا يكون للناس**
عليكم حجة قيل اراد بالناس اهل الكتاب وقيل هو على العموم وقيل هم قريش
واليهود فاما قريش فقالت رجع محمد الى الكعبة لانه علم انه الحق وانها قبلة
ابيه ابراهيم ويوشك ان يرجع الى ديننا كما رجع الى قبلتنا وقالت اليهود لم ينصرف محمد
عن بيت المقدس مع علمه انه حق الا انه يعمل برايه فعلى هذا يكون الاستثناء
في قوله الا الذين ظلموا منهم [illegible] والمعنى لا حجة لاحد عليكم [illegible]

قريش فانهم يجادلونكم بالباطل والظلم وانما سمي الاحتجاج بالباطل
حجة وتكون باطلة لان اشتقاقه من حجه اذا غلبه فكما تكون صحيحة حجة
فكذلك قد تسمى حجة وتكون باطلة قال الله تعالى حجتهم داحضة عند ربهم
وقيل هو الاستثنا منقطع من الكلام الاول ومعناه لكن الذين ظلموا
منهم يجادلونك بالباطل كما قال النابغة • ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب • اي لكن سيوفهم بهن فلول وليس بعيب
وقيل في معنى الاية ان اليهود عرفوا ان الكعبة قبلة ابراهيم ووجدوا
في التوراة ان محمدا سيحول اليها فتكون حجتهم انهم يقولون ان النبي صلى الله
عليه وسلم الذي نجده في كتابنا سيحول الى الكعبة ولم تحول انت فلما حولت
الى الكعبة ذهبت حجتهم الا الذين ظلموا منهم اي الا ان يظلموا فيكتموا ما عرفوا
من الحق فلا تخشوهم اي فلا تخافوهم في انصرافكم الى الكعبة في تظاهرهم عليكم
بالمجادلة الباطلة فاني وليكم وناصركم اظهركم عليهم بالحجة والنصرة واخشوني
اي احذروا عقابي ان انتم عدلتم عما الزمتكم به وفرضته عليكم ولاتم نعمتي
عليكم اي ولكي اتم نعمتي عليكم بهدايتي اياكم الى قبلة ابراهيم فتتم لكم الملة
الحنيفية وقيل تمام النعمة الموت على الاسلام ثم دخول الجنة ولعلكم تهتدون
اي لكي تهتدوا من الضلالة ولعل وعسى من الله واجب قوله تعالى كما ارسلنا فيكم
كاف التشبيه تحتاج الى شي ترجع اليه فقيل ترجع ما قبلها وهو [illegible] ولاتم
نعمتي عليكم كما ارسلنا فيكم وقيل ان ابراهيم قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم
وقال ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك فبعث الله
فيهم رسولا منهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم ووعده اجابة الدعوة الثانية
بان يجعل في ذريته امة مسلمة والمعنى كما اجبت دعوته ببعثة الرسول
كذلك اجيب دعوته بان اهديكم لدينه واجعلكم مسلمين واتم نعمتي عليكم
ببيان شرايع الملة الحنيفية [illegible] الكلام متصل [illegible]
قوله فاذكروني اذكركم والمعنى كما ارسلنا [illegible] فاذكروني [illegible]
التشبيه ان النعمة [illegible]

لما ناسبه بما قبلها كان وجه التشبيه ان النعمة في امر القبلة
كالنعمة بالرسالة فيكم خطاب لاهل مكة والعرب وكذا قوله منكم
وفي ارساله رسولا منهم نعمة عظيمة لما فيه من الشرف لهم ولان
المعروف من حال العرب الانفة الشديدة من الانقياد للغير فكان
بعث الرسول منهم وفيهم اقرب الى قبول قوله والانقياد له والمعنى
كما ارسلنا فيكم يا معشر العرب رسولا منكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
يتلوا عليكم اياتنا يعني القران وذلك من اعظم النعم لانه معجزة باقية
على الدهر ويزكيكم اي ويطهركم من دنس الشرك والذنوب وقيل
يعلمكم ما اذا فعلتموه صرتم ازكيا مثل محاسن الاخلاق ومكارم
الافعال ويعلمكم الكتاب يعني احكام الكتاب وهو القران وقيل ان
التعلم غير التلاوة فليس بتكرار والحكمة يعني السنة والفقه في الدين
ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون يعني يعلمكم من اخبار الامم الماضية
والقرون الخالية وقصص الانبيا والخبر عن الحوادث المستقبلة مما لم
تكونوا تعلمون ذلك قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذكروني
قيل الذكر يكون باللسان وهو ان يسبحه ويحمده ويمجده ونحو ذلك
من الاذكار ويكون بالقلب وهو ان يتفكر في عظمة الله وفي الدلايل
الدالة على وحدانيته ويكون بالجوارح وهو ان تكون مستغرقة في
الاعمال التي امروا بها مثل الصلاة وساير الطاعات التي للجوارح
فيها فعل اذكركم اي بالثواب والرضى عنكم قال ابن عباس اذكروني بطاعتي
اذكركم بمعونتي وقيل اذكروني في النعمة والرخا اذكركم في الشدة والبلا
وقال اهل المعاني اذكروني بالتوحيد والايمان اذكركم بالجنان والرضوان
اذكروني بالاخلاص اذكركم بالخلاص اذكروني بالقلب اذكركم
[illegible] اذكروني بالدعا اذكركم بالعطا ق عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي
وانا معه اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا

ذكرته في ملإ خير منهم وان تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا وان
تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة
قوله عز وجل انا عند ظن عبدي بي قيل معناه بالغفران اذا استغفر
وبالقبول والاجابة اذا دعا وبالكفاية اذا طلب الكفاية وقيل
المراد منه تحقيق الرجا وتأميل العفو وهذا اصح قوله وانا معه
حين يذكرني يعني بالرحمة والتوفيق والهداية والاعانة وقوله
وان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي النفس في اللغة لها معان منها
ذات الشي والله تعالى له ذات حقيقة ومنها الغيب تعلم ما في نفسي [illegible]
المعني فان ذكرني خاليا ذكرته بالاثابة والمجازاة بما لا يطلع عليه احد
قوله وان ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم الملا اشراف الناس
وعظماؤهم الذين يرجع الي رأيهم وهذا مما استدلت المعتزلة ومن وافقهم
علي تفضيل الملائكة علي الانبياء واجيب عنه بان الذاكر غالبا يكون في جماعة
لا نبي فيهم قوله وان تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا الي اخره
وهذا من احاديث الصفات ويستحيل ارادة ظاهره فلا بد من التأويل
فعلي هذا يكون ذكر الشبر والذراع والباع والمشي والهرولة استعارة
ومجازا فيكون المراد بتقرب العبد من الله تعالى التقرب بالذكر والطاعة
والعمل الصالح والمراد بتقرب الله من العبد قرب نعمه والطافه
وبره وكرمه واحسانه اليه وفيض مواهبه ورحمته عليه
والمعني كلما زاد في الطاعة والذكر زدته بالبر والاحسان وان اتاني
يمشي في طاعتي اتيته هرولة اي صببت عليه الرحمة صبا وسبقته
بها ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله عز وجل انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه ق عن ابي
موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذي يذكر ربه
والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت م عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله

قال الذاكرون

قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات المفردون الذين ذهب القرن
الذين كانوا فيه وبقوا وهم يذكرون الله تعالى ويقال تفرد الرجل اذا
تفقه واعتزل وقوله تعالى **واشكروا لي** يعني بالطاعة **ولا تكفرون**
اي بالمعصية فان من اطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفره قوله
عز وجل **يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلاة** انما خصهما
بذلك لما فيهما من المعونة على العبادات اما الصبر فهو حبس النفس
على احتمال المكاره في ذات الله وتوطينها على تحمل المشاق في العبادات
وسائر الطاعات وتجنب الجزع وتجنب المحظورات ومن الناس من حمل
الصبر على الصوم وفسره به ومنهم من حمله على الجهاد واما الاستعانة
بالصلاة فلانه يجب ان تفعل على طريق الخضوع والتذلل للمعبود
والاخلاص له وقيل استعينوا على طلب الاخرة بالصبر على الفرائض
وبالصلوات الخمس في مواقيتها على تمحيص الذنوب **ان الله مع الصابرين**
اي بالعون والنصر **ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات** نزلت في قتلى
بدر من المسلمين وكانوا اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وهم
عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وعمير بن ابي وقاص بن اهيب بن عبد
مناف بن زهرة الزهري اخو سعد بن ابي وقاص وذو الشمالين واسمه عمير
ابن عبد عمرو بن نضلة بن عمرو من خزاعة ثم من بني غبشان وعاقل بن البكير
من بني سعد بن ليث بن كنانة ومهجع مولى عمر بن الخطاب وصفوان بن
بيضاء من بني الحارث بن فهر ومن الانصار ثمانية وهم سعد بن خيثمة ومبشر
ابن عبد المنذر ويزيد بن الحارث بن قسحم وعمير بن الحمام ورافع بن المعلى
وحارثة بن سراقة وعوف ومعوذ ابنا الحارث بن رفاعة بن سواد وهما
ابنا عفراء وهي امهما كان الناس يقولون لمن قتل في سبيل الله مات فلان وذهب
عنه نعيم الدنيا ولذتها فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل ان الكفار والمنافقين
قالوا ان الناس يقتلون انفسهم طلبا لمرضاة محمد من غير فائدة فنزلت هذه
الاية [illegible] في سبيل الله [illegible] بقوله **بل احياء** واعلم ان الله عز

[illegible]

وجلي في الوقت لايصال الثواب اليهم وعن الحسن ان الشهدا احيا عند الله تعالى تعرض ارزاقهم على ارواحهم و يصل اليهم الروح والريحان والفرح كما تعرض النار على ارواح ال فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع ففيه دليل على ان المطيعين لله يصل اليهم ثوابهم وهم في قبورهم في البرزخ وكذا العصاة يعذبون في قبورهم فان قلت نحن نراهم موتى فما معنى قوله بل احيا وما وجه النهي في قوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات قلت معناه لا تقولوا اموات بمنزلة غيرهم من الاموات بل هم احيا يصل ارواحهم الى الجنان كما ورد ان ارواح الشهدا في حواصل طير خضر تسرح في الجنة فهم احيا من هذه الجهة وان كانوا امواتا من جهة خروج الروح من اجسادهم وجواب اخر وهو انهم احيا عند الله تعالى في عالم الغيب لانهم صاروا الى الاخرة فنحن لا نشاهدهم كذلك ويدل على ذلك قوله تعالى **ولكن لا تشعرون** اي لا ترونهم احيا فتعلموا ذلك حقيقة وانما تعلمون باخبارنا اياكم به فان قلت اليس سائر المطيعين من المسلمين لله يصل اليهم من نعيم الجنة في قبورهم فلم خص الشهدا بالذكر قلت انما خصهم لان الشهدا فضلوا على غيرهم بمزيد النعيم وهو انهم يرزقون من مطاعم الجنة ومآكلها وغيرهم ينعمون بما دون ذلك وجواب اخر وهو انه رد لقول من قال ان من قتل في سبيل الله مات وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها فاخبر الله بقوله بل احيا انهم في نعيم دائم قوله تعالى **ولنبلونكم** اي ولنختبرنكم يا امة محمد واللام جواب القسم تقديره والله لنبلونكم والابتلا لاظهار الطائع من العاصي لا ليعلم شيئا لم يكن عالما به فانه سبحانه وتعالى عالم بجميع الاشيا قبل كونها ووجودها **بشي** انما قال بشي ولم يقل باشيا لئلا يتوهم ان اشيا تدل على ضروب من الخوف وكذا البواقي فلما قال بشي كان التقدير بشي من الخوف وبشي من الجوع معناه بشي قليل من هذه الاشيا **من الخوف** قال ابن عباس يعني خوف العدو والخوف توقع مكروه يحصل منه الم في القلب **والجوع** يعني [illegible]

حصول

حصول [illegible] **ونقص من الاموال** يعني بالهلاك والخسران **والانفس** اي وبنقص من الانفس بالموت والقتل **والثمرات** يعني الجوايح في الثمار وقيل قد يكون بالجدب ايضا وبترك العمل والعمارة في الاشجار وحكي عن الشافعي في تفسير هذه الاية قال الخوف خوف الله عز وجل والجوع صيام شهر رمضان ونقص من الاموال يعني اخراج الزكاة والصدقات والانفس يعني بالامراض والثمرات يعني موت الاولاد لان الولد ثمرة القلب عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملايكته اقبضتم ولد عبدي قالوا نعم قال اقبضتم ثمرة فواده قالوا نعم قال فما قال عبدي قالوا حمدك واسترجع فقال الله ابنوا له بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد اخرجه الترمذي وقال حديث حسن فان قلت ما الحكمة في تقديم تعريف هذا الابتلا في قوله ولنبلونكم قلت فيه حكم منها ان العبد اذا علم انه مبتلى بشي وطن نفسه على الصبر فاذا نزل به ذلك البلا لم يجزع ومنها ان الكفار اذا شاهدوا المومنين مقيمين على دينهم ثابتين عند نزول البلا صابرين له علموا بذلك صحة الدين فيدعوهم ذلك الى متابعته والدخول فيه ومنها ان الله تعالى اخبر بهذا الابتلا قبل وقوعه فاذا وقع كان ذلك اخبارا عن غيب فيكون معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم ومنها ان المنافقين انما اظهروا الايمان طمعا في المال وسعة الرزق من الغنايم فلما اخبر الله انه مبتلي عباده فعند ذلك يتميز المومن من المنافق والصادق من الكاذب ومنها ان الانسان في حال الابتلا اشد اخلاصا لله تعالى من حال الرخا فاذا علم انه مبتلى دام على التضرع والابتهال الى الله تعالى لينجيه مما عسى ان ينزل به من البلاء قال الله تعالى **وبشر الصابرين** يعني عند نزول البلا والمعنى وبشر يا محمد الصابرين على امتحاني بما امتحنتهم به من الشدايد والمكاره ثم وصفهم بقوله تعالى **الذين اذا اصابتهم مصيبة** اي نايبة وبلية **قالوا انا لله** يعني نحن واموالنا لله **وانا اليه راجعون** يعني في الاخرة عن ام سلمة قالت سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول انا لله
وانا اليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا اجره
الله في مصيبته واخلف له خيرا منها قيل ما اعطي احد ما اعطيت هذه
الامة يعني الاسترجاع عند المصيبة ولو اعطيها احد لاعطي يعقوب
الا تسمع الى قوله عند فقد يوسف يا اسفى على يوسف وقيل في قوله انا
انا لله وانا اليه راجعون تفويض منه الى الله وانه راض بكل ما نزل به
من المصائب **اولئك** يعني من هذه صفته **عليهم صلوات من ربهم**
قال ابن عباس اي مغفرة من ربهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم
صل على آل ابي اوفى اي اغفر لهم وارحمهم وانما جمع الصلوات لانه عنى
مغفرة بعد مغفرة ورحمة بعد رحمة **ورحمة** قال ابن عباس ونعمة
والرحمة من الله انعامه وافضاله واحسانه ومن الادميين رقة وتعطف
وقيل انما ذكر الرحمة بعد الصلاة لان الصلاة من الله الرحمة لاتساع المعنى
واتساع اللفظ وتفعل ذلك العرب كثيرا اذا اختلف اللفظ واتفق المعنى
وقيل كررها للتاكيد اي عليهم رحمة بعد رحمة **واولئك هم المهتدون**
يعني الى الاسترجاع وقيل الى الجنة الفائزون بالثواب وقيل المهتدون
الى الحق والصواب وقال عمر بن الخطاب نعم العدلان ونعمت العلاوة
فالعدلان الصلاة والرحمة والعلاوة الهداية والله اعلم **فصل**
في ذكر احاديث وردت في ثواب اهل البلاء والصابرين **خ** عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه يعني يبتليه
بالمصائب حتى يأجره على ذلك **ق** عن ابي سعيد وابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا حزن ولا اذى ولا غم
حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله عنه خطاياه النصب التعب
والوصب المرض **ق** عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من مسلم يصيبه اذى من مرض فما سواه الا حط الله به عنه سيئاته
كما تحط الشجرة ورقها **م** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله [illegible]

مثل المؤمن

مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تفيئه ولا يزال المؤمن يصيبه
البلاء ومثل المنافق كمثل شجرة الارز لا تهتز حتى تستحصد الارزة
شجر معروف بالشام ويعرف في العراق بالصنوبر والصنوبر ثمر
الارز وقيل الارزة الثابتة في الارض **عن** انس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اذا اراد الله بعبده خيرا عجل الله له العقوبة في
الدنيا واذا اراد بعبده الشر امسك عنه حتى يوافي به يوم القيامة
وبهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عظم الجزاء مع عظم
البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط
فله السخط اخرجه الترمذي وله عن جابر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يود اهل العافية يوم القيامة حين يعطى اهل البلاء الثواب
لو ان جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض وله عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة
في نفسه وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وقال حديث صحيح
خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ما لعبدي
المؤمن عندي جزاء اذا قبضت صفيه من اهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة
عن سعد بن ابي وقاص قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال الانبياء
ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلبا
اشتد بلاؤه وان كان في دينه رقة هون عليه فما يبرح البلاء بالعبد
حتى يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن قوله عز وجل **ان الصفا والمروة من شعائر الله** الصفا جمع
صفاة وهي الصخرة الصلبة الملساء وقيل هي الحجارة الصافية والمروة الحجر
الرخو جمعها مروات [illegible] وهذان اصلهما في اللغة وانما عنى الله بهما
الجبلين [illegible] في طرفي المسعى ولذلك ادخل فيهما الالف واللام
وشعائر الله اعلام دينه واصلها من الاشعار وهو الاعلام واحدتها
شعيرة [illegible]

[illegible]

وذبيحة فهو شعيرة من شعائر الله ومشاعر الحج معالمه الظاهرة للحواس ويقال
شعائر الحج فالمطاف والموقف والمنحر كلها شعائر والمراد بالشعائر هنا
المناسك التي جعلها الله اعلاما لطاعته فالصفا والمروة منها حتى يسعى
بينهما **فمن حج البيت** اي قصد البيت هذا اصله في اللغة وفي الشرع
عبارة عن افعال مخصوصة لاقامة المناسك **او اعتمر** اي زار البيت
والعمرة في الحج والعمرة المشروع عن قصد وزيارة **فلا جناح عليه**
اي فلا اثم عليه واصله من جنح اذا مال عن القصد المستقيم **ان يطوف**
بهما اي يدور بهما ويسعى بينهما وسبب نزول هذه الاية انه كان على
الصفا والمروة صنمان يقال لهما اساف ونائلة فكان اساف على الصفا
ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيما
للصنمين فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون عن السعي
بين الصفا والمروة فانزل الله هذه الاية واذن في السعي بينهما
واخبر انه من شعائر الله **ق** عن عاصم بن سليمان الاحول قال قلت لانس
اكنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة فقال نعم لانها كانت من
شعائر الجاهلية حتى انزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله
فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما وفي رواية قال كانت
الانصار يكرهون ان يطوفوا بين الصفا والمروة حتى نزلت ان الصفا
والمروة من شعائر الله **فصل** اختلف العلماء في حكم السعي بين الصفا
والمروة في الحج والعمرة فذهب جماعة الى وجوبه وهو قول ابن عمر وجابر
وعائشة وبه قال الحسن واليه ذهب مالك والشافعي وذهب
قوم الى انه تطوع وهو قول ابن عباس وبه قال ابن سيرين [illegible]
الثوري وابو حنيفة الى انه ليس بركن وعلى من تركه دم [illegible]
ابن الزبير ومجاهد وعطاء ان من تركه فلا شيء عليه واختلف
الرواية عن احمد في ذلك [illegible] ان [illegible] ترك السعي بين الصفا
والمروة [illegible] انه لا شيء عليه [illegible]

ولا ينبغي

ولا ينبغي ان يتركه وقال الجمهور عنه انه تطوع وسبب هذا الاختلاف
ان قوله فلا جناح عليه يصدق عليه انه لا اثم في فعله فدخل
تحته الواجب والمندوب والمباح فظاهر هذه الاية لا يدل على
ان السعي بين الصفا والمروة واجب وليس بواجب لان اللفظ الدال
على القدر المشترك بين الاقسام الثلاثة لا دلالة فيه على خصوصية
احدها اذ لا بد من دليل خارج يدل على ان السعي واجب او غير
واجب حجة الشافعي ومن وافقه في ان السعي بين الصفا والمروة
ركن من اركان الحج والعمرة ما روى الشافعي بسنده عن صفية بنت شيبة
قالت اخبرتني بنت ابي تجراة واسمها حبيبة احدى نساء بني عبد الدار
قالت دخلت مع نسوة من قريش دار ابي حسين ننظر الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو يسعى بين الصفا والمروة فرايته يسعى وان مئزره
ليدور من شدة السعي حتى لاقول اني لارى ركبتيه وسمعته يقول
اسعوا فان الله كتب عليكم السعي وصححه الدارقطني **ق** عن عروة
ابن الزبير قال قلت لعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ارايت
قول الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر
فلا جناح عليه ان يطوف بهما فما ارى على احد شيا ان لا يطوف
بهما فقالت عائشة كلا لو كان كما تقول كانت فلا جناح عليه ان لا يطوف
بهما انما انزلت هذه الاية في الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت
مناة حذو قديد وكانوا يتحرجون ان يطوفوا بين الصفا والمروة
فلما جاء الاسلام سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله ان الصفا
والمروة من شعائر الله الاية **م** عن جابر في حديثه الطويل في صفة
حجة الوداع قال ثم خرج من الباب الى الصفا فلما دنا من الصفا قرا ان
الصفا والمروة من شعائر الله ابدا بما بدا الله به فبدا بالصفا الحديث
[illegible] ان النبي صلى الله عليه وسلم سعى [illegible] عليه السعي [illegible] قوله تعالى
[illegible] خذوا عني مناسككم والامر [illegible]

فيقتضي

للوجوب ومن القياس ان السعي اشواط شرعت في بقعة من بقاع الحرم
ويؤتى به في احرام كامل فكان ركنا كطواف الزيارة واحتج ابو حنيفة
ومن لا يرى وجوب السعي بقوله فلا جناح عليه ان يطوف بهما وهذا
لا يقال في الواجبات ثم انه تعالى اكد ذلك بقوله ومن تطوع خيرا
فبين انه تطوع وليس بواجب واجيب عن الاول بان قوله تعالى
فلا جناح عليه ليس فيه الا انه لا اثم على فاعله وهذا القدر مشترك
بين الواجب وغيره كما تقدم بيانه فلا يكون فيه دلالة على نفي الوجوب
وعن الثاني وهو التمسك بقوله ومن تطوع خيرا فضعيف لانه [illegible]
لا يقتضي ان يكون المراد من هذا التطوع هو الطواف المذكور او لا بل يجوز
ان يكون المقصود منه شيا اخر يدل على ذلك قول الحسن ان المراد بقوله
ومن تطوع خيرا جميع الطاعات في الدين يعني فعل فعلا زايدا على
ما افترض عليه من صلاة وصدقة وصيام وحج وعمرة وطواف وغير
ذلك من انواع الطاعات وقال مجاهد ومن تطوع خيرا بالطواف
بهما وهذا على قول من لا يرى الطواف بهما فرضا وقيل معناه ومن
تطوع خيرا فزاد في الطواف بعد الواجب والقول الاول اولى للعموم
فان الله شاكر اي مجاز على الطاعة عليم بنيته وحقيقة الشاكر في اللغة
هو المظهر للانعام عليه والشكر هو تصور النعمة واظهارها [illegible]
لا يوصف بذلك لانه لا يلحقه المنافع والمضار فالشاكر في صفة
الله تعالى مجاز فاذا وصف به اريد به انه المجازي على الطاعة بالثواب
الا ان اللفظ خرج مخرج التلطف للعباد مظاهرة في الاحسان اليهم
قوله تعالى ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى نزلت في
علماء اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه [illegible]
من الاحكام التي كانت في التوراة وقيل ان الاية على العموم [illegible]
من امر الدين لان اللفظ عام والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص [illegible]
ومن قال بالقول الاول واية في اليهود قال ان الكتم لا [illegible]

لانهم كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الكتمان ترك اظهار الشي مع
الحاجة الى بيانه واظهاره فمن كتم شيا من امر الدين فقد عظمت مصيبته
ق عن ابي هريرة قال لولا ايتان انزلهما الله في كتابه ما حدثت شيا ابدا
ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى الى اخر الايتين وهل اظهار
علوم الدين فرض كفاية او فرض عين فيه خلاف والاصح انه اذا اظهره للبعض
بحيث يتمكن كل واحد من الوصول اليه لم يبق مكتوما وقيل متى سئل العالم
عن شي يعلمه من امر الدين يجب عليه اظهاره والا فلا من بعد ما بيناه للناس
في الكتاب يعني في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون
المراد بالناس علماء بني اسرائيل ومن قال ان المراد بالكتاب جميع ما انزل
الله على انبيائه من الاحكام قال المراد بالناس العلماء كافة اولئك يعني
الذين يكتمون ما انزل الله من البينات والهدى يلعنهم الله يبعدهم الله من
رحمته واصل اللعن في اللغة الطرد والابعاد ويلعنهم اللاعنون
قال ابن عباس جميع الخلايق الا الجن والانس وذلك ان البهايم تقول
انما منعنا القطر بمعاصي بني ادم وقيل اللاعنون هم الجن والانس لانه وصفهم
بوصف من يعقل وقيل ما تلاعن اثنان من المسلمين الا رجعت الى اليهود
والنصارى الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ثم استثنى فقال
تعالى الا الذين تابوا اي ندموا على ما فعلوا ورجعوا عن الكفر الى الاسلام واصلحوا
يعني الاعمال فيما بينهم وبين الله تعالى وبينوا يعني ما كتموا من العلم
فاولئك اتوب عليهم اي اتجاوز عنهم واقبل توبتهم وانا التواب اي
المتجاوز عن عبادي الرجاع بقلوبهم المنصرفة عني الي الرحيم يعني بهم
بعد اقبالهم علي قوله عز وجل ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك
عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين قيل هذا اللعن يكون يوم
القيمة يوقف الكافر فيلعنه الله ثم تلعنه الملائكة ثم يلعنه
الناس اجمعون فان قلت الكافر لا يلعن نفسه ولا يلعنه اهل دينه
وملته فما معنى قوله والناس اجمعين قلت فيه اوجه احدها انه اراد

بالناس من يعتد بلعنه وهم المومنون الثاني ان الكفار يلعن بعضهم
بعضا يوم القيمة الثالث انهم يلعنون الظالمين والكافرين من الظالمين
فيكون قد لعن نفسه **خالدين فيها** اي مقيمين في اللعنة وقيل
في النار وانما اضمرت لعظم شانها **لا يخفف عنهم العذاب ولا هم
ينظرون** اي لا يمهلون ولا يوجلون وقيل لا ينتظرون ليعتذروا
وقيل لا ينظر اليهم نظر رحمة والله اعلم **فصل** فيما يتعلق بهذه الاية
من الحكم قال العلما لا يجوز لعن المعين لان حاله عند الوفاة لا يعلم
فلعله يموت على الاسلام وقد شرط الله تعالى في هذه الاية اطلاق
اللعنة على من مات على الكفر ويجوز لعن الكفار يدل عليه قوله
صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها
فباعوها وذهب بعضهم الى جواز لعن انسان معين من الكفار بدليل
جواز قتاله واما العصاة من المومنين فلا يجوز لعن احد منهم
على التعيين واما على الاطلاق فيجوز لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لعن الله السارق يسرق البيضة والحبل فتقطع يده ولعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم الواشمة والمستوشمة واكل الربا وموكله ولعن من غير منار
الارض ومن انتسب لغير ابيه وكل هذه في الصحيح قوله تعالى **والهكم اله واحد**
سبب نزول هذه الاية ان كفار قريش قالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فانزل
الله تعالى هذه الاية وسورة الاخلاص ومعنى الواحد الانفراد وحقيقة الواحد
هو الشي الذي لا يتبعض ولا ينقسم والواحد في صفة الله انه واحد لا نظير
له وليس كمثله شي وقيل واحد في الالهية وربوبيته له ولا شريك له
لان المشركين اشركوا معه الالهة فكذبهم الله بقوله والهكم اله واحد
يعني لا شريك له في الالهية ولا نظير له في الربوبية والتوحيد هو
نفي الشريك والقسيم والشبيه فالله تعالى واحد في افعاله لا شريك له
لا يشاركه في مصنوعاته وواحد في ذاته لا قسيم له وفي صفاته لا يشبهه
شي من خلقه **لا اله الا هو** تقرير للوحدانية ونفي غيره من الالهية واثباتها



له سبحانه وتعالى **الرحمن الرحيم** يعني انه المولى لجميع النعم اصولها
وفروعها فلا شي سواه بهذه الصفة لان كل ما سواه اما نعمة واما
منعم عليه وهو المنعم على خلقه الرحيم بهم عن اسما بنت يزيد قالت
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله الاعظم في هاتين
الايتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة
ال عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم اخرجه ابو داود والترمذي
وقال حديث صحيح وقيل لما نزلت هذه الاية قال المشركون ان محمدا
يقول الهكم اله واحد فليأتنا باية ان كان صادقا فانزل الله تعالى
ان في خلق السموات والارض وعلمه كيفية الاستدلال على وحدانية
الصانع وردهم الى التفكر في اياته والنظر في عجايب مصنوعاته واتقان
افعاله ففي ذلك دليل على وحدانيته اذ لو كان في الوجود صانعان
لهذه الافعال لاستحال اتفاقهما على امر واحد ولامتنع في افعالها
التساوي في صفة الكمال فثبت بذلك ان خالق هذا العالم والمدبر له
واحد قادر مختار فبين سبحانه وتعالى من عجايب مخلوقاته ثمانية
انواع اولها قوله ان في خلق السموات والارض وانما جمع السموات لانها
اجناس مختلفة كل سما جنس غير جنس الاخرى ووحد الارض لانها جنس
واحد وهو التراب والاية في السما سمكها وارتفاعها بغير عمد ولا علاقة
وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم والاية في الارض مدها وبسطها
على الما وما يرى فيها من الجبال والبحار والمعادن والجواهر والانهار
والاشجار والثمار والنبات النوع الثاني قوله تعالى **واختلاف الليل والنهار**
اي تعاقبهما في المجي والذهاب وقيل اختلافهما في الطول والقصر والزيادة
والنقصان والنور والظلمة وانما قدم الليل على النهار لان الظلمة اقدم
والاية في الليل والنهار ان انتظام احوال العباد بسبب طلب المكاسب
والمعيشة يكون في النهار وطلب النوم والراحة يكون في الليل فاختلاف
الليل والنهار انما هو لتحصيل مصالح العباد النوع الثالث قوله **والفلك**

التي تجري في البحر اي السفن واحده وجمعه سوآ وسمي البحر بحرا لاتساعه
وانبساطه والاية في الفلك تسخيرها وجريانها على وجه الما وهي موقورة
بالاثقال والرجال فلا ترسب وجريانها بالريح مقبلة ومدبرة وتسخير
البحر لحمل الفلك مع قوة سلطان الما وهيجان البحر فلا ينجي منه الا الله
تعالى النوع الرابع قوله تعالى بما ينفع الناس يعني ركوبها والحمل عليها
في التجارات لطلب الارباح والاية في ذلك ان الله تعالى لو لم يقو قلوب من
يركب هذه السفن لما تم الغرض في تجاراتهم ومنافعهم وايضا فان الله
تعالى خص كل قطر من اقطار العالم بشي معين واحوج الكل الى الكل فصار
ذلك سببا يدعوهم الى اقتحام الاخطار في الاسفار من ركوب السفن وخوض
البحر وغير ذلك فالحامل ينتفع لانه يربح والمحمول اليه ينتفع بما حمل
اليه النوع الخامس قوله تعالى وما انزل الله من السما من ما يعني
المطر قيل اراد بالسما السحاب سمي سما لان كل ما علاك ما ظلك فهو
سما خلق الله الما في السحاب ومنه ينزل الى الارض وقيل اراد السما
بعينها خلق الله الما في السما ومنه ينزل الى السحاب ثم منه الى الارض
فاحيى به اي بالما الارض بعد موتها اي بعد يبسها وجدبها سماه
موتا مجازا لانه اذا لم ينبت شيا ولم يصبها المطر فهي كالميتة والاية
في انزال المطر واحيا الارض به ان الله تعالى جعله سببا لحياة الجميع من
حيوان ونبات ونزوله عند وقت الحاجة اليه بمقدار المنفعة وعند
الاستسقا والدعا وانزاله بمكان دون مكان النوع السادس قوله
وبث اي فرق فيها اي في الارض من كل دابة قال ابن عباس يريد كل ما دب
على وجه الارض من جميع الخلق من الناس وغيرهم والاية في ذلك ان جنس
الانسان يرجعون الى اصل واحد وهو ادم ثم ما فيهم من الاختلاف في
الصور والاشكال والالوان والالسنة والطبايع والاخلاق والاوصاف
الى غير ذلك ثم يقاس على بني ادم سائر الحيوان النوع السابع قوله
وتصريف الرياح يعني في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي الريح

التي

العاشر من تفسير الخازن



التي تاتي من غير مهب صحيح فكل ريح تختلف مهابها تسمى نكباء وقيل
تصريفها في احوال مهابها لينة وعاصفة وحارة وباردة وسميت
ريحا لانها تريح قال ابن عباس اعظم جنود الله الريح وقيل ما هبت
ريح الا لشفاء سقيم او ضده وقيل البشارة في ثلاث رياح الصبا
والشمال والجنوب والدبور هي الريح العقيم التي اهلكت بها عاد
فلا بشارة فيها والاية في الريح انها جسم لطيف لا يمسك ولا يرى
وهي مع ذلك في غاية القوة تقلع الشجر والصخر وتخرب البنيان
العظيم وهي مع ذلك حياة الوجود فلو امسكت طرفة عين لمات كل ذي
روح ولنتن ما على وجه الارض النوع الثامن قوله والسحاب المسخر
بين السما والارض اي الغيم المذلل سمي سحابا لسرعة سيره كانه ينسحب
والاية في ذلك ان السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التي تسيل منها
الاودية العظيمة يبقى معلقا بين السما والارض ففي هذه الانواع الثمانية
المذكورة في هذه الاية دلالة عظيمة على وجود الصانع القادر المختار
وانه الواحد في ملكه فلا شريك له ولا نظير وهو المراد من قوله والهكم
اله واحد لا اله الا هو وقوله لايات اي فيما ذكر من دلايل مصنوعاته
الدالة على وحدانيته قيل انما جمع ايات لان في كل واحد مما ذكر من هذه
الانواع ايات كثيرة تدل على ان لها خالقا مدبرا مختارا لقوم يعقلون
اي ينظرون ببصائر عقولهم ويتفكرون بقلوبهم فيعلمون ان لهذه الاشيا
خالقا مدبرا مختارا وصانعا قادرا على ما يريد قوله عز وجل ومن
الناس يعني المشركين من يتخذ من دون الله اندادا يعني اصناما يعبدونها
والند المثل المنازع فعلى هذه الاصنام انداد بعضها لبعض وليست
اندادا لله تعالى الله ان يكون له ند او مثل منازع وقيل الانداد
[illegible] رؤساهم وكبراؤهم الذين يطيعونهم في معصية

الله يحبونهم اي يودونهم ويميلون اليهم والحب نقيض البغض واحببت
فلانا اي جعلته معرضا بان تحبه والمحبة الارادة كحب الله اي كحب
المومنين الله والمعني يحبون الاصنام كما يحب المومنون ربهم عز وجل
وقيل معناه يحبونهم كحب الله فيكون المعني انهم يسوون بين الاصنام
وبين الله في المحبة فمن قال بالقول الاول لم يثبت للكفار محبة الله
تعالى ومن قال بالقول الثاني اثبت للكفار محبة الله لكن جعلوا الا
الاصنام شركاء لله في الحب والذين امنوا اشد حبا لله اي اثبت وادوم
علي محبته لانهم لا يختارون مع الله سواه والمشركون اذا اتخذوا صنما
ثم راوا اخر احسن منه طرحوا الاول واختاروا الثاني وقيل ان الكفار
يعدلون عن اصنامهم في الشدايد ويقبلون الي الله تعالى كما اخبر عنهم فاذا
ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والمومنون لا يعدلون عن الله
في السرا والضرا ولا في الشدة ولا في الرخا وقيل ان المومنين يوحدون
ربهم والكفار يعبدون اصناما كثيرة فتنقص المحبة لصنم واحد وقيل
انما قال والذين امنوا اشد حبا لله لان الله احبهم اولا فاحبوه ومن
شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته اتم وسياتي بسط الكلام
في معني المحبة عند قوله يحبهم ويحبونه ولو يري الذين ظلموا قري
بالتا والمعني ولو تري يا محمد الذين ظلموا يعني اشركوا في شدة العذاب
لرايت امرا عظيما وقري بالياء ومعناه ولو يري الذين ظلموا اذ [illegible]
عند روية العذاب حين يقذف بهم في النار لعرفوا مضرة الكفر وان [illegible]
من الاصنام لا ينفعهم اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا
معناه لو راي الذين كانوا اشركوا في الدنيا عذاب الاخرة [illegible] يرون
العذاب ان القوة ثابتة لله جميعا [illegible]
ما ينفعوا معه ان القوة لله جميعا وان [illegible]

والجحود

والجحود وان الله شديد العذاب قوله تعالى اذ تبرا اي تنزه وتباعد
الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب اي القادة من مشركي
الانس من اتباع وذلك يوم القيمة حين يجمع القادة والاتباع فيتبرا
بعضهم من بعض عند نزول العذاب بهم وعجزهم عن دفعه عن انفسهم
فكيف عن غيرهم وقيل هم الشياطين يتبرون من الانس والقول
هو الاول وتقطعت بهم الاسباب يعني الوصلات التي كانت بينهم
يعملون بها في الدنيا وقيل العهود والحلف التي كانت بينهم يتوادون عليها
واصل السبب في اللغة الحبل الذي يصعد به النخل وسمي كل ما يتوصل به
الي شي من ذريعة او قرابة او مودة سببا تشبيها بالحبل الذي يصعد به وقال
الذين اتبعوا يعني الاتباع لو ان لنا كرة اي رجعة الي الدنيا فنتبرا منهم
اي من المتبوعين كما تبروا منا اليوم كذلك يريهم الله اي كما اراهم العذاب يريهم
الله اعمالهم حسرات عليهم لانهم ايقنوا بالهلاك والحسرة الغم علي ما فاته
وشدة الندم عليه كانه انحسر عنه الجهل الذي حمله علي ما ارتكبه والمعني
ان الله تعالى يريهم السيئات التي عملوها وارتكبوها في الدنيا فيتحسرون لما
عملوها وقيل يريهم ما تركوا من الحسنات فيندمون علي تضييعها وقيل
يرفع لهم منازلهم من الجنة فيقال لهم تلك مساكنكم لو اطعتم الله ثم تقسم
بين المومنين فذلك حين يتحسرون ويندمون علي ما فاتهم ولا ينفعهم الندم
وما هم بخارجين من النار قوله عز وجل يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا
طيبا نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة وبني مدلج فيما حرموا
علي انفسهم من الحرث والانعام البحيرة والسائبة والوصيلة والحام
والحلال المباح الذي احله الشرع [illegible] عقدة الحظر عنه واصله
من الحل [illegible] نقيض الحرام [illegible]
[illegible] الطيب [illegible]

النفس وتعانده ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تسلكوا سبيله وقيل
معناه لا تأتموا به ولا تتبعوا آثاره وزلاته والمعنى احذروا ان تتعدوا
ان تتعدوا ما احل لكم الى ما يدعوكم اليه الشيطان وقيل هي النذور
في المعاصي وقيل هي المحقرات من الذنوب ثم بين علة هذا التحذير بقوله
تعالى انه لكم عدو مبين اي ظاهر العداوة وقد اظهر الله عداوته باباية
السجود لآدم ثم بين عداوته ما هي فقال تعالى انما يأمركم بالسوء يعني بالاثم
والسوء ما يسوء صاحبه ويحزنه والفحشاء يعني بها المعاصي وما قبح
من قول او فعل قال ابن عباس السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد
وقيل الفحشاء الزنا وقيل هي البخل وان تقولوا على الله ما لا تعلمون يعني
من تحريم الحرث والانعام ويتناول ذلك جميع المذاهب الفاسدة التي
لم يأذن فيها الله ولم ترد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم ان امر
الشيطان ووسوسته عبارة عن هذه الخواطر التي يجدها الانسان في قلبه
وماهية هذه الخواطر حروف واصوات منتظمة خفية تشبه الكلام في
الخارج ثم ان فاعل هذه الخواطر هو الله تعالى والمحدث لها في باطن الانسان
وانما الشيطان كالعرض والله هو المقدر له على ذلك وقد ورد في الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم وانه
قدر على ذلك لايصال هذه الخواطر الى باطن الانسان قوله تعالى واذا قيل
لهم اتبعوا ما انزل الله هذه قصة مستأنفة والضمير في لهم يعود
على غير مذكور قال ابن عباس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود الى الاسلام
فقال رافع بن خارجة ومالك بن عوف بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا فهم
كانوا خيرا منا واعلم منا فانزل الله هذه الاية وقيل ان الاية متصلة
بما قبلها والضمير في لهم يعود على من الناس من يتخذ من دون الله اندادا
وهم مشركو العرب قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا يعني من عبادة الاصنام

وقيل

وقيل الضمير في لهم يعود على قوله يا ايها الناس كلوا والمعنى واذا قيل
لهم اتبعوا ما انزل الله يعني في تحليل ما حرموا على انفسهم قالوا بل
نتبع ما الفينا يعني وجدنا عليه اباءنا يعني من التحريم والتحليل
قال الله تعالى اولو كان اباؤهم يعني الذين يتبعونهم لا يعقلون شيئا
يعني لا يعلمون شيئا من امر الدين لفظه عام ومعناه خاص وذلك
انهم كانوا يعقلون امر الدنيا ولا يهتدون اي الى الصواب ثم ضرب
لهم مثلا فقال تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع
الا دعاء ونداء النعيق صوت الراعي بالغنم ولا يقال نعق الا للراعي بالغنم
ونحوها ومعنى الاية ومثلك يا محمد ومثل الكفار في وعظهم ودعائهم
الى الله كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم وهي لا تسمع الا صوتا فصار الداعي
الى الله هو الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزلة الراعي وصار الكفار بمنزلة
الغنم المنعوق بها ووجه المثل ان الغنم تسمع الصوت ولا تعقل المراد
وكذلك الكفار يسمعون صوت الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن
لا ينتفعون به وقيل معناه ومثل الذين كفروا في قلة عقلهم
وفهمهم عن الله ورسوله كمثل المنعوق به من البهائم التي لا تفهم من
الامر والنهي الا الصوت فيكون المعنى المنعوق به خارج عن الناعق
وقيل معناه ومثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام التي لا تفقه
ولا تعقل كمثل الناعق بالغنم فهو لا ينتفع من نعيقه بشيء غير انه
عنا من الدعاء والنداء فكذلك الكافر ليس له من دعاء الاصنام وعبادتها
الا العناء والبلاء والفرق بين هذا القول والقول الذي قبله ان المحذوف
هنا هو المدعو وهي الاصنام وفي القول الاول المحذوف هو الداعي وهو
الرسول صلى الله عليه وسلم صم بكم [illegible] اي هم كالبهائم زادوا في تبكيتهم
فقال صم لانهم [illegible] اسمعوا الحق [illegible] به صاروا بمنزلة

الاصم الذي لا يسمع يعني المن يسمع ولا يعقل كانه اصم ابكم اي عن النطق بالحق
عمي اي عن طريق الهدى فهم لا يعقلون قيل المراد به العقل الكسبي لان
العقل الطبيعي كان حاصل فيهم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كلوا
من طيبات ما رزقناكم قيل ان الاوامر في قوله كلوا انه يكون للوجوب كالاكل
لحفظ النفس ودفع الضرر عنها وقد يكون للندب كالاكل مع الضيف
وقد يكون للاباحة اذا خلا من هذه العوارض والطيب هو الحلال م عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل الا الطيب
وان الله امر المومنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا وقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل
يطيل السفر اشعث اغبر يمد يده الى السما يا رب يا رب ومطعمه حرام
ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فاني يستجاب لذلك قوله
اشعث اغبر هو البعيد العهد بالدهن والغسل والنظافة وقيل الطيب
المستلذ من الطعام فلعل قوما تنزهوا عن اكل المستلذ من المطاعم فاباح
الله لهم ذلك واشكروا الله يعني على نعمه ان كنتم اياه تعبدون اي اشكروا
الله الذي رزقكم هذه النعم ان كنتم تخصونه بالعبادة وتعترفون انه الاله
لا غيره وقيل ان كنتم عارفين بالله وبنعمه فاشكروه عليها قوله تعالى انما
حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير لما امر الله تعالى في الاية التي تقدمت
باكل الطيبات التي هي الحلالات بين في هذه الاية انواعا من المحرمات اما الميتة
فكل ما فارقته الروح من غير ذكاة مما يذبح واما الدم فهو الجاري وكانت العرب
تجعل الدم في المصارين ثم تشويه وتاكله فحرم الله الدم واما الخنزير فانه اراد
بلحمه جميع اجزايه وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود لذاته بالاكل وما
اهل به لغير الله يعني وما ذبح للاصنام والطواغيت واصل الاهلال رفع
الصوت وذلك انهم كانوا يرفعون اصواتهم بذكر الهتهم اذا ذبحوا لها ذلك

مجرى



مجرى امرهم في ذلك حتى قيل لكل ذابح مهل وان لم يجهر بالتسمية فمن اضطر
يعني الى اكل الميتة واحوج اليها غير باغ اصل البغي الفساد ولا عاد
واصله من العدوان وهو الظلم ومجاوزة الحد فلا اثم عليه
اي فاكل فلا اثم عليه اي فلا حرج في اكلها ان الله غفور اي لما اكله في
حال الضرورة رحيم يعني حيث رخص لعباده في ذلك والله سبحانه وتعالى
اعلم بمراده واسرار كتابه فصل في حكم الاية وفيه مسائل
الاولى في حكم الميتة اجمعت الامة على تحريم اكل الميتة وانها نجسة
واستثنى الشرع منها السمك والجراد اما السمك فلقوله صلى
الله عليه وسلم في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته اخرجه الجماعة غير
البخاري ومسلم قال الترمذي فيه حديث حسن صحيح واما الجراد فلما
روي عن ابن ابي اوفى قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات
او ستا وكنا ناكل الجراد ونحن معه اخرجاه في الصحيحين واختلف في
السمك الميت الطافي على الما فقال مالك والشافعي لا باس به وقال ابو حنيفة
واصحابه والحسن بن صالح بن حيي انه مكروه وروي عن علي بن ابي طالب انه قال
ما طفا من صيد البحر فلا تاكله وعن ابن عباس وجابر بن عبد الله مثله وروي
عن ابي بكر الصديق وابي ايوب اباحته واختلفوا في الجراد فقال الشافعي
وابو حنيفة لا باس باكل الجراد كله ما اخذته وما وجدته ميتا وروي عن مالك
انه اذا وجد ميتا فلا يحل وما اخذ حيا ينبغي ذكاة مثله بان يقطع راسه
ويشوى فان غفل عنه حتى يموت فلا يحل المسئلة الثانية في حكم الدم
اتفق العلما على ان الدم حرام نجس لا يوكل ولا ينتفع به قال الشافعي
تحرم جميع الدما سوا كان مسفوحا او غير مسفوح وقال ابو حنيفة دم
السمك ليس بحرام قال لانه اذا يبس يبيض واستثنى الشارع من الدم
الكبد والطحال وروى الدارقطني عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن ابيه

عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أُحِلَّت لنا
من الدم دمان ومن الميتة ميتتان الحوت والجراد ومن الدم
الكبد والطحال وفي لفظ اخر احلت لنا ميتتان ودمان فاما الميتتان
فالجراد والحوت واما الدمان فالطحال والكبد واخرجه ابن ماجه واحمد
بن حنبل قال احمد وعلي بن المديني عبد الرحمن بن زيد ضعيف واخوه عبد الله
ابن زيد قوي ثقة وقد اخرج الدارقطني هذا الحديث من رواية عبد الله
ابن زيد عن ابيه عن ابن عمر مرفوعا وضعّف ابو بكر بن العربي هذا الحديث
وقال يروى عن ابن عمر بما لا يصح سنده وقال البيهقي يروى هذا الحديث
عن ابن عمر موقوفا ومرفوعا الصحيح الموقوف واختلف في تخصيص هذا
العموم في الكبد والطحال فقال مالك لا تخصيص لان الكبد والطحال لحم
ويشهد لذلك العيان الذي لا يفتقر الى برهان وقال الشافعي هما دمان ويشهد
له الحديث فهو مخصص من العموم المسئلة الثالثة في الخنزير اجمعت الامة
على ان الخنزير بجميع اجزائه محرم وانما ذكر الله تعالى لحمه لان معظم الانتفاع
متعلق به ثم اختلفوا في نجاسته فقال جمهور العلما انه نجس وقال مالك
انه طاهر وكذا كل حيوان عنده لان علة الطهارة هي الحياة وللشافعي قولان
في ولوغ الخنزير الجديد انه كالكلب والقديم يكفي في ولوغه غسلة واحدة
والفرق بينهما ان التغليظ في الكلب لان العرب كانت تالفه بخلاف الخنزير
وقيل ان التغليظ في الكلب تعبد لا يعقل معناه فلا يتعدى الى غيره المسئلة
الرابعة في حكم قوله وما اهل به لغير الله من الناس من زعم ان المراد بذلك
ذبائح عبدة الاوثان الذي كانوا يذبحونه لاصنامهم واجاز ذبيحة النصارى
اذا سمى عليها باسم المسيح وهو مذهب عطا ومكحول والحسن والشعبي وسعيد
ابن المسيب لعموم قوله وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وقال مالك والشافعي
وابو حنيفة لا يحل ذلك والحجة فيه انهم اذا ذبحوا على اسم المسيح فقد اهلوا به

لغير الله

لغير الله فوجب ان يحرم وروي عن علي بن ابي طالب انه قال اذا سمعتم
اليهود والنصارى يهلون لغير الله فلا تاكلوا واذا لم تسمعوهم فكلوا
فان الله قد احل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون المسئلة الخامسة في
حكم المضطر المضطر هو المكلف بالشي الملجا اليه المكره عليه والمراد بالمضطر
في قوله فمن اضطر اي خاف التلف حتى قيل من اضطر الى اكل الميتة فلم ياكل
منها حتى مات دخل النار والمضطر على ثلاثة اقسام اما باكراه او بجوع
في مخمصة او بفقر لا يجد شيا البتة فان التحريم يرتفع مع وجود
هذه الاقسام بحكم الاستثنا في قوله فلا اثم عليه ويباح له الميتة
فاما الاكراه فيبيح ذلك الى زوال الاكراه واما المخمصة فلا يخلو
ان تكون دائمة فلا خلاف في جواز الشبع منها وان كانت نادره فاختلف
العلما فيه وللشافعي قولان احدهما انه ياكل ما يسد به الرمق وبه قال ابو حنيفة
والثاني ياكل قدر الشبع وبه قال مالك المسئلة السادسة في قوله غير
باغ ولا عاد قال ابن عباس معنى غير باغ غير خارج على السلطان ولا عاد اي
متعد يعني العاصي بسفره بان يخرج لقطع الطريق او ابق من مولاه فلا
يجوز للعاصي بسفره ان ياكل الميتة اذا اضطر اليها ولا يترخص برخص المسافر
حتى يتوب وبه قال الشافعي لان اباحة الميتة له اعانة له على فساده
وذهب بعضهم الى ان البغي والعدوان يرجعان الى الاكل وبه قال ابو حنيفة
واباح اكل الميتة للمضطر وان كان عاصيا وقيل في معنى قوله غير باغ اي غير
طالب الميتة وهو يجد غيرها ولا عاد اي غير متعد ما حد له وقيل غير مستحل
لها ولا متزود منها والله اعلم قوله عز وجل ان الذين يكتمون ما انزل الله من
الكتاب نزلت في روسا اليهود وعلمائهم وذلك انهم كانوا يصيبون من سفلتهم
الهدايا والماكل وكانوا يرجون ان يكون النبي المبعوث منهم فلما بعث محمد صلى الله
عليه وسلم وهو من غيرهم خافوا على ذهاب ماكلهم وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة

رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتموها فانزل الله ان الذين يكتمون
الله من الكتاب اي في الكتاب من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونعته ووقت نبوته هذا قول المفسرين قال الامام فخر الدين الرازي
وعند المتكلمين هذا ممتنع لان التوراة والانجيل قد بلغا من الشهرة
والتواتر الى حيث تعذر ذلك فيهما بل كانوا يكتمون التاويل لانه كان
منهم من يعرف الايات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا
يذكرون لها تاويلات باطلة ويصرفونها عن محاملها الصحيحة الدالة
على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهذا هو المراد بالكتمان فيصير المعنى
ان الذين يكتمون معاني ما انزل الله من الكتاب ويشترون به اي بالكتمان
وقيل يعود الضمير الى ما انزل الله من الكتاب ثمنا قليلا اي عوضا
يسيرا وهي الماكل التي كانوا ياخذونها من سفلتهم اولئك ما ياكلون
في بطونهم الا النار يعني ما يوديهم الى النار وهو الرشا والحرام فلما كان
يفضي ذلك بهم الى النار فكانهم اكلوها ولا يكلمهم الله يوم القيمة اي كلام
رحمة وما يسرهم بل يكلمهم بالتوبيخ وهو قوله اخسئوا فيها وقيل
اراد به الغضب يقال فلان لا يكلم فلانا اذا غضب عليه ولا يزكيهم
اي لا يطهرهم من دنس الذنوب ولهم عذاب اليم اي وجيع يصل المه الى قلوبهم
اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة ومعناه
انهم اختاروا الضلالة على الهدى واختاروا العذاب على المغفرة لانهم
كانوا عالمين بالحق ولكن كتموه واخفوه وكان في اظهاره الهدى والمغفرة
وفي كتمانه الضلالة والعذاب فلما قدموا على اخفاء الحق وكتمانه كانوا
بايعين الهدى بالضلالة والمغفرة بالعذاب فما اصبرهم على النار
اي ما الذي صبرهم واي شيء جسرهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل
فهو استفهام بمعنى التوبيخ وقيل انه بمعنى التعجب من حالهم في التباسهم



بموجبات

بموجبات النار من غير مبالاة منهم فلما قدموا على ما يوجب النار
مع علمهم بذلك صاروا كالراضين بالعذاب والصابرين عليه
تعجب من حالهم بقوله فما اصبرهم على النار ذلك بان الله نزل الكتاب
يعني ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فكفروا به وانكروه
وقيل معناه فعلنا بهم ذلك لان الله نزل الكتاب بالحق فحرفوه فعلى
هذا يكون المراد بالكتاب التوراة وان الذين اختلفوا في الكتاب
يعني اختلفوا في معانيه وتاويله فحرفوها وبدلوها وقيل امنوا
ببعض وكفروا ببعض لفي شقاق اي خلاف ومنازعة بعيد يعني
عن الحق قوله عز وجل ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب
هذا خطاب لاهل الكتاب لان النصارى تصلي قبل المشرق واليهود قبل
المغرب الى بيت المقدس وزعم كل طائفة ان البر في ذلك فاخبر الله تعالى
ان البر ليس فيما زعموا ولكن فيما بينته في هذه الاية وقال ابن عباس هو
خطاب للمومنين وذلك ان الرجل كان في ابتدا الاسلام اذا اتى بالشهادتين
وصلى الى اي جهة كانت ثم مات على ذلك وجبت له الجنة فلما هاجر رسول
الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الفرايض وصرفت القبلة الى الكعبة انزل الله
هذه الاية فقال تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم اي في صلاتكم قبل المشرق
والمغرب ولا تعملوا ذلك ولكن البر يعني ما بينته لكم والبر اسم جامع
لكل الطاعات واعمال الخير المقربة الى الله تعالى الموجبة للثواب والمودية
الى الجنة ثم بين خصال البر فقال تعالى من امن بالله اي ولكن البر من امن بالله
فالمراد بالبر هنا الايمان بالله والتقوى من الله واليوم الاخر وانما ذكر الايمان
باليوم الاخر لان عبدة الاوثان وهم كانوا ينكرون البعث بعد الموت والملايكة
اي ومن البر الايمان بالملايكة كلهم لان اليهود قالوا ان جبريل عدونا والكتاب
قيل اراد به القران وقيل جميع الكتب المنزلة لسياق ما بعده وهو قوله

والنبيين يعني اجمع وانما خص الايمان بهذه الامور الخمسة لانه يدخل
تحت كل واحد منها اشيا كثيرة مما يلزم المومن ان يصدق بها واتى المال
على حبه يعني من اعمال البر اتيان المال على حبه فيكون الضمير راجع الى
المال فالتقدير على هذا واتى المال على حب المال ق عن ابي هريرة
قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اي الصدقة
اعظم اجرا قال ان تتصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتامل
الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا
وقد كان لفلان قوله حتى اذا بلغت الحلقوم يعني الروح وان لم يتقدم
لها ذكر وقوله لفلان كذا هو كناية عن الموصى له وقوله وقد كان لفلان
كناية عن الوارث وقيل الضمير في حبه راجع على الله اي واتى المال على
حب الله وطلب مرضاته ذوي القربى يعني اهل قرابة المعطي وانما قدمهم
لانهم احق بالاعطا م عن سلمان بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصدقة على المسلمين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة
اخرجه النساي ق ان ميمونة رضي الله عنها اعتقت وليدة ولم تستاذن
النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت اشعرت
يا رسول الله اني اعتقت وليدتي قال او فعلت قالت نعم قال اما انك
لو اعطيتها اخوالك كان اعظم لاجرك الوليدة الجارية واليتامى اليتيم
هو الذي لا اب له مع الصغر وقيل يقع على الصغير والبالغ اي واتى الفقرا
من اليتامى والمساكين جمع لمسكين سمي بذلك لانه دايم السكون الى الناس
لانه لا شي له وابن السبيل يعني المسافر المنقطع عن اهله سمي المسافر ابن السبيل
لملازمته الطريق وقيل هو الضيف ينزل بالرجل لانه انما وصل اليه من
السبيل وهو الذي والاول اشبه لان ابن السبيل اسم جامع يشمل
للمسافر والسايلين يعني الطالبين المستطعمين م عن علي بن ابي طالب ان رسول الله

صلى الله



صلى الله عليه وسلم قال للسايل حق ولو جا على فرس اخرجه ابو داود
عن زيد بن اسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطوا السايل ولو
جا على فرس اخرجه مالك في الموطا عن ام بجيد قالت قلت يا رسول الله
ان المسكين ليقوم على بابي فما اجد شيا اعطيه اياه قال ان تجدي الا
ظلفا محرقا فادفعيه اليه في يده اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث
حسن صحيح وفي رواية مالك في الموطا عنها ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ردوا المسكين لم يرد به رد الحرمان وانما اراد به ردوه
بشي تعطوه اياه ولو كان ظلفا وهو خف الشاة وفي كونه محرقا مبالغة
في قلة ما يعطى وفي الرقاب يعني المكاتبين وقيل هو فك النسمة وعتق
الرقبة وفدا الاسارى واقام الصلوة يعني المفروضة في اوقاتها
واتى الزكوة يعني الواجبة والموفون بعهدهم يعني بما اخذه الله من
العهود على عباده بالقيام بحدوده والعمل بطاعته وقيل اراد بالعهد
ما يجعله الانسان على نفسه ابتدا من نذر وغيره وقيل العهد
الذي بينه وبين الناس مثل الوفا بالمواعيد وادا الامانات اذا عاهدوا
يعني اذا وعدوا انجزوا واذا نذروا اوفوا واذا حلفوا بروا في ايمانهم
واذا قالوا صدقوا في اقوالهم واذا ايتمنوا ادوا والصابرين في الباسا
اي في الشدة والفقر والفاقة والضرا يعني المرض والزمانة وحين الباس
يعني القتال والحرب في سبيل الله وسمي الحرب باسا لما فيه من الشدة م عن
البرا قال كنا والله اذا احمر الباس نتقي به وان الشجاع منا الذي يحاذي
به يعني النبي صلى الله عليه وسلم قوله احمر الباس اي اشتد الحرب
ونتقي به اي نجعله وقاية لنا من العدو اوليك الذين صدقوا
اي اهل هذه الاوصاف هم الذين صدقوا في ايمانهم واوليك هم المتقون
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى نزلت في حيين

من احيا العرب اقتتلوا في الجاهلية بسبب قتيل فكانت بينهم قتلى
وحروب وجراحات كثيرة ولم ياخذ بعضهم من بعض حتى جا الاسلام وقيل
نزلت في الاوس والخزرج وكان لاحد الحيين طول على الاخر في الكثرة والشرف
وكانوا ينكحون نساهم بغير مهور واقسموا لنقتلن بالعبد منا الحر منهم
والمراة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم وجعلوا جراحاتهم
ضعفي جراحات اوليك فرفعوا امرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل
الله هذه الاية وامر بالمساواة فرضوا وسلموا وقيل انما نزلت هذه
الاية لازالة الاحكام التي كانت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
وذلك ان اليهود كانوا يوجبون القتل فقط بلا عفو والنصارى يوجبون
العفو بلا قتل والعرب في الجاهلية كانوا يوجبون القتل تارة ويوجبون
اخذ الدية تارة وكانوا يتعدون في الحكمين فان وقع القتل على شريف
قتلوا به عددا او ياخذون دية الشريف اضعاف دية الخسيس فلما
بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم اوجب رعاية العدل وسوى بين عباده
في حكم القصاص فانزل الله يا ايها الذين امنوا كتب اي فرض عليكم القصاص
في القتلى فان قلت كيف يكون القصاص فرضا والولي مخير فيه بين العفو
والقصاص واخذ الدية قلت ان القصاص فرض على القاتل للولي لا على الولي
وقيل اذا اردتم القصاص فقد فرض عليكم والقصاص المساواة والمماثلة
في القتل والدية والجراح من قص الاثر اذا اتبعه فالمفعول به يتبع
ما فعل به فيفعل مثل ذلك فلو قتل رجل رجلا بعصا او خنقه او شدخ
راسه بحجر فانه يقتل القاتل بمثل الذي قتل به وهو قول مالك والشافعي
واحدى الروايتين عن احمد وقيل يقتل بالسيف وهو قول ابي حنيفة
والرواية عن احمد الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى ومعناه اذا تكافا
الدمان من الاحرار المسلمين او العبيد من المسلمين او الاحرار من المعاهدين

او العبيد منهم

او العبيد منهم فيقتل كل صنف اذا قتل بمثله الذكر بالذكر والانثى بالانثى
وبالذكر ولا يقتل مومن بكافر ولا حر بعبد ولا والد بولده ويقتل الذمي
بالمسلم والعبد بالحر والولد بالوالد هذا مذهب مالك والشافعي
واحمد ويدل عليه ما روى البخاري في صحيحه عن ابي جحيفة قال سالت
عليا هل عندكم من النبي صلى الله عليه وسلم شي سوى القران قال لا والذي
فلق الحبة وبرا النسمة الا ان يوتي الله عبدا فهما في القران وما في هذه
الصحيفة قلت وما في الصحيفة قال العقل وفكاك الاسير وان لا يقتل
مومن بكافر وقد اخرج مسلم عن علي نحو هذا من غير رواية ابي جحيفة
العقل هنا هو الدية والعاقلة الجماعة من اوليا القاتل الذين يعقلون
عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقام الحدود
في المساجد ولا يقتل الوالد بالولد اخرجه الترمذي وذهب اصحاب الراي
الى ان المسلم يقتل بالذمي والحر بالعبد وهذه الاية مع الاحاديث حجة
لمذهب الشافعي ومن وافقه ويقولون هي مفسرة لما ابهم في قوله النفس بالنفس
وان تلك واردة لحكاية ما كتب على بني اسرائيل في التوراة وهذه الاية
خطاب للمسلمين بما كتب عليهم وذهب اصحاب الراي الى ان هذه منسوخة
بقوله النفس بالنفس ويقتل الجماعة بالواحد يدل عليه ما روى البخاري
في صحيحه عن ابن عمر ان غلاما قتل غيلة فقال عمر لو اشترك فيها
اهل صنعا لقتلتهم قال البخاري وقال المغيرة بن حكيم عن ابيه ان اربعة قتلوا
صبيا فقال عمر مثله وروى مالك في الموطا عن ابن المسيب ان عمر قتل نفرا
خمسة او سبعة برجل واحد قتلوه غيلة وقال لو تمالا عليه اهل صنعا
لقتلتهم جميعا الغيلة ان يقتل الرجل خديعة ومكرا من غير ان يعلم ما يراد
به وقوله لو تمالا اي تعاونوا واجتمعوا عليه وقوله تعالى فمن عفي له من اخيه شي
اي ترك له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد ورضي بالدية

والعفو هنا قبول الدية في قتل العمد من اخيه اي من دم اخيه واراد بالاخ ولي
المقتول وانما قيل له اخ لانه لابسه من قبل انه ولي الدم والمطالب به
وقيل انما ذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بما هو ثابت بينهما
من الجنسية واخوة الاسلام وفي قوله شي دليل على ان بعض الاولياء اذا عفا
سقط القود وثبتت الدية لان شيا من الدم قد بطل **فاتباع بالمعروف**
اي فليتبع الولي القاتل بالمعروف فلا ياخذ اكثر من حقه ولا يعنفه **واداء**
اليه باحسان اي على القاتل اداء الدية الى ولي الدم من غير مماطلة
امر كل واحد منهما بالاحسان فيما له وعليه وقيل في تقدير الاية واذا عفا
ولي الدم عن شي يتعلق بالقاتل وهو وجوب القصاص فليتبع القاتل
ذلك العفو بمعروف وليؤد ما وجب عليه من الدية الى ولي الدم باحسان
من غير مطل ولا مدافعة وفي الاية دليل على ان القاتل لا يصير كافرا
وان الفاسق مومن بقوله يايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص
فسماه مومنا حال ما وجب عليه القصاص وانما وجب عليه بعد صدور القتل
منه وقتل العمد والعدوان من الكباير بالاجماع فدل على ان صاحب
الكبيرة مومن ووجه ذلك من وجوه الاول ان الله تعالى خاطبه بعد
القتل بالايمان وسماه مومنا الوجه الثاني انه تعالى اثبت الاخوة
بين القاتل وولي الدم بقوله فمن عفي له من اخيه شي واراد بالاخوة
اخوة الايمان فلولا ان الايمان باق على القاتل لم يثبت له الاخوة الوجه
الثالث انه تعالى ندب الى العفو عن القاتل والعفو لا يليق الا عن
المومن لا عن الكافر وقوله تعالى **ذلك تخفيف من ربكم ورحمة** يعني الذي
ذكرت لكم من شرع القصاص والعفو عن القصاص واخذ الدية تخفيف من
ربكم يعني في حقكم ورحمة وذلك لان العفو واخذ الدية كان محرما على
اليهود وكان القصاص حتما في التوراة وكان في شرع النصارى اخذ الدية ولم

يكتب



يكتب عليهم القصاص وقيل كان عليهم العفو ولا القصاص واخذ الدية
فخير الله تعالى هذه الامة بين القصاص او العفو واخذ الدية توسعة عليهم
وتيسيرا وتفضيلا لهم على غيرهم **فمن اعتدى بعد ذلك** يعني بعد هذا
التخفيف فقتل الجاني بعد العفو او قبول الدية **فله عذاب اليم** وهو
ان يقتل قصاصا ولا يقبل منه دية ولا يعفى عنه وقيل المراد بالعذاب
الاليم عذاب الاخرة قوله تعالى **ولكم في القصاص حياة** اي بقاء وذلك
ان القاصد للقتل اذا علم انه اذا قتل قتل ترك القتل وامتنع عنه
فيكون فيه بقاوه وبقاء من هم بقتله وقيل ان نفس القصاص سبب للحياة
وذلك ان القاتل اذا اقتص منه ارتدع غيره ممن كان يهم بالقتل واعلم
ان هذا الحكم ليس مختصا بالقصاص الذي هو القتل بل يدخل فيه جميع
الجراح والشجاج وغير ذلك وذلك لان الجارح اذا علم انه اذا جرح
جرح لم يجرح فيصير ذلك سببا لبقا الجارح والمجروح وربما افضت الجراحة
الى الموت فيقتص من الجارح وقيل في معنى الاية ان الحياة سلامته من قصاص
الاخرة فانه اذا اقتص منه في الدنيا لم يقتص منه في الاخرة وفي ذلك حياته
واذا لم يقتص منه في الدنيا اقتص منه في الاخرة **يا اولي الالباب** اي يا ذوي
العقول الذين يعرفون الصواب لان العاقل لا يريد اتلاف نفسه باتلاف
غيره **لعلكم تتقون** يعني لعلكم تنتهون عن القتل خوف القصاص قوله تعالى
كتب عليكم اي فرض واوجب عليكم **اذا حضر احدكم الموت** اي قرب ودنا منه
وظهرت اثاره عليه من العلل والامراض المخوفة وليس المراد منه معاينة
الموت لانه في ذلك الوقت يعجز عن الايصا **ان ترك خيرا** يعني مالا وقيل
يطلق على القليل والكثير وهو قول الزهري فتجب الوصية في الكل وقيل ان لفظ
الخير لا يطلق الا على المال الكثير وهو قول الاكثرين واختلفوا في مقدار الكثير
الذي تجب فيه الوصية فقيل الف درهم فما زاد عليها وقيل ثمانماية فما فوقها

وقيل ستون دينارا فما فوقها وقيل انه من خمس مائة الى الف وقيل انه المال الكثير
الفاضل عن العيال روي ان رجلا قال لعائشة اني اريد ان اوصي فقالت كم مالك
قال ثلاثة الاف درهم قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك
خيرا وهذا شيء يسير فاتركه لعيالك **الوصية** اي الايصاء والوصية التقدم
الى الغير بما يعمل به وقيل هي القول المبين لما يستانف من العمل والقيام به بعد
الموت **للوالدين والاقربين** كانت الوصية في ابتداء الاسلام فريضة للوالدين
والاقربين على من مات وله مال وسبب ذلك ان اهل الجاهلية كانوا
يوصون للابعدين طلبا للفخر والشرف والرياء ويتركون الاقربين فقراء
فاوجب الله تعالى الوصية للاقربين ثم نسخت هذه الاية باية المواريث وبما
روي عن عمرو بن خارجة قال كنت اخذا بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يخطب فسمعته يقول ان الله اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث
اخرجه النسائي وللترمذي نحوه وذهب ابن عباس الى ان وجوبها صار منسوخا
في حق من يرث وبقي وجوبها في حق من لا يرث من الوالدين والاقربين
وهو قول الحسن ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن يسار وحجة
هؤلاء ان الاية دالة على وجوب الوصية للوالدين والاقربين ثم نسخ ذلك
الوجوب في حق من يرث باية المواريث وبالحديث المتقدم فوجب ان تبقى
الاية دالة على وجوب الوصية للقريب الذي لا يرث فعلى قول هؤلاء النسخ
يتناول بعض احكام الاية وذهب اكثر المفسرين والعلماء وفقهاء الحجاز والعراق
الى ان وجوبها صار منسوخا في حق الكافة وهي مستحبة في حق من لا يرث ويدل
على استحباب الوصية والحث عليها ما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه وفي رواية له شيء يريد ان يوصي
فيه يبيت ليلتين وفي رواية ثلاث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده
قال نافع سمعت عبد الله بن عمر يقول ما مرت علي ليلة منذ سمعت

رسول



رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا ووصيتي مكتوبة عندي
اخرجه الجماعة قوله ما حق امرئ الحق يشتمل معناه على الوجوب والندب
والحث فيحمل هنا على الحث في الوصية لانه لا يدري متى ياتيه الموت فربما اتاه بغتة
فيمنعه عن الوصية وقوله تعالى **بالمعروف** اي بالعدل الذي لا وكس فيه ولا
شطط فلا يزيد على الثلث ولا يوصي للغني ويدع الفقير **ق** عن سعد بن ابي
وقاص قال جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني عام حجة الوداع من
وجع اشتد بي فقلت يا رسول الله اني قد بلغ بي من الوجع ما ترى
وانا ذو مال ولا يرثني الا ابنة لي افاتصدق بثلثي مالي قال لا
قلت فالشطر يا رسول الله فقال لا قلت فالثلث قال الثلث والثلث
كثير او قال كبير انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة
يتكففون الناس العالة الفقراء وقوله يتكففون الناس اي يتكففون
المسالة من الناس كانه من الطلب بالاكف **ق** عن ابن عباس قال في الوصية
لو ان الناس غضوا من الثلث الى الربع فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لسعد والثلث كثير وقال علي بن ابي طالب لان اوصي بالخمس احب
الي من ان اوصي بالربع وان اوصي بالربع احب الي من ان اوصي بالثلث
فمن اوصى بالثلث فلم يترك وقيل يوصي بالسدس او الخمس او الربع **حقا**
اي ثابتا ثبوت ندب لا ثبوت فرض ووجوب **على المتقين** اي المومنين الذين
يتقون الشرك **فمن بدله** اي غير الوصية من الاولياء والاوصياء وذلك
التغيير يكون اما في الكتابة او في قسمة الحقوق او الشهود بان يكتموا
الشهادة او يغيروها وانما ذكر الكناية في بدله مع ان الوصية مونثة
لان الوصية بمعنى الايصاء كقوله فمن جاءه موعظة اي وعظ والتقدير
فمن بدل قول الميت او ما اوصى به **بعد ما سمعه** اي من الموصي وتحققه
فانما اثمه على الذين يبدلونه اي ان اثم ذلك التبديل لا يعود الا على

المبدل والموصي والموصى له بريئا آن منه **ان الله سميع** يعني لما اوصى به الموصي
عليم يعني بتبديل المبدل **فمن خاف** اي علم وهو خطاب عام لجميع المسلمين
من موص جنفا يعني جورا في الوصية وعدولا عن الحق والجنف الميل **او اثما**
فاصلح بينهم اي ظلما وقيل الجنف الخطا في الوصية والاثم العمد وقيل
في معنى الاية انه اذا احضر رجل مريضا وهو يوصي فراه يميل عن في وصيته
اما بتقصير او اسراف او وضع الوصية في غير موضعها فلا حرج عليه
ان يامره بالعدل في وصيته وينهاه عن الجنف والميل وقيل اراد انه اذا
اخطا الميت في وصيته او حاف متعمدا فلا حرج على وليه او وصيه او والي
امور المسلمين ان يصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصى لهم ويرد الوصية
الى العدل والحق **فلا اثم عليه** اي فلا حرج عليه في الصلح **ان الله غفور رحيم**
اي لمن اصلح وصيته بعد الجنف والميل عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل والمراة بطاعة الله ستين سنة ثم
يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار ثم قرا ابو هريرة
من بعد وصية يوصى بها او دين الى قوله ذلك الفوز العظيم اخرجه ابو داود
والترمذي قوله فيضاران المضارة ايصال الضرر الى شخص ومعنى
المضارة في الوصية ان لا يمضي او ينقص بعضها او يوصي لغير اهلها
او يحيف في الوصية ونحو ذلك قوله تعالى **يا ايها الذين كتب عليكم الصيام**
والصوم في اللغة الامساك عن الكلام يقال صام النهار اذا اعتدل وقام قائم
الظهيرة ومنه قوله تعالى اني نذرت للرحمن صوما اي صمتا لانه امساك
عن الكلام والصوم في الشرع عبارة عن الامساك عن الاكل والشرب والجماع
في وقت مخصوص وهو من طلوع الفجر الى غروب الشمس مع النية **كما كتب**
على الذين من قبلكم يعني من الانبياء والامم من لدن ادم الى عهدكم وفي
ان الصوم عبادة قديمة ما اخلى الله امة لم يفرضه عليهم كما فرضه عليكم

وذلك

١٠٠

الحادي عشر من تفسير الخازن



وذلك لان الصوم عبادة شاقة والشيء الشاق اذا عم سهل عمله
وقيل ان صيام شهر رمضان كان واجبا على النصارى كما فرض علينا
فصاموا رمضان زمانا فربما وقع في الحر الشديد والبرد الشديد
وكان يشق ذلك عليهم في اسفارهم ويضرهم في معايشهم فاجتمع
راي علمائهم ورؤسائهم ان يجعلوه في فصل من السنة معتدل بين
الصيف والشتاء فجعلوه في فصل الربيع ثم زادوا فيه عشرة ايام كفارة
لما صنعوا وصاموا اربعين يوما ثم بعد زمان اشتكى ملكهم فمه فجعل
لله عليه ان هو برا من وجعه ان يزيد في صومهم اسبوعا فبرا فزاد فيه
اسبوعا ثم مات ذلك الملك بعد زمان ووليهم ملك اخر فقال ما شان
هذه الثلاثة ايام اتموه خمسين يوما فاتموه وقيل اصابهم موتان فقالوا
زيدوا في صيامكم فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده وقيل ان النصارى فرض عليهم
صوم رمضان فصاموا قبله يوما وبعده يوما ثم لم يزالوا يزيدونه يوما بعد
يوم حتى بلغ خمسين فلذلك نهي عن صوم يوم الشك **لعلكم تتقون** يعني
ما حرم عليكم في صيامكم لان الصوم وصلة الى التقوى لما فيه من كسر النفس وترك
الشهوات من الاكل والجماع وغيرهما وقيل معناه لعلكم تتقون ما فعله النصارى
من تغيير الصوم وقيل لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم من شعارهم
اياما معدودات اي مقدرات وقيل قليلات قيل انه كان في ابتدا الاسلام
صوم ثلاثة ايام من كل شهر واجبا وصوم يوم عاشورا ثم نسخ ذلك بفرضية
صوم شهر رمضان قال ابن عباس اول ما نسخ بعد الهجرة امر القبلة ثم الصوم
ق عن عايشة قالت كان يوم عاشورا تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة صامه وامر بصيامه فلما فرض رمضان ترك عاشورا فمن شا صامه
ومن شا تركه وقيل ان المراد من قوله اياما معدودات ايام رمضان ووجهه

وهي الحجارة المحماة في الشمس وقيل انه لما نقلوا اسما الشهور عن اللغة القديمة
سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر فسموه به وقيل
ان رمضان اسم من اسما الله تعالى فيكون معناه شهر الله والاصح ان رمضان
اسم لهذا الشهر كشهر رجب وشهر شعبان وشهر رمضان الذي انزل فيه القران
لما خص الله تعالى شهر رمضان بهذه العبادة العظيمة بين سبب تخصيصه
بانزال اعظم كتبه فيه والقران اسم لهذا الكتاب المنزل على رسول الله محمد صلى
الله عليه وسلم روي عن الشافعي انه كان يقول القران اسم وليس بمهموز وليس
من القراة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتوراة والانجيل فعلى هذا القول انه ليس
بمشتق وذهب الاكثر الى انه مشتق من القرو وهو الجمع فسمي قرانا لانه يجمع السور
والايات بعضها الى بعض ويجمع الاحكام والقصص والامثال والايات الدالة
على وحدانية الله تعالى قال ابن عباس انزل القران جملة واحدة من اللوح المحفوظ
في ليلة القدر من شهر رمضان فوضع في بيت العزة في سما الدنيا ثم نزل به
جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم نجوما في نحو ثلاث وعشرين سنة فذلك
قوله فلا اقسم بمواقع النجوم وروى ابو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
انزلت صحف ابراهيم في ثلاث ليال مضين من رمضان وفي رواية في اول ليلة
من رمضان وانزلت توراة موسى في ست ليال مضين من رمضان وانزل انجيل
عيسى في ثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان وانزل زبور داود في ثمان عشرة
ليلة مضين من رمضان وانزل الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم في الرابعة
والعشرين لست بقين بعدها فعلى هذا يكون ابتدا نزول القران على محمد صلى الله
عليه وسلم في شهر رمضان وهو قول ابن اسحق وابي سليمان الدمشقي وقيل في معنى
الاية شهر رمضان الذي نزل في فرض صيامه القران كما تقول نزلت هذه
الاية في الصلاة والزكاة ونحو ذلك من الفرايض يروى ذلك عن مجاهد والضحاك و
وهو اختيار الحسين بن الفضل هدى للناس يعني من الضلال وبينات من الهدى

والفرقان

والفرقان فان قلت هذا فيه اشكال وهو انه يقال ما معنى قوله وبينات
من الهدى بعد قوله هدى للناس قلت انه تعالى ذكر اولا انه هدى ثم
الهدى على قسمين تارة يكون هدى جليا وتارة لا يكون كذلك فكانه قال
هو هدى ثم قال هو المبين من الهدى الفارق بين الحق والباطل وقيل
ان القران هدى في نفسه فكانه قال ان القران هدى للناس على الاجمال
وبينات من الهدى والفرقان على التفصيل لان البينات هي الدلالات
الواضحات التي تبين الحلال والحرام والحدود والاحكام ومعنى الفرقان
الفارق بين الحق والباطل قوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه
اي فمن كان حاضرا مقيما غير مسافر فادركه الشهر فليصمه والشهود
الحضور وقيل هو محمول على العادة بمشاهدة الشهر وهي روية الهلال
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم صوموا لرويته وافطروا لرويته اخرجاه
في الصحيحين ولا خلاف انه يصوم رمضان من راى الهلال ومن اخبرت به
واختلف العلما في وجه الخبر عنه منهم من قال يجزي فيه خبر الواحد قاله
ابو ثور ومنهم من اجراه مجرى الشهادة في ساير الحقوق قاله مالك ومنهم
من اجرى اوله مجرى الاخبار فقبل فيه خبر الواحد واجرى اخره مجرى الشهادة
فلا يقبل في اخره اقل من اثنين قاله الشافعي وهذا للاحتياط في امر العبادة
لدخولها وخروجها ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر
انما كرره لان الله تعالى ذكر في الاية الاولى تخيير المريض والمسافر والمقيم الصحيح
ثم نسخ تخيير المقيم الصحيح بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فلو اقتصر
على هذا لاحتمل ان يشمل النسخ الجميع فاعاد بعد ذكر الناسخ الرخصة
للمريض والمسافر ليعلم ان الحكم باق على ما كان عليه والله اعلم فصل
في حكم الاية وفيه مسائل المسالة الاولى اختلفوا في المرض المبيح للفطر
على ثلاثة اقوال احدها وهو قول اهل الظاهر اي مرض كان وهو ما يطلق

عليه اسم المرض فله ان يفطر تنزيلا للفظ المطلق على اقل احواله واليه
ذهب الحسن وابن سيرين القول الثاني وهو قول الاصم ان هذه الرخصة
مختصة بالمريض الذي لو صام لوقع في مشقة عظيمة تنزيلا للفظ
المطلق على اكمل احواله القول الثالث وهو قول اكثر الفقهاء ان المرض المبيح
للفطر هو الذي يؤدي الى ضرر في النفس او زيادة في علة غير محتملة كالمحموم
اذا خاف انه لو صام اشتدت حماه وصاحب وجع العين يخاف لو صام
ان يشتد وجع عينه فالمراد بالمرض ما يؤثر في تقويته قال
الشافعي اذا اجهده الصوم افطر والا فهو كالصحيح المسئلة الثانية
الفطر في السفر مباح والصوم جائز وبه قال عامة العلماء وقال ابن عباس
وابو هريرة وبعض اهل الظاهر لا يجوز الصوم في السفر ومن صام فعليه
القضا واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر
وحمله عامة العلماء على من يجهده الصوم في السفر فالاولى له الفطر ويدل
ذلك ما روي عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فرأى
زحاما ورجلا قد ظلل عليه فقال ما هذا قالوا صائم قال ليس من البر
الصيام في السفر اخرجه البخاري ومسلم وحجة الجمهور على جواز الفطر
والصوم في السفر ما روي عن انس قال سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في رمضان فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم اخرجاه في
الصحيحين المسئلة الثالثة اختلف العلماء في قدر السفر المبيح
للفطر فقال داود الظاهري اي سفر كان ولو كان فرسخا وقال الاوزاعي
السفر المبيح للفطر مسيرة يوم واحد وقال الشافعي واحمد ومالك
اقله مسيرة ستة عشر فرسخا يومان وقال ابو حنيفة واصحابه
اقله مسيرة ثلاثة ايام المسئلة الرابعة اذا استهل الشهر وهو
مقيم ثم انشأ السفر في اثنائه جاز له ان يفطر حالة السفر ويجوز له ان يصوم

في بعض



في بعض السفر وان يفطر في بعضه ان احب يدل عليه ما روي عن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى مكة عام الفتح في رمضان فصام
حتى بلغ الكديد ثم افطر وافطر الناس معه وكانوا ياخذون بالاحدث
فالاحدث من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين الكديد
اسم موضع وهو على ثمانية واربعين ميلا من مكة المسئلة الخامسة
اختلفوا في الافضل فذهب الشافعي الى ان الصوم افضل من الفطر في السفر وبه
قال مالك وابو حنيفة وقال احمد الفطر اولى وافضل من الصوم في السفر
وقالت طائفة من العلماء هما سواء وافضل الامرين ايسرهما لقوله تعالى يريد
الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر المسئلة السادسة يبيح الفطر كل سفر
مباح ليس بسفر معصية ولا يجوز للعاصي بسفره ان يترخص برخص الشرع
وقوله تعالى فعدة من ايام اخر معناه فافطر فعليه عدة من ايام اخر فظاهر
هذا انه يجوز قضا الصوم متفرقا وان كان التتابع افضل وفيه ايضا
وجوب القضا من غير تعيين لزمن القضا فيدل على جواز التراخي في القضا
ويدل عليه ايضا ما روي عن عائشة قالت كان يكون علي الصوم من رمضان
فما استطيع ان اقضي الا في شعبان وذلك من الشغل بالنبي صلى الله عليه وسلم اخرجاه
في الصحيحين يريد الله بكم اليسر اي التسهيل في هذه العبادة وهو اباحة
الفطر للمسافر والمريض ولا يريد بكم العسر اي وقد نفى عنكم الحرج في امر الدين
قيل ما خير رجل بين امرين فاختار ايسرهما الا كان ذلك احب الى الله تعالى
ولتكملوا العدة اي عدد الايام التي افطرتم فيها بعذر المرض والسفر او الحيض
لتقضوا بعددها وقيل اراد عدد ايام الشهر ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا
حتى تروه فان غم عليكم فاقدروا له وفي رواية فاكملوا له العدة ثلاثين ولتكبروا
الله فيه قولان احدهما انه تكبير ليلة العيد قال ابن عباس حق على المسلمين

اذا رواهلال شوال ان يكبروا وقال الشافعي واجب لظاهر التكبير في العيدين وبه قال مالك واحمد وابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة لا تكبير في عيد الفطر وتكبير في عيد الاضحى محجة الشافعي ومن وافقه قوله تعالى ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم قالوا معناه ولتكملوا عدة صوم رمضان ولتكبروا على ما هداكم الى اخر هذه العبادة القول الثاني في معنى ولتكبروا الله اي لتعظموا الله شكرا على ما انعم به عليكم ووفقكم للقيام بهذه العبادة على ما هداكم اي ارشدكم الى طاعته والى ما يرضى به عنكم ولعلكم تشكرون الله على نعمته

فصل في فضل شهر رمضان وفضل صيامه ق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل رمضان صفدت الشياطين وفتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار الصفد الغل اي شدت بالاغلال ق عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه قوله ايمانا واحتسابا اي طلبا لوجه الله وثوابه وقيل ايمانا بانه فرض عليه واحتسابا بثوابه عند الله وقيل معناه نية وعزيمة وهو ان يصوم على التصديق به والرغبة في ثوابه طيبة به نفسه غير كارهة ق عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل عمل ابن ادم يضاعف الحسنة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف قال الله تعالى الا الصوم فانه لي وانا اجزي به يدع شهوته وطعامه من اجلي للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فيه اطيب عند الله من ريح المسك زاد في رواية والصيام جنة فاذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب فان شاتمه احد او قاتله فليقل اني صائم قوله كل عمل ابن ادم له معناه ان له فيه حظ لاطلاع الخلق عليه الا الصوم فانه لا يطلع عليه احد وانما خص الصوم بقوله تعالى لي وان كانت جميع الاعمال الصالحة له وهو يجزي عليها لان الصوم لا يظهر من ابن ادم بقول ولا فعل حتى تكتبه الحفظة وانما هو

ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه

من اعمال القلب بالنية ولا يطلع عليه الا الله تعالى لقول الله تعالى انا اتولى جزاءه على ما احب لا حساب ولا كتاب له وقوله وللصائم فرحتان فرحة عند فطره اي بالطعام لما بلغ به الجوع لتاخذ النفس حاجتها منه وقيل فرحة بما وفق له من اتمام الصوم الموعود عليه بالثواب وهو قوله وفرحة عند لقاء ربه لما يرى من جزيل ثوابه قوله ولخلوف بضم الخاء وفتحها لغتان وهو تغير طعم الفم وريحه لتاخير الطعام ومعنى كونه اطيب عند الله من ريح المسك هو الثناء على الصائم والرضى بفعله لئلا يمتنع من المواظبة على الصوم الجالب للخلوف والمعنى ان خلوف فم الصائم ابلغ عند الله في القبول من ريح المسك عند احدكم قوله الصيام جنة اي حصن من المعاصي لان الصوم يكسر الشهوة فلا يواقع المعاصي قوله فلا يرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الانسان من المراة وقيل هو التصريح بذكر الجماع والصخب الضجر والجلبة والصياح ق عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيمة يقال اين الصائمون فيقومون لا يدخل منه احد غيرهم فاذا دخلوا اغلق فلم يدخل منه احد وفي رواية ان في الجنة ثمانية ابواب منها باب يسمى الريان لا يدخله الا الصائمون عن ابي امامة قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله مرني بامر ينفعني الله به قال عليكم بالصوم فانه لا مثل له وفي رواية اي العمل افضل قال عليك بالصوم فانه لا عدل له اخرجه النسائي

قوله عز وجل واذا سالك عبادي عني فاني قريب قال ابن عباس قال يهود المدينة يا محمد كيف يسمع ربنا دعانا وانت تزعم ان بيننا وبين السماء خمسمائة عام وان غلظ كل سماء مثل ذلك فنزلت هذه الاية وقيل سال بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه وقيل انهم سالوه في اي ساعة ندعو ربنا فنزلت وقيل انهم قالوا اين ربنا فنزلت

هذه الاية وهذا السؤال اما ان يكون عن ذات الله او عن صفاته او عن افعاله
اما السؤال عن ذات الله تعا فهو سواله عن القرب والبعد بحسب الذات واما
السوال عن صفاته تعا فهو ان يكون السائل سال هل يجيب ربنا دعانا اذا دعوناه
فقوله تعالي واذا سالك عبادي عني فيحتمل هذه الوجوه كلها وقوله تعا فاني قريب
فمعناه قريب بالعلم والحفظ لا يخفي عليه شي وفيه اشارة الي سهولة اجابته
لمن دعاه وانجاح حاجة من ساله ق عن ابي موسي الاشعري قال لما غزا رسول الله
صلي الله عليه وسلم خيبرا او قال توجه الي خيبر اشرف الناس علي واد فرفعوا
اصواتهم بالتكبير الله اكبر لا اله الا الله فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم يا ايها
الناس اربعوا علي انفسكم فانكم لا تدعون اصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا
وهو معكم قوله اربعوا علي انفسكم اي ارفقوا بها وقيل معناه امسكوا عن الجهر
فانه قريب يسمع دعاكم وقوله تعا اجيب دعوة الداع اذا دعان اي اسمع
دعا عبدي الداعي اذا دعاني وقيل الدعا عبارة عن التوحيد والثنا علي الله
تعا كقول العبد يا الله لا اله الا انت فقولك يا الله فيه دعا وقولك لا اله الا انت
فيه توحيد وثنا علي الله تعا تسمي هذا دعا بهذا الاعتبار وسمي قبوله اجابة
لتجانس اللفظ وفيه اشارة الي ان العبد يعلم ان له ربا ومدبرا يسمع دعاه اذا دعاه
ولا يخيب رجا من رجاه وذلك ظاهر فان العبد اذا دعا ربه باخلاص وتضرع
اجاب الله دعوته فان قلت انا نري الداعي يبالغ في الدعا والتضرع فلا يجاب
فما وجه قوله اجيب دعوة الداعي وقوله ادعوني استجب لكم قلت ذكر العلما
فيه اجوبة احدها ان هذه الاية مطلقة وقد وردت اخري مقيدة وهي قوله
بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شا والمطلق يحمل علي المقيد وثانيها ان معني
الدعا هنا هو الطاعة ومعني الاجابة هو الثواب وذلك في الاخرة وثالثها
ان معني الاية وان كان لفظها عاما فيكون المعني اجيب دعوة الداعي
اذا وافق القضا او اجيبه ان كانت الاجابة خيرا له او اجيبه اذا لم يسال اثما

او محالا

هل يسمع ربنا دعانا ام لا السؤال عن افعاله فهو ان يكون السائل سال [illegible]

او محالا او ربما اجيبه الي معنا بما عام اي اسمع وهو معني الاية المذكورة في الاية
واما اعطا الامنية فليس بمذكور فالاجابة حاصلة عند وجود الدعوة وقد يجيب
السيد عبده ولا يعطيه سوله وخامسها ان للدعا اداب وشرائط وهي اسباب
الاجابة فمن استكملها واتي بها كان من اهل الاجابة ومن اخطاها من اهل الاعتدا
في الدعا فلا يستحق الجواب والله اعلم وقوله تعا فليستجيبوا لي يعني
اذا دعوتهم الي الايمان والطاعة كما اني اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم والاجابة
في اللغة الطاعة فالاجابة من العبد الطاعة ومن الله الاثابة والعطا وليومنوا
بي لعلهم يرشدون اي لكي يهتدوا الي مصالح دينهم ودنياهم والله تعا اعلم
فصل في الدعا واداته ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم
قال ينزل ربنا كل ليلة الي سما الدنيا حين يبقي ثلث الليل الاخر فيقول من يدعوني
فاستجيب له من يسالني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له هذا الحديث من احاديث
الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلما احدهما وهو مذهب جمهور السلف
وبعض المتكلمين انه يجب الايمان به وبانه حق علي ما يليق بالله ونكل علمه الي الله
تعا ورسوله وان ظاهره المتعارف في حقنا غير مراد ولا نتكلم في تاويله
مع اعتقادنا تنزيه الله تعا عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات
والمذهب الثاني مذهب اكثر المتكلمين وجماعة من السلف انها تؤول علي
ما يليق به فعلي هذا نقل عن مالك وغيره ان معناه تنزل رحمته وامره او ملائكته
وقيل انه علي الاستعارة ومعناه الاقبال علي الداعين بالاجابة واللطف
وفي الحديث الحث علي الدعا والترغيب فيه عن سلمان [illegible] قال قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم ان ربكم حيي كريم يستحي من عبده اذا رفع اليه
يديه ان يردهما صفرا خائبتين اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث
حسن غريب الصفر الخالي يقال بيت صفر ليس فيه متاع عن عبادة بن
الصامت ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ما علي الارض مسلم يدعو الله

بدعوة الا اتاه اياها او صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع باثم او قطيعة
فقال رجل من القوم اذن نكثر قال الله اكثر اخرجه الترمذي قوله الله اكثر
معناه الله اكثر اجابة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوا
الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل
لاه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ليس شي اكرم على الله من الدعا اخرجه الترمذي وله عن انس
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعا مخ العبادة وله عن ابن عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من فتح له باب من الدعا فتحت له ابواب الرحمة
وما سئل الله شيا احب اليه من ان يسال العافية وان الدعا ينفع مما نزل
ومما لم ينزل وله عن سلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرد القضا
الا الدعا ولا يزيد في العمر الا البر وله عن ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من لم يسال الله يغضب عليه ق عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يستجاب لاحدكم ما لم يعجل يقول قد دعوت
فلم يستجب لي ولمسلم قال لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع باثم او قطيعة
رحم ما لم يستعجل قيل يا رسول الله ما الاستعجال قال يقول قد دعوت وقد
دعوت فلم يستجب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعا قوله يستحسر
يستنكف عن السوال واصله من حسر الطرف اذا كل وضعف ق عن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا احدكم فلا يقل اللهم
اغفر لي ان شيت اللهم ارحمني ان شيت ولكن ليعزم المسالة فان الله
لا مكره له زاد البخاري ارزقني ان شيت ليعزم المسالة فانه يفعل
ما يشا لا مكره له ليعزم المسالة اي لا تكن في دعائك ربك مترددا
بل اعزم وحديث المسالة عن فضالة بن عبيد قال سمع النبي صلى الله عليه
وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم

عجل



عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره اذا صلى احدكم فليبدا بحمد الله والثنا
عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بما شا اخرجه الترمذي
وقال حديث صحيح قوله تعالى احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم
سبب نزول هذه الاية انه كان في ابتدا الامر بالصوم اذا افطر الرجل
حل له الطعام والشراب والجماع الى ان يصلي العشا الاخرة او يرقد قبلها
فاذا صلى او رقد حرم عليه ذلك كله الى الليلة القابلة ثم ان عمر بن الخطاب
واقع اهله بعد ما صلى العشا فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه
ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اعتذر الى الله واليك من هذه
نفسي الخاطئة اني رجعت الى اهلي بعد ما صليت العشا فوجدت رايحة
طيبة فسولت لي نفسي فجامعت اهلي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما كنت
جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بمثل ذلك فنزلت في عمر واصحابه
احل لكم اي ابيح لكم ليلة الصيام اراد بالليلة ليالي الصيام الرفث الى نسائكم
الرفث كلام يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه وهو كناية عن الجماع قال
ابن عباس ان الله تعالى حيي كريم يكني فما ذكر من المباشرة والملامسة وغير ذلك
انما هو الجماع هن لباس لكم اي سكن لكم وانتم لباس لهن اي سكن لهن قيل
لا يسكن شي الى شي كسكون احد الزوجين الى الاخر وسمي كل واحد من الزوجين
لباسا لتجردهما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد وقيل اللباس اسم
لما يواري فيكون كل واحد منهما سترا لصاحبه عما لا يحل كما جا في الحديث من
تزوج فقد احرز ثلثي دينه علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم قال ابن عباس
يريد فيما ائتمنكم عليه وخيانتهم انهم كانوا يباشرون في ليالي الصيام والمعنى يظلمونها
بالمجامعة بعد العشا وهو من الخيانة واصل الخيانة ان يؤتمن الرجل على شي فلا يؤدي
فيه الامانة ويقال للعاصي خاين لانه موتمن على دينه فتاب عليكم اي فتبتم
فتاب عليكم وتجاوز عنكم وعفا عنكم اي محا ذنوبكم خ عن البرا بن عازب لما نزل

صوم رمضان كانوا لا يقربون النسا رمضان كله فكان رجال يخونون انفسهم
فانزل الله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب وعفا عنكم الاية قال
ابن عباس فكان ذلك مما نفع الله به الناس ورخص لهم ويسر فالان باشروهن
اي جامعوهن فهو حلال لكم في ليالي الصوم وسميت المجامعة مباشرة لتلاصق
بشرة كل واحد بصاحبه وابتغوا ما كتب الله لكم اي ما قضي لكم
في اللوح المحفوظ يعني الولد وقيل وابتغوا الرخصة التي كتب الله
لكم باباحة الاكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ وقيل اطلبوا ليلة
القدر وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود
نزلت في صرمة بن قيس بن صرمة الانصاري ويقال قيس بن صرمة وذلك
انه ظل يعمل في ارض له وهو صايم فلما امسى رجع الى اهله بتمر وقال لاهله
قدمي الطعام فارادت المراة ان تطعمه شيا سخنا فاخذت تعمل له ذلك
فلما فرغ فاذا هو قد نام وكان قد اعيى من التعب فايقظته فكره ان يعصي الله
ورسوله وابى ان ياكل واصبح صايما مجهودا فلم ينتصف النهار حتى غشي عليه
فلما افاق اتى النبي صلى الله عليه وسلم فلما راه قال يا ابا قيس مالك امسيت
طليحا فذكر له حاله فاغتم لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه
الاية وقوله طليحا اي مهزولا مجهودا خ عن البرا قال كان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل صايما فحضر الافطار فنام قبل ان يفطر
لم ياكل ليلته ولا يومه حتى يمسي وان قيس بن صرمه الانصاري كان صايما
فلما حضر الافطار اتى امراته فقال اعندك طعام قالت لا ولكن انطلق
فاطلب لك وكان يعمل يومه فغلبته عينه فجاته امراته فلما راته
قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه
وسلم فنزلت هذه الاية احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسايكم ففرحوا بها
فرحا شديدا ونزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط

الاسود

الاسود من الفجر ومعنى الاية وكلوا واشربوا في ليالي الصوم حتى يتبين
لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود بياض النهار من سواد الليل وسميا
خيطا لان كل واحد منهما يبدو في الافق ممتدا كالخيط قال الشاعر
فلما اضاءت لنا سدفة ... ولاح من الصبح خيط انارا
السدفة اختلاط الظلام واسدف الفجر اضاء ق عن سهل بن سعد
قال لما نزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود
ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله
الخيط الابيض والخيط الاسود ولا يزال ياكل حتى يتبين له رويتهما
فانزل الله عز وجل من الفجر فعلموا انما يعني الليل والنهار ق عن عدي
ابن حاتم لما نزلت حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود عمدت
الى عقال اسود وعقال ابيض فجعلتهما تحت وسادتي وجعلت انظر
في الليل فلا يستبين لي فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك
له فقال انما ذلك سواد الليل وبياض النهار ق عن ابن عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان بلالا يوذن بليل فكلوا واشربوا حتى يوذن ابن
ام مكتوم قال وكان ابن ام مكتوم رجلا اعمى لا ينادي حتى يقال له اصبحت
اصبحت واعلم ان الفجر الذي يحرم به على الصايم الطعام والشراب
والجماع هو الفجر الصادق المستطير المنتشر في الافق سريعا لا الفجر الكاذب
المستطيل فان قلت كيف الصبح الصادق بالخيط والخيط مستطيل والصبح
الصادق ليس بمستطيل قلت ان القدر الذي يبدو من البياض هو اول
الصبح يكون دقيقا صغيرا ثم ينتشر فلهذا شبه بالخيط والفرق بين
الفجر الصادق والفجر الكاذب ان الفجر الكاذب يبدو في الافق فيرتفع مستطيلا
ثم يضمحل ويذهب ثم يبدو الفجر الصادق بعده منتشرا في الافق مستطيرا
م عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغرنكم من سحوركم

١٠٦

اذان بلال ولا بياض الافق المستطيل هكذا حتى يستطير هكذا وحكاه حماد بيديه
قال يعني معترضا وفي رواية الترمذي لا يمنعكم من سحوركم اذان بلال ولا الفجر
المستطيل ولكن الفجر المستطير في الافق فاذا تحقق طلوع الفجر الثاني وهو
الصادق حرم على الصايم الطعام والشراب والجماع الى غروب الشمس وهو
قوله تعالى **ثم اتموا الصيام الى الليل** يعني منتهى الصيام الى الليل فاذا دخل
الليل حصل الفطر **ق** عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد افطر
الصايم وهل يلزم الصايم ان يتناول عند تحقق غروب الشمس شيا
فيه وجهان احدهما نعم يلزم ذلك لنهيه صلى الله عليه وسلم عن الوصال
والثاني لا لانه قد حصل الفطر بمجرد دخول الليل سوا اكل او لم ياكل
وتمسكت الحنفية بهذه الاية في ان الصوم في النفل يجب اتمامه قالوا
لان قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل امر وهو للوجوب وهو يتناول كل
الصيام اجاب اصحاب الشافعي عنه بان هذا انما ورد في بيان احكام
صوم الفرض فكان المراد منه صوم الفرض ويدل على اباحة الفطر من النفل
ما روي عن عايشة قالت دخل النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال هل
عندكم شي قلنا لا قال فاني اذا صايم ثم اتانا يوم اخر فقلنا يا رسول الله
اهدي لنا حيس قال ارينيه فلقد اصبحت صايما فاكل اخرجه مسلم
الحيس هو خلط الاقط والتمر والسمن وقد يجعل عوض الاقط دقيق
او فتيت وقيل هو التمر ينزع نواه ويخلط بالسويق والاول اعرف
قوله عز وجل **ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد** الاعتكاف هو الاقبال على
الشي والملازمة له على سبيل التعظيم وهو في الشرع عبارة عن الاقامة في المسجد
على عبادة الله تعالى وسبب نزول هذه الاية ان نفرا من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم كانوا يعتكفون في المسجد فاذا عرضت لرجل منهم حاجة

الى اهله



الى اهله خرج اليها وخلا بها ثم اغتسل ورجع الى المسجد فنهوا عن ذلك
حتى يفرغوا من اعتكافهم واعلم ان الله تعالى بين ان الجماع يحرم على الصايم
بالنهار ويباح له بالليل فكان يحتمل ان يكون حكم الاعتكاف كحكم الصوم
فبين الله تعالى في هذه الاية ان الجماع يحرم على المعتكف في النهار والليل
حتى يخرج من اعتكافه والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه
فصل في حكم الاعتكاف والاعتكاف سنة ولا يجوز في غير المسجد وذلك
لان المسجد يتميز عن ساير البقاع بالفضل لانه بني لاقامة الطاعات
والعبادات فيه ثم اختلفوا فنقل عن علي انه لا يجوز الا في المسجد الحرام لقوله تعالى
وطهر بيتي للطايفين والعاكفين فخصه به وقال عطا لا يجوز الا في المسجد
الحرام ومسجد المدينة وقال حذيفة يجوز في هذين المسجدين ومسجد بيت
المقدس وقال الزهري لا يصح الا في الجامع وقال ابو حنيفة لا يجوز الا في
مسجد له امام ومؤذن وقال الشافعي واحمد ومالك يجوز في ساير المساجد
لعموم قوله وانتم عاكفون في المساجد الا ان المسجد الجامع افضل حتى لا يحتاج
الى الخروج من معتكفه لصلاة الجمعة **ق** عن عايشة ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف
ازواجه من بعده **ق** عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف
العشر الاواخر من رمضان فروع الاول يجوز الاعتكاف بغير صوم والافضل
ان يصوم معه وقال ابو حنيفة الصوم شرط في الاعتكاف ولا يصح الا به وحجة
الشافعي ما روي عن ابن عمر ان عمر قال يا رسول الله اني نذرت في الجاهلية ان اعتكف
ليلة في المسجد الحرام قال فاوف بنذرك اخرجاه في الصحيحين ومعلوم انه
لا يصح الصوم في الليل الفرع الثاني لا يتقدر للاعتكاف زمان عند الشافعي
واقله لحظة ولا حد لاكثره فلو نذر اعتكاف ساعة صح نذره ولو نذر ان يعتكف
مطلقا فلم يخرج عن نذره باعتكاف ساعة قال الشافعي واحب ان يعتكف يوما

وانما قال ذلك للخروج عن الخلاف فان اقل زمن الاعتكاف عند مالك وابي حنيفة
يوم بشرط ان يدخل قبل طلوع الفجر ويخرج بعد غروب الشمس والله اعلم
الفرع الثالث الجماع حرام في حال الاعتكاف ويفسد به واما ما دون الجماع
كالقبلة ونحوها فمكروه ولا يفسد به عند اكثر العلما وهو اظهر قولي الشافعي
والثاني يبطل به وهو قول ملك وقيل ان انزل بطل اعتكافه وان لم ينزل
فلا وهو قول ابي حنيفة واما الملامسة بغير شهوة فجائز ولا يفسد به الاعتكاف
لما روي عن عايشة انها كانت ترجل النبي صلى الله عليه وسلم وهي حايض وهو
معتكف في المسجد وهي في حجرتها يناولها راسه زاد في رواية وكان لا يدخل
البيت الا لحاجة اذا كان معتكفا وفي رواية وكان لا يدخل البيت الا لحاجة
الانسان اخرجاه في الصحيحين الترجيل تسريح الشعر وقولها الا لحاجة
حوايج الانسان كثيرة والمراد منها هنا كل ما يضطر الانسان اليه مما لا يجوز له
فعله في المسجد وموضع معتكفه وقوله تعالى تلك حدود الله يعني تلك
الاحكام التي ذكرت في الصيام والاعتكاف من تحريم الاكل والشرب والجماع
حدود الله وقيل حدود الله فرايض الله واصل الحد في اللغة المنع والحد الحاجز
بين الشيين الذي يمنع اختلاط احدهما بالاخر وحد الشي الوصف المحيط
بمعناه المميز له عن غيره وقيل في معنى حدود الله المقادير التي قدرها ومنع
من مخالفتها فلا تقربوها اي فلا تاتوها ولا تغشوها فان قلت في الاية
اشكالان اما الاول فهو انه تعالى قال تلك حدود الله وهو اشارة الى ما تقدم
من الاحكام وبعضها فيه اباحة وبعضها فيه حظر فكيف قال في الجميع فلا
تقربوها الاشكال الثاني وهو انه تعالى قال في هذه الاية تلك حدود الله
فلا تقربوها وقال في اية اخرى تلك حدود الله فلا تعتدوها وقال في اية
اخرى ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده فكيف الجمع بين هذه
الايات قلت الجواب عن السوال الاول من وجهين اما الاشكال الاول فجوابه

ان الاحكام



ان الاحكام التي تقدمت فيما قبل وان كانت كثيرة الا انها اقربها
الى هذه الاية قوله تعالى ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد وذلك
يوجب تحريم الجماع في حال الاعتكاف وقال قبلها ثم اتموا الصيام الى الليل
وذلك يوجب تحريم الاكل والشرب في النهار فلما كان اقرب الى هذه الاية
جانب التحريم قال تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها والجواب عن
الاشكال الثاني ان من كان في طاعة الله والعمل بشرايعه فهو متصرف في حيز
الحق فنهي ان يتعداه لان من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي
ان يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يدنو الى الباطل
فيقع فيه وقيل اراد بحدوده هنا محارمه ومناهيه لقوله ولا تباشروهن
وانتم عاكفون في المساجد ونحو هذا من التحريم فهي حدود لا تقرب كذلك
اي كما بين لكم ما امركم به ونهاكم عنه كذلك يبين الله اياته اي معالم دينه
واحكام شريعته للناس مثل هذا البيان الشافي الوافي لعلهم يتقون
اي لكي يتقوا ما حرم عليهم فينجوا من العذاب قوله تعالى ولا تاكلوا اموالكم
بينكم بالباطل نزلت في امرئ القيس بن عابس الكندي ادعى عليه ربيعة
ابن عبدان الحضرمي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في ارض فقال النبي صلى
الله عليه وسلم للحضرمي الك بينة قال لا قال فلك يمينه فانطلق ليحلف
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان حلف على ماله لياكله ظلما ليلقين
الله وهو عنه معرض فانزل الله هذه الاية والمعنى لا ياكل بعضكم مال بعض
بالباطل اي من غير الوجه الذي اباحه الله له واصل الباطل الشي الذاهب
فصل في حكم الاية فاكل المال بالباطل على وجوه الاول ان ياكله
بطريق التعدي والنهب والغصب الثاني ان ياكله بطريق اللهو كالقمار
واجرة المغني وثمن الخمر والملاهي ونحو ذلك الثالث ان ياكله بطريق
الرشوة في الحكم وشهادة الزور الرابع الخيانة وذلك في الوديعة

والامانة ونحو ذلك وانما عبر عن اخذ المال بالاكل لانه المقصود الاعظم
ولهذا وقع في التعارف فلان يأكل اموال الناس يعني يأخذها بغير حلها
وتدلوا بها الى الحكام اي وتلقون امور تلك الاموال التي فيها الحكومة الى
الحكام قال ابن عباس هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه بينة
فيجحد ويخاصم الى الحكام وهو يعلم ان الحق عليه وانه اثم بمنعه وقيل
هو ان يقيم شهادة الزور عند الحاكم وهو يعلم ذلك وقيل معناه
ولا تأكلوا المال بالباطل وتنسبوه الى الحكام وقيل لا تدل بمال اخيك
الى الحاكم وانت تعلم انك انت ظالم فان قضاه لا يحل حراما وكان شريح القاضي
يقول اني لاقضي لك واني لاظنك ظالما ولكن لا يسعني الا ان اقضي بما
يحضرني من البينة وان قضاي لا يحل لك حراما **ق** عن ام سلمة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم سمع جلبة خصم بباب حجرته فخرج اليهم فقال انما انا بشر
وانه ياتيني الخصم فلعل بعضهم ان يكون ابلغ من بعض وفي رواية
الحن بحجته من بعض فاحسب انه صادق فاقضي له فمن قضيت له بحق
مسلم فانما هي قطعة من النار فليحملها او يذرها قوله سمع جلبة خصم
يعني اصوات خصم قوله الحن بحجته يقال فلان الحن بحجته من فلان
اي اقوم بها منه واقدر عليها من اللحن بفتح الحا وهو الفطنة **لتأكلوا**
فريقا اي طائفة وقطعة **من اموال الناس بالاثم** يعني بالظلم وقال ابن عباس
باليمين الكاذبة وقيل بشهادة الزور **وانتم تعلمون** يعني انكم على الباطل
قوله عز وجل **يسألونك** اي يا محمد **عن الاهلة** نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة
ابن غنم الانصاريين قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا ثم
يزيد حتى يمتلي نورا ثم لا يزال ينقص حتى يعود دقيقا كما بدا ولا يكون
على حال واحدة فانزل الله يسألونك عن الاهلة وكان هذا سوالا منهم
على وجه الفائدة عن وجه الحكمة في تبيين حال الهلال في الزيادة

والنقصان



والنقصان والاهلة جمع هلال وهو اول حال القمر حين يراه الناس اول ليلة
من الشهر **قل هي مواقيت للناس** جمع ميقات والمعنى انا فعلنا ذلك لمصالح دينية
ودنيوية ليعلم الناس اوقات حجهم وصومهم وانقضاء عدة نسائهم ومحل دينهم ولجارتهم
وعدد النسا واوقات الحيض وغير ذلك من الاحكام المتعلقة بالاهلة
ولهذا خالف بينه وبين الشمس التي هي دائمة على حالة واحدة **والحج** اي والحج
وانما افرد الحج بالذكر وان كان داخلا في جملة العبادات لفائدة عظيمة وهي ان
العرب في الجاهلية كانت تحج بالعدد وتبدل الشهور فابطل الله ذلك من فعلهم
واخبر ان الحج مقصور على الاشهر التي عينها لفرض الحج بالاهلة وانه لا يجوز نقل
الحج عن تلك الاشهر التي عينها الله تعالى له كما كانت العرب تفعل في النسي
وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها **ق** عن البرا قال نزلت هذه الاية
فينا كانت الانصار اذا حجوا فجاوا لم يدخلوا من قبل ابواب البيوت فجا رجل من
الانصار فدخل من قبل بابه فكانه عير بذلك فنزلت وليس البر بان تأتوا البيوت
من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها وفي رواية كانوا اذا احرموا
في الجاهلية اتوا البيوت من ظهورها فانزل الله هذه الاية وقيل كان الناس في
الجاهلية وفي اول الاسلام اذا احرم الرجل منهم لم يدخل حايطا ولا دارا ولا فسطاطا
من بابه فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ
سلما فيصعد منه وان كان من اهل الوبر دخل وخرج من خلف الخبا ولا يدخل
ولا يخرج من الباب ويرون ذلك برا وكانت الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة
ومن دان بدينهم سموا حمسا لتشددهم في دينهم والحماسة الشدة وكانوا اذا
احرموا لم يدخلوا بيتا البتة ولم يستظلوا ايضا ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخل حايطا فدخل رجل من الانصار معه وقيل كانت الحمس لا يبالون بذلك ثم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ذات يوم بيتا فدخل على اثره رجل من الانصار
يقال له رفاعة بن التابوت من الباب وهو محرم فانكروا عليه فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم دخلت من الباب وانت محرم فقال رايتك دخلت
فدخلت على اثرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني احمسي فقال الرجل ان كنت

احمسيا فانا احمسي رضيت بهديك وسمتك ودينك فانزل الله تعالى
هذه الاية وقال الزهري كان ناس من الانصار اذا اهلوا بالعمرة لم يحل
بينهم وبين السما شي وكان الرجل يخرج مهلا بالعمرة فتبدو له
الحاجة بعد ما خرج من بيته فيرجع ولا يدخل من باب الحجرة من
اجل سقف الباب ان يحول بينه وبين السما فيفتح الجدار من ورائه
ثم يقوم في حجرته فيامر بحاجته حتى بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اهل زمن الحديبية بالعمرة فدخل حجرة فدخل رجل من الانصار
من بني سلمة على اثره فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم فعلت ذلك قال
لاني رايتك دخلت فقال عليه الصلاة والسلام اني احمسي فقال الانصاري
وانا احمسي يقول انا على دينك فانزل الله تعالى وليس البر بان تاتوا البيوت
من ظهورها **ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها** يعني في حال الاحرام
وغيره **واتقوا الله لعلكم تفلحون** قوله تعالى **وقاتلوا في سبيل الله** اي
في طاعة الله وطلب رضوانه **ق** عن ابي موسى قال سئل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء اي ذلك في سبيل الله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو
في سبيل الله **الذين يقاتلونكم** كان في ابتدا الاسلام امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالكف عن قتال المشركين ثم لما هاجر الى المدينة امر بقتال من قاتله
منهم بهذه الاية قال الربيع بن انس هذه اول اية نزلت في القتال
ثم امر الله بقتال المشركين كافة قاتلوا او لم يقاتلوا بقوله تعالى قاتلوا
المشركين كافة وبقوله اقتلوهم حيث ثقفتموهم فصارت اية السيف
ناسخة لهذه الاية وقيل انها محكمة ومعناها على هذا القول وقاتلوا
في سبيل الله الذين اعدوا انفسهم للقتال فاما من لم يعد نفسه
للقتال كالرهبان والشيوخ والزمنى والمكافيف والمجانين فلا تقاتلوهم
لانهم لم يقاتلوكم وهو قوله تعالى **ولا تعتدوا** قال ابن عباس اي ولا تقتلوا
النسا والصبيان والشيوخ والرهبان ولا من القى اليكم السلام **م** عن بريدة

قال كان

قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امر اميرا على جيش او سرية اوصاه
في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا باسم الله
في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا
ولا تقتلوا وليدا قوله ولا تغلوا الغلول الخيانة وهو ما يجنيه احد
الغزاة من الغنيمة وقوله ولا تغدروا اي ولا تنقضوا العهد وقيل
في معنى الاية ولا تعتدوا اي ولا تبدؤوهم بالقتال فعلى هذا القول
تكون الاية منسوخة باية القتال قال ابن عباس لما صد المشركون رسول
الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من
قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام يطوف بالبيت فلما تجهز رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه لعمرة القضا خافوا ان لا تفي قريش بما قالوا
ويصدوهم عن البيت وكره المسلمون قتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم
فانزل الله تعالى وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم فاطلق لهم قتال
الذين يقاتلونهم في الشهر الحرام وفي الحرم ورفع عنهم الحرج والجناح في
ذلك وقال ولا تعتدوا بابتدا القتال **ان الله لا يحب المعتدين** قوله تعالى
واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي حيث وجدتموهم وادركتموهم في الحل والحرم
وتحقيق القول فيه ان الله تعالى امر بالجهاد في الاية الاولى بشرط اقدام الكفار
على القتال وفي هذه الاية امرهم بالجهاد معهم سوا قاتلوا او لم يقاتلوا
واستثنى منه المقاتلة عند المسجد الحرام **واخرجوهم من حيث اخرجوكم**
اي واخرجوهم من ديارهم كما اخرجوكم من دياركم **والفتنة اشد من القتل**
يعني ان شركهم بالله اشد واعظم من قتلكم اياهم في الحرم والاحرام وانما سمي
الشرك بالله فتنة لانه فساد في الارض يودي الى الظلم وانما جعل اعظم
من القتل لان الشرك ذنب يستحق صاحبه الخلود في النار وليس القتل
كذلك والكفر يخرج صاحبه من الامة وليس القتل كذلك فثبت ان الفتنة
اشد من القتل **ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه** اختلف
العلما في هذه الاية فذهب مجاهد في جماعة من العلما انها محكمة وانه

لا يحل ان يقاتل في المسجد الحرام الا من قاتل فيه وهو قوله فان قاتلوكم
فاقتلوهم اي فقاتلوهم وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ان مكة لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة
من نهار ثم عادت حراما الى يوم القيمة فثبت بهذا تحريم القتال
في الحرم الا ان يقاتلوا فيقاتلوا ويكون دفعا لهم وذهب قتادة الى
ان هذه الاية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
فامر بقتالهم في الحل والحرم وقيل انها منسوخة بقوله وقاتلوهم حتى
لا تكون فتنة كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا يعني عن القتال وقيل عن
الشرك والكفر فان الله غفور يعني لما سلف رحيم يعني بعباده حيث لم يعاجلهم
بالعقوبة وقاتلوهم اي وقاتلوا المشركين حتى لا تكون فتنة اي شرك
والمعنى وقاتلوهم حتى يسلموا ولا يقبل من الوثني الا الاسلام او القتل
بخلاف الكتابي والفرق بينهما ان اهل الكتاب معهم كتب منزلة وفيها
شرايع واحكام يرجعون اليها وان كانوا قد حرفوا وبدلوا فامهلهم الله
بحرمة تلك الكتب من القتل وامر باصغارهم واخذ الجزية منهم لينظروا
في كتبهم ويتدبروا فيقفوا على الحق منها فيتبعوه كفعل مومني اهل
الكتاب الذين عرفوا الحق فاسلموا واما عبدة الاصنام فلم يكن لهم
كتاب يرجعون اليه ويرشدهم الى الحق فكان امهالهم زيادة في شركهم وكفرهم
فابى الله عز وجل ان يرضى منهم الا بالاسلام او القتل ويكون الدين لله اي الطاعة
والعبادة لله وحده فلا يعبد من دونه شي فان انتهوا يعني عن القتال وقيل
عن الشرك والكفر فلا عدوان اي فلا سبيل الا على الظالمين قاله ابن عباس
فعلى هذا القول الاول تكون الاية منسوخة باية السيف وعلى القول الاخر
الاية محكمة وقيل معناه فلا تظلموا الا الظالمين سمي جزاء الظالمين ظلما
على سبيل المشاكلة وسمي الكافر ظالما لوضعه العبادة في غير موضعها
قوله تعالى الشهر الحرام بالشهر الحرام نزلت في عمرة القضاء وذلك ان النبي صلى الله
عليه وسلم خرج معتمرا في ذي القعدة سنة ست من الهجرة فصده المشركون

عن البيت

عن البيت بالحديبية فصالح اهل مكة على ان ينصرف عامه ذلك ويرجع من قابل
فيقضي عمرته فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع في ذي القعدة سنة
سبع فقضى عمرته فذلك قوله تعالى الشهر الحرام يعني ذي القعدة الذي دخلتم
فيه مكة وقضيتم عمرتكم بالشهر الحرام الذي صددتم فيه عن البيت والحرمات جمع
حرمة وانما جمعت لانه اراد حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة الاحرام قصاص
والقصاص المساواة والمماثلة وهو ان يفعل بالفاعل مثل ما فعل والمعنى انهم
لما صدوكم عن العمرة واضاعوا هذه الحرمات في سنة ست فقد وفقتم حتى
قضيتموها على رغمهم في سنة سبع وقيل هذا في القتال وقيل معناه فان بدؤكم
بالقتال في الشهر الحرام فاقتلوهم فيه فانه قصاص فمن اعتدى عليكم اي
بالقتال فاعتدوا عليه اي فقاتلوه بمثل ما اعتدى عليكم سمي الجزاء اعتداء على
سبيل المشاكلة واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين قوله تعالى وانفقوا
في سبيل الله يعني به الجهاد وذلك ان الله تعالى لما امر بالقتال والاشتغال به
يحتاج الى الانفاق فامر به والانفاق هو صرف المال في وجوه المصالح
الدينية كالانفاق في الحج والعمرة وصلة الرحم والصدقة وفي الجهاد
وتجهيز الغزاة وعلى النفس والعيال وغير ذلك مما فيه قربة الى الله تعالى
لان كل ذلك مما هو في سبيل الله لكن اطلاق هذه اللفظة ينصرف الى الجهاد
خ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله
ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه
يوم القيمة يعني حسنات عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من انفق نفقة في سبيل الله كتب الله له سبعمائة ضعف اخرجه الترمذي
والنسائي ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قيل الباء زائدة ومعناه لا تلقوا ايديكم
الى التهلكة والمراد بالايدي الانفس والمعنى ولا تلقوا انفسكم في التهلكة عبر
بالايدي عن النفس وقيل الباء على اصلها وفي الكلام حذف تقديره ولا تلقوا
انفسكم بايديكم الى التهلكة كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب
في هلاكها وقيل التهلكة كل شي يصير عاقبته الى الهلاك وقيل التهلكة

ما يمكن الاحتراز عنه ومعنى الاية النهي عن ترك الانفاق في سبيل الله لانه
سبب الاهلاك قال ابن عباس انفق في سبيل الله وان لم يكن لك الا سهم
او مشقص ولا يقولن احدكم لا اجد شيا السهم هنا هو ما يرمى به والمشقص
سهم فيه نصل عريض وقيل كان رجال يخرجون في البعوث بغير نفقة
فاما ان ينقطع بهم واما ان يكونوا عالة فامرهم الله بالانفاق على انفسهم
في سبيل الله ومن لم يكن عنده شي ينفق عليه في الغزو فلا يخرج لئلا يلقي نفسه
في التهلكة وهو انه يهلك من الجوع والعطش والمشي وقيل نزلت الاية في ترك
الجهاد م عن ابي عمران واسمه اسلم قال كنا بمدينة الروم فاخرجوا لنا صفا
عظيما من الروم فخرج اليهم من المسلمين مثلهم او اكثر وعلى اهل مصر عقبة بن عامر
وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم
فصاح الناس سبحان الله يلقي بيده الى التهلكة فقام ابو ايوب الانصاري
فقال ايها الناس انكم لتتاولون هذه الاية هذا التاويل وانما نزلت هذه
الاية فينا معشر الانصار لما اعز الله الاسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا
لبعض سرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اموالنا قد ضاعت وان الله
قد اعز الاسلام وكثر ناصروه فلو اقمنا في اموالنا فاصلحنا ما ضاع منها
فانزل الله تبارك وتعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم يرد علينا ما قلنا
وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وكانت التهلكة
الاقامة على الاموال واصلاحها وتركنا الغزو فما زال ابو ايوب شاخصا
في سبيل الله حتى دفن بارض الروم وقال حديث حسن صحيح مات ابو ايوب
في اخر غزوة غزاها بارض قسطنطينية ودفن في اصل سورها فهم يتبركون بقبره
ويستسقون به م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات
ولم يغز ولم يحدث نفسه به مات على شعبة من النفاق قال ابن المبارك نرى
ذلك كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الالقا الى التهلكة هو القنوط
من رحمة الله وهو ان الرجل يصيب الذنب فيقول قد هلكت ليس لي توبة فييئس
من رحمة الله وينهمك في المعاصي فهو القنوط فنهى الله عن ذلك وقيل في معنى الاية

انفقوا

وانفقوا في سبيل الله ولا تقولوا انا نخاف الفقر ان انفقنا فنهلك فنهوا
ان يجعلوا انفسهم هالكين بالانفاق م عن حذيفة قال انفقوا في سبيل الله
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قال نزلت في النفقة **واحسنوا** اي في
الانفاق وقيل معناه واحسنوا في اداء فرايض الله تعالى **ان الله يحب المحسنين**
اي يثيبهم على احسانهم قوله تعالى **واتموا الحج والعمرة لله** قال ابن عباس
هو ان يتمهما بمناسكهما وحدودهما وسننهما وقيل اتمامهما ان يحرم بهما من
دويرة اهله وقيل ان تفرد لكل واحد منهما سفرا وقيل اتمامهما ان تكون النفقة
حلالا وينتهي عما نهى الله عنه وقيل اتمامهما ان تخرج من اهلك لهما لا لتجارة
ولا لحاجة وقيل اذا شرع فيهما وجب عليه الاتمام **فصل** واتفقت
الامة على وجوب الحج على من استطاع اليه سبيلا **ق** عن ابي هريرة قال خطبنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال
رجل في كل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم وفي رواية وفي وجوب العمرة قولان
للشافعي اصحهما انها واجبة وهو قول علي وابن عباس والحسن وابن سيرين
وعطا وطاوس وسعيد بن جبير ومجاهد واليه ذهب احمد بن حنبل والقول
الثاني انها سنة ويروى ذلك عن ابن مسعود وجابر وابراهيم والشعبي واليه
ذهب مالك وابو حنيفة وحجة من اوجب العمرة ما روي في حديث الصبي بن
معبد انه قال لعمر بن الخطاب اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي واني اهللت
بهما فقال هديت لسنة نبيك صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو داود والنسائي
باطول من هذا وجه الدليل انه اخبر عن وجوبهما عليه وصوبه عمر وبين له انه
مهتد بما راه في وجوبهما عليه لسنة النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انها قرينتها في كتاب الله واتموا الحج والعمرة لله وعن ابن عمر
قال الحج والعمرة فريضتان وعنه ليس احد من خلق الله الا وعليه حجة وعمرة
واجبتان من استطاع الى ذلك سبيلا وعن ابن عباس قال العمرة واجبة كوجوب
الحج وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة

فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة
وليس لحجة مبرورة ثواب الا الجنة اخرجه النسائي والترمذي وزاد
وما من مؤمن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه وقال حديث
حسن صحيح ووجه الدليل انه امر بالمتابعة بين الحج والعمرة والامر
للوجوب ولانها قد نظمت مع الحج في الامر بالاتمام فكانت واجبة كالحج
وحجة من قال انها سنة ما روي عن جابر قال سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن العمرة اواجبة هي قال لا وان تعتمروا خير لكم اخرجه الترمذي
واجيب عنه بان هذا الحديث يرويه حجاج بن ارطاه وحجاج ليس ممن يقبل
منه ما تفرد به لسوء حفظه وقلة مراعاته لما يحدث به واجمعت
الامة على جواز اداء الحج والعمرة على ثلاثة انواع افراد وتمتع وقران
فصورة الافراد ان يحج ثم بعد فراغه منه يعتمر من ادنى الحل او يعتمر
قبل اشهر الحج ثم يحج في تلك السنة وصورة التمتع هو ان يحرم بالعمرة
في اشهر الحج وياتي باعمالها فاذا فرغ من اعمالها احرم بالحج من مكة في تلك السنة
وانما سمي متمتعا لانه يستمتع بمحظورات الاحرام بعد التحلل من العمرة الى ان يحرم
بالحج وصورة القران ان يحرم بالحج والعمرة معا في اشهر الحج ينويهما بقلبه وكذلك
لو احرم بالعمرة في اشهر الحج ثم ادخل عليها الحج قبل ان يفتتح الطواف فيصير قارنا
واختلفوا في الافضل فذهب مالك والشافعي ان الافراد افضل ثم التمتع
ثم القران يدل عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
افرد الحج اخرجه مسلم وله عن ابن عمر قال اهللنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج
مفردا وله عن جابر قال قدمنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نصرخ بالحج صراخا
وعن ابن عمر قال افصلوا بين حجكم وعمرتكم فانه اتم لحج احدكم واتم لعمرته
ان يعتمر في غير اشهر الحج اخرجه مالك في الموطا وذهب الثوري وابو حنيفة
الى ان القران افضل يدل عليه ما روي عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلبي بالحج والعمرة جميعا وفي رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لبيك
لبيك عمرة وحجا اخرجاه في الصحيحين وذهب احمد بن حنبل واسحق بن راهويه

الي ان التمتع



الى ان التمتع افضل يدل عليه ما روي عن ابن عباس قال تمتع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان فاول من نهى عنها معوية اخرجه الترمذي
م عن ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج
واهدى فساق معه الهدي من ذي الحليفة وبدا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاهل بالعمرة ثم اهل بالحج وتمتع الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة الى الحج
وكان من الناس من اهدى ومنهم من لم يهد فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
مكة قال للناس من كان منكم اهدى فانه لا يحل من شيء حرم منه حتى يقضي حجه
ومن لم يكن منكم اهدى فليطف بالبيت وبالصفا والمروة وليقصر وليحلل ثم ليهل
بالحج وليهد فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجع الى اهله
وطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم مكة فاستلم الركن اول شيء ثم خبب
ثلاثة اطواف من السبع ومشى اربعة اطواف ثم ركع حين قضى طوافه بالبيت
عند المقام ركعتين ثم سلم فانصرف فاتى الصفا فطاف بالصفا والمروة
سبعة اشواط ثم لم يحلل من شيء حرم منه حتى قضى حجه ونحر هديه يوم النحر
وافاض وطاف بالبيت ثم حل من كل شيء حرم منه وفعل مثل ما فعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم من اهدى فساق الهدي من الناس اختلفت الروايات في حجة النبي صلى الله
عليه وسلم هل كان مفردا او متمتعا او قارنا وهي ثلاثة اقوال للعلماء بحسب مذاهبهم
المتابعة ورجحت كل طايفة نوعا وادعت ان حجة النبي صلى الله عليه وسلم كذلك
وطريق الجمع بين روايات الصحابة واختلافهم في حجته صلى الله عليه وسلم
انه كان اولا مفردا ثم انه صلى الله عليه وسلم احرم بالعمرة بعد ذلك وادخلها
على الحج فصار قارنا فمن روى انه كان مفردا فهو الاصل ومن روى القران اعتمد آخر
الامرين ومن روى التمتع اراد التمتع اللغوي وهو الانتفاع والارتفاق وقد
ارتفق بالقران كارتفاق المتمتع وزيادة وهو الاقتصار على فعل واحد وبهذا
يمكن الجمع بين الاحاديث المختلفة في صفة حجة الوداع وهو الصحيح وذكر الشافعي
في كتاب اختلاف الحديث كلاما موجزا في ذلك فقال ان اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان منهم المفرد والقارن والمتمتع وكل كان ياخذ منه امر نسكه

ويجوز من تعليمه فاضيف الكل اليه يعني انه امر به واذن فيه ويجوز في
لغة العرب اضافة الفعل الى الامر به كما تجوز اضافته الى فاعله كما يقال بنى
فلان دارا واريد به انه امر ببنائها وكما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا
وانما امر برجمه واختار الشافعي الافراد واحتج في ترجيحه انه صح ذلك من رواية
جابر وابن عمر وابن عباس وعائشة وهؤلاء لهم مزية في حجة الوداع على غيرهم
فاما جابر فهو احسن الصحابة سياقة لرواية حديث حجة الوداع فانه ذكرها
من حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى اخرها فهو اضبط له من غيره
واما ابن عمر فصح عنه انه كان آخذا بخطام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع
وانه سمعه يلبي بالحج واما ابن عباس فمحله من العلم والفقه في الدين معروف مع كثرة
بحثه عن احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واما عائشة فقربها من رسول الله
صلى الله عليه وسلم معروف واطلاعها على باطن امره وظاهره مع كثرة فقهها
وعلمها ومن دلائل ترجيح الافراد ان الخلفاء الراشدين افردوا الحج بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وواظبوا عليه واركان الحج خمسة الاحرام والوقوف
بعرفة والطواف والسعي بين الصفا والمروة وحلق الراس او التقصير في اصح القولين
والله اعلم واركان العمرة اربعة الاحرام والطواف والسعي والحلق او التقصير
وبهذه الاركان تمام الحج والعمرة قوله تعالى **فان احصرتم** اصل الحصر في اللغة
الحبس والتضييق ثم اختلف اهل اللغة في الحصر والاحصار فقيل اذا رد الرجل
عن وجه يريده فقد احصر واذا حبس فقد حصر وقال ابن السكيت احصره
المرض اذا منعه من السفر او حاجة يريدها وحصره العدو اذا ضيق عليه وقال
الزجاج الرواية عن اهل اللغة يقال للذي يمنعه الخوف او المرض احصر وللمحبوس
حصر وقال ابن قتيبة في قوله فان احصرتم هو ان يعرض للرجل ما يحول بينه
وبين الحج من مرض او كسر او عدو يقال احصر فهو محصر فان حبس في دار او سجن
قيل حصر فهو محصور وذهب قوم الى انهما بمعنى واحد قال الزجاج يقال للرجل
من حصرك ومن احصرك وقال احمد بن يحيى اصل الحصر والاحصار الحبس
وحصر في الحبس اقوى من احصر وقيل الاحصار يقال في المنع الظاهر كالعدو

والمنع الباطن

والمنع الباطن كالمرض والحصر لا يقال الا في المنع الباطن وقوله فان احصرتم
محمول على الامرين وبحسب اختلاف اهل اللغة في معناهما اختلف الفقهاء
في حكمهما فذهب قوم الى ان كل مانع من عدو او مرض او ذهاب نفقة فانه يبيح
التحلل من احرامه وهو قول عطاء ومجاهد وقتادة وهو مذهب ابي حنيفة
ويدل عليه ما روي عن عكرمة قال حدثني الحجاج بن عمرو قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من كسر او عرج فقد حل وعليه حجة اخرى قال عكرمة فذكرت
ذلك لابي هريرة وابن عباس فقالا صدق اخرجه ابو داود والنسائي والترمذي
وقال حديث حسن وذهب قوم الى انه لا يباح له التحلل الا بحبس العدو وهو
قول ابن عمر وابن عباس وانس وبه قال مالك والليث والشافعي واحمد وقالوا
الحصر والاحصار بمعنى واحد واحتجوا بان نزول الاية كان في قصة الحديبية في سنة
ست وكان ذلك حبسا من جهة العدو ولان كفار مكة منعوا النبي صلى الله عليه
وسلم واصحابه من الطواف بالبيت فنزلت هذه الاية فحل النبي صلى الله عليه وسلم
من عمرته ونحر هديه وقضاها من قابل ويدل عليه ايضا سياق الاية وهو
قوله فاذا امنتم والامن لا يكون الا من خوف وثبت عن ابن عباس انه قال لا حصر
الا حصر العدو فثبت بذلك ان المراد من الاحصار هو حصر العدو دون المرض
وغيره واجيب عن حديث الحجاج بن عمرو بانه محمول على من شرط التحلل بالمرض
ونحوه حال احرامه ويدل على جواز الاشتراط في الاحرام ما روي عن ابن عباس
ان ضباعة بنت الزبير اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني اريد الحج
افاشترط قال نعم قالت كيف اقول قال قولي لبيك اللهم لبيك محلي من الارض
حيث تحبسني اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ولغيره ان ضباعة
بنت الزبير كانت وجعة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم حجي واشترطي
وقولي اللهم محلي حيث حبستني وهو مذهب الشافعي واحمد واسحاق اذا اشترط
في الحج فعرض له مرض او عذر ان يتحلل ويخرج من احرامه ثم المحصر يتحلل بذبح
الهدي وحلق الراس وهو المراد من قوله تعالى **فما استيسر من الهدي** ومعنى
الاية فان احصرتم دون تمام الحج والعمرة فحللتم فعليكم ما استيسر من الهدي

والهدي ما يهدى الى البيت واعلاه بدنة واوسطه بقرة وادناه شاة فاقله
ابن عباس شاة لانه اقرب الى اليسر ويحل ذبح هدي المحصر حيث احصر واليه
ذهب الشافعي لان النبي صلى الله عليه وسلم ذبح الهدي عام الحديبية بها
وذهب ابو حنيفة الى انه يقيم على احرامه ويبعث هديه الى الحرم ويواعد
من يذبحه هناك ثم يحل في ذلك الوقت ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي
محله اي مكانه الذي يجب ان يذبح فيه وفيه قولان احدهما انه الحرم فان كان
حاجا فمحله يوم النحر وان كان معتمرا فمحله يوم يبلغ هديه الى الحرم وهو قول
ابي حنيفة والقول الثاني محل ذبحه حيث احصر سواء كان في الحل او في الحرم
ومعنى محله حيث يحل ذبحه واكله وهو قول مالك والشافعي واحمد ويدل
عليه ما روي عن ابن عمر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرين
فحال كفار قريش دون البيت فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلق راسه اخرجه
البخاري قوله تعالى فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه معناه ولا تحلقوا
رؤسكم في حال الاحرام الا ان تضطروا الى حلقه لمرض او اذى وهو القمل
والصداع ففدية فيه اضمار تقديره فحلق راسه فعليه فدية نزلت
هذه الاية في كعب بن عجرة ق عن كعب بن عجرة قال اتى علي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانا اوقد تحت قدر لي والقمل يتناثر على وجهي فقال
ايؤذيك هوام راسك قال قلت نعم قال فاحلق وصم ثلاثة ايام او اطعم ستة
مساكين او انسك نسيكة لا ادري باي ذلك بدا وفي رواية قال في نزلت
هذه الاية فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية من صيام او صدقة
او نسك وذكر نحوه وفي اخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو
بالحديبية قبل ان يدخل مكة وهو محرم وذكره وفي اخرى ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال له ما كنت ارى ان الوجع بلغ بك ما ارى او ما كنت ارى ان
الجهد بلغ بك ما ارى اتجد شاة قلت لا قال فصم ثلاثة ايام او اطعم
ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع قال كعب نزلت في خاصة وهي لكم
عامة ومعنى قوله تعالى ففدية من صيام اي صوم ثلاثة ايام او صدقة

يعني

يعني اطعام ثلاثة اصع لستة مساكين لكل مسكين نصف صاع او نسك
واحدها نسيكة اي ذبيحة واعلاها بدنة واوسطها بقرة وادناها شاة
وهذه الفدية على التخيير ان شاء ذبح او صام او تصدق وكل هدي او طعام
يلزم المحرم فانه لمساكين الحرم الا هدي المحصر فانه يذبحه حيث احصر
واما الصوم فله ان يصوم حيث شاء قوله عز وجل فاذا امنتم يعني من
خوفكم وبراتم من مرضكم وقيل اذا امنتم من الاحصار فمن تمتع بالعمرة الى الحج
قال ابن الزبير معناه فمن احصر حتى فاته الحج ولم يتحلل فقدم مكة فخرج من
احرامه بعمل عمرة فاستمتع باحلاله ذلك بتلك العمرة الى السنة المستقبلة
ثم حج فيكون متمتعا بذلك الاحلال الى احرامه الثاني في العام المقبل وقيل
معناه فاذا امنتم وقد حللتم من احرامكم بعد الاحصار ولم تعتمروا في تلك السنة
ثم اعتمرتم في السنة القابلة في اشهر الحج فاستمتعتم باحلالكم الى الحج ثم
احرمتم بالحج فعليكم ما استيسر من الهدي وقال ابن عباس هو الرجل يقدم معتمرا
من افق من الافاق في اشهر الحج فيقضي عمرته واقام بمكة حلالا حتى انشا منها الحج فحج
من عامه ذلك فيكون متمتعا بالاحلال من العمرة الى احرامه بالحج ومعنى التمتع
في اللغة هو الاستمتاع بعد الخروج من العمرة والتلذذ بما كان محظورا عليه في حال
الاحرام الى احرامه بالحج فما استيسر من الهدي يعني فعليه ما استيسر من الهدي
وهو شاة يذبحها يوم النحر فلو ذبح قبله بعدما احرم بالحج اجزاه عند الشافعي
كدم الجبرانات ولا يجزئه ذبحه عند ابي حنيفة قبل يوم النحر كدم الاضحية
ولوجوب دم التمتع خمس شرائط احدها ان يقدم العمرة على الحج الثاني ان يحرم بالعمرة
في اشهر الحج الثالث ان يحج بعد الفراغ من العمرة في هذه السنة الرابع ان يحرم
بالحج من مكة ولا يعود الى ميقات بلده فان رجع الى الميقات واحرم منه لم يكن
متمتعا الخامس ان لا يكون من حاضري المسجد الحرام وهذه الشروط معتبرة
في وجوب دم التمتع ومتى فقد شرط منها لم يكن متمتعا ودم التمتع دم جبران
عند الشافعي فلا يجوز ان ياكل منه وقال ابو حنيفة هو دم نسك فيجوز
ان ياكل منه قوله تعالى فمن لم يجد يعني الهدي فصيام ثلاثة ايام في الحج اي فعليه

صيام ثلاثة ايام في وقت اشتغاله بالحج قيل يصوم يوما قبل يوم التروية ويوم
التروية ويوم عرفة وقيل المستحب ان يصوم في ايام الحج بحيث يكون يوم عرفة
مفطرا فان لم يصم قبل يوم النحر فقيل يصوم ايام التشريق وبه قال مالك واحمد
وهو احد قولي الشافعي وقيل لا بل يصوم بعد ايام التشريق وهو رواية عن احمد
والقول الاظهر للشافعي وسبعة اذا رجعتم يعني وصوموا سبعة ايام اذا رجعتم
الى اوطانكم واهليكم قاله ابن عباس وبه قال الشافعي فلو صام قبل الرجوع الى اهله لم يجزه
عنده وقيل المراد من الرجوع هو الفراغ من اعمال الحج والاخذ في الرجوع فعلى هذا
يجزه ان يصوم السبعة ايام بعد الفراغ من اعمال الحج وقبل الرجوع الى اهله وبه
قال ابو حنيفة تلك عشرة كاملة يعني في الثواب والاجر وقيل كاملة في قيامها
مقام الهدي الا انه قد يحتمل انه يخطر ببال ان الثلاثة قد قامت مقام الهدي فاعلم الله
ان العشرة بكمالها القائمة مقام الهدي وقيل فائدة التكرار التوكيد كقول الفرزدق
ثلاث واثنتان فهن خمس • وسادسة تميل الى سهام • ولان القران انزل بلغة
العرب والعرب تكرر الشي تريد به التوكيد وقيل فائدة ذلك الفذلكة في علم الحساب
وهو ان يعلم العدد مفصلا ثم يعلمه جملة ليحتاط به من جهتين فكذلك قوله تعالى
فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة وقيل ان العرب
لما كانوا لا يعلمون الحساب وكانوا يحتاجون الى زيادة بيان وايضاح فلذلك قال
تلك عشرة كاملة وقيل لفظه خبر ومعناه امر اي اكملوها ولا تنقصوها ذلك اي
هذا الحكم الذي تقدم لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام قيل حاضروا المسجد الحرام هم
اهل مكة وهو قول مالك وقيل هم اهل الحرم وبه قال طاوس وقال ابن جريج هم اهل
عرفة والرجيع وضجنان ونخلة وقال الشافعي كل من كان وطنه من مكة على اقل من
مسافة القصر فهو من حاضري المسجد الحرام وقيل هم من دون الميقات وقال ابو حنيفة
حاضروا المسجد الحرام اهل الميقات والمواقيت ذو الحليفة والجحفة وقرن ويلملم
وذات عرق فمن كان من اهل هذه المواضع فما دونها الى مكة فهو من حاضري المسجد
الحرام وقيل حاضروا المسجد الحرام من تلزمه الجمعة فيه ومعنى الاية ان الاشارة اليه
في قوله ذلك يرجع الى اقرب مذكور وهو لزوم الهدي او بدله على المتمتع وهو الآفاقي

فاما المكي

فاما المكي اذا تمتع او قرن فلا هدي عليه ولا بدل له لانه لا يجب عليه ان يحرم
من الميقات فاقدامه على التمتع لا يوجب خللا في حجه فلا يجب عليه
الهدي ويدل على ذلك ما اخرجه البخاري تعليقا من حديث عكرمة
قال سئل ابن عباس عن متعة الحج فقال اهل المهاجرون والانصار
وازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع واهللنا فلما قدمنا
مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد
الهدي طفنا بالبيت وبالصفا والمروة واتينا النسا ولبسنا الثياب
وقال من قلد الهدي فانه لا يحل من شي حتى يبلغ الهدي محله ثم امرنا عشية
التروية ان نهل بالحج فاذا فرغنا من المناسك جينا فطفنا بالبيت
وبالصفا والمروة وقد تم حجنا وعلينا الهدي كما قال الله تعالى فما استيسر
من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم الى امصاركم
والشاة تجزي فجمعوا بين نسكين في عام بين الحج والعمرة فان الله انزله في
كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم واباحه للناس غير اهل مكة قال
الله تعالى لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وفي الحديث زيادة قال الحميدي
قال ابو مسعود الدمشقي هذا حديث غريب ولم اجده الا عند مسلم بن الحجاج
ولم يخرجه في صحيحه من اجل عكرمة فانه لم يرو عنه في صحيحه وعندي
ان البخاري انما اخذه من مسلم وقوله تعالى واتقوا الله اي فيما فرضه عليكم وفيما نهاكم
عنه في الحج وفي غيره واعلموا ان الله شديد العقاب يعني لمن خالف امره وتهاون
بحدوده وارتكب مناهيه قوله عز وجل الحج اشهر معلومات يعني اشهر الحج
اشهر معلومات وقيل وقت الحج اشهر معلومات وهي شوال وذو القعدة وعشر
ليال من ذي الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر وبه قال عبد الله بن مسعود وجابر بن
عبد الله وعبد الله بن الزبير ومن التابعين الحسن وابن سيرين والشعبي وهو
قول الشافعي والثوري وابي ثور ووجه قول الشافعي ومن وافقه ان الحج يفوت بطلوع
الفجر الثاني من يوم النحر والعبادة لا تفوت مع بقاء وقتها فدل على ان يوم النحر من
اشهر الحج وايضا فان الاحرام بالحج فيه لا يجوز فدل على انه وما بعده ليس من اشهر الحج

وقال ابن عباس اشهر الحج شوال وذو القعدة وعشرة ايام من ذي الحجة اخرها
يوم النحر وبه قال ابن عمر وعروة بن الزبير وعطاء وطاوس والنخعي وقتادة
ومكحول والضحاك والسدي وابو حنيفة واحمد بن حنبل وهو احدى
الروايتين عن مالك ووجه هذا القول ان يوم النحر هو يوم الحج الاكبر ولانه
يقع طواف الافاضة وهو تمام اركان الحج وقيل ان اشهر الحج شوال وذو القعدة
وذو الحجة بكماله وهو رواية عن ابن عمر وبه قال الزهري وهي الرواية الاخرى
عن مالك ووجه هذا القول ان الله تعالى ذكر اشهر الحج بلفظ الجمع واقل
الجمع المطلق ثلاث ولان اول شهر كان اوله من اشهر الحج كان اخره كذلك فان قلت
هنا اشكال وهو ان الله تعالى قال قبل هذه الاية يسألونك عن الاهلة قل هي
مواقيت للناس والحج فجعل الاهلة كلها مواقيت للحج قلت قوله هي مواقيت للناس
والحج عام وهذه الاية وهي قوله تعالى الحج اشهر معلومات خاص والخاص مقدم
على العام وقيل ان الاية الاولى مجملة وهذه الاية مفسرة لها فان قلت انما قال اشهر الحج
بلفظ الجمع وعند الشافعي اشهر الحج شهران وعشر ليال وعند ابي حنيفة وعشرة ايام
فما وجه هذا قلت ان وجه الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد
صغت قلوبكما وقيل انه نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رايتك سنة كذا وانما
راه في ساعة منها ولا اشكال فيه على القول الثالث وهو قول من قال ان اشهر الحج
ثلاثة شوال وذو القعدة وذو الحجة بكماله فمن فرض فيهن الحج يعني من الزم نفسه
واوجب عليها فيهن الحج والمراد بهذا الفرض ما به يصير حاجا وهو فعل يفعله ثم
اختلفوا في ذلك الفعل فقال الشافعي ينعقد الاحرام بمجرد النية من غير حاجة
الى التلبية ووجهه ان فرض الحج عبارة عن النية موجب ان تكون النية كافية
في انعقاد الحج وقال ابو حنيفة لا يصح الشروع في الاحرام بمجرد النية حتى تنضم
اليه التلبية او سوق الهدي ووجهه ان الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلا بد
من انضمام شيء اخر الى النية كتكبيرة الاحرام مع النية في الصلاة وفي الاية دليل
على ان الاحرام بالحج لا ينعقد الا في اشهره وهو قول ابن عباس واليه ذهب الشافعي
واحمد واسحاق لان الله تعالى خصص هذه الاشهر بفرض الحج فيها فلو انعقد في غيرها

لم يكن

١١٨



لم يكن لهذا التخصيص وجه ولا فائدة وقال مالك والثوري وابو حنيفة
ينعقد احرامه بالحج في جميع شهور السنة ووجهه ان الاحرام التزام الحج
فجاز تقدمه على الوقت كالنذر ولان الله تعالى جعل الاهلة كلها مواقيت للحج
بقوله مواقيت للناس والحج وقد تقدم الجواب عنه وقوله تعالى فلا رفث
قال ابن عباس الرفث الجماع وفي رواية عنه ان الرفث غشيان النساء والقبل
والغمز وان يعرض لها بالفحش من الكلام فعلى هذا القول التلفظ به في غيبة
النساء لا يكون رفثا قال حصين بن قيس اخذ ابن عباس بذنب بعيره يلويه وهو يحدو
ويقول وهن يمشين بنا هميسا ان يصدق الطير ننك لميسا
فقلت اترفث وانت محرم فقال ان الرفث ما قيل عند النساء وقوله لميسا هو اسم
امراة وقيل الرفث كلام متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه فقوله
فلا رفث يحتمل ان يكون نهيا عن تعاطي الجماع وان يكون نهيا عن الحديث في ذلك
لانه من دواعيه وقيل الرفث هو الفحش والخنا والقول القبيح وقيل الرفث
اللغو من الكلام ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم احدكم
فلا يرفث يومئذ ولا يصخب ولا فسوق اصله الخروج عن الطاعة قال ابن
عباس هو المعاصي كلها وهو قول طاوس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والزهري
والربيع والقرظي وقال ابن عمر هو ما نهي عنه المحرم في حال الاحرام من قتل الصيد
وتقليم الاظفار واخذ الشعر وما اشبه ذلك وقيل هو السباب والتنابز
بالالقاب ق عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج فلم
يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه ولا جدال في الحج قال ابن عباس الجدال ان
المراء وهو ان يماري الرجل صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه وقيل هو قول الرجل الحج اليوم
ويقول الاخر الحج غدا وقيل هو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع وقد
احرموا بالحج اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدي قالوا كيف نجعلها عمرة وقد
سمينا الحج فهذا كان جدالهم وقيل هو ما كان عليه اهل الجاهلية كان بعضهم يقف
بعرفة وبعضهم بالمزدلفة وكان بعضهم يحج في ذي القعدة وبعضهم في ذي الحجة
وكل يقول الصواب فيما فعلته فانزل الله تعالى ولا جدال في الحج واخبر ان امر الحج قد

استقر على ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا خلاف فيه بعده وذلك معنى
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض
وقيل معناه ولا شك في الحج انه في ذي الحجة فابطل النسي وقيل ظاهر الاية خبر ومعناه
نهي اي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا في الحج وانما نهى عن ذلك وامر باجتنابه
في الحج وان كان اجتنابه ذلك في كل الاحوال والازمان واجب لان الرفث والفسوق
والجدال في الحج اسمج وافظع منه في غيره **وما تفعلوا من خير يعلمه الله** اي لا يخفى عليه
شي من اعمالكم وهو الذي يجازيكم عليها حث الله على فعل الخير عقب النهي عن الشر وهو
ان يستعملوا مكان الرفث الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال
الوفاق والاخلاق الجميلة وقيل جعل فعل الخير عبارة عن ضبط الانفس عن الشر حتى
لا يوجد منهم ما نهوا عنه وقيل انما ذكر الخير وان كان عالما بجميع افعال العباد من الخير
والشر لفائدة وهي انه تعالى اذا علم من العبد الخير ذكره واشهره واذا علم منه الشر ستره
واخفاه فاذا كان هذا فعله مع عبده في الدنيا فكيف يكون في العقبى وهو ارحم
الراحمين واكرم الاكرمين **وتزودوا فان خير الزاد التقوى** نزلت في ناس
من اهل اليمن كانوا يخرجون الى الحج بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ويقولون نحج بيت
ربنا افلا يطعمنا فاذا قدموا مكة سالوا الناس وربما افضى بهم الحال الى النهب والغصب
فانزل الله وتزودوا اي ما تتبلغون به وتكفون به وجوهكم عن الناس واتقوا
ابرامهم والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى وقيل في معنى الاية وتزودوا واسعوا
التقوى فان الانسان لا بد له من السفر في الدنيا ولا بد فيه من زاد ويحتاج فيه الى
الطعام والشراب والمركب وسفر من الدنيا الى الاخرة ولا بد فيه من زاد ايضا وهو
تقوى الله والعمل بطاعته وهذا الزاد افضل من الزاد الاول فان زاد الدنيا يوصل
الى مراد النفس وشهواتها وزاد الاخرة يوصل الى النعيم المقيم في الاخرة وفي هذا
المعنى قال الاعشى

اذا انت لم ترحل بزاد من التقى ... ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ان لا تكون كمثله ... وانك لم ترصد كما كان ارصدا

واتقون اي وخافوا عقابي وقيل معناه واشتغلوا بتقوى وفيه تنبيه على كمال عظمة

الله تعالى

الله تعالى جل جلاله **يا اولي الالباب** اي يا ذوي العقول الذين يعلمون حقائق
الامور قوله عز وجل **ليس عليكم جناح** اي حرج **ان تبتغوا فضلا من ربكم**
يعني رزقا ونفعا وهو الربح في التجارة **خ** عن ابن عباس قال كانت عكاظ ومجنة
وذو المجاز اسواقا في الجاهلية فلما كان الاسلام فكانهم تاثموا ان يتجروا في الموسم
فنزلت ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج وقراها ابن عباس
هكذا وفي رواية ان تبتغوا في مواسم الحج فضلا من ربكم عكاظ سوق معروفة
بقرب مكة ومجنة بفتح الميم وكسرها سوق بقرب مكة ايضا قال الازرقي هي
باسفل مكة على بريد منها وذو المجاز سوق عند عرفة كانت العرب في الجاهلية
يتجرون في هذه الاسواق ولها مواسم فكانوا يقيمون بعكاظ عشرين يوما
من ذي القعدة ثم ينتقلون الى مجنة فيقيمون بها ثمانية عشر يوما عشرة
ايام من اخر ذي القعدة وثمانية ايام من اول ذي الحجة ثم يخرجون الى عرفة
في يوم التروية وقال الداودي مجنة عند عرفة وعن ابي امامة التيمي قال
كنت رجلا اكري في هذا الوجه وكان الناس يقولون لي انه ليس لك حج فلقيت
ابن عمر فقلت يا ابا عبد الرحمن اني رجل اكري في هذا الوجه وان ناسا يقولون
انه ليس لك حج فقال ابن عمر اليس تحرم وتلبي وتطوف بالبيت وتفيض من
عرفات وترمي الجمرات قلت بلى قال فان لك حجا جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم
فساله عن مثل ما سالتني عنه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه حتى
نزلت هذه الاية ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فارسل اليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقراها عليه وقال لك حج اخرجه ابو داود وقال بعض العلما ان التجارة
ان اوقعت نقصانا في اعمال الحج لم تكن مباحة وان لم توقع نقصا فيه كانت التجارة
من المباحات التي الاولى تركها لتجريد العبادة عن غيرها لان الحج بدون التجارة
اكمل وافضل وقوله تعالى **فاذا افضتم** اي دفعتم والافاضة دفع بكثرة
من عرفات جمع عرفة سميت بذلك وان كانت بقعة واحدة لان كل موضع
من تلك المواضع عرفة فسمي مجموع تلك المواضع عرفات وقيل ان اسم الموضع
عرفات واسم اليوم عرفة قال عطا كان جبريل يري ابراهيم المناسك ويقول

خ عن عمرو بن ميمون قال قال عمر كان اهل الجاهلية لا يفيضون من جمع حتى
تطلع الشمس وكانوا يقولون اشرق ثبير فخالفهم النبي صلى الله عليه وسلم فافاض
قبل طلوع الشمس وقوله تعالى واذكروه كما هداكم اي واذكروه بالتوحيد والتعظيم
كما ذكركم بالهداية فهداكم لدينه ومناسك حجه وان كنتم من قبله لمن الضالين
اي لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه والهاء في من قبله راجعة الى الهدى
وقيل الى الرسول اي من قبل ارسال الرسول لمن الضالين وهو كناية عن غير مذكور
وقيل ترجع الى القران والمعنى واذكروه كما هداكم بكتابه الذي انزله عليكم
وان كنتم من قبل انزاله لمن الضالين قوله تعالى ثم افيضوا من حيث افاض الناس
اي لتكن افاضتكم من حيث افاض الناس وفي المخاطبين بهذا قولان احدهما
انه خطاب لقريش قال اهل التفسير كانت قريش ومن دان بدينها وهم الحمس
يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخلف الحرم ولا نخرج
منه ويتعاظمون ان يقفوا مع سائر الناس بعرفات وكان سائر الناس يقفون
بعرفات فاذا افاض الناس من عرفات افاض الحمس من المزدلفة فامرهم الله ان يقفوا
بعرفات مع سائر الناس ثم يفيضوا منها الى جمع واخبرهم انه سنة ابراهيم
واسماعيل عليهما السلام ق عن عائشة قالت كان قريش ومن دان بدينها يقفون
بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس وكانت سائر العرب يقفون بعرفة فلما جاء
الاسلام امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان ياتي عرفات فيقف بها ثم يفيض
منها فذلك قوله ثم افيضوا من حيث افاض الناس قوله كانوا يسمون الحمس هو جمع
احمس واصله من الشدة والشجاعة وانما سميت قريش وكنانة حمسا لتشددهم
في دينهم فعلى هذا القول الناس معناه جميع العرب سوى الحمس والقول الثاني
انه خطاب لسائر المسلمين امرهم الله ان يفيضوا من حيث افاض ابراهيم وهو
المراد بقوله من حيث افاض الناس وقيل الناس هنا ادم وحده بدليل قراءة
سعيد بن جبير ثم افيضوا من حيث افاض الناسي بالياء وقال هو ادم عهد اليه
فنسي ووجه هذا ان الوقوف بعرفات والافاضة منها شرع قديم وما سواه
مبتدع محدث وقيل المراد من هذه الاية الافاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر

قبل طلوع

قبل طلوع الشمس للرمي والنحر واراد بالناس ابراهيم واسماعيل واتباعهما لانه
كانت افاضتهم من المزدلفة قبل طلوع الشمس ووجه هذا القول ان الافاضة
من عرفات قد تقدم ذكرها في قوله فاذا افضتم من عرفات ثم قال بعد
ذلك ثم افيضوا من حيث افاض الناس فدل على ان هذه الافاضة من
المزدلفة الى منى لكن القول الاول اصح الذي عليه جمهور المفسرين
فان قلت على القول الاول الذي هو قول جمهور المفسرين اشكال وهو ان ظاهر
الكلام لا يقتضي ذلك لان قوله فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله والافاضة من
عرفات قبل الافاضة من جمع فكيف قال ثم افيضوا من حيث افاض الناس
فكانه قال فاذا افضتم من عرفات فافيضوا من عرفات وذلك غير جائز
قلت اجيب عن هذا الاشكال بان فيه تقديما وتاخيرا وتقديره ثم
افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم ليس عليكم
جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله فعلى
هذا الترتيب يصح ان تكون هذه الافاضة تلك الافاضة بعينها
وقيل ان ثم في قوله ثم افيضوا بمعنى الواو اي وافيضوا كقوله ثم كان
من الذين امنوا والافاضة الدفع ق عن هشام بن عروة عن ابيه قال سئل
اسامة بن زيد وانا جالس كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في حجة
الوداع قال كان يسير العنق فاذا وجد فجوة نص قال هشام والنص فوق
العنق العنق بفتح العين ضرب من السير سريع وهو اشد من المشي
والفجوة الفرجة وهو المتسع من الارض والنص السير السريع حتى يستخرج
من الناقة اقصى وسعها خ عن ابن عباس انه دفع مع النبي صلى الله عليه وسلم
يوم عرفة فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وراءه زجرا شديدا وضربا للابل
فاشار بسوطه اليهم وقال يا ايها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالايضاع
الايضاع السير السريع الشديد وقوله واستغفروا الله اي من مخالفتكم
في الموقف ولجميع ذنوبكم ان الله غفور رحيم يعني ان الله هو الساتر لذنوب
عباده برحمته والغفور يفيد المبالغة في الغفر وكذا الرحيم وفيه دليل

على ان الله يقبل التوبة من عباده التائبين ويغفر لهم لانه تعالى لما امر المذنب
بالاستغفار ثم وصف نفسه تعالى بانه كثير الغفران كثير الرحمة دل ذلك
على انه تعالى يغفر للمستغفرين ويرحم المذنبين بمنه وكرمه قوله عز وجل
فاذا قضيتم مناسككم اي فرغتم من حجكم وعباداتكم وذبحتم نسائككم اي
ذبائحكم وذلك بعد رمي جمرة العقبة والاستقرار بمنى فاذكروا الله
يعني بالتحميد والتمجيد والتهليل والتكبير والثناء عليه كذكركم اباءكم قال
اهل التفسير كانت العرب في الجاهلية اذا فرغوا من حجهم وقفوا بين المسجد
بمنى وبين الجبل وقيل عند البيت فيذكرون مفاخر ابائهم ومأثرهم وفضائلهم
ومحاسنهم ومناقبهم فيقول احدهم كان ابي كبير الجفنة رحب الفناء يقري الضيف
وكان كذا وكذا يعد مفاخره ومناقبه ويتناشدون في ذلك الاشعار
ويتكلمون بالمنثور والمنظوم من الكلام الفصيح وغرضهم بذلك الشهرة
والسمعة والرفعة بذكر مناقب سلفهم وابائهم فلما من الله عليهم بالاسلام
امرهم ان يكون ذكرهم لله لا لابائهم وقال اذكروني فانا الذي فعلت ذلك بكم وبهم
واحسنت اليكم واليهم وقال ابن عباس معناه فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار
الاباء وذلك لان الصبي اول ما يفصح الكلام يقول ابه امه لا يعرف غير ذلك
فامرهم ان يذكروه كذكر الصبيان الصغار الاباء او اشد ذكرا اي بل اشد ذكرا
وقيل او بمعنى الواو اي واشد ذكرا اي واكثر ذكرا لله لا للاباء لانه هو المنعم عليهم وعلى
الاباء فهو المستحق للذكر والحمد مطلقا وسئل ابن عباس عن هذه الاية وقيل له
قد ياتي على الرجل اليوم ولا يذكر فيه اباه فقال ليس كذلك ولكن ان تغضب لله
اذا عصي اشد من غضبك لوالديك اذا شتما فمن الناس من يقول ربنا اتنا في
الدنيا يعني ان المشركين كانوا يسالون الله تعالى في حجهم الدنيا ونعيمها كانوا يقولون
اللهم اعطنا غنما وابلا وبقرا وعبيدا واماء وكان احدهم يقوم فيقول اللهم
ان ابي كان عظيم القبة كبير الجفنة كثير المال فاعطني مثل ما اعطيته قال
قتادة هذا عبد نيته الدنيا لها انفق ولها عمل ونصب خ عن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ان اعطي

رضي

رضي وان لم يعط سخط تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش قوله تعس عبد
الدينار هذا دعا عليه بالهلاك وهو الوقوع على الوجه من العثار والخميصة
ثوب من خز او صوف معلم قوله وانتكس هذا دعا عليه ايضا لان من انتكس
على راسه او في امره فقد خاب وخسر قوله واذا شيك فلا انتقش معناه من لم يسم
فاعله يقال شاكته الشوكة اذا دخلت في جسمه والانتقاش اخراج الشوكة
من الجسم وانما كان سؤال المشركين للدنيا ولم يطلبوا التوبة والمغفرة ونعيم
الاخرة لانهم كانوا ينكرون البعث وما له في الاخرة من خلاق اي وما له في الاخرة
من حظ ولا نصيب ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة
وقنا عذاب النار يعني المومنين واعلم ان الله تعالى قسم الداعين فريقين فريق اقتصروا
في الدعا على طلب الدنيا وهم الكفار لانهم كانوا لا يعتقدون البعث والاخرة والفريق
الثاني وهم المومنون الذين جمعوا في الدعا بين طلب الدنيا والاخرة وذلك لان الانسان
خلق ضعيفا محتاجا لا طاقة له بالام الدنيا ومتاعبها فالاولى له ان يستعيذ
بالله من شرها والامها لانه لو اضطرب على الانسان عرق من عروقه لتشوش
عليه حياته في الدنيا وتعطل عن الاشتغال بطاعة الله تعالى فثبت بذلك
ان طلب الدنيا في الدعا من امر الدين فلذلك قال تعالى اخبارا عن المومنين ومنهم
من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة قيل ان الحسنة في الدنيا
عبارة عن الصحة والامن من الكفاية والتوفيق الى الخير والنصر على الاعدا والولد
الصالح والزوجة الصالحة م عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال الدنيا متاع وخير متاعها المراة الصالحة وقيل الحسنة في الدنيا العلم
والعبادة وفي الاخرة الجنة وقيل الحسنة في الدنيا الرزق الحلال والعمل الصالح
وفي الاخرة المغفرة والثواب وقيل من اتاه الله الاسلام والقران واهلا ومالا
فقد اوتي في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقيل في الدنيا حسنة
يعني عافية وفي الاخرة عافية م عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلا
من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كنت
تدعو الله بشي او تساله اياه قال نعم كنت اقول اللهم ما كنت معاقبي به في الاخرة

فيجعله في الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله لا تطيقه
ولا تستطيعه افلا قلت اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة
وقنا عذاب النار قال فدعا الله به فشفاه خ عن انس بن مالك قال كان
اكثر دعا النبي صلى الله عليه وسلم اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة
حسنة وقنا عذاب النار م عن عبد الله بن السائب قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بين الركنين ربنا آتنا في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اخرجه ابو داود اولئك اشارة
الى الموصوفين الداعين بالحسنتين ووجه هذا القول ان الله ذكر حكم الفريق الاول
بقوله تعالى وما له في الآخرة من خلاق وقيل يرجع الى الفريقين جميعا لهم
اي لكل فريق من هؤلاء نصيب اي حظ مما كسبوا يعني من الخير والدعا بالثواب
والجزاء على الدعا بالدنيا من حيث ما كسب ودعا والله سريع الحساب ذكروا
في معنى الحساب ان الله تعالى يعلم بما لهم وعليهم بمعنى انه تعالى يخلق العلوم
الضرورية في قلوبهم بمقادير اعمالهم وكمياتها وكيفياتها وبمقادير ما لهم
من الثواب وعليهم من العقاب وقيل ان المحاسبة عبارة عن المجازاة ويدل عليه
قوله تعالى وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا
شديدا وقيل ان الله تعالى يكلم عباده يوم القيمة ويعرفهم احوال اعمالهم وما لهم
من الثواب والعقاب وقيل انه تعالى اذا حاسب عباده فحسابه سريع لانه تعالى
لا يحتاج الى عقد يد ورؤية فكر ووصف نفسه تعالى بسرعة الحساب مع كثرة
الخلايق وكثرة اعمالهم ليدل بذلك على كمال قدرته لانه تعالى لا يشغله شان
عن شان ولا يحتاج الى آلة ولا مادة ولا مساعد لا جرم كان قادرا على ان يحاسب
جميع الخلايق في اقل من لمحة البصر روي انه تعالى يحاسب الخلايق في قدر حلب شاة
او ناقة وقيل معنى كونه سريع الحساب اي سريع القبول لدعا عباده والاجابة
لهم وذلك انه تعالى يسأله السائلون في الوقت الواحد كل واحد منهم اشيا
مختلفة من امور الدنيا والآخرة فيعطي كل واحد مطلوبه من غير ان يشتبه عليه
شي من ذلك لانه تعالى عالم بجميع احوال عباده واعمالهم وقيل في معنى الآية

اذ اتيان



اذ اتيان القيمة قريب لان كل ما هو كاين وآت فهو قريب لا محالة وفيه
اشارة الى المبادرة بالدعا والذكر وساير الطاعات وطلب الآخرة قوله تعالى
واذكروا الله يعني بالتوحيد والتعظيم والتكبير في ادبار الصلوات
وعند رمي الجمرات وذلك انه يكبر مع كل حصاة من حصى الجمار فقد ورد في
الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم كبر مع كل حصاة في ايام معدودات
يعني ايام التشريق وهي ايام منى ورمي الجمار سميت معدودات لقلتهن
وهي ثلاثة ايام بعد يوم النحر اولها اليوم الحادي عشر من ذي الحجة وهو
قول ابن عمر وابن عباس والحسن وعطا ومجاهد وقتادة وهو مذهب الشافعي
وقيل ان الايام المعدودات يوم النحر ويومان بعده وهو قول علي بن ابي طالب
ويروى عن ابن عمر ايضا وهو مذهب ابي حنيفة م عن نبيشة الهذلي قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايام التشريق ايام اكل وشرب وذكر الله تعالى
ومن الذكر في هذه الايام التكبير خ عن ابن عمر انه كان يكبر بمنى تلك الايام
وخلف الصلوات وعلى فراشه وفي فسطاطه وفي مجلسه وفي ممشاه في
تلك الايام جميعا وفي رواية انه كان يكبر في قبته فيسمعه اهل المسجد فيكبرون
ويكبر اهل الاسواق حتى ترتج منى اخرجه البخاري بغير اسناد اجمع العلما
على ان المراد بهذا هو التكبير عند رمي الجمار وهو ان يكبر مع كل حصاة يرمي بها
في جميع ايام التشريق واجمعوا ايضا على ان التكبير في عيد الاضحى وفي هذه
الايام في ادبار الصلوات سنة واختلفوا في وقت التكبير فقيل يبتدى به
من صلاة الظهر يوم النحر الى صلاة الصبح من آخر ايام التشريق فيكون التكبير على
هذا القول في خمس عشرة صلاة وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال الشافعي
في اصح اقواله قال الشافعي لان الناس فيه تبع للحاج وذكر الحاج قبل هذا الوقت
هو التلبية ويأخذون في التكبير يوم النحر من صلاة الظهر وقيل انه يبتدى
به من صلاة المغرب ليلة النحر ويختم بصلاة الصبح من آخر ايام التشريق وهذا
القول الثاني للشافعي فيكون التكبير على هذا القول في ثمانية عشر صلاة والقول
الثالث للشافعي انه يبتدى بالتكبير من صلاة الصبح يوم عرفة ويختم به بعد

صلاة العصر من اخر ايام التشريق فيكون التكبير على هذا القول في ثلاث وعشرين
صلاة وهو قول علي بن ابي طالب ومكحول وبه قال ابو يوسف ومحمد وقال ابن
مسعود يبتدي به من صبح يوم عرفة ويختم بصلاة العصر من يوم
النحر فعلى هذا القول يكون التكبير في ثمان صلوات وبه قال ابو حنيفة
وقال احمد بن حنبل ان كان حلالا كبر عقيب ثلاث وعشرين صلاة اولها
صلاة الصبح من يوم عرفة واخرها صلاة العصر من اخر ايام التشريق وان كان
محرما كبر عقيب سبع عشرة صلاة اولها الظهر من يوم النحر واخرها عصر ايام
التشريق ولفظ التكبير عند الشافعي ثلاثا نسقا الله اكبر الله اكبر الله اكبر
وهو قول سعيد بن جبير والحسن وهو قول اهل المدينة قال الشافعي وما زاد
من ذكر الله فحسن ويروى عن ابن مسعود انه كبر مرتين فيقول الله اكبر الله اكبر
وهو قول اهل العراق وقوله تعالى **فمن تعجل في يومين** لمن تعجل النفر الاول وهو
في الثاني من ايام التشريق **فلا اثم عليه** اي فلا حرج عليه وذلك انه لا يجب
على الحاج المبيت بمنى الليلة الاولى والثانية من ليالي ايام التشريق
ليرمي كل يوم بعد الزوال احدى وعشرين حصاة يرمي عند كل جمرة سبع حصيات
ثم من رمى في اليوم الثاني واراد ان ينفر ويدع المبيت الليلة الثالثة
ورمي يومها فذلك واسع له لقوله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه
يعني فلا اثم على من تعجل فنفر في اليوم الثاني في تعجيله **ومن تاخر فلا اثم عليه**
يعني ومن تاخر الى النفر الثاني وهو اليوم الثالث من ايام التشريق فلا اثم عليه
في تاخيره واعلم انه انما يجوز التعجيل لمن نفر بعد الزوال من اليوم الثاني من ايام
التشريق وقبل غروب الشمس من ذلك اليوم فان غربت عليه الشمس وهو بمنى
لزمه المبيت بها لرمي اليوم الثالث هذا مذهب الشافعي واكثر الفقهاء وقال
ابو حنيفة يجوز له ان ينفر ما لم يطلع الفجر لانه لم يدخل وقت الرمي بعد
ورخص لرعاة الابل واهل سقاية الحاج ترك المبيت بمنى ليالي منى فان قلت
قوله ومن تاخر فلا اثم عليه فيه اشكال وهو ان الذي اتى بافعال الحج كاملة
تامة فقد اتى بما يلزمه فما معنى قوله فلا اثم عليه انما يخاف من الاثم من قصر

فيما يلزمه

فيما يلزمه قلت فيه اجوبة احدها انه تعالى لما اذن في التعجيل على سبيل الرخصة
احتمل ان يخطر ببال قوم ان من لم يجر على موجب هذه الرخصة فانه يأثم
فازال الله تعالى هذه الشبهة وبين انه لا اثم عليه في الامرين فان شا
عجل وان شا اخر الجواب الثاني ان من الناس من كان يتعجل ومنهم من كان يتاخر
وكل فريق يصوب فعله على فعل الفريق الاخر فبين الله تعالى ان كل واحد من
الفريقين مصيب في فعله وانه لا اثم عليه الجواب الثالث انما قال ومن تاخر
فلا اثم عليه لمشاكلة اللفظة الاولى فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها
ومعلوم ان جزاء السيئة ليس بسيئة الجواب الرابع ان فيه دلالة على جواز
الامرين فكانه تعالى قال فتعجلوا او تاخروا فلا اثم في التعجيل ولا في التاخير
لمن اتقى اي ذلك التخيير ونفي الاثم للحاج المتقي وقيل لمن اتقى ان يصيب
في حجه شيا مما نهاه الله عنه من قتل صيد وغيره مما هو محظور في الحج وقيل
معناه انه ذهب اثمه ان اتقى فيما بقي من عمره وذلك ان الحاج يرجع مغفورا له
بشرط ان لا يرتكب ما نهي عنه فيما بقي من عمره وقوله **واتقوا الله** اي في المستقبل
والتقوى عبارة عن فعل الواجبات وترك المحظورات **واعلموا انكم اليه تحشرون**
اي فيجازيكم باعمالكم وفيه حث على التقوى قوله عز وجل **ومن الناس من يعجبك قوله**
في الحيوة الدنيا نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة واسمه
ابي وانما سمي الاخنس لانه خنس يوم بدر بثلاثمائة رجل من بني زهرة عن قتال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه اشار على بني زهرة بالرجوع يوم بدر وقال
لهم ان محمدا ابن اختكم فان يك كاذبا كفاكموه الناس وان يك صادقا كنتم اسعد
الناس به قالوا نعم ما رايت قال اني ساخنس بكم فاتبعوني فخنس فسمي الاخنس
بذلك وكان الاخنس حلو الكلام حلو المنظر وكان ياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويجالسه ويظهر الاسلام ويقول اني لاحبك ويحلف بالله على ذلك وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدني مجلسه وكان الاخنس منافقا فنزل فيه ومن الناس من يعجبك
قوله اي يروقك وتستحسنه ويعظم في قلبك في الحيوة الدنيا يعني ان حلاوة كلامه
فيما يتعلق بامر الدنيا **ويشهد الله على ما في قلبه** يعني به قوله والله اني بك مؤمن ولك

بحث ﴿وهو ألد الخصام﴾ أي شديد الجدال في الباطل وقيل هو كاذب القول وقيل
هو شديد القسوة في المعصية جدل بالباطل يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة
ق عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن أبغض الرجال إلى الله تعالى
الألد الخصم يعني الشديد في الخصومة ﴿وإذا تولى﴾ أي أدبر وأعرض عنك بعد
الإتيان القول وحلاوة المنطق ﴿سعى في الأرض﴾ أي سار ومشى في الأرض ﴿ليفسد
فيها﴾ يعني بقطع الأرحام ويسفك دماء المسلمين ﴿ويهلك الحرث والنسل﴾ وذلك
أن الأخنس بن شريق كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا فأحرق زرعهم
وأهلك مواشيهم وقيل خرج إلى الطائف مقتضيا دينا كان له على غريم فأحرق
له كدسا وعقر له أتانا وقيل معناه إذا تولى أي صار واليا وملك الأمر سعى في الأرض
ليفسد فيها يعني بالظلم والعدوان كما فعله ولاة السوء والظلمة وقيل يظهر ظلمه
حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل بسبب منع المطر وقيل إن الآية
عامة في حق كل من كان موصوفا بهذه الصفات المذكورة ولا يمتنع أن تنزل في رجل
واحد ثم تكون عامة في كل من كان موصوفا بهذه الصفات ﴿والله لا يحب الفساد﴾
قال ابن عباس لا يرضى بالمعاصي واحتجت المعتزلة بهذه الآية على أن المحبة عبارة عن الإرادة
وأجيب عنه بأن الإرادة معنى غير المحبة فإن الإنسان قد يريد شيئا ولا يحبه وذلك
بأن يتناول الدواء المر ولا يحبه فبان الفرق بين الإرادة والمحبة وقيل إن المحبة
مدح الشيء وتعظيمه والإرادة بخلاف ذلك ﴿وإذا قيل له اتق الله﴾ أي خف الله في
سرك وعلانيتك ﴿أخذته العزة بالإثم﴾ أي حملته العزة وحمية الجاهلية على
فعل الإثم وقيل بأن يعمل الإثم وهو الظلم وترك الالتفات إلى الوعظ وعدم
الإصغاء إليه وأصل العزة المنعة والتكبر ﴿فحسبه جهنم﴾ أي كافيه له جهنم
جزاء وعذابا وجهنم اسم من أسماء النار التي يعذب بها الكفار في الآخرة قيل هو اسم
أعجمي وقيل هو عربي سميت النار بذلك لبعد قعرها ﴿ولبئس المهاد﴾ أي الفراش والمهاد
التوطئة أيضا والمعنى أن المعذب بالنار يجعل تحته وفوقه قال ابن عباس وابن
مسعود إن من أكبر الذنوب عند الله أن يقال للعبد اتق الله فيقول عليك بنفسك
وروي أنه قيل لعمر اتق الله فوضع خده على الأرض تواضعا لله تعالى قوله عز وجل

ومن الناس

﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله﴾ قال ابن عباس نزلت هذه
الآية في سرية الرجيع وكانت بعد أحد خ عن أبي هريرة قال بعث النبي صلى
الله عليه وسلم سرية عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر
ابن الخطاب فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل
يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتصوا آثارهم حتى أتوا
منزلا نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب
فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجؤوا إلى فدفد
وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل
منكم رجلا فقال عاصم أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر اللهم أخبر عنا رسولك
فقاتلوهم فرموهم حتى قتلوا عاصما في سبعة نفر بالنبل وبقي خبيب وزيد
ورجل آخر فأعطوهم العهد والميثاق فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم
فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها فقال الرجل الثالث الذي معهم
هذا أول الغدر فأبى أن يصحبهم فجروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه
وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فاشترى خبيبا بنو الحارث بن عامر بن
نوفل وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر فمكث عندهم أسيرا حتى إذا أجمعوا
قتله استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحد بها فأعارته قالت فغفلت
عن صبي لي فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على فخذه فلما رأيته فزعت فزعة عرف
ذلك مني وفي يده الموسى فقال أتخشين أن أقتله ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله
وكانت تقول ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب لقد رأيته يأكل من قطف عنب
وما بمكة يومئذ ثمرة وإنه لموثق في الحديد وما كان إلا رزقا رزقه الله خبيبا
فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه قال دعوني أصلي ركعتين ثم انصرف إليهم فقال لولا
أن تروا ما بي من الجزع من الموت لزدت فكان أول من سن ركعتين عند القتل وقال اللهم
اللهم أحصهم عددا وقال

فلست أبالي حين أقتل مسلما ... على أي شق كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قام اليه عقبة بن الحارث فقتله وبعثت قريش الى عاصم ليؤتوا بشي من جسده
بعد موته وكان قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الظلة
من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا منه على شي زاد في رواية واخبر يعني النبي
صلى الله عليه وسلم اصحابه يوم اصيبوا خبرهم العدد الموضع الذي فيه غلظ
وارتفاع وقوله عالجوه اي مارسوه واراد به انهم خادعوه ليتبعهم فابى وقوله
ليستحد الاستحداد حلق العانة والقطف العنقود من العنب قوله في اوصال
شلو الشلو العضو من اعضاء الانسان والممزع المفرق والظلة الشي الذي يظلل
من فوق الانسان والدبر جماعة من النحل والزنابير قال اهل التفسير ان كفار قريش
بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة انا قد اسلمنا فابعث الينا نفرا
من علماء اصحابك يعلمونا دينك وكان ذلك مكرا منهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
خبيب بن عدي الانصاري ومرثد بن ابي مرثد الغنوي وخالد بن بكير وعبد الله بن طارق
ابن شهاب البلوي وزيد بن الدثنة وامر عليهم عاصم بن ثابت بن ابي افلح الانصاري
وذكروا نحو حديث البخاري وزادوا عليه فقالوا اصلبوا خبيبا حيا فقال اللهم انك
تعلم انه ليس لي احد حولي يبلغ سلامي رسولك فابلغه سلامي فقام اليه ابو سروعة
عقبة بن الحارث فقتله ويقال كان رجل من المشركين يقال له ابو ميسرة سلامان
معه رمح فوضعه بين يدي خبيب فقال له خبيب اتق الله فما زاده ذلك الا عتوا
فطعنه فانفذه فذلك قوله تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته العزة يعني سلامان
واما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن امية ليقتله بابيه امية بن خلف
فبعثه مع مولى له يسمى نسطاس الى التنعيم ليقتله في الحل واجتمع رهط من قريش
منهم ابو سفيان بن حرب فقال له ابو سفيان حين قدم ليقتل انشدك الله يا زيد
اتحب ان محمدا عندنا الان مكانك تضرب عنقه وانك في اهلك فقال زيد والله ما احب
ان محمدا الان في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه واني جالس في اهلي فقال
ابو سفيان ما رايت احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا ثم قتله نسطاس فلما بلغ
النبي صلى الله عليه وسلم هذا الخبر قال لاصحابه ايكم يحتمل خبيبا عن خشبته وله
الجنة فقال الزبير انا يا رسول الله وصاحبي المقداد بن الاسود فخرجا يمشيان

الليل



الليل ويكمنان النهار حتى اتيا التنعيم ليلا فاذا حول الخشبة اربعون من
المشركين نشاوى وهم نيام فانزلاه من خشبته فاذا هو رطب ينثني
ولم يتغير منه شي بعد اربعين يوما ويده على جراحته وهي تنبض دما
اللون لون الدم والريح ريح المسك فحمله الزبير على فرسه وسار فانتبه الكفار
وقد فقدوا خبيبا فاخبروا قريشا فركب منهم سبعون فارسا فلما لحقوهم
قذف الزبير خبيبا فابتلعته الارض فسمي بليع الارض وقال الزبير ما جراكم علينا
يا معشر قريش ثم رفع العمامة عن راسه وقال انا الزبير بن العوام امي صفية
بنت عبد المطلب وصاحبي المقداد بن الاسود اسدان ضاريان يدفعان
عن اشبالهما فان شئتم ناضلتكم وان شئتم نازلتكم وان شئتم انصرفتم فانصرفوا
الى مكة وقدم الزبير وصاحبه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عنده
فقال يا محمد ان الملائكة تتباهى بهذين من اصحابك ونزل في الزبير والمقداد ومن
الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله حين شريا انفسهما بانزال خبيب
عن خشبته وقال اكثر المفسرين نزلت في صهيب بن سنان الرومي وانما نسب
الى الروم لان منازلهم كانت بارض الموصل فاغارت الروم على تلك الناحية فسبته وهو
غلام صغير فنشا بالروم وانما هو من العرب من النمر بن قاسط قال سعيد بن المسيب
وعطا اقبل صهيب مهاجرا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من مشركي قريش
فنزل عن راحلته ونثل ما كان في كنانته وقال والله ما تصلون الي او ارمي بكل سهم
معي ثم اضرب بسيفي ما بقي في يدي وان شئتم دللتكم على مالي دفنته بمكة وخليتم
سبيلي قالوا نعم ففعل فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت ومن الناس
من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ربح البيع ابا يحيى وتلا عليه هذه الاية وقال الحسن اتدرون فيم نزلت هذه
الاية نزلت في المسلم يلقى الكافر فيقول له قل لا اله الا الله فيابى ان يقولها فيقول
المسلم والله لاشترين نفسي لله فتقدم فقاتل وحده حتى قتل وقيل نزلت هذه الاية
في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال ابن عباس اي من يشتري نفسه ابتغاء مرضات
الله يقوم فيامر هذا بتقوى الله فاذا لم يقبل واخذته العزة بالاثم قال هذا وانا

اشترى نفسه لله فقاتله وكان علي رضي الله عنه اذا قرا هذه الاية
يقول اقتتلا ورب الكعبة وسمع عمر رجلا يقرا هذه الاية ومن الناس
من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله فقال عمر انا لله وانا اليه راجعون
قام رجل فامر بالمعروف ونهى عن المنكر فقتل عن ابي سعيد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جاير اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن غريب واما تفسير الاية فذكر المفسرون
ان المراد بهذا الشرى البيع ومنه قوله وشروه اي باعوه والمعنى ان المسلم
باع نفسه بثواب الله تعالى في الدار الاخرة وهذا البيع هو ان يبذل نفسه
في طاعة الله من صلاة وصيام وحج وجهاد وامر بمعروف ونهي عن منكر فكان
ما يبذل من نفسه كالسلعة فصار كالبايع والله تعالى المشتري والثمن
هو ثواب الله في الاخرة ابتغاء مرضات الله اي طلب رضى الله **والله رءوف بالعباد**
اي من رافة الله بعباده ان جعل النعيم الدايم في الجنة جزاء على العمل القليل
المنقطع ومن رافته ان يقبل توبة عبده ومن رافته ان نفوس العباد واموالهم
له ثم انه تعالى يشتري ملكه بملكه فضلا منه ورحمة واحسانا قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة نزلت في مومني اهل الكتاب عبد الله
ابن سلام واصحابه وذلك لما اسلموا اقاموا على تعظيم من شرايع دين موسى فعظموا
السبت وكرهوا لحوم الابل والبانها وقالوا ان ترك هذه الاشيا مباح في
الاسلام وواجب في التوراة وقالوا ايضا يا رسول الله ان التوراة كتاب الله
دعنا فلنعمل به في صلاتنا بالليل فانزل الله هذه الاية وامرهم ان يدخلوا
في السلم اي في شرايع الاسلام ولا يتمسكوا بالتوراة فانها منسوخة
والمعنى استسلموا لله واطيعوه فيما امركم به وقيل هو خطاب لمن لم يومن بمحمد
صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمعنى يا ايها الذين امنوا بموسى وعيسى ادخلوا
في السلم اي في الاسلام وروى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اتاه عمر
فقال انا نسمع احاديث من يهود تعجبنا افترى ان نكتب بعضها فقال
النبي صلى الله عليه وسلم امتهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى لقد جيتكم بها

بيضا

بيضا نقية ولو ان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي قوله امتهوكون اي متحيرون
انتم في دينكم حتى تاخذوه من اليهود والنصارى وقوله لقد جيتكم بها
يعني بالملة الحنيفية بيضا نقية اي لا تحتاج الى شي وقيل يحتمل ان تكون
خطابا للمنافقين من المومنين والمعنى يا ايها الذين امنوا بالسنتهم ادخلوا
في السلم اي في الانقياد والطاعة لان اصل السلم الاستسلام وهو الانقياد
كافة اي باجمعكم ولا تتفرقوا وقيل يحتمل ان يرجع الى الاسلام والمعنى ادخلوا
في احكام الاسلام وشرايعه كافة وهذا المعنى اليق بظاهر التفسير
لانهم امروا بالقيام بها كلها قال حذيفة بن اليمان في هذه الاية الاسلام
ثمانية اسهم فعل الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والجهاد والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر قال وقد خاب من لا سهم له **ولا تتبعوا خطوات الشيطان**
يعني اثاره فيما زين لكم من تحريم السبت ولحوم الابل وغير ذلك وقيل
ولا تلتفتوا الى الشبهات التي يلقيها اليكم اصحاب الضلالة والغواية
والاهوا المضلة لان من اتبع سنة انسان فقد تبع اثره **انه لكم عدو مبين**
يعني الشيطان فان قلت عداوته بايصال الضرر والقا الوسوسة فكيف يصح
ذلك مع الاعتقاد بان الله هو الفاعل لجميع الاشيا قلت انه يحاول ايصال
الضرر والبلا اليه ولكن الله منعه عن ذلك واما الوسوسة فمعلوم انه
يزين المعاصي والقا الشبهات وكل سبب لوقوع الانسان في مخالفة الله تعالى
فيصده بذلك عن الثواب فهذا من اعظم جهات العداوة فان قلت كيف وصف
الشيطان بانه مبين مع انا لا نراه قلت ان الله تعالى بين عداوته ما هي فكانه
بين وان لم يشاهد **فان زللتم** اي ملتم وضللتم وقال ابن عباس اشركتم **من بعد
ما جاءتكم البينات** اي الدلالات الواضحات **فاعلموا ان الله عزيز** اي في نقمته
ممن خالفه غالب لا يعجزه شي **حكيم** يعني انه لا يفعل الا الحق والحكمة والاصابة
في الامور كلها وفي الاية وعيد وتهديد لمن في قلبه شك ونفاق او عنده شبهة
في الدين قوله تعالى **هل ينظرون** اي ينتظرون التاركون للدخول في السلم
والمتبعون خطوات الشيطان **الا ان ياتيهم الله في ظلل** جمع ظلة **من الغمام**

يعني السحاب الابيض الرقيق سمي غماما لانه يغيم ويستره وقيل هو شي
غير السحاب ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم وهو كهيئة الغمام
الابيض **والملائكة** اي وتاتيهم الملائكة وروي الطبري في تفسيره بسند
متصل عن عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من الغمام
طاقات ياتي الله عز وجل فيها محفوفا وذلك قوله هل ينظرون الا ان
ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر قال عكرمة والملائكة
حوله وقيل معناه حول الغمام وقيل حول الرب تبارك وتعالى واعلم



ان هذه الاية من ايات الصفات وللعلماء في ايات الصفات واحاديث
الصفات مذهبان احدهما وهو مذهب سلف هذه الامة واعلام اهل
السنة الايمان والتسليم لما جا في ايات الصفات واحاديث الصفات
وانه يجب علينا الايمان بظاهرها ونمرها كما جات ونكل علمها الى الله تعالى
والى رسوله صلى الله عليه وسلم مع الايمان والاعتقاد بان الله منزه عن سمات
الحدث وعن الحركة والسكون قال الكلبي هذا من الذي لا يفسر وقال سفيان بن
عيينة كلما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراته والسكوت
عليه ليس لاحد ان يفسره الا الله ورسوله وكان الزهري والاوزاعي ومالك
وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد واحمد بن حنبل واسحاق
ابن راهوية يقولون في هذه الاية وامثالها اقروها كما جات بلا كيف
ولا تشبيه ولا تاويل هذا مذهب اهل السنة ومعتقد سلف الامة

وانشد بعضهم في المعنى

عقيدتنا ان ليس مثل صفاته ... ولا ذاته شي عقيدة صائب
نمر ايات الصفات بامرها ... واخبارها للظاهر المتقارب
ونيئس عنها كنه فهم عقولنا ... وتاويلنا فعل اللبيب المغالب
ونركب للتسليم سفنا فانها ... لتسليم دين المرء خير المراكب

المذهب الثاني وهو قول جمهور المتكلمين وذلك انه اجمع جميع المتكلمين من
العقلا والمعتبرين من اصحاب النظر انه تعالى منزه عن المجي والذهاب ويدل

على ذلك

على ذلك ان كل ما يصح عليه المجي والذهاب لا ينفك عن الحركة والسكون
وهما محدثان وما لا ينفك عن المحدث فهو محدث والله تعالى منزه عن
ذلك فيستحيل ذلك في حقه تعالى فثبت بذلك ان ظاهر الاية ليس مرادا
فلا بد من التاويل على سبيل التفصيل فعلى هذا قيل في معنى الاية هل ينظرون
الا ان ياتيهم الله بالايات فيكون مجي الايات مجيا لله على سبيل التفخيم لشان
الايات وقيل معناه الا ان ياتيهم امر الله ووجه هذا التاويل ان الله تعالى قال
في اية اخرى فقال هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي امر ربك فصار
هذا الحكم مفسرا لهذا المجمل في هذه الاية وقيل معناه ياتيهم الله بما وعد من
الحساب والعقاب فحذف ما ياتي به تهويلا عليهم اذ لو ذكر ما ياتي به كان اسهل
عليهم في باب الوعيد واذا لم يذكر كان ابلغ وقيل يحتمل ان تكون في بمعنى الباء
لان بعض الحروف يقوم مقام بعض فيكون المعنى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله
بظلل من الغمام والملائكة والمراد العذاب الذي من الغمام مع الملائكة وقيل
معناه ما ينظرون الا ان ياتيهم قهر الله وعذابه في ظلل من الغمام فان قلت
لم كان اتيان العذاب في الغمام قلت لان الغمام مظنة الرحمة ومنه ينزل
المطر فاذا نزل منه العذاب كان اعظم وافظع وقيل ان نزول الغمام علامة
لظهور احوال القيامة واهوالها **وقضي الامر** اي وجب العذاب وفرغ
من الحساب وذلك فصل الله القضا بين العباد يوم القيمة **والى الله ترجع
الامور** اي الى الله تصير امور جميع العباد في الاخرة فان قلت هل كانت ترجع الى
غيره قلت ان امور جميع العباد ترجع اليه في الدنيا والاخرة ولكن المراد من هذا
اعلام الخلق انه المجازي على الاعمال بالثواب والعقاب وجواب اخر وهو انه
لما عبد قوم غيره في الدنيا واضافوا افعاله الى سواه ثم اذا كان يوم القيمة
انكشف الغطا ردوا الى الله ما اضافوه الى غيره في الدنيا قوله عز وجل **سل بني اسرائيل**
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم امره ان يسال يهود المدينة وليس المراد بهذا السوال
العلم بالايات لانه كان صلى الله عليه وسلم قد علمها باعلام الله اياه ولكن المراد بهذا
السوال التوبيخ والتقريع والمبالغة في الزجر عن الاعراض عن دلايل الله وترك

الشكر وقيل المراد بهذا السؤال التقرير وتذكير النعم التي انعم الله بها على سلفهم
كم آتيناهم من آية بينة اي من دلالة واضحة على نبوة موسى عليه السلام
مثل العصا واليد البيضاء وفلق البحر وانزال المن والسلوى ومن يبدل نعمة
الله من بعد ما جاءته يعني يغير الآيات التي جاءته من الله لانها هي سبب الهدى والنجاة
من الضلالة وقيل هي حجج الله الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انهم
انكروها وبدلوها وقيل المراد بنعم الله عهده الذي عهد اليهم فلم يفوا به فان الله
شديد العقاب يعني لمن بدل نعمة الله قوله عز وجل زين للذين كفروا الحياة
الدنيا نزلت في مشركي العرب ابي جهل واصحابه لانهم كانوا يتنعمون بما بسط لهم
في الدنيا من المال ويكذبون بالمعاد وقيل نزلت في المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه
وقيل نزلت في رؤساء اليهود ويحتمل انها نزلت في الكل والمزين هو الله تعالى بدليل
قراءة من قرأ زين بفتح الزاي وذلك لا يمتنع ان يكون الله تعالى هو المزين لهم بما اظهره
في الدنيا من الزهرة والنضارة والطيب واللذة وخلق الاشياء العجيبة والمناظر
الحسنة وانما فعل ذلك ابتلاء لعباده وذلك انه جعل الدنيا دار ابتلاء وامتحان
وركب في الطباع الميل الى اللذات وحب الشهوات لا على سبيل الالجاء القسر
الذي لا يمكن تركه بل على سبيل التحبب الذي تميل النفس اليه مع امكان ردها
عنه فنظر الخلق الى الدنيا اكثر من قدرها فاعجبهم حسنها وزهرتها وزينتها
فاحبوها وتمنوا بها وقيل ان المراد من التزيين انه تعالى امهلهم في الدنيا حتى اقبلوا
عليها واحبوها فكان هذا الامهال هو التزيين وقيل ان المزين هو الشيطان
وغواة الجن والانس وذلك انهم زينوا للكفار الحرص على الدنيا وطلبها وقبحوا
لهم امر الآخرة وقيل اوهموهم ان لا آخرة ليقبلوا على لذات الدنيا والحرص
عليها وهذا التأويل ضعيف لان قوله تعالى زين للذين كفروا يتناول جميع الكفار
فيدخل فيه الشيطان وغواة الجن والانس وان لكلهم مزينا يزين لهم وهذا المزين
لا بد وان يكون مغايرا لهم فثبت بهذا ضعف قول المعتزلة ويسخرون من الذين
آمنوا يعني ان الكفار يستهزئون بفقراء المؤمنين قال ابن عباس مثل عبد الله بن مسعود
وعمار بن ياسر وصهيب وبلال ونظرائهم وقيل كانوا يقولون انظروا الى هؤلاء الذين

يزعم



يزعم محمد انه يغلب بهم والذين اتقوا يعني الفقراء من المؤمنين فوقهم
اي فوق الكفار يوم القيامة لان الفقراء في عليين والكفار والمنافقين في اسفل
السافلين (ق) عن حارثة بن وهب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الا اخبركم باهل الجنة كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله لابره الا اخبركم
باهل النار كل عتل جواظ جعظري مستكبر العتل الفظ الغليظ الشديد
في الخصومة الذي لا ينقاد لخير والجواظ الفاجر المختال في مشيه وقيل هو
القصير البطين والجعظري الفظ الغليظ وقيل هو الذي يتمدح بما ليس فيه
او عنده (ق) عن اسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قمت على باب الجنة فكان
عامة من دخلها المساكين واصحاب الجد محبوسون غير ان اصحاب النار قد امر
بهم الى النار وقمت على باب النار فاذا عامة من دخلها النساء الجد بفتح الجيم هو
الحظ والغنى وكثرة المال والله يرزق من يشاء بغير حساب قال ابن عباس يعطي
كثيرا بغير مقدار لان كل ما يدخل عليه الحساب فهو قليل والمعنى انه يوسع على
من يشاء من عباده وقيل يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الآخرة وقيل معناه انه
يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب وقيل معناه انه يرزق بغير استحقاق وقيل
معناه انه تعالى لا يخاف نفاد ما في خزائنه حتى يحتاج الى حساب ما خرج منها
لان الحساب انما يكون ليعلم قدر ما يعطي والله غني عالم بما يعطي ولا يخاف نفاد
خزائنه لانها بين الكاف والنون وقيل معناه ان الله تعالى يقتر الرزق على من
يشاء ويبسط الرزق على من يشاء ولا يعطي كل احد على قدر حاجته بل يعطي الكثير
لمن لا يحتاج اليه ولا معارض له في حكمه ولا يحاسب فيما رزق ولا يقال لم اعطيت
هذا وحرمت هذا ولا لم اعطيت هذا اكثر من ذلك لانه تعالى لا شريك له في ملكه
ينازعه ولا يسأل عما يفعل وقيل يحتمل ان يكون المراد منه ما يعطي الله المتقين
في الآخرة من الثواب والكرامة بغير حساب منه لهم على اعمال من عليهم وذلك
ان نعيم الجنة لا نفاد له ولا انقطاع وقيل انه تعالى يعطي اهل الجنة الثواب
والاجر بقدر اعمالهم ثم يتفضل عليهم بذلك الفضل منه منة عليهم
بغير حساب قوله تعالى كان الناس امة واحدة اي على دين واحد فقيل هو آدم

وذريته كانوا مسلمين على دين واحد الى ان قتل قابيل هابيل فاختلفوا
وقيل كان الناس على شريعة واحدة من الحق والهدى من وقت ادم الى
مبعث نوح ثم اختلفوا فبعث الله نوحا وهو اول رسول بعث ثم بعث
من بعده الرسل وقيل هم اهل السفينة الذين كانوا مع نوح كانوا مؤمنين
ثم اختلفوا بعد وفاته وقيل كانت العرب على دين ابراهيم عليه السلام
الى ان غيره عمرو بن لحي وقيل كان الناس امة واحدة حين اخرجوا من ظهر
ادم لاخذ الميثاق فقال الست بربكم قالوا بلى فاعترفوا بالعبودية ولم
يكونوا امة واحدة غير ذلك اليوم ثم لما ظهروا الى الوجود اختلفوا بسبب
البغي والحسد وقيل ان ادم وحده كان امة واحدة يعني اماما وقدوة يقتدى
به وانما ظهر الاختلاف بعده وقيل كان الناس امة واحدة على الكفر والباطل
بدليل قوله فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين فان قيل اليس قد كان فيهم من
هو مسلم نحو هابيل وشيث وادريس ونحوهم فالجواب ان الغالب في ذلك
الزمان كان الكفر والحكم للغالب وقيل ان الاية دلت على ان الناس كانوا امة واحدة
وليس فيها ما يدل على انهم كانوا على ايمان او كفر فهو موقوف على دليل من خارج
فبعث الله النبيين وجملتهم مائة الف واربعة وعشرون الفا الرسل
منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر المذكور منهم في القرآن باسماء الاعلام ثمانية وعشرون
نبيا **مبشرين** يعني بالثواب لمن امن واطاع **ومنذرين** يعني مخوفين بالعقاب
لمن كفر وعصى وانما قدم البشارة على الانذار لان البشارة تجري مجرى حفظ
الصحة للابدان والانذار يجري مجرى ازالة المرض ولا شك ان المقصود هو
الاول فكان اولى بالتقديم **وانزل معهم الكتاب** اي الكتب او يكون التقدير
وانزل مع كل واحد الكتاب **بالحق** اي بالعدل والصدق وجملة الكتب المنزلة
من السماء مائة واربعة كتب انزل على ادم عشر صحائف وعلى ادريس ثلاثين
صحيفة وعلى نوح عشرين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف وعلى موسى عشر
صحائف والتوراة وعلى داود الزبور وعلى عيسى الانجيل وعلى محمد صلى الله عليه وسلم
وعليهم اجمعين القرآن **ليحكم بين الناس** يعني الكتاب وانما اضيف الحكم الى الكتاب

وان كان



وان كان الحاكم هو الله تعالى لانه انزله والمعنى ليحكم الله بالكتاب الذي
انزله وقيل معناه ليحكم بين الناس كل نبي بكتابه المنزل عليه فاسناد
الحكم الى الكتاب او النبي مجاز والله هو الحاكم في الحقيقة **فيما اختلفوا فيه**
اي في الحق الذي اختلفوا فيه بعد ما كانوا متفقين عليه **وما اختلف
فيه** اي في الحق **الا الذين اوتوه** اي اعطوا الكتاب والمراد به التوراة
والانجيل والذين اوتوه اليهود والنصارى واختلافهم هو تكفير
بعضهم بعضا بغيا وحسدا وقيل اختلافهم هو تحريفهم وتبديلهم
وقيل الكناية فيه راجعة الى النبي محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى
وما اختلف في امر محمد صلى الله عليه وسلم بعد وضوح الدلالات على
صحة نبوته الا اليهود الذين اوتوا الكتاب بغيا منهم وحسدا **من بعد
ما جاءتهم البينات** اي الدلالات الواضحات على صحة نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم **بغيا بينهم** يعني انهم لم يبق لهم عذر في العدول عنه وترك
ما جاء به وانما تركوا اتباعه بغيا وحسدا وهو طلب الدنيا وطلب
الرياسة **فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه** اي الى ما اختلفوا فيه
من الحق والمعنى فهدى الله الذين امنوا لمعرفة ما اختلفوا فيه من الحق وقيل
هو من المقلوب والمعنى فهدى الله الذين امنوا للحق الذي اختلفوا فيه
وكان اختلافهم الذي اختلفوا فيه الجمعة فهدى الله تعالى هذه الامة
الاسلامية اليها **ق** عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم نحن الاخرون السابقون يوم القيمة اوتوا الكتاب من قبلنا
واوتيناه من بعدهم فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له فغدا لليهود
وبعد غد للنصارى وفي رواية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
نحن الاخرون السابقون بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي
فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له زاد النسائي يعني يوم الجمعة ثم اتفقا
فالناس لنا تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد **م** عن حذيفة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت

وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الله
الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيمة نحن الاخرون
من اهل الدنيا الاولون يوم القيمة المقضي لهم يوم القيمة قبل الخلايق
وقيل اختلفوا في شان القبلة فصلت اليهود نحو المغرب الى
بيت المقدس وصلت النصارى الى المشرق وهدانا الله الى الكعبة
وقيل اختلفوا في الصيام فهدانا الله لشهر رمضان واختلفوا
في ابراهيم فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا
فهدانا الى الحق فقلنا كان حنيفا مسلما واختلفوا في عيسى ابن مريم
فاليهود فرطوا فيه والنصارى افرطوا فيه فهدى الله في ذلك كله للحق والمعنى
فهدى الله الذين امنوا الى الحق الذي اختلف فيه من اختلف باذنه
يعني بعلمه وامره وارادته والله يهدي من يشا الى صراط مستقيم
قوله عز وجل ام حسبتم ان تدخلوا الجنة نزلت في غزوة الاحزاب
وهي غزوة الخندق وذلك ان المسلمين اصابهم ما اصابهم من الجهد
والشدة والخوف والبرد وضيق العيش الذي كانوا فيه يومئذ وقيل
نزلت في غزوة احد وقيل لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
المدينة في اول الهجرة اشتد عليهم الضر لانهم خرجوا بلا مال وتركوا اموالهم
وديارهم بايدي المشركين واثروا رضى الله ورسوله واظهرت اليهود العداوة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسر قوم النفاق فانزل الله هذه الاية
تطييبا لقلوبهم ومعنى الاية احسبتم والميم صلة وقيل ام حسبتم
والمعنى اظننتم ايها المومنون ان تدخلوا الجنة بمجرد الايمان ولم يصبكم مثل
ما اصاب من كان قبلكم من اتباع الانبيا والرسل من الشدايد والمحن والابتلا
والاختبار وهو قوله ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم اي شبه الذين مضوا
من قبلكم من النبيين واتباعهم من المومنين ومثل محنتهم مستهم الباساء
اي اصابهم الفقر والشدة والمسكنة وهو اسم من البوس والضرا يعني المرض
والزمانة وضروب الخوف وزلزلوا اي حركوا بانواع البلايا والرزايا واصل

الزلزلة

الزلزلة الحركة وذلك لان الخايف لا يستقر بل لا يزال يضطرب ويتحرك
لقلقه حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله وذلك ان
الرسل اثبت من غيرهم واصبر واضبط للنفس عند نزول البلا وكذلك
اتباعهم من المومنين والمعنى انه بلغ بهم الجهد والشدة والبلا ولم يبق لهم
صبر وذلك هو الغاية القصوى في الشدة فلما بلغ بهم الحال في الشدة
الى هذه الغاية واستبطوا النصر قيل لهم الا ان نصر الله قريب اجابة لهم
في طلبتهم والمعنى هكذا كان حالهم لم يغيرهم طول البلا والشدة عن دينهم
الى ان اتاهم نصر الله فكونوا يا معشر المومنين كذلك وتحملوا الاذى والشدة
والمشقة في طلب الحق فان نصر الله قريب خ عن خباب بن الارت قال شكونا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا
الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يوخذ الرجل فيحفر
له في الارض فيجعل فيها ثم يوتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين
ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله
ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعا الى حضرموت لا يخاف الا الله
والذيب على غنمه ولكنكم تستعجلون قوله تعالى يسالونك ماذا ينفقون
نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا ذا مال فقال يا رسول الله بماذا نتصدق وعلى
من ننفق فانزل الله تعالى يسالونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير
اي مال والمعنى وما تفعلوا من انفاق شي من المال قل او كثر فللوالدين وانما
قدم الانفاق على الوالدين لوجوب حقهما على الولد لانهما كانا السبب في اخراجه
من العدم الى الوجود والاقربين وانما ذكر بعد الوالدين الاقربين لان الانسان
لا يقدر ان يقوم بمصالح جميع الفقرا فتقديم القرابة اولى من غيرهم واليتامى
وانما ذكر بعد الاقربين اليتامى لصغرهم ولانهم لا يقدرون على الاكتساب ولا لهم
من ينفق عليهم والمساكين وانما اخرهم لان حاجتهم اقل من حاجة غيرهم وابن السبيل
يعني المسافر فانه بسبب انقطاعه عن اهله قد يقع في الحاجة والفقر
فانظر الى هذا الترتيب الحسن العجيب في كيفية الانفاق ثم لما فصل الله تعالى

هذا التفصيل الحسن الكامل اتبعه بالاجمال فقال تعالى وما تفعلوا من
خير فان الله به عليم والمعنى وما تفعلوا من خير مع هولاء او غيرهم طلبا
لوجه الله تعالى ورضوانه فان الله به عليم فيجازيكم عليه ذكر اكثر اهل التفسير
ان هذه الاية منسوخة قال ابن عباس نسختها اية الزكاة وقال الحسن انها
محكمة ووجه احكامها ان الله ذكر فيها من تجب النفقة عليهم من قوته وهما
الوالدان وقال ابن زيد هذا في النفل وهو ظاهر الاية لمن احب التقرب الى الله
تعالى بالانفاق فهذا الاولى به ان ينفق في الوجوه المذكورة في الاية فيقدم
الاولى فالاولى وفي الاية سوال وهو انه كيف طابق السوال الجواب
وهو انهم سالوا عن بيان ما ينفقون فاجيبوا ببيان المصرف واجيب عن هذا
السوال بانه قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو المال
ثم ضم الجواب السوال ما كمل به المقصود وهو بيان المصرف لان النفقة
لا تعد نفقة الا ان تقع موقعها قال الشاعر ان الصنيعة لا تعد صنيعة
حتى يصاب بها طريق المصنع • قوله عز وجل كتب عليكم القتال اي فرض
عليكم الجهاد واختلف العلماء في حكم الاية فقال عطا الجهاد تطوع والمراد من
الاية اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم واليه ذهب الثوري وحكي
عن الاوزاعي نحوه وحجة هذا القول ان قوله كتب يقتضي الايجاب ويكفي العمل
به مرة واحدة وحجة من اوجبه على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان قوله عليكم يقتضي تخصيص هذا الخطاب بالموجودين في ذلك الوقت وقيل بل
الاية على ظاهرها والجهاد فرض على كل مسلم ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لا هجرة بعد الفتح ولكن
جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا وقيل ان الجهاد فرض على الكفاية اذا قام به
البعض سقط الفرض عن الباقين وهذا القول هو المختار الذي عليه جمهور العلماء
قال الزهري كتب الله القتال على الناس جاهدوا او لم يجاهدوا فمن غزا
فيها ونعمت ومن قعد فهو عدة ان استعين به اعان وان استنفر نفر
وان استغني عنه قعد قال الله تعالى فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم

[illegible]

على القاعدين

على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى ولو كان القاعد تاركا فرضا
لم يعده الحسنى واختلف العلماء في الناسخ والمنسوخ في هذه الاية
على ثلاثة اقوال احدها انها محكمة ناسخة للعفو عن المشركين القول
الثاني انها منسوخة لان فيها وجوب الجهاد على الكافة ثم نسخ بقوله
تعالى وما كان المومنون لينفروا كافة القول الثالث انها ناسخة من وجه
ومنسوخة من وجه فالناسخ منها ايجاب الجهاد مع المشركين بعد المنع
منه والمنسوخ ايجاب الجهاد على الكافة وقوله وهو كره لكم اي القتال شاق
عليكم وهذا الكره انما حصل من حيث نفور الطبع عن القتال لما فيه
من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح والخوف لا انهم كرهوا امر الله
وقيل نسخ هذا الكره بقوله اخبارا عنهم وقالوا سمعنا واطعنا وقيل انما
كان كراهتهم القتال قبل ان يفرض عليهم لما فيه من الخوف والشدة وكثرة
الاعداء فبين الله تعالى ان الذي تكرهونه من القتال هو خير لكم من تركه
لئلا تكرهونه بعد ان فرض عليهم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم
لفظة عسى توهم الشك مثل لعل وهي من الله يقين وقيل انها كلمة مطمعة
فهي لا تدل على حصول الشك للقائل وتدل على حصول الشك للمستمع
والمعنى ان الغزو فيه احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة
والجنة وقيل ربما كان الشيء شاقا في الحال وهو سبب المنافع الجليلة
في المستقبل ومثله شرب الدواء المر فانه تنفر عنه الطبع في الحال
ويكرهه لكن يتحمل هذه الكراهة والمشقة لتوقع حصول الصحة
في المستقبل وعسى ان تحبوا شيئا يعني القعود عن الغزو وهو شر لكم يعني
لما فيه من فوت الغنيمة والاجر وطمع العدو فيكم لانه اذا علم ميلكم الى الراحة
والدعة والسكون قصد بلادكم وحاول قتالكم واذا علم انكم ذوو شهامة
وجلادة على القتال كف عنكم والله يعلم يعني ما في الجهاد من الاجر والغنيمة والخير
وانتم لا تعلمون يعني ذلك والمعنى ان العبد اذا علم قصور علمه وكمال علم الله
ثم ان الله تعالى امره بامر كان ذلك الامر فيه مصلحة عظيمة فيجب على العبد

امتثال امر الله وان كان يشق على النفس في الحال قوله تعالى **يسئلونك عن**
الشهر الحرام قتال فيه سبب نزول هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمته في سرية في جمادى الاخرة قبل قتال
بدر بشهرين وامّره على السرية وكتب له كتابا وقال سر على اسم الله تعالى
ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت فافتح الكتاب واقراه
على اصحابك ثم امض لما امرتك ولا تستكرهن احدا منهم على السير معك
فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم
اما بعد فسر على بركة الله بمن معك من اصحابك حتى تنزل بطن نخلة فارصد
بها عير قريش لعلك تاتينا منها بخبر فقال سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه ذلك
وقال انه نهاني ان استكره احدا منكم فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ومن
كره فليرجع ثم مضى ومضى اصحابه معه وكانوا ثمانية رهط ولم يتخلف عنه
احد منهم حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع بموضع من الحجاز يقال له بحران اضل
سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقبانه فتخلفا في طلبه
ومضى عبد الله ببقية اصحابه حتى نزل ببطن نخلة بين مكة والطائف فبينما
هم كذلك مرت بهم عير لقريش تحمل زبيبا وادما وتجارة من تجارة الطائف
وفي العير عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة
ونوفل بن عبد الله المخزوميان فلما راوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم
وقد نزلوا قريبا منهم فقال عبد الله بن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا
راس رجل منكم وليتعرض لهم فاذا راوه محلوقا امنوا فحلقوا راس عكاشة بن
محصن ثم اشرف عليهم فلما راوه امنوا وقالوا قوم عمار فلا باس علينا وكان
ذلك في اخر يوم من جمادى الاخرة وكانوا يرون انه من جمادى وهو من رجب
فتشاور القوم فيهم وقالوا لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم
وليمتنعن منكم فاجمعوا امرهم في مواقعة القوم فرمى واقد بن عبد الله
السهمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله فكان اول قتيل من المشركين واسر الحكم
وعثمان فكانا اول اسيرين في الاسلام وافلت نوفل فاعجزهم واستاق

المسلمون



المسلمون العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
قريش قد استحل محمد الشهر الحرام وسفك فيه الدماء واخذ الحرائب يعني المال
وعيّر بذلك اهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر الصباة استحللتم
الشهر الحرام وقاتلتم فيه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعبد الله
ابن جحش واصحابه ما امرتكم بالقتال في الشهر الحرام ووقف العير والاسيرين
وابى ان ياخذ شيئا من ذلك وعنف المسلمون اصحاب السرية بما صنعوا وقالوا
لم صنعتم ما لم تؤمروا به فعظم ذلك على اصحاب الرسول وظنوا انهم قد هلكوا
وسقط في ايديهم وقالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمي ثم امسينا فنظرنا
هلال رجب فلا ندري افي رجب اصبناه ام في جمادى واكثر الناس في ذلك
فانزل الله هذه الاية فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العير فعزل منها
الخمس فكان اول خمس في الاسلام واول غنيمة قسمت فقسم الباقي على
اصحاب السرية وبعث اهل مكة في فداء اسيريهم فقال بل نقفهما حتى يقدم
سعد وعتبة وان لم يقدما قتلناهما فلما قدما فاداهما فاما الحكم بن كيسان
فاسلم واقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقتل يوم بئر معونة
شهيدا واما عثمان بن عبد الله فرجع الى مكة فمات بها كافرا واما نوفل فضرب
بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق فوقع في الخندق مع فرسه
فتحطما جميعا وقتله الله فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الدية فاما تفسير
الاية فقوله تعالى يسئلونك يعني يا محمد عن الشهر الحرام يعني رجبا سمي بذلك
لتحريم القتال فيه وفي السائلين رسول الله صلى الله عليه وسلم قولان احدهما انهم
المسلمون سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل اخطاوا ام اصابوا وقيل ان المسلمين
كانوا يعلمون ان القتال في الحرم وفي الاشهر الحرم لا يحل فلما كتب عليهم القتال
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال في الشهر الحرام فنزلت هذه الاية
والقول الثاني ان السائلين هم المشركون وانما سالوه عن وجه العنت
على المسلمين فنزلت هذه الاية يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه **قل** يا محمد **قتال**

فيه كبير اي عظيم مستنكر واختلف العلما في حكم هذه الاية على قولين
احدهما انها محكمة وانه لا يجوز الغزو في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه
فيقاتلوا على سبيل الدفع روي عن عطا انه كان يحلف بالله ما يحل للناس
ان يغزوا في الشهر الحرام ولا ان يقاتلوا فيه وما نسخت والقول الثاني
الذي عليه جمهور العلما وهو الصحيح انها منسوخة قال سعيد بن المسيب
وسليمان بن يسار القتال جايز في الشهر الحرام وهذه الاية منسوخة بقوله
تعا اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبقوله تعا اقتلوا المشركين كافة
يعني في الاشهر الحرم وغيرها **وصد عن سبيل الله** هذا ابتدا كلام والمعنى
وصدكم المسلمين عن الحج او وصدكم عن الاسلام من يريده **وكفر به** اي بالله
والمسجد الحرام اي وصدكم عن المسجد الحرام **واخراج اهله منه** يعني رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمومنين حين اذوهم حتى هاجروا وتركوا مكة وانما جعلهم
اهله لانهم كانوا هم القايمين بحقوق المسجد الحرام دون المشركين **اكبر عند الله**
اي اعظم وزرا عند الله من القتال في الشهر الحرام **والفتنة** اي الشرك الذي انتم عليه
اكبر من القتل يعني قتل ابن الحضرمي في الشهر الحرام فلما نزلت هذه الاية
كتب عبد الله بن انيس وقيل عبد الله بن جحش الى مومني مكة اذا عيركم المشركون
بالقتال في الشهر الحرام فعيروهم بالكفر وباخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مكة والمسلمين ومنعكم اياهم من البيت **ولا يزالون** يعني مشركي مكة **يقاتلونكم**
يعني يا معشر المومنين **حتى يردوكم عن دينكم** يعني الى دينهم وهو الكفر **ان استطاعوا**
يعني ان قدروا على ذلك وفيه استبعاد لاستطاعتهم وهو كقول الرجل لعدوه ان
ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق انه لا يظفر به **ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو
كافر** يعني ومن يطاوعهم منكم فيرجع الى دينهم فيمت على ردته قبل ان يتوب
فاولئك حبطت اعمالهم اي بطلت اعمالهم **في الدنيا والاخرة** وهو ان المرتد
يقتل وتبين زوجته منه ولا يستحق الميراث من اقاربه المومنين ولا ينصر
ان استنصر ولا يمدح ولا يثني عليه ويكون ماله فيا للمسلمين هذا في الدنيا
ولا يستحق الثواب على اعماله ويحبط اجرها في الاخرة وظاهر الاية يقتضي

ان الارتداد

ان الارتداد انما تتفرع عليه الاحكام اذا مات المرتد على الكفر اما اذا اسلم
بعد الردة لم يثبت عليه شي من احكام الردة وفيه دليل للشافعي ان الردة
لا تحبط الاعمال حتى يموت المرتد على ردته وعند ابي حنيفة ان الردة
تحبط العمل وان اسلم **واولئك اصحاب النار** يعني الذين ماتوا على
الردة او الكفر هم اصحاب النار **هم فيها خالدون** اي لا يخرجون منها ابدا
ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله نزلت في عبد الله
ابن جحش واصحابه وذلك ان اصحاب السرية قالوا يا رسول الله هل نوجر
على وجهنا هذا ونطمع ان يكون لنا غزو فانزل الله هذه الاية وعن جندب
ابن عبد الله قال لما كان من امر عبد الله بن جحش واصحابه وامر ابن الحضرمي
ما كان قال بعض المسلمين ان لم يكونوا اصابوا في سفرهم وزرا فليس لهم فيه
اجر فانزل الله هذه الاية ان الذين امنوا والذين هاجروا اي فارقوا
مساكنهم وعشايرهم واموالهم وفارقوا ساكنة المشركين في امصارهم ومجاورتهم
في ديارهم فتحولوا عن المشركين عن بلادهم الى غيرها وجاهدوا يعني المشركين
في سبيل الله اي في طاعة الله فجعل الله لاصحاب هذه السرية جهادا
اولئك يرجون رحمت الله اي يطمعون في نيل رحمة الله اخبر انهم على رجا
الرحمة وقيل المراد من الرجا هنا القطع في اصل الثواب وانما دخل الظن
في كميته ووقته قال قتادة اثنى الله تعا على اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم احسن الثنا فقال ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل
الله اولئك يرجون رحمة الله هولاهم خيار هذه الامة ثم جعلهم الله
اهل رجا كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب **والله غفور** اي لذنوب
عباده **رحيم** بهم والمعنى انه تعا غفر لعبد الله بن جحش واصحابه ما لم
يعلموا به قوله عز وجل **يسئلونك عن الخمر والميسر** الاية نزلت في عمر بن
الخطاب ومعاذ بن جبل وجماعة من الانصار اتوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا يا رسول الله افتنا في الخمر والميسر فانهما مذهبة للعقل
مسلبة للمال فانزل الله هذه الاية واصل الخمر في اللغة الستر

والتغطية وسميت الخمر خمرا لانها تخامر العقل اي تخالطه وقيل
لانها تستره وتغطيه وجملة القول في تحريم الخمر ان الله عز وجل
انزل في الخمر اربع ايات نزل بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون
منه سكرا فكان المسلمون يشربونها في اول الاسلام وهي لهم حلال ثم نزل
بالمدينة في جواب سوال عمر ومعاذ يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما
اثم كبير فتركها قوم لقوله اثم كبير وشربها قوم لقوله ومنافع للناس
ثم ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما ودعا اليه ناسا من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاطعمهم وسقاهم الخمر وحضرت صلاة المغرب فقدموا
احدهم ليصلي بهم فقرا قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون بحذف حرف لا
الى اخر السورة فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم
سكارى حتى تعلموا ما تقولون فحرم السكر في اوقات الصلوات فتركه قوم
شربها في اوقات الصلوات فكان الرجل يشربها بعد صلاة العشا فيصبح
وقد زال السكر ويصلي الصبح ويشربها بعد صلاة الصبح فيصحوا وقت
صلاة الظهر ثم ان عتبان بن مالك اتخذ صنيعا ليبني وليمة ودعا رجالا من
المسلمين منهم سعد بن ابي وقاص وكان قد شوى لهم راس بعير فاكلوا وشربوا
الخمر حتى اخذت منهم فافتخروا عند ذلك وانتسبوا وتناشدوا الاشعار
فانشد سعد قصيدة فيها فخر قومه وهجا الانصار فاخذ رجل من الانصار
لحي البعير فضرب به راس سعد فشجه موضحة فانطلق سعد الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الانصاري فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا
شافيا ويروى ان حمزة بن عبد المطلب شرب الخمر يوما وخرج فلقي رجلا من
الانصار وبيده ناضح له والانصاري يتمثل ببيتين لكعب بن مالك في مدح
قومه وهما

جمعنا مع الايواء او عزة ... فلم يرحي مثلنا في المعاشر
فاحياونا من خير احيا من مضى ... وامواتنا من خير اهل المقابر

فقال حمزة اولئك المهاجرون وقال الانصاري بل نحن الانصار فتنازعا

فجرد حمزة

فجرد حمزة سيفه وعدا على الانصاري فهرب الانصاري وترك ناضحه فقطعه
حمزة وجاء الانصاري مستغيثا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره
بما فعل حمزة فغرم رسول الله صلى الله عليه وسلم له ناضحه فقال عمر اللهم
بين لنا في الخمر بيانا شافيا فانزل الله تعالى الاية التي في المائدة الى قوله
فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب وذلك بعد غزوة الاحزاب
بايام والحكمة في وقوع التحريم على هذا الترتيب ان الله تعالى علم ان القوم
كانوا قد الفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم بذلك كثيرا فاعلم انه لو منعهم
من الخمر دفعة واحدة لشق ذلك عليهم فلا جرم استعمل هذا التدريج وهذا
الرفق قال انس حرمت الخمر ولم يكن يومئذ للعرب عيش اعجب منها وما حرم عليهم
شي اشد من الخمر ق عن انس بن مالك قال ما كان لنا خمر غير فضيخكم واني لقائم
اسقي ابا طلحة وابا ايوب وفلانا وفلانا اذ جاء رجل فقال حرمت الخمر فقالوا
اهرق هذه القلال يا انس فما سالوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل
الفضيخ بالضاد والخا المعجمتين شراب يتخذ من بسر مطبوخ والمفضوخ
المشدوخ والمكسور والاهراق الصب والقلال جمع قلة وهي الجرة الكبيرة والله
سبحانه وتعالى اعلم **فصل** في تحريم الخمر ووعيد من شربها اجمعت الامة
على تحريم الخمر وانه يحد من شربها ويفسق بذلك مع اعتقاد تحريمها فان استحلها
كفر ويجب قتله ق عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل
مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا ومات وهو يدمنها لم يتب
منها لم يشربها في الاخرة لفظ مسلم م عن جابر ان رجلا قدم من جيشان وجيشان
من اليمن فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بارضهم
من الذرة يقال له المزر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مسكر هو قال نعم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام وان على الله عهدا لمن يشرب المسكر
ان يسقيه من طينة الخبال قالوا يا رسول الله وما طينة الخبال قال عرق اهل النار
او عصارة اهل النار خ عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل
مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب مسكرا لم تحتسب صلاته اربعين صباحا

فان تاب تاب الله عليه فان عاد الرابعة كان حقا على الله ان يسقيه من
طينة الخبال قيل وما طينة الخبال يا رسول الله قال صديد اهل النار
اخرجه ابو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من شرب الخمر وجعلها في بطنه لم يقبل منه صلاة
سبعا وان مات فيها مات كافرا فان اذهبت عقله عن شي من الفرايض
وفي رواية عن القران لم تقبل صلاته اربعين يوما وان مات فيها
مات كافرا اخرجه النساي عن عثمان بن عفان قال اجتنبوا الخمر فانها
ام الخبايث فانها والله لا يجتمع الايمان وادمان الخمر الا يوشك ان يخرج
احدهما صاحبه اخرجه النساي موقوفا عليه وفي قصة انس قال
لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة عاصرها ومعتصرها
وشاربها وساقيها وحاملها والمحمولة اليه وبايعها ومبتاعها وواهبها
واكل ثمنها اخرجه الترمذي والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

فصل في احكام تتعلق بالخمر وفيه مسايل الاولى في ماهيتها
قال الشافعي الخمر عبارة عن عصير العنب النيء الشديد الذي قذف بالزبد
وكذلك نقيع الزبيب والتمر والمتخذ من العسل والحنطة والشعير
والارز والذرة وكل ما اسكر فهو خمر وقال ابو حنيفة الخمر من العنب والرطب
ونقيع التمر والزبيب فان طبخ حتى ذهب ثلثاه حل شربه والمسكر
منه حرام واحتج على ذلك بما روي عن عمر بن الخطاب انه كتب الى بعض
عماله ان ارزق المسلمين من الطلا ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه وفي رواية
اما بعد فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان فان له اثنين
ولكم واحدا اخرجه النساي الطلا بكسر الطاء والمد الشراب المطبوخ من عصير
العنب الذي ذهب ثلثاه وبقي ثلثه واحتج ايضا بما روي عن ابن عباس قال
حرمت الخمر بعينها قليلها وكثيرها والمسكر من كل الشراب اخرجه النساي
واستدل ايضا على ان السكر حرام بما روي عن ابي الاحوص عن القاسم بن عبد
الرحمن عن ابيه عن ابي بردة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اشربوا ولا تسكروا وعن

عايشة نحوه



عايشة نحوه اخرجه النساي وقال هذا حديث غير ثابت واستدل
الشافعي على كون الخمر حرام من عدة اشيا بما روي عن ابن عمر ان عمر قال على منبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم اما بعد ايها الناس انه نزل تحريم الخمر وهي
من خمسة العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والخمر ما خامر العقل
ثلاث وددت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا فيهن عهدا ننتهي
اليه الجد والكلالة وابواب من ابواب الربا اخرجه البخاري ومسلم ق عن
عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن البتع فقال كل شراب
اسكر فهو حرام البتع شراب يتخذ من العسل كان اهل اليمن يشربونه
م عن النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من العنب خمرا
وان من البر خمرا وان من التمر خمرا وان من الشعير خمرا اخرجه ابو داود وفي
رواية والذرة واني انهاكم عن كل مسكر وللترمذي نحوه وزاد وان من
العسل خمرا م عن ابن عباس انه سئل عن الباذق فقال سبق محمد الباذق
فما اسكر فهو حرام قلت الشراب الحلال الطيب ليس بعد الحلال الطيب الا
الحرام الخبيث قال صاحب المطالع الباذق بفتح الذال المعجمة وهو الطلا المطبوخ
من عصير العنب كان اول من صنعه وسماه بنو امية لينقلوه عن اسم الخمر وكل
ما اسكر فهو خمر لان الاسم لا ينقله عن معناه الموجود فيه وقال ابن الاثير
في النهاية الباذق الخمر تعريب باذه وهو اسم الخمر بالفارسية اي لم يكن في زمانه
او سبق قوله فيها وفي غيرها من جنسها وقيل معناه سبق حكم محمد صلى الله عليه وسلم
ان ما اسكر فهو حرام م عن ام سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر
ومفتر اخرجه ابو داود المفتر كل شراب احمى الجسد وصار فيه فتور وضعف
وانكسار واستدل الشافعي على ان ما اسكر كثيره فقليله حرام بما روي عن جابر
بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اسكر كثيره فقليله حرام اخرجه
الترمذي وابو داود وعن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام
وما اسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام اخرجه ابو داود والترمذي وفي
رواية له والحسوة منه حرام الفرق بالتحريك مكيال يسع ستة عشر رطلا

بالبغدادي واجيب عن حديث عمر في الطلا بانه معارض بما روي
عن السائب بن يزيد ان عمر قال وجدت من فلان ريح شراب وزعم
انه شرب الطلا وانا سائل عنه فان كان يسكر جلدته فسال
فقيل له انه يسكر فجلده عمر الحد تاما اخرجه مالك في الموطا
واما حديث ابن عباس فموقوف عليه ومعارض بما روي عنه في
الباذق وقوله والسكر من كل شراب فقد رواه الحفاظ السكر
بفتح السين قال صاحب الغريبين السكر خمر الاعاجم ويقال
لما يسكر السكر وروى هذا الحديث احمد بن حنبل وقال فيه
والمسكر من كل الشراب وقال موسى بن هارون وهو الصواب
واما حديث ابي الاحوص ففيه وهمان احدهما في سنده
حيث قال عن ابي بردة وانما يرويه سماك عن القاسم عن ابن بريدة
عن ابيه والوهم الثاني في متنه حيث قال اشربوا ولا تسكروا
وانما يرويه الناس ولا تشربوا مسكرا ويدل على صحة هذا ما روى
مسلم في صحيحه عن محارب بن دثار عن ابن بريدة عن ابيه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن الاشربة في ظروف الادم
فاشربوا في كل وعاء غير ان لا تشربوا مسكرا وقال النسائي في حديث ابي الاحوص
هذا حديث منكر غلط فيه ابو الاحوص سلام بن سليم لا نعلم احدا
تابعه عليه من اصحاب سماك واما حديث عائشة فيه فهو غير ثابت
كما تقدم من قول النسائي المسالة الثانية في الحكم بنجاسة الخمر وما يلحق
بها بنجسة العين ويدل على نجاستها قوله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب
والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه والرجس في اللغة النجس
والشي المستقذر ولقوله تعالى فاجتنبوه فامر باجتنابها فكانت نجسة
العين ويدل على نجاستها ايضا انها محرمة التناول لا للاحترام ولان
الناس يستعفون بها فينبغي ان يحكم بنجاستها تاكيدا للزجر عنها
المسالة الثالثة في تحريم بيعها والانتفاع بها اجمعت الامة

علي تحريم

على تحريم بيع الخمر والانتفاع بها وتحريم ثمنها ويدل على ذلك ما روي
عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام فتح مكة ان الله
حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام اخرجاه في الصحيحين من
زيادة اللفظ خ عن عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
حرمت التجارة في الخمر ق عن ابن عباس قال بلغ عمر بن الخطاب ان فلانا باع
خمرا فقال قاتل الله فلانا الم يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن
الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها عن المغيرة بن شعبة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من باع الخمر فليشقص الخنازير اخرجه
ابو داود وقوله فليشقص الخنازير اي فليستحلها قطعا كما تقطع الشاة
للبيع والمعنى من استحل بيع الخمر فليستحل بيع الخنازير فانهما في التحريم
سواء م عن ابي طلحة قال يا نبي الله اني اشتريت خمرا لايتام في حجري قال
اهرق الخمر واكسر الدنان اخرجه الترمذي وقال وقد روي عن الثوري ان ابا طلحة كان
عنده خمر لايتام وهو اصح فان قلت فما وجه قوله تعالى ومنافع للناس قلت
منافعها اللذة التي توجد عند شربها والفرح والطرب معها وما كانوا يصيبون
من الربح في ثمنها وكان ذلك قبل التحريم فلما حرمت الخمر حرم ذلك كله

فصل

واما الميسر فهو القمار واشتقاقه من اليسر لانه اخذ مال بسهولة من غير تعب
ولا كد قال ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل على اهله وماله فايهما قمر
صاحبه ذهب باهله وماله فانزل الله هذه الاية واصل الميسر ان اهل
الثروة من العرب في الجاهلية كانوا يشترون جزورا فينحرونها ويجزونها
ثمانية وعشرين جزءا ثم يسهمون عليها بعشرة قداح يقال لها الازلام والاقلام
واسماؤها الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح
والسفيح والوغد وكانوا يسهمون لسبعة منها انصبا فللفذ سهم وللتوأم
سهمان وللرقيب ثلاثة اسهم وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل
ستة وللمعلى سبعة وثلاثة من القداح لا انصباء لها وهي المنيح والسفيح
والوغد قال بعضهم لي في الدنيا سهام ليس فيهن ربيح
سهمي وغد ومنيح وسفيح

ثم يجعلون القداح في خريطة يسمونها الربابة ويضعونها على يد رجل عدل
عندهم يسمونه المجيل والمفيض فيجيلها في الخريطة ويخرج منها قدحا باسم
رجل منهم فايهم خرج اسمه اخذ نصيبه على قدر ما يخرج من القداح وان
خرج له قدح من الثلاثة التي لا انصباء لها لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله
وقيل لا يأخذ ولا يغرم ويسمون ذلك القدح لغوا ثم يدفعون ذلك الجزور
الى الفقراء ولا يأكلون منه شيئا وكانوا يفتخرون بذلك ويذمون من لا يفعله ويسمونه
البرم يعني البخيل الذي لا يخرج بين الاصحاب لبخله واما حكم الاية فالمراد
به جميع انواع القمار فكل شيء فيه قمار فهو من الميسر وروي عن ابن سيرين ومجاهد
وعطا كل شيء فيه خطر يعني الرهن فهو الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب
واما النرد فيحرم اللعب به سوا كان بخطر ام ويدل على تحريمه ما روي عن بريدة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لعب بالنرد شير فكانما صبغ يده
في دم خنزير اخرجه مسلم وعن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعب
بنرد او نرد شير فقد عصى الله ورسوله اخرجه ابو داود وروي عن علي بن ابي
طالب قال النرد والشطرنج من الميسر واختلف في الشطرنج فذهب
ابو حنيفة انه يحرم اللعب به سوا كان برهن او بغير رهن ومذهب
الشافعي انه مباح بشروط ذكرها الشافعي فقال اذا خلا الشطرنج من الرهان
واللسان عن الطغيان وروي عن الهذيان والصلاة عن النسيان لم يكن
حراما وهو خارج عن الميسر لان الميسر ما يوجب دفع مال واخذ مال
وهذا ليس كذلك وقوله تعالى **قل فيهما** يعني في الخمر والميسر **اثم كبير**
اي وزر عظيم وقيل ان الخمر عدو العقل فاذا غلبت على عقل الانسان ارتكب
كل قبيح ففي ذلك اثم كبير منها اقدامه على شرب المحرم ومنها فعل ما لا يحل
فعله واما الاثم الكبير في الميسر فهو اكل المال الحرام بالباطل وما يجري
بينهما من الشتم والمخاصمة والمعاداة وكل ذلك فيه اثم كبير **ومنافع**
للناس يعني انهم كانوا يربحون في بيع الخمر قبل تحريمها واما منافع الميسر
فهو اخذ مال بغير كد ولا تعب فقيل ربما ان الواحد منهم كان يقمر في المجلس

الواحد

الواحد مائة بعير فيحصل له المال الكثير وربما كان يصرفه الى المحتاجين
فيكتسب بذلك الثنا والمدح وهو المنفعة **واثمهما اكبر من نفعهما**
يعني اثمهما بعد التحريم اكبر من نفعهما قبل التحريم وقيل اثمهما قوله تعالى
انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر
ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فكل هذه ذنوب يترتب عليها اثام كثيرة
بسبب الخمر والميسر قوله تعالى **ويسألونك ماذا ينفقون** وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حضهم على الصدقة فقالوا ماذا ننفق فقال الله
تعالى **قل العفو** يعني الفضل والعفو ما فضل عن قدر الحاجة فكانت الصحابة
يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفاضل بحكم هذه
الاية ثم نسخ ذلك باية الزكاة وقيل هو التصدق عن ظهر غنى **ق** عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى
واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وقيل هو الوسط في الانفاق
من غير اسراف ولا اقتار وقيل هو في صدقة التطوع اذ لو كان المراد بهذا
الانفاق الواجب لبين الله قدره فلما لم يبينه دل ذلك على ان المراد به صدقة
التطوع **كذلك يبين الله لكم الايات** اي يبين لكم الامور التي سألتم عنها من
وجوه الانفاق ومصارفه **لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة** يعني فتأخذون
ما يصلحكم في الدنيا وتنفقون الباقي فينفعكم في الاخرة وقيل لعلكم تتفكرون
في زوال الدنيا فتزهدوا فيها وفي اقبال الاخرة وبقائها فترغبوا فيها قوله
عز وجل **ويسألونك عن اليتامى** قال ابن عباس لما نزلت ان الذين يأكلون اموال
اليتامى ظلما تحرج المسلمون من اموال اليتامى تحرجا شديدا حتى عزلوا
اموالهم عن اموالهم فتركوا مخالطتهم وربما كان يصنع لليتيم الطعام فيفضل
منه فيتركوه ولا يأكلوه فاشتد ذلك عليهم فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانزل الله ويسألونك عن اليتامى **قل اصلاح لهم خير** اي اصلاح اموال اليتامى من
غير اخذ اجرة ولا عوض خير لكم اي اعظم اجرا وقيل هو ان يوسع على اليتيم من طعام
نفسه ولا يتوسع من طعام اليتيم **وان تخالطوهم** يعني في الطعام والخدمة



والسكنى وهذا فيه اباحة المخالطة اي شاركوهم في اموالهم واخلطوها باموالكم
ونفقاتكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم فتصيبوا من اموالهم عوضا من قيامكم
باموركم او تكافئوهم على ما تصيبوهم من اموالهم **فاخوانكم** اي فهم اخوانكم
والاخوان يعين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم من مال البعض على وجه الاصلاح
والرضا **والله يعلم المفسد من المصلح** يعني المفسد لمال اليتيم والمصلح له يعلم
الذي يقصد بالمخالطة الخيانة واكل مال اليتيم بغير حق والذي يقصد
الاصلاح **ولو شاء الله لاعنتكم** اي لضيق عليكم وما اباح لكم مخالطتهم واصل
العنت الشدة والمشقة والمعنى لكلفكم في كل شيء على ما يشق عليكم **ان الله**
عزيز حكيم اي غالب يقدر ان يشق على عباده ويعنتهم ولكنه حكيم لا يكلف
عباده الا ما تتسع فيه طاقتهم قوله تعالى **ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن**
نزلت في ابي مرثد بن ابي مرثد الغنوي واسم ابي مرثد كناز بن حصين بعثه رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت
به امراة مشركة يقال لها عناق وكانت خليلته في الجاهلية فاتته فقالت
الا تخلو فقال ويحك يا عناق ان الاسلام حال بيني وبين ذلك فقالت هل
لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم استامره
فقالت ابي تتبرم واستغاثت عليه فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله
فلما قضى حاجته بمكة وانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه بما كان من
امره وامر عناق وما لقي بسببها وقال يا رسول الله ايحل لي ان اتزوجها
فانزل الله هذه الاية واصل النكاح في اللغة الوطء ثم كثر حتى قيل للعقد
نكاح ومعنى الاية ولا تنكحوا ايها المؤمنون المشركات حتى يؤمن اي
يصدقن الله ورسوله وهو الاقرار بالشهادة والتزام احكام المسلمين
واختلف العلماء في حكم هذه الاية فقيل انها تدل على ان كل مشركة يحرم
نكاحها على كل مسلم من اي اجناس الشرك كانت كالوثنية والمجوسية والنصرانية
او غيرهم من اصناف المشركات ثم استثنى الله تعالى من ذلك نكاح حرائر الكتابيات
بقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم فاباح الله تعالى نكاحهن

بهذه

بهذه الاية قال ابن عباس في قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ثم
استثنى نساء اهل الكتاب فقال والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم وقيل ان حكم الاية نزل في مشركات العرب الوثنيات خاصة
ولم ينسخ منها شيء ولم يستثن وانما حكمها عام مخصوص قال قتادة
في قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن يعني مشركات العرب اللاتي ليس
فيهن كتاب يقرأنه وتبيان هذا في مسئلة وهي ان لفظ الشرك على من
يطلق فالاكثرون من العلماء وهو القول الصحيح المختار ان لفظ الشرك يندرج
فيه اهل الكتاب من اليهود والنصارى وكذلك عبدة الاصنام والمجوس وغيرهم
ويدل على ان اليهود والنصارى يطلق عليهم اسم الشرك قوله تعالى وقالت اليهود
عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ثم قال الله تعالى اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها
واحدا لا اله الا هو سبحانه وتعالى عما يشركون فهذه الاية صريحة في شرك
اليهود والنصارى وقيل كل من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم وان زعم ان الله
تعالى واحد فهو مشرك وذلك ان من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم مع صحة
نبوته وظهور معجزاته فقد زعم ان ما اتى به النبي صلى الله عليه وسلم هو
من عند غير الله فقد اشرك مع الله غيره فعلى هذا القول ايضا يدخل فيه
اليهود والنصارى لانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان اسم الشرك
لا يتناول الا عبدة الاوثان فقط والاول اصح لما تقدم من الادلة فعلى
قول من قال اسم الشرك لا يتناول الا الوثنيات تكون الاية محكمة وعلى
الاكثرين ان اسم الشرك يتناول الوثنيات والكتابيات وغيرهن تكون الاية
محكمة في حق الوثنيات منسوخة في حق الكتابيات وقوله تعالى **ولامة**
مؤمنة خير يعني انفع واصلح وافضل **من مشركة** يعني حرة **ولو اعجبتكم**
يعني بجمالها ومالها ونسبها فالامة المؤمنة خير وافضل عند الله من الحرة
المشركة نزلت في خنساء وليدة كانت لحذيفة بن اليمان قال يا خنساء قد
ذكرت في الملأ الاعلى على سوادك ودمامتك ثم اعتقها وتزوجها وقيل نزلت

في عبد الله بن رواحة قد كانت عنده امة سودا فغضب عليها
يوما فلطمها ثم فزع فاتي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال له وما هي
يا عبد الله قال هي تشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وتصوم
رمضان وتحسن الوضوء وتصلي قال هذه مومنة قال عبد الله
فو الذي بعثك بالحق لاعتقنها ولاتزوجنها ففعل فطعن عليه ناس
من المسلمين فقالوا انكح امة وعرضوا عليه حرة مشركة فانزل الله
هذه الاية **ولا تنكحوا المشركين حتى يومنوا** هذا خطاب لاوليا
المراة اي لا تزوجوا المسلمة من المشركين حرم على المومنات ان ينكحن
مشركا من اي اصناف الشرك كان وانعقد الاجماع على انه لا يجوز
للمسلمة ان تتزوج بالمشرك **ولعبد مومن خير من مشرك ولو اعجبكم**
يعني ولو اعجبكم بحسنه وجماله وماله **اولئك يدعون الى النار**
يعني يدعون الى الشرك الذي يودي الى النار **والله يدعوا الى الجنة
والمغفرة** يعني انه تعالى لما بين هذه الاحكام واباح بعضها وحرم
بعضها قال اعملوا بما امركم به وانتهوا عما نهاكم عنه فانه من عمل
بذلك استحق الجنة والمغفرة **باذنه** اي بتيسير الله وارادته وتوفيقه
ويبين اياته للناس اي يوضح ادلته وحججه في اوامره ونواهيه
واحكامه **لعلهم يتذكرون** اي يتعظون قوله عز وجل **ويسلونك
عن المحيض** عن انس ان اليهود كانوا اذا حاضت المراة فيهم لم يواكلوها
ولم يجامعوها في البيوت فسال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم النبي
صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ويسلونك عن المحيض قل هو
اذى فاعتزلوا النسا في المحيض الى اخر الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصنعوا كل شي الا النكاح فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل
ان يدع من امرنا شيا الا خالفنا فيه فجا اسيد بن حضير وعباد بن بشر
فقالا يا رسول الله ان اليهود تقول كذا وكذا فلا نجامعهن فتغير
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا ان قد وجد عليهما فخرجا

فاستقبلتهما



فاستقبلتهما هدية من لبن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل في اثارهما
فسقاهما فعرفنا انه لم يجد عليهما الوجد الغضب واصل الحيض السيلان
والانفجار يقال حاض الوادي اذا سال وفاض ماوه **قل هو اذى** اي هو
شي قذر والاذى في اللغة ما يكره من كل شي **فاعتزلوا النسا في المحيض**
اي فاجتنبوا مجامعتهن **ولا تقربوهن** يعني بالوطي والمجامعة فهو كالتوكيد
لقوله فاعتزلوا النسا في المحيض **حتى يطهرن** يعني من الحيض والمعنى
ولا تقربوهن حتى يزول عنهن الدم وقري يطهرن بتشديد الطا ومعناه
يغتسلن **فاذا تطهرن** اي اغتسلن من حيضهن **فاتوهن من حيث
امركم الله** قال ابن عباس طوهن في الفرج ولا تعدوه الى غيره فانه هو الذي
امر الله به ولا تاتوهن في غير المانى وقيل فاتوهن من الوجه الذي امركم
الله به وهو الطهر وقيل معناه واتوهن من حيث يحل لكم غشيانهن
وذلك بان لا يكن صايمات ولا معتكفات ولا محرمات والله سبحانه وتعالى اعلم

فصل في حكم الاية وفيه مسايل المسئلة الاولى اجمع المسلمون
على تحريم الجماع في زمن الحيض ومستحله كافر عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من اتى حايضا او امراة في دبرها او كاهنا فقد كفر بما انزل على محمد اخرجه
الترمذي وقال انما معنى هذا عند اهل العلم على التغليظ ومن فعله وهو
عالم بالتحريم عزره الامام وفي وجوب الكفارة قولان احدهما انه يستغفر
الله ويتوب اليه ولا كفارة عليه وهو قول ابي حنيفة والشافعي في الجديد
والقول الثاني انه يجب عليه الكفارة وهو القول القديم للشافعي وبه
قال احمد بن حنبل لما روي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل
يقع على امراته وهي حايض قال يتصدق بنصف دينار وفي رواية قال اذا
كان دما احمر فدينار وان كان اصفر فنصف دينار اخرجه الترمذي
وقال رفعه بعضهم المسئلة الثانية اجمع العلما على جواز الاستمتاع
بالمراة الحايض بما فوق السرة ودون الركبة وجواز مضاجعتها وملامستها
ويدل على ذلك ما روي عن عايشة قالت كانت احدانا اذا كانت حايضا

وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يباشرها أمرها أن تتزر بإزار
في فور حيضتها ثم يباشرها وأيكم يملك أربه كما كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يملك أربه وفي رواية قالت كنت أغتسل أنا ورسول الله
صلى الله عليه وسلم من إنا واحد وكلانا جنب وكان يأمرني فأتزر
فيباشرني وأنا حايض أخرجاه في الصحيحين المراد بالمباشرة هنا
الاستمتاع بما دون الفرج وفور كل شي أوله وابتداؤه وقولها يملك
أربه يروى بسكون الرا وهو العضو وبفتحها وهو الحاجة (ق) عن
عايشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ناوليني الخمرة من
المسجد قالت قلت إني حايض قال إن حيضتك ليست في يدك الخمرة
حصير صغير مظفور من سعف النخل وغيره بقدر الكف وقولها
من المسجد يعني ناولنيها من المسجد لأنه صلى الله عليه وسلم كان معتكفا
في المسجد وعايشة في حجرتها فطلب منها الخمرة وهي حايض المسلة
الثالثة يحرم على الحايض الصلاة والصوم ودخول المسجد وقراءة
القران ومس المصحف وحمله فلو أمنت الحايض من التلويث في
عبورها المسجد جاز في أحد الوجهين قياسا على الجنب والثاني لا
لأن حدثها أغلظ ويجب على الحايض قضاء الصوم دون الصلاة
لما روي عن معاذة العدوية قالت سألت عايشة فقلت ما بال الحايض
تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة قالت أحرورية أنت قلت لست بحرورية
ولكني أسأل قالت كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر
بقضاء الصلاة أخرجاه في الصحيحين المسلة الرابعة لا يرتفع
شي مما منعه الحايض بانقطاع الدم ما لم تغتسل أو تتيمم عند عدم
الما إلا الصوم فإنها إذا انقطع دمها بالليل ونوت الصوم فإنه
يصح وإن اغتسلت في النهار وذهب أبو حنيفة إلى أنه يجوز
للزوج غشيانها إذا انقطع الدم لأكثر الحيض وهو عشرة أيام عنده
قبل الغسل ومذهب الشافعي وغيره من العلما أنه لا يجوز للزوج
غشيانها

غشيانها ما لم تغتسل من الحيض أو تتيمم عند عدم الما لأن الله تعالى
علق جواز وطي الحايض بشرطين أحدهما انقطاع الدم والثاني
الغسل فقال ولا تقربوهن حتى يطهرن يعني من الحيض فإذا تطهرن
فأتوهن من حيث أمركم الله فدل ذلك على أن الوطي لا يحل قبل الغسل
وقوله تعالى إن الله يحب التوابين يعني من الذنوب والتواب الذي
كلما أذنب جدد توبة وقيل التواب هو الذي لا يعود إلى الذنب
ويحب المتطهرين يعني من الأحداث وساير النجاسات بالما وقيل
المتطهرين من الشرك وقيل هم الذين لم يصيبوا الذنوب قوله تعالى
نساؤكم حرث لكم الآية (ق) عن جابر قال كانت اليهود تقول إذا جامعها
من ورايها جاء الولد أحول فنزلت نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم
وفي رواية الترمذي كانت اليهود تقول من أتى المرأة في قبلها من دبرها
وذكر الحديث وعن ابن عباس قال جاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله هلكت قال وما أهلكك قال حولت رحلي الليلة قال
فلم يرد عليه شيا قال فأوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية
نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم أقبل وأدبر واتق الدبر
والحيضة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله حولت
رحلي هو كناية عن الإتيان في غير المحل المعتاد هذا ظاهره ويجوز أنه
يريد أنه أتاها في المحل المعتاد لكن من جهة ظهرها وعن ابن عباس قال
كان هذا الحي من الأنصار وهم أهل وثن مع هذا الحي من يهود وهم أهل كتاب
فكانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم فكانوا يقتدون بكثير من
فعلهم وكان من شأن أهل الكتاب أن لا يأتوا النسا إلا على حرف
وذلك أستر ما تكون المرأة فكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك
من فعلهم وكان هذا الحي من قريش يشرحون النسا شرحا منكرا ويتلذذون
منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة
تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار فذهب يصنع بها ذلك فأنكرته

عليه وقالت انا كنا نوتى على حرف فاصنع ذلك والا فاجتنبني حتى
شرا امرهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله
عز وجل نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم اي مقبلات
ومدبرات ومستلقيات يعني بذلك موضع الولد اخرجه
ابو داود الوثن الصنم والتمثال الصورة التي لا جثة لها وقوله
على حرف الحرف الجانب وحرف كل شي جانبه وقوله يشرحون النسا
يقال شرح فلان جاريته اذا وطئها على قفاها واصل الشرح
البسط وقوله شرا امرهما اي ارتفع وعظم وتفاحش واصله من
شرا البرق اذا لاح في اللمعان عن ام سلمة رضي الله عنها ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى
شئتم يعني في صمام واحد ويروى في سمام بالسين اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن وقوله تعالى حرث لكم معناه زرع لكم ومنبت للولد وهذا على
سبيل التشبيه فجعل فرج المراة كالارض والنطفة كالبذر والولد
كالنبات الخارج فاتوا حرثكم انى شئتم يعني كيف شئتم وحيث شئتم
اذا كان في القبل والمعنى كيف شئتم مدبرة ومقبلة وعلى كل حال اذا
كان في الفرج في الاية دليل على تحريم اتيان النسا في ادبارهن
لان محل الحرث والزرع هو القبل لا الدبر ويؤيد ذلك ما روي
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من اتى امراة
في دبرها اخرجه ابو داود وقال سعيد بن المسيب هذا في العزل
يعني ان شئتم فاعزلوا وان شئتم لا تعزلوا وسئل ابن عباس عن العزل
فقال حرثك ان شئت فعطش وان شئت فروِّ وروي عنه انه قال
تستامر الحرة في العزل ولا تستامر الجارية قال احمد وكره جماعة العزل
وقالوا هو الواد الخفي وروى نافع قال كنت امسك على ابن عمر المصحف
فقرا هذه الاية نساؤكم حرث لكم قال تدري فيما نزلت هذه
الاية قلت لا قال نزلت في رجل اتى امراته في دبرها فشق ذلك

عليه

عليه فنزلت هذه الاية وروى عبد الله بن الحسن انه لقي سالم بن عبد الله
ابن عمر فقال له يا عم ما حديث يحدث نافع عن عبد الله انه لم يكن
يرى باسًا باتيان النسا في ادبارهن فقال كذب العبد واخطا انما
قال عبد الله يوتون في فروجهن من ادبارهن ويحكى عن مالك اباحة
ذلك وانكره اصحابه واجمع جمهور العلما على تحريم اتيان النسا
في ادبارهن وقالوا لان الله حرم الفرج في حال الحيض لاجل النجاسة
العارضة وهو الدم فاولى ان يحرم الدبر لاجل النجاسة اللازمة
ولان الله تعالى نص على ذكر الحرث والحرث به يكون نبات الولد فلا يجوز
العدول عنه الى غيره وقوله تعالى وقدموا لانفسكم يعني الولد وقيل
قدموا التسمية والدعا عند الجماع ق عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله
عليه وسلم لو ان احدكم اذا اراد ان ياتي اهله قال بسم الله اللهم جنبنا
الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه ان يقدر بينهما ولد في ذلك
لم يضره الشيطان ابدًا وقيل اراد به تقديم الافراط ق عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين
من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم قوله الا تحلة القسم يعني قدر
ما يبر الله قسمه فيه وهو قوله تعالى وان منكم الا واردها فاذا وردها
جاوزها فقد ابر قسمه وقيل قدموا لانفسكم يعني من الخير والعمل
الصالح بدليل سياق الاية واتقوا الله اي احذروا ان تاتوا شيا
مما نهاكم الله عنه واعلموا انكم ملاقوه اي صايرون اليه في الاخرة فيجزيكم
باعمالكم وبشر المومنين يعني بالكرامة من الله تعالى قوله عز وجل ولا تجعلوا
الله عرضة لايمانكم نزلت في عبد الله بن رواحة كان بينه وبين ختنه
بشير بن النعمان شي فحلف عبد الله لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح
بينه وبين خصمه فكان اذا قيل له فيه يقول قد حلفت بالله ان لا
افعل فلا يحل لي الا ان تبر يميني فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت
في ابي بكر الصديق حين حلف ان لا ينفق على مسطح حين خاض في حديث

الايمان والعرضة ما يجعل معرضا للشي وقيل العرضة الشدة والقوة
وكل ما يعترض فيمنع عن الشي فهو عرضة والمعنى ولا تجعلوا الحلف بالله
سببا مانعا لكم من البر والتقوى يدعى احدكم الى بر او صلة رحم فيقول
قد حلفت بالله لا افعله فيعتل بيمينه في ترك البر والاصلاح ان تبروا
وتتقوا وتصلحوا بين الناس قيل معناه لا تحلفوا بالله انه لا تبروا ولا
تتقوا ولا تصلحوا بين الناس م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فلياتها وليكفر عن يمينه وقيل
معناه لا تكثروا الحلف بالله وان كنتم بارين متقين مصلحين فان كثرة الحلف
بالله ضرب من الجراة عليه والله سميع اي لحلفكم عليم يعني بنياتكم قوله تعالى
لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو كل ساقط مطرح من الكلام
وما لا يعتد به وهو الذي يورد لا عن روية وفكر واللغو في اليمين هو الذي
لا عقد معه كقول القايل لا والله بلى والله على ما سبق اللسان من غير
قصد ونية وبه قال الشافعي ويعضده ما روي عن عائشة قالت
نزل قوله تعالى لا يواخذكم باللغو في ايمانكم في قول الرجل لا والله وبلى والله
اخرجه البخاري موقوفا ورفعه ابو داود وقال قالت عائشة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هو قول الرجل في بيته كلا والله وبلى والله ورواه عنها
ايضا موقوفا وقيل معنى اللغو هو ان يحلف الرجل على شي يرى انه صادق
ثم يتبين له خلاف ذلك وبه قال ابو حنيفة ولا كفارة فيه ولا اثم
عليه عنده قال مالك في الموطا احسن ما سمعت في ذلك ان اللغو
حلف الانسان على الشي يستيقن انه كذلك ثم يوجد بخلافه فلا
كفارة عليه قال والذي يحلف على الشي وهو يعلم انه فيه اثم كاذب
ليرضي به احدا او يعتذر لمخلوق او يقتطع به مالا فهذا اعظم من
ان تكون فيه كفارة وانما الكفارة على من حلف ان لا يفعل الشي المباح
له فعله ثم يفعله او ان يفعله ثم لا يفعله مثل ان حلف ان لا يبيع
ثوبه بعشرة دراهم ثم يبيعه بذلك او يحلف ليضربن غلامه ثم لا يضربه

وفائدة



وفائدة الخلاف الذي بين الشافعي وابي حنيفة في لغو اليمين ان الشافعي
لا يوجب الكفارة في قول الرجل لا والله وبلى والله ويوجبها فيما اذا حلف
على شي يعتقد انه كان ثم بان انه لم يكن وابو حنيفة يحكم بضد ذلك
ومذهب الشافعي هو قول عائشة والشعبي وعكرمة ومذهب ابي حنيفة
هو قول ابن عباس والحسن ومجاهد والنخعي والزهري وسليمان بن يسار وقتادة
ومكحول وقيل معنى اللغو انه اليمين في الغضب وقيل هو ما يقع سهوا من غير
قصد اليمين ومعنى لا يواخذكم الله اي لا يعاقبكم الله بلغو اليمين وقيل لا يواخذكم
اي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم يعني لكن
يواخذكم بما عزمتم عليه وقصدتم له وكسب القلب هو العقد والنية
والله سبحانه وتعالى اعلم فصل في بيان حكم الاية وفيه مسائل المسالة
الاولى لا تنعقد اليمين الا بالله وباسمائه وصفاته فاما اليمين بالله فهو كقول
الرجل والذي نفسي بيده والذي اعبده ونحو ذلك والحلف باسمائه كقوله والله
والرحمن والمهيمن ونحوه والحلف بصفاته فهو كقوله وعزة الله وقدرة الله
وعظمة ونحو ذلك فاذا حلف بشي من ذلك ثم حنث فعليه الكفارة المسالة
الثانية لا يجوز الحلف بغير الله كقوله والكعبة والنبي وابي ونحو ذلك فان حلف
بشي من ذلك لا تنعقد يمينه ولا كفارة عليه ويكره الحلف به لما روي عن
ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ادرك عمر وهو يسير في ركب وهو
يحلف بابيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم ان تحلفوا بابائكم
فمن كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت اخرجاه في الصحيحين المسالة
الثالثة اذا حلف على امر في المستقبل فحنث فعليه الكفارة وان كان على امر
ماض ولم يكن او على انه لم يكن فكان فان كان عالما به حال حلفه بان يقول
والله ما فعلت وقد فعل او لقد فعلت وما فعل فهذه اليمين الغموس
وهي من الكبائر وسميت غموسا لانها تغمس صاحبها في الاثم وتجب فيها
الكفارة عند الشافعي سوا كان عالما او جاهلا وذهب ابو حنيفة انه
لا كفارة عليه فان كان عالما فهي كبيرة وان كان جاهلا فهي من لغو اليمين

والله غفور يعني لعباده فيما لغوا من ايمانهم التي اخبر الله لا يواخذهم عليها ولو شا آخذهم والزمهم الكفارة في العاجل والعقوبة عليها في الآجل حليم يعني في تركه معاجلة اهل العصيان بالعقوبة قال الحليمي في معنى الحليم انه الذي لا يحبس انعامه وافضاله عن عباده لاجل ذنوبهم ولكن يرزق العاصي كما يرزق المطيع ويبقيه وهو منهمك في معاصيه كما يبقي البر المتقي وقد يقيه الآفات والبلايا وهو غافل لا يذكره فضلا عن ان يدعوه كما يقيها الناسك الذي يدعوه ويساله وقال ابو سليمان الخطابي الحليم ذو الصفح والاناة الذي لا يستفزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل ولا عصيان عاص ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحليم انما الحليم هو الصفوح مع القدرة على الانتقام المتاني الذي لا يعجل بالعقوبة

قوله تعالى للذين يولون من نسائهم يولون اي يحلفون والالية اليمين قال كثير قليل الالايا حافظ ليمينه ... وان صدرت منه الالية برت

والايلا في عرف الشرع هو اليمين على ترك الوطي كما اذا قال والله لا اجامعك او لا اباضعك او لا اقربك قال ابن عباس كان اهل الجاهلية اذا طلب الرجل من امراته شيا فابت ان تعطيه حلف لا يقربها السنة والسنتين والثلاث فيدعها لا ايما ولا ذات بعل فلما كان الاسلام جعل الله ذلك للمسلمين اربعة اشهر وانزل الله هذه الاية وقال سعيد بن المسيب كان الايلا ضرر اهل الجاهلية فكان الرجل لا يريد امراته ولا يحب ان يتزوجها غيره فيحلف ان لا يقربها ابدا فيتركها لا ايما ولا ذات بعل وكانوا عليه في ابتدا الاسلام فجعل الله تعالى له الاجل الذي يعلم به ما عند الرجل في المراة اربعة اشهر وانزل الله هذه الاية للذين يولون من نسائهم تربص اي انتظار اربعة اشهر والتربص التثبت والانتظار فان فاءوا اي رجعوا عن اليمين بالوطي والمعنى فان رجعوا عما حلفوا عليه من ترك جماعها فان الله غفور رحيم للزوج اذا تاب من اضراره بامراته فانه غفور لكل التائبين والله اعلم

فروع تتعلق بحكم الايلا

الفرع الاول

الفرع الاول اذا حلف لا يقرب زوجته ابدا او مدة هي اكثر من اربعة اشهر فهو مول فاذا مضت اربعة اشهر يوقف الزوج ويومر بالفي وهو الرجوع او الطلاق وذلك بعد مطالبة الزوجة فان رجع عما قال بالوطي ان قدر عليه او بالقول مع العجز عنه فان لم يف ولم يطلق طلق عليه الحاكم واحدة وهو قول عمر وعثمان وابي الدردا وابن عمر قال سليمان بن يسار ادركت بضعة عشر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يقول يوقف المولي وذهب سعيد بن جبير وسليمان بن يسار ومجاهد وبه قال مالك والشافعي واحمد واسحاق وقال ابن عباس وابن مسعود اذا مضت مدة اربعة اشهر تقع عليها طلقة باينة وبه قال سفيان الثوري وابو حنيفة وقال سعيد بن المسيب والزهري تقع عليها طلقة رجعية

الفرع الثاني لو حلف ان لا يطاها اقل من اربعة اشهر فليس بمول بل هو حالف فان وطيها قبل مضي المدة لزمه كفارة يمين

الفرع الثالث لو حلف ان لا يطاها اربعة اشهر فليس بمول بعد مضي المدة عند الشافعي لان بقا المدة شرط للوقوع وثبوت المطالبة بالفي او الطلاق وقد مضت المدة وعند ابي حنيفة يكون موليا ويقع الطلاق بمضي المدة

الفرع الرابع مدة الايلا اربعة اشهر في حق الحر والعبد جميعا عند الشافعي لانها مدة ضربت لمعنى يرجع الى الطبع وهي قلة صبر المراة عن الزوج فيستوي فيه الحر والعبد كمدة العنة وعند مالك وابي حنيفة يتنصف مدة الايلا بالرق غير ان عند ابي حنيفة تتنصف المدة برق المراة وعند مالك برق الزوج كما قالا في الطلاق

الفرع الخامس اذا وطي خرج عن الايلا وتجب عليه كفارة يمين وهذا قول اكثر العلما وقيل لا كفارة عليه لان الله وعد المغفرة فقال فان فاءوا فان الله غفور رحيم ومن قال بوجوب الكفارة عليه قال ذلك في اسقاط العقوبة عنه لا في الكفارة وقوله تعالى وان عزموا الطلاق اي حققوه بالايقاع فان الله سميع يعني لاقوالهم عليم بنياتهم وفيه دليل على انها لا تطلق ما لم يطلقها زوجها لانه تعالى شرط فيه العزم

قوله عز وجل **والمطلقات** اي المخليات من حبال ازواجهن والمطلقة هي الذي
يوقع الزوج عليها الطلاق **يتربصن بانفسهن** اي ينتظرن فلا يتزوجن
ثلاثة قروء جمع قرء والقرء اسم يقع على الحيض والطهر قال ابو عبيدة
الاقرا من الاضداد كالشفق اسم للحمرة والبياض وقيل انه حقيقة في الحيض
مجاز في الطهر وقيل بالعكس واختلفوا في اصله فقيل اصله الجمع من قرا اي جمع
لان في وقت الحيض يجتمع الدم في الرحم وفي وقت الطهر يجتمع في البدن وقيل اصله الوقت
يقال رجع فلان لقرئه اي لوقته الذي كان فيه لان الحيض ياتي لوقت والطهر
ياتي لوقت وبحسب اختلاف اهل اللغة في الاقرا اختلف الفقهاء على قولين
احدهما ان الاقرا هي الحيض وروي عن عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس وابي
موسى وعبادة بن الصامت وابي الدردا وبه قال عكرمة والضحاك والسدي
والاوزاعي وسفيان الثوري وابو حنيفة واصحابه وقال احمد بن حنبل
كنت اقول ان الاقرا الاطهار وانا اليوم اذهب الى انها الحيض القول الثاني
انها الاطهار ويروى ذلك عن زيد بن ثابت وابن عمر وعايشة وبه قال
الزهري وابان بن عثمان ومالك والشافعي وحجة من يقول بان الاقرا هي الحيض قوله
صلى الله عليه وسلم للمستحاضة دعي الصلاة ايام اقرايك يعني ايام حيضتك
لان المراة لا تدع الصلاة الا ايام حيضها وحجة من يقول انها الاطهار ان ابن
عمر لما طلق امراته وهي حايض قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها
حتى تطهر ثم ان شا امسكها وان شا طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله
ان يطلق لها فاخبر ان زمان العدة هو الطهر لا الحيض ويعضده من اللغة
قول الاعشى وفي كل وقت انت جاشم غزوة * تشد لاقصاها عزيم عزايكا
مورثة مالا وفي الحي رفعة * لما ضاع فيها من قروء نسائكا
اراد انه كان يخرج للغزو ولم يغش نساءه فيضيع اقراوهن وانما يضيع
بالسفر زمان الطهر لا زمان الحيض وفايدة الخلاف ان هذه العدة
عند الشافعي اقصر وعند غيره اطول وذلك ان المعتدة اذا شرعت
في الحيضة الثالثة فقد انقضت عدتها وحلت للازواج وبحسب

بقية

بقية الطهر الذي وقع فيه الطلاق قرا على قول من يجعل الاقرا الاطهار قالت
عايشة رضي الله عنها اذا دخلت المطلقة في الحيضة الثالثة فقد بانت
من زوجها وحلت للازواج وروي عنها انها قالت القرء الطهر ليست بالحيضة
قال الشافعي والنسا بهذا اعلم لان هذا انما يبتلى به النسا وان طلقها في
حال الحيض فاذا شرعت في الحيضة الرابعة انقضت عدتها وعلى قول من
يجعل الاقرا حيضا وهو مذهب ابي حنيفة لا تنقضي عدتها ما لم تطهر
من الحيضة الثالثة ان كان وقع الطلاق في حال الطهر او من الحيضة
الرابعة ان وقع في حال الحيض فان قلت ما معنى الاخبار عنهن بالتربص
في قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن قلت هو خبر في صورة معنى الامر
واصل الكلام وليتربص المطلقات واخراج الامر في صورة الخبر تاكيد للامر
واشعار بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن الامر
بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونظيره قولهم في الدعا رحمك الله اخرج في
صورة الخبر ثقة بالاجابة فكانما قال وجدت الرحمة فهو يخبر عنها والله تعالى اعلم

فصل في احكام العدة وفيه مسايل المسيلة الاولى عدة الحامل تنقضي
بوضع الحمل سوا المطلقة والمتوفى عنها زوجها وسوا في ذلك الحرة والامة المسيلة
الثانية عدة المتوفى عنها زوجها سوى الحامل اربعة اشهر وعشرة ايام سوا مات
عنها زوجها قبل الدخول او بعده وسوا في ذلك الحايض والامة والايسة
المسيلة الثالثة عدة المطلقة المدخول بها وهي ضربان احدهما الحيض
تعتدها بالاقرا وهي ثلاثة اقرا والضرب الثاني الايسات من الحيض اما الكبر
او لم تكن تحض قط فعدتها ثلاثة اشهر واما المطلقة قبل الدخول فلا عدة
عليها المسيلة الرابعة عدة الامة نصف عدة الحرة فيما له نصف
وفي الاقرا قرآن لا يتنصف قال عمر بن الخطاب ينكح العبد اثنتين
ويطلق طلقتين وتعتد الامة حيضتين وقوله تعالى **ولا يحل لهن
ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن** قال ابن عباس يعني الولد وقيل الحيض والمعنى
انه لا يحل للمراة كتمان ما خلق الله في رحمها من الحيض او الحمل ليبطل

بذلك الكتمان حق الزوج من الرجعة **ان كن يومن بالله واليوم الاخر**
هذا وعيد شديد لتاكيد عدم الكتمان وايجاب ادا الامانة في الاخبار
عما في الرحم من الحيض والولد والمعنى ان هذا من فعل المومنات وان كانت
المومنة والكافرة فيه سوا فهو كقولك ادّ حقي ان كنت مومنا يعني ادا
الحقوق من افعال المومنين وتقول للذي يظلم ان كنت مومنا فلا تظلمني
والمعنى ينبغي ان يمنعك ايمانك من الظلم وفي سبب وعيد النسا بهذا
قولين احدهما انه لاجل ما يستحقه الزوج من الرجعة قاله ابن عباس
الثاني لاجل الحاق الولد بغير ابيه قاله قتادة وقيل هذا في المراة اذا رغبت
في زوجها تقول اني حايض وان كانت قد طهرت ليراجعها وان كانت زاهدة
فيه كتمت حيضها وتقول قد طهرت لتفوته فنهاهن الله عن ذلك وامرهن
بادا الامانة **وبعولتهن احق بردهن في ذلك** يعني ازواجهن سمي الزوج
بعلا لقيامه بامور زوجته واصل البعل السيد والمالك والمعنى وازواجهن
اولى برجعتهن وردهن اليهم في ذلك اي في حال العدة فاذا انقضى وقت
العدة فقد بطل حق الرد والرجعة **ان ارادوا اصلاحا** يعني ان اراد الزوج
بالرجعة الاصلاح وحسن العشرة لا الاضرار بهن وذلك ان اهل الجاهلية
كانوا يراجعون ويريدون بذلك الاضرار فنهى الله المومنين عن مثل ذلك
وامرهم بالاصلاح وحسن العشرة بعد الرجعة **ولهن** يعني وللنسا
على الازواج **مثل الذي عليهن** يعني الازواج **بالمعروف** وذلك ان حق الزوجية
لا يتم الا اذا كان كل واحد منهما يراعي حق الاخر فياله وعليه فيجب على الزوج
ان يقوم بجميع حقها ومصالحها ويجب على الزوجة الانقياد والطاعة له
قال ابن عباس في معنى الاية اني احب ان اتزين لامراتي كما احب ان تتزين لي
لان الله تعالى قال ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف **م** عن جابر ان في ذكر خطبة
النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وقال فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاتقوا الله في النسا فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله
ولكم عليهن ان لا يوطين فرشكم احدا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن



ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف قوله فاتقوا الله
في النسا فيه الحث على الوصية بهن ومراعاة حقوقهن ومعاشرتهن
بالمعروف وقوله فانكم اخذتموهن بامانة الله وفي رواية بامان الله قوله واستحللتم
فروجهن بكلمة الله معناه باباحة الله والكلمة هي قوله فانكحوا ما طاب
لكم من النسا وقيل الكلمة هي قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان وقيل
الكلمة هي كلمة التوحيد وهي لا اله الا الله محمد رسول الله اذ لا تحل مسلمة
لغير مسلم وقوله ولا يوطين فرشكم احدا تكرهونه معناه ولا ياذن لاحد
ان يتحدث اليهن وكان من عادة العرب ان يتحدث الرجال مع النسا ولا يرون
ذلك عيبا ولا يعد ريبة الى ان نزلت اية الحجاب فنهوا عن ذلك وليس
المراد بوطي الفراش نفس الزنا فان ذلك محرم على كل الوجوه فلا معنى لاشتراط
الكراهة فيه ولو كان المراد ذلك لم يكن الضرب فيه ضربا غير مبرح انما كان
فيه الحد والضرب المبرح هو الشديد وقوله ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن
بالمعروف يعني بالعدل وفيه وجوب نفقة الزوجة وكسوتها وذلك ثابت
بالاجماع وقوله تعالى **وللرجال عليهن درجة** اي منزلة ورفعة قال ابن عباس
بما ساق اليها من المهر وانفق عليها من المال وقيل ان فضيلة الرجال
على النسا بامور منها العقل والشهادة والميراث والدية وصلاحية
الامامة والقضا وللرجل ان يتزوج عليها ويتسرى وليس لها ذلك
وبيد الرجل الطلاق فهو قادر على تطليقها واذا طلقها رجعية فهو قادر
على رجعتها وليس شي من ذلك بيدها **والله عزيز** اي غالب لا يمتنع
عليه شي **حكيم** اي في جميع افعاله واحكامه روى البغوي بسنده عن ابي
ظبيان ان معاذ بن جبل خرج في غزاة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيها ثم رجع فراى رجالا يسجد بعضهم لبعض فذكر ذلك لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت
المراة ان تسجد لزوجها قوله تعالى **الطلاق مرتان** عن عروة بن الزبير
قال كان الرجل اذا طلق زوجته ثم ارتجعها قبل ان تنقضي عدتها كان له

ذلك وان طلقها الف مرة فعمد رجل الى امراته فطلقها حتى اذا شارفت
انقضا عدتها ارتجعها ثم قال والله لا آويك الي ولا تحلين ابدا فانزل
الله الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان فاستقبل الناس
الطلاق جديدا من ذلك اليوم من كان طلق او لم يطلق اخرجه الترمذي
وله عن عائشة قالت كان الناس والرجل يطلق امراته ما شا الله ان يطلقها
وهي امراته اذا ارتجعها وهي في العدة وان طلقها ماية مرة او اكثر حتى قال
رجل لامراته والله لا اطلقك فتبينين مني ولا آويك ابدا قالت وكيف
ذلك قال اطلقك فكلما همت عدتك ان تنقضي راجعتك فذهبت المراة
حتى دخلت على عائشة فاخبرتها فسكتت عائشة حتى جا النبي صلى الله عليه وسلم
فاخبرته فسكت النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل القران الطلاق مرتان فامساك
بمعروف او تسريح باحسان قالت عائشة فاستانف الطلاق مستقبلا من
كان طلق ومن لم يطلق ومعنى الاية ان الطلاق الرجعي مرتان ولا رجعة بعد
الثالثة الا ان تنكح زوجا اخر وهذا التفسير هو قول من جوز الجمع بين الطلاق
الثلاث في دفعة واحدة وهو الشافعي وقيل في معنى الاية ان التطليق الشرعي ورده
يجب ان يكون تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة
واحدة وهذا التفسير هو قول من قال ان الجمع بين الثلاث حرام الا ان ابا حنيفة
قال يقع الثلاث وان كان حراما وقيل ان الاية دالة على عدد الطلاق الذي
يكون للرجل فيه الرجعة على زوجته والعدد الذي تبين به زوجته منه والمعنى
ان عدد الطلاق الذي لكم الرجعة على ازواجكم اذا كن مدخولا بهن تطليقتان
وانه لا رجعة له بعد التطليقتين وان شا فطلقها الثالثة **فامساك بمعروف**
يعني بعد الرجعة وذلك انه اذا راجعها بعد الطليقة الثانية فعليه ان يمسكها
بالمعروف وهو كل ما عرف في الشرع من ادا حقوق النكاح وحسن الصحبة
او تسريح باحسان يعني انه يتركها بعد الطلاق حتى تنقضي عدتها من غير
مضارة وقيل هو انه اذا طلقها ادى اليها جميع حقوقها المالية ولا يذكرها
بعد المفارقة بسوء ولا ينفر الناس عنها والله سبحانه وتعالى اعلم **فروع**

تتعلق

تتعلق باحكام الطلاق **الفرع الاول** صريح اللفظ الذي يقع به الطلاق
من غير نية ثلاث الطلاق والفراق والسراح وعند ابي حنيفة **الفرع**
هو لفظ الطلاق فقط **الفرع الثاني** الحر اذا طلق زوجته طلقة او
طلقتين بعد الدخول بها فله مراجعتها من غير رضاها ما دامت في
العدة فاذا لم يراجعها حتى انقضت عدتها او طلقها قبل الدخول
بها او خالعها فلا تحل له الا بنكاح جديد باذنها واذن وليها **الفرع**
الثالث العبد يملك على زوجته الامة تطليقتين واختلفوا فيما
اذا كان احد الزوجين حرا فالحر يملك على زوجته الامة ثلاث تطليقات
والعبد يملك على زوجته الحرة طليقتين فالاعتبار بحال الزوج في عدد الطلاق
وبه قال الشافعي ومالك واحمد وذهب ابو حنيفة الى ان الاعتبار
بالمراة فالعبد يملك على زوجته الحرة ثلاث تطليقات والحر يملك على
زوجته الامة طلقتين **ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن** يعني اعطيتموهن
شيئا يعني من مهر او غيره ثم استثنى الخلع فقال تعالى **الا ان يخافا الا يقيما**
حدود الله نزلت في جميلة بنت عبد الله بن ابي وقيل حبيبة بنت سهل
الانصاري كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها
وكان بينهما كلام فاتت اباها تشكو اليه زوجها وقالت انه يسي الي ويضربني
فقال ارجعي الى زوجك فاني اكره للمراة ان لا تزال رافعة يديها تشكو زوجها
قال فرجعت اليه الثالثة وبها اثر الضرب فقال لها ارجعي الى زوجك فلما
رات اباها لا يشكيها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه زوجها
وارته آثارا بها من ضربه وقالت يا رسول الله لا انا ولا هو فارسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى ثابت فقال ما لك ولاهلك فقال والذي بعثك بالحق
نبيا ما على وجه الارض احب الي منها غيرك فقال لها ما تقولين فكرهت
ان تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سالها فقالت صدق يا رسول
الله ولكن خشيت ان يهلكني فاخرجني منه وقالت يا رسول الله ما كنت
احدثك حديثا ينزل عليك خلافه هو اكرم الناس حبا لزوجته ولكني ابغضه

تلا انا ولا هو قال ثابت اعطيتها حديقة نخل نعم لها فلترد دها علي
واخلي سبيلها فقال لها تردين عليه حديقته وتملكين امرك قالت نعم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثابت خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها
ففعل م عن ابن عباس ان امراة ثابت بن قيس اتت النبي صلى الله عليه وسلم
فقالت يا رسول الله ان ثابت بن قيس ما اعتب عليه في خلق ولا دين
ولكني اكره الكفر في الاسلام قال ابو عبد الله يعني تبغضه قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم تردين عليه حديقته قالت نعم قال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم اقبل الحديقة وطلقها تطليقة قولها ما اعتب
يعني ما اجد عليه والعتبى الموجدة والحديقة البستان من النخل اذا كان
عليه الحايط ومعنى قوله تعالى الا ان يخافا اي يعلم الزوجان من انفسهما ان لا
يقيما حدود الله والمعنى تخاف المراة ان تعصي الله في امر زوجها ويخاف
الزوج انه اذا لم تطعه ان يعتدي عليها فنهى الله الرجل ان ياخذ من امراته
شيا مما اعطاها الا ان يكون النشوز من قبلها وذلك ان تقول لا اطيع
لك امرا ولا اطا لك مضجعا ونحو ذلك وقرئ يخافا بضم اليا ومعناه
الا ان يعلم ذلك من حالهما يعني يعلم القاضي والولي فان خفتم يعني فان خشيتم
واستيقنتم وقيل معناه وان ظننتم ان لا يقيما حدود الله يعني ما اوجب الله
على كل واحد منهما من طاعته فيما امره به من حسن الصحبة والمعاشرة
بالمعروف وقيل هو يرجع الى المراة وهو سوء خلقها او استخفافها بحق
زوجها فلا جناح عليهما فيما افتدت به اي لا جناح على المراة في النشوز
اذا خشيت الهلاك والمعصية فيما افتدت به نفسها او اعطت من المال
لانها ممنوعة من اتلاف المال بغير حق ولا على الزوج فيما اخذ من المال
اذا اعطته المراة طايعة راضية والله سبحانه وتعالى اعلم فصل
في حكم الخلع وفيه مسائل المسئلة الاولى قال الزهري والنخعي وداود
لا يباح الخلع الا عند الغضب والخوف من ان لا يقيما حدود الله فان وقع
الخلع في غير هذه الحالة فهو فاسد وحجة هذا القول ان الاية

صريحة

صريحة في انه لا يجوز ان ياخذ من المراة عند طلاقها شيا ثم استثنى الله تعالى
حالة مخصوصة فقال الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فكانت هذه
صريحة في انه لا يجوز الاخذ في غير حالة الغضب والخوف من ان لا يقيما
حدود الله وذهب جمهور العلما الى انه يجوز الخلع من غير نشوز ولا
غضب غير انه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب م عن ثوبان ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما امراة سالت زوجها الطلاق من
غير ما باس فحرام عليها رايحة الجنة اخرجه ابو داود والترمذي م
عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ابغض الحلال الى الله الطلاق
اخرجه ابو داود ودليل الجمهور على جواز الخلع من غير نشوز قوله تعالى
فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيا مريا فاذا جاز لها ان تهب
مهرها من غير ان تحصل لها شيا بازا ما بذلته كان ذلك في الخلع الذي تصير
بسببه مالكة نفسها اولى واجيب عن الاستثنا المذكور في هذه الاية
انه محمول على الاستثنا المنقطع المسئلة الثانية الخلع جائز على اكثر
مما اعطاها وبه قال اكثر العلما وقيل لا يجوز ان ياخذ اكثر مما اعطاها وهو
قول علي وبه قال الشعبي والزهري والحسن وعطا وطاوس وقال سعيد بن المسيب
بل ياخذ دون ما اعطاها حتى يكون الفضل له وحجة الجمهور ان الخلع عقد
على معاوضة فوجب ان لا يتقيد بمقدار معين كما ان للمراة ان لا ترضى عند
عقد النكاح الا بالكثير وكذلك للزوج ان لا يرضى عند المخالعة الا بالبذل الكثير
لا سيما وقد اظهرت الاستخفاف بالزوج حيث اظهرت بغضه وكراهيته
المسئلة الثالثة اختلف العلما في الخلع هل هو فسخ او طلاق فقال
الشافعي في القديم انه فسخ وهو قول ابن عباس وطاوس وعكرمة وبه
قال احمد واسحاق وابو ثور وقال الشافعي في الجديد انه طلاق وهو
الاظهر وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود والحسن والشعبي والنخعي وعطا
وابن المسيب ومجاهد ومكحول والزهري وبه قال ابو حنيفة ومالك
وسفيان الثوري وحجة القول القديم ان الله تعالى ذكر الطلاق مرتين ثم ذكر

بعده الخلع ثم ذكر الطلقة الثالثة فقال فان طلقها فلا تحل له حتى تنكح
زوجا غيره ولو كان الخلع طلاقا لكان الطلاق اربعا وحجة القول الجديد
انه لو كان فسخا لما صح الزيادة على المهر المسمى كالاقالة في البيع وايضا
لو كان الخلع فسخا فاذا خالعها ولم يذكر شيئا وجب ان يجب المهر عليها
كالاقالة فان الثمن يجب رده وان لم يذكره فثبت ان الخلع ليس بفسخ
واذا بطل ذلك ثبت انه طلاق وايضا فان الطلقة الثالثة قوله
او تسريح باحسان وفائدة الخلاف انا اذا جعلناه طلاقا ينقص به
عدد الطلاق فان تزوجها بعده كانت معه على طلقتين وان جعلناه فسخا
بانت منه بثلاث قوله تعالى تلك حدود الله يعني هذه اوامر الله ونواهيه
وهو ما تقدم من احكام الطلاق والرجعة والخلع وحدود الله ما منع من
مجاوزتها وهو قوله فلا تعتدوها اي فلا تجاوزوها ومن يتعد حدود الله
اي يتجاوزها فاولئك هم الظالمون قوله تعالى فان طلقها يعني الطلقة الثالثة
فلا تحل له من بعد اي لا تحل له رجعتها بعد الثلاث حتى تنكح زوجا غيره
يعني تتزوج زوجا اخر غير المطلق فيجامعها والنكاح يتناول العقد والوطي
جميعا والمراد هنا الوطي نزلت في تميمة وقيل عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك
القرظي وكانت تحت ابن عمها رفاعة بن وهب بن عتيك القرظي فطلقها
ثلاثا ق عن عائشة قالت جاءت امراة رفاعة القرظي الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت اني كنت عند رفاعة فطلقني فبت طلاقي فتزوجت بعده
عبد الرحمن بن الزبير وانما معه مثل هدبة الثوب فتبسم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقي
عسيلته قولها فبت طلاقي اي قطعه والبت القطع وقولها مثل هدبة
الثوب اي طرفه وهو كناية عن استرخا الذكر وقوله حتى يذوق عسيلتك بضم
العين تصغير عسل شبه لذة الجماع بالعسل وهو كناية عنه وانما انث العسل
لان من العرب من يؤنثه وقيل انه حملا له على المعنى لان المراد منه النطفة
وعبد الرحمن المذكور هو ابن الزبير بفتح الزاي المشددة وكسر البا وروي انها لبثت

ما شاء الله



ما شاء الله ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي قد مسني
فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم كذبت بقولك الاول فلن اصدقك في الاخر
فلبثت حتى قبض النبي صلى الله عليه وسلم فاتت ابا بكر فقالت يا خليفة
رسول الله ارجع الى زوجي الاول فان زوجي الاخر قد مسني وطلقني فقال لها
ابو بكر قد شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اتيته وقال لك
ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر اتت عمر وقالت له مثل ما قالت
لابي بكر فقال لها لئن رجعت اليه لارجمنك وقوله تعالى فان طلقها
يعني الزوج الثاني بعد وطئها فلا جناح عليهما يعني على المراة والزوج
الاول ان يتراجعا يعني بنكاح جديد ان ظنا اي علما وايقنا وقيل ان رجوا
لان احدا لا يعلم ما هو كائن الا الله تعالى ان يقيما حدود الله يعني يقيما
بينهما الصلاح وحسن العشرة والصحبة وقيل معناه ان علما ان نكاحهما
على غير دلسة والمراد بالدلسة التحليل فرع ان الاول مذهب
جمهور العلما ان المطلقة بالثلاث لا تحل للزوج المطلق منه بالثلاث
الا بشروط وهي ان تعتد منه ثم تتزوج بزوج اخر ويطاها ثم يطلقها
ثم تعتد منه فاذا حصلت هذه الشرايط فقد حلت للاول والا فلا
وقال سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب تحل بمجرد العقد والمذهب الاول
هو الاصح واختلف العلما في اشتراط الوطي هل ثبت بالكتاب او بالسنة
على ثلاثة اقوال الثالث وهو المختار انه ثبت بهما الثاني اذا تزوج
المطلقة ثلاثا ليحلها للاول فهذا نكاح باطل وعقد فاسد وبه قال
مالك واحمد لما روي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لعن
المحلل والمحلل له اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح وروي انه قال
هو كالتيس المستعار ولو تزوجها ولم يشترط في النكاح انه يفارقها
فالنكاح صحيح ويحصل به التحليل اذا طلقها وانقضت العدة غير
انه يكره اذا كان في عزمهما ذلك وبه قال الشافعي وابو حنيفة ودليل
ذلك ان الاية دلت على ان الحرمة تنتهي بوطي مسبوق بعقد وقد

وجد ذلك توجب القول بانها الحرمة وقال نافع اتي رجل الي ابن عمر
فقال ان رجلا طلق امراته ثلاثا فانطلق اخ له من غير موامرة
فتزوجها ليحلها للاول فقال لا الا نكاح رغبة كنا نعد هذا سفاحا
علي عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم وقوله وتلك حدود الله يبينها
لقوم يعلمون يعني يعلمون ما امرهم به ونهاهم عنه وانما خص العلما
لانهم هم الذين ينتفعون بذلك البيان قوله عز وجل واذا طلقتم
النسا فبلغن اجلهن نزلت في ثابت بن يسار رجل من الانصار طلق
امراته حتي اذا قرب انقضا عدتها راجعها ثم طلقها يقصد بذلك
مضارتها فبلغن اجلهن اي قاربن انقضا عدتهن وشارفن منتهاها
ولم يرد انقضا العدة لانه لو انقضت عدتها لم يكن للزوج امساكها
فالبلوغ هنا بلوغ مقاربة كما يقال بلغ فلان البلد اذا قاربه وشارفه
فهذا من باب المجاز الذي يطلق اسم الكل فيه علي الاكثر وقيل ان الاجل
اسم الزمان فيحمل علي الزمان الذي هو اخر زمان يمكن ايقاع الرجعة فيه
بحيث اذا فات لا يبقي بعده مكنة الرجعة وعلي هذا التاويل فلا حاجة
بنا الي المجاز فامسكوهن اي راجعوهن بمعروف وهو ان يشهد علي رجعتها
وان يراجعها بالقول لا بالوطي او سرحوهن بمعروف اي اتركوهن حتي
تنقضي عدتهن فيملكن انفسهن ولا تمسكوهن ضرارا اي لا تقصدوا
بالرجعة المضارة بتطويل الحبس وقيل كانوا يضارونهن لتفتدي المراة
منه بمالها لتعتدوا اي لتظلموهن بمجاوزتكم في امورهن حدود الله التي
بينها لكم وقيل معناه لا تضاروهن علي قصد الاعتدا عليهن ومن يفعل
ذلك فقد ظلم نفسه اي ضر نفسه بمخالفة امر الله وتعريضها عذاب
الله ولا تتخذوا ايات الله هزوا يعني بذلك ما بين من حلاله وحرامه
وامره ونهيه في وحيه وتنزيله فلا تتخذوا ذلك استهزا ولعبا
فمن وجب عليه طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وحمل الله هذه
الاحكام التي تقدم ذكرها في العدة والرجعة والخلع وترك المضارة

فلا يتخذها



السادس عشر من تفسير الخازن



فلا يتخذ وما هزوا فيه تهديد عظيم ووعيد شديد وقيل هو راجع
الي قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان فكل من خالف امرا من امور
الشرع فهو متخذ ايات الله هزوا وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج
ويقول كنت لاعبا فنهوا عن ذلك عن ابي هريرة ان رسول الله صلي الله عليه
وسلم قال ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة
اخرجه ابو داود والترمذي وقوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم
يعني بالايمان الذي انعم الله به عليكم فهداكم له وسائر نعمه التي انعم
بها عليكم وما انزل عليكم اي واذكروا نعمه فيما انزل عليكم من الكتاب يعني
القران والحكمة يعني السنة التي علمها رسول الله صلي الله عليه وسلم وسنها
لكم وقيل اراد بالحكمة مواعظ القران يعظكم به اي بالكتاب الذي
انزله علي نبيه صلي الله عليه وسلم واتقوا الله يعني خافوا الله فيما
امركم به ونهاكم عنه واعلموا ان الله بكل شي عليم يعني انه تعالى يعلم
ما اخفيتم من طاعته ومعصيته في سر وعلن لا يخفي عليه شي من ذلك
قوله تعالى واذا طلقتم النسا فبلغن اجلهن نزلت في معقل بن يسار
المزني عضل اخته جميلة وكانت تحت ابي البداح عاصم بن عدي فطلقها
م عن معقل بن يسار قال كانت لي اخت تخطب الي وامنعها من الناس فاتي
ابن عم لي فانكحتها اياه فاصطحبا ما شا الله ثم طلقها طلاقا له رجعة
ثم تركها حتي انقضت عدتها فلما خطبت الي اتاني يخطبها مع الخطاب
فقلت له خطبت الي فمنعتها الناس واثرتك بها فزوجتك وطلقتها
طلاقا لك رجعة ثم تركتها حتي انقضت عدتها فلما خطبت الي اتيتني
تخطبها مع الخطاب والله لا انكحتها ابدا ففي نزلت هذه الاية واذا طلقتم
النسا فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن الاية فكفرت
عن يميني وانكحتها اياه اخرجه البخاري وقيل ان جابر بن عبد الله كانت له
ابنة عم فطلقها زوجها تطليقة فلما انقضت عدتها اراد ان يرجعها
فابي جابر وقال طلقت ابنة عمنا ثم تريد ان تنكحها الثانية وكانت المراة

تريد زوجها قد رضيته فنزلت هذه الاية واراد ببلوغ الاجل في قوله
فبلغن اجلهن انقضاء العدة بخلاف الاية التي قبل هذه قال الشافعي
دل اختلاف الكلامين على افتراق البلوغين **فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن**
خطاب للاوليا والمعنى لا تضيقوا عليهن ايها الاوليا فتمنعوهن من
مراجعة ازواجهن بنكاح جديد تبتغون بذلك مضارتهن فهي خطاب
عام لجميع الاوليا وان كان سبب الاية خاصا واصل العضل المنع والتضييق
ومنه قول اوس بن حجر

وليس اخوك الدائم العهد بالذي ۝ يذمك ان ولى ويرضيك مقبلا
ولكنه النائي اذا كنت ناشيا ۝ وصاحبك الادنى اذا الامر اعضلا

يعني اذا ضاق الامر في الاية دليل للشافعي ومن وافقه في ان المراة
لا تلي عقد النكاح ولا تاذن فيه اذ لو كانت تملك ذلك لم يكن عضل ولا
لنهي الولي عن العضل معنى وقوله **اذا تراضوا بينهم بالمعروف** يعني اذا تراضي
الخطاب والنسا والمعروف هنا ما وافق الشرع من عقد حلال ومهر جايز
وقيل هو ان يرضى كل واحد منهما بما التزمه لصاحبه بحق العقد حتى
تحصل الصحبة الحسنة والعشرة الجميلة **ذلك** اي ذلك الذي ذكر من النهي
يوعظ به من كان منكم يومن بالله واليوم الاخر يعني ان المومن هو الذي ينتفع
بالوعظ دون غيره **ذلكم ازكى لكم واطهر** يعني انه خير لكم واطهر لقلوبكم
واطيب عند الله **والله يعلم** يعني ما في ذلك من الزكاة والتطهير **وانتم
لا تعلمون** يعني ذلك قوله عز وجل **والوالدات** يعني المطلقات اللاتي
لهن اولاد من ازواجهن وقيل المراد بهن جميع الوالدات سواء كن مطلقات
او مزوجات ويدل عليه ان اللفظ عام وما قام دليل التخصيص فوجب
تركه على عمومه ولانه ظاهر اللفظ فوجب حمله عليه **يرضعن اولادهن**
هذا خبر بمعنى الامر والتقدير والوالدات يرضعن اولادهن في حكم الله
الذي اوجبه وهذا الامر ليس امر ايجاب وانما هو امر ندب واستحباب
لان تربية الطفل بلبن الام اصلح له من لبن غيرها ولكمال شفقتها عليه

ويدل على انه لا يجب على الوالدة ارضاع الولد قوله فان ارضعن لكم فاتوهن
اجورهن ولو وجب عليها الرضاع لما استحقت الاجرة وقال تعالى فان تعاسرتم
فسترضع له اخرى وهذا نص صريح في ذلك فاذا لم يوجد من يرضع الطفل
او لم يقبل غير لبن امه وجب عليها ارضاعه كما يجب على كل احد مواساة
المضطر وان رغبت الام في ارضاع ولدها فهي اولى به من غيرها **حولين كاملين**
الحول السنة واصله من حال يحول اذا انقلب وانما قال كاملين للتوكيد لانه
مما يتسامح فيه تقول اقمت عند فلان حولا وان لم تستكمله فبين الله انهما
حولان كاملان اربعة وعشرون شهرا وهذا التحديد بالحولين ليس تحديد
ايجاب ويدل على ذلك قوله تعالى **لمن اراد ان يتم الرضاعة** فلما علق
الاتمام بارادتنا علمنا ان هذا الاتمام غير واجب فثبت ان المقصود من
هذا التحديد قطع التنازع بين الزوجين في مقدار زمن الرضاعة فقدر
الله تعالى ذلك الحولين حتى يرجعا اليه عند التنازع قال ابن عباس في رواية
عكرمة اذا وضعت الولد لستة اشهر ارضعته حولين وان وضعته لسبعة
اشهر ارضعته ثلاثة وعشرين شهرا وان وضعته لتسعة اشهر ارضعته
احدى وعشرين شهرا كل ذلك ثلاثين شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله
ثلاثون شهرا وقال في رواية الوالبي عنه هو حد لكل مولود في اي وقت ولد
لا ينقص رضاعه من حولين الا باتفاق من الابوين فايهما اراد فطام الولد
قبل الحولين فليس له ذلك الا اذا اتفقا عليه يدل على ذلك قوله فان ارادا
فصالا عن تراض منهما وقيل فرض الله على الوالدات ارضاع الولد حولين
ثم انزل التخفيف فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة اي هذا منتهى الرضاع
لمن اراد اتمام الرضاع وليس فيما دون ذلك حد محدود انما هو على مقدار
اصلاح الطفل وما يعيش به **وعلى المولود له** يعني الاب وانما عبر عنه
بهذا لان الوالدات انما ولدن للاباء ولذلك ينسب الولد الى الاب دون
الام قال بعضهم ۝ وانما امهات الناس اوعية ۝ مستودعات وللاباء ابناء ۝
وقيل ان هذا تنبيه على ان الولد انما يلحق بالوالد لكونه مولودا

على فراشه فكانه قال اذا ولدت المراة الولد لاجل الرجل وعلى فراشه
وجب عليه رعاية مصالحه رزقهن اي طعامهن وكسوتهن اي لباسهن بالمعروف
اي على قدر الميسرة لا تكلف نفس الا وسعها يعني طاقتها والمعنى ان ابا
الولد لا يكلف في الانفاق عليه وعلى امه الا قدر ما تتسع به قدرته
ولا يبلغ اسراف القدرة لا تضار والدة بولدها يعني لا ينزع الولد
من امه بعد ان رضيت بارضاعه ولا يدفع الى غيرها وقيل معناه
لا تكره الام على ارضاع الولد وقيل للصبي لبن غيرها لان ذلك ليس
بواجب عليها ولا مولود له بولده يعني لا تلقي المراة الولد الى ابيه وقد
الفها تضاره بذلك وقيل معناه لا يلزم الاب ان يعطي ام الولد اكثر
مما يجب عليه لها اذا لم يرضع الولد من غير امه فعلى هذا يرجع الضرر
الى الوالدين فيكون المعنى لا يضار كل واحد صاحبه بسبب الولد وقيل
يحتمل ان يكون الضرر راجعا الى الولد فلا ترضعه حتى يموت فيتضرر بذلك
ولا ينفق عليه الاب او ينزعه من امه فيضره بذلك فعلى هذا تكون الباء
صلة والمعنى لا تضار والدة ولدها ولا اب ولده وعلى الوارث مثل
ذلك يعني وعلى وارث ابي الولد اذا مات مثل ما كان يجب عليه من النفقة
والكسوة فيلزم وارث الاب ان يقوم مقامه في القيام بحق الولد وقيل
المراد بالوارث وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه فعلى هذا الوارث
مثل ما كان على ابي الصبي في حال حياته واختلف في اي وارث هو فقيل
هم عصبة الصبي كالجد والاخ وابنه والعم وابنه وقيل هو كل وارث
له من الرجال والنسا وبه قال احمد فيجبروا على نفقة الصبي كل على قدر
سهمه منه وقيل هو من كان ذا رحم محرم منه وبه قال ابو حنيفة
وقيل المراد بالوارث الصبي نفسه فعلى هذا تكون اجرة رضاع الصبي
في ماله فان لم يكن له مال فعلى الام ولا يجبر على نفقة الصبي غير
الابوين وبه قال مالك والشافعي وقيل معناه على الوارث ترك المضارة
فان ارادا يعني الوالدين فصالا يعني فطام الولد قبل الحولين عن تراض

منهما

منهما اي على اتفاق من الوالدين في ذلك وتشاور اي يشاورون اهل
العلم بذلك حتى يخبروا ان الفطام قبل الحولين لا يضر بالولد والمشاورة
استخراج الراي بما فيه مصلحة فلا جناح عليهما اي فلا حرج ولا اثم
على الوالدين في الفطام قبل الحولين اذا لم يضر بالولد وان اردتم
ان تسترضعوا اولادكم اي لاولادكم مراضع غير امهاتهم اذا ابت
امهاتهم ارضاعهم او تعذر ذلك لعلة بهن من انقطاع لبن وغير
ذلك او اردن التزويج فلا جناح عليكم اذا سلمتم يعني الى المراضع
ما آتيتم يعني لهن من اجرة الرضاع وقيل اذا سلمتم الى امهاتهم من اجرة
الرضاع بقدر ما ارضعن بالمعروف اي بالاحسان والاجمال امروا ان يكونوا
عند تسليم الاجرة مستبشرين الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين
لانفس المراضع بما امكن حتى يؤمن من تفريطهن بقطع معاذيرهن
واتقوا الله اي خافوا الله فيما فرض عليكم من الحقوق وفيما وجب عليكم
لاولادكم واعلموا ان الله بما تعملون بصير يعني لا يخفى عليه خافية من جميع
اعمالكم سرها وعلانيتها فانه سبحانه يراها ويعلمها قوله تعالى والذين
يتوفون يعني يموتون منكم واصل التوفي اخذ الشي وافيا فمن مات فقد
استوفى عمره كاملا ويقال توفي فلان يعني قبض واخذ ويذرون اي
ويتركون ازواجا والمراد بالازواج هنا النسا لان العرب تطلق اسم الزوج
على الرجل والمراة يتربصن اي ينتظرن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا
يعني قدر هذه العدة وانما قال عشرا بلفظ التانيث لان العرب اذا ابهمت
العدد من الليالي والايام غلبوا الليالي حتى ان احدهم ليقول صمت عشرا
من الشهر لكثرة تغليبهم الليالي على الايام فاذا اظهروا الايام قالوا
صمنا عشرة ايام وقيل ان هذه الايام ايام حزن وليس احداد
شبهها بالليالي على سبيل الاستعارة ووجه الحكمة في ان الله
تعالى حد العدة بهذا القدر لان الولد يركض في بطن امه لنصف
مدة الحمل يعني يتحرك وقيل ان الروح تنفخ في الولد في هذه المدة

ايام ويدل على ذلك ما روي عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم
يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا يكتب
رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه الروح اخرجاه في الصحيحين
بزيادة فدل هذا الحديث ان خلق الولد يجتمع في اربعة اشهر ويتكامل
خلقه بنفخ الروح فيه في هذه الايام الزائدة والله تعالى اعلم

فصل في حكم عدة المتوفى عنها زوجها والاحداد وفيه مسائل المسئلة
الاولى عدة المتوفى عنها زوجها اربعة اشهر وعشر وعدة الامة على نصف
عدة الحرة شهران وخمسة ايام وبه قال جمهور العلما وقال ابو بكر الاصم
عدة الامة كعدة الحرة وتمسك بهذه الاية وعدة الحامل بوضع الحمل
سوا فيه الحرة والامة ولو وضعت بعد وفاة زوجها بلحظة حل لها ان تتزوج
ويدل على ذلك ما روي عن سبيعة الاسلمية انها كانت تحت سعد بن خولة
وهو من بني عامر بن لوي وكان ممن شهد بدرا فتوفي عنها في حجة الوداع
وهي حامل فلم تنشب ان وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها
تجملت للخطاب فدخل ابو السنابل بن بعكك رجل من بني عبد الدار فقال
مالي اراك متجملة للخطاب لعلك ترجين النكاح وانك والله ما انت بناكح
حتى تمر عليك اربعة اشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جمعت
علي ثيابي حين امسيت واتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالته
عن ذلك فافتاني باني قد حللت حين وضعت حملي وامرني بالتزويج
ان بدا لي اخرجاه في الصحيحين وفيه قال ابن شهاب ولا ارى باسا
ان تتزوج حين وضعت وان كانت في دمها غير انها لا يقربها حتى تطهر
فعلى هذا فحكم الاية عام في كل من توفي عنها زوجها بان تعتد اربعة
اشهر وعشرا ثم خصص من هذا العموم اولات الاحمال بهذا الحديث
وبقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن المسئلة الثانية
يجب على من توفي عنها زوجها الاحداد وهو ترك الزينة والطيب

ودهن



ودهن الراس بكل دهن والكحل المطيب فان اضطرت الى الكحل فيه زينة
فرخص لها وبه قال مالك وابو حنيفة وقال الشافعي تكتحل بالليل
وتمسحه بالنهار عن ام سلمة قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين توفي ابو سلمة وقد جعلت علي صبرا فقال ما هذا يا ام سلمة فقلت
انما هو صبر يا رسول الله ليس فيه طيب فقال انه يشب الوجه فلا تجعليه
الا بالليل وتنزعيه بالنهار ولا تمتشطي بالطيب ولا بالحنا فانه خضاب
قلت باي شي امتشط يا رسول الله قال بالسدر تغلفين به راسك اخرجه
ابو داود وللنسائي نحوه قوله فانه يشب الوجه اي يوقده ويحسنه
وينوره من شب النار اذا اوقدها قوله تغلفين به راسك اي تلطخي
به راسك والتغلف هو الغمرة على وجه المراة وكذا راسها اذ الطخته
بشي فاكثرت منه ولا يجوز لها لبس الديباج والحرير والحلي والمصبوغ
للزينة كالاحمر والاصفر ويجوز لها ما صبغ لغير الزينة كالاسود
والازرق ويجوز ان تلبس البياض من الثياب والصوف والوبر ق عن زينب
بنت ابي سلمة قالت دخلت على ام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم
حين توفي ابوها ابو سفيان بن حرب فدعت ام حبيبة بطيب فيه صفرة
خلوق او غيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت والله ما لي
بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على
المنبر لا يحل لامراة تومن بالله واليوم الاخر ان تحد على ميت فوق
ثلاث الا على زوج اربعة اشهر وعشرا م عن زينب بنت جحش حين
توفي اخوها فدعت بطيب فمست منه ثم قالت اما والله ما لي بالطيب
من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر
لا يحل لامراة تومن بالله واليوم الاخر ان تحد على ميت فوق ثلاث
الا على زوج اربعة اشهر وعشرا ق عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يحل لامراة تومن بالله واليوم الاخر ان تحد على ميت فوق ثلاث
الا على ازواجها ق عن ام عطية قالت كنا ننهى ان نحد على ميت فوق ثلاث

الا على زوج اربعة اشهر وعشرا ولا تكتحل ولا تختضب ولا تلبس ثوبا مصبوغا الا ثوب عصب وقد رخص لنا عند الطهر اذا اغتسلت احدانا من حيضتها في نبذة من كست اظفار قوله الا ثوب عصب العصب بالعين والصاد المهملتين من البرود التي صبغ غزله قبل النسج قولها نبذة من كست النبذة الشي اليسير والكست لغة في القسط وهو شي معروف يتبخر به عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلبس المتوفى عنها زوجها المعصفر من الثياب ولا الممشقة ولا الحلي ولا تختضب ولا تكتحل اخرجه ابو داود قولها ولا الممشقة الثياب الممشقة هي المصبوغة بالمشق وهي المغرة م عن نافع ان صفية بنت عبيد الله اشتكت عينها وهي حادة على زوجها ابن عمر فلم تكتحل حتى كادت عيناها ترمصان اخرجه مالك في الموطا المسئلة الثالثة اختلفوا في ان هذه المدة سببها الوفاة او العلم بالوفاة فقال بعضهم ما لم تعلم بوفاة زوجها لا تعتد بانقضا الايام في العدة واحتجوا على ذلك بان الله تعالى يتربصن بانفسهن وذلك لا يحصل الا بالقصد الى التربص ولا يحصل ذلك الا مع العلم وقال الجمهور السبب هو الموت فلو انقضت المدة او اكثرها او بعضها ثم بلغها خبر موت الزوج وجب ان تعتد بما انقضى ويدل على ذلك ان الصغيرة التي لا علم لها يكفي في انقضا عدتها انقضا هذه المدة المسئلة الرابعة اجمع العلما على ان هذه الاية ناسخة لما بعدها من الاعتداد بالحول وان كانت هذه الاية متقدمة في التلاوة وسنذكر تمام الكلام عليه بعد في موضعه ان شا الله تعالى والله اعلم وقوله تعالى فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم خطاب للاوليا لانهم الذين يتولون العقد فيما فعلن في انفسهن بالمعروف يعني من التزين والتطيب والنقلة من المسكن الذي كانت معتدة فيه ونكاح من يجوز لها نكاحه وقيل انما عني بذلك النكاح خاصة وقيل معنى قوله بالمعروف هو النكاح الحلال الطيب واحتج اصحاب ابي حنيفة على جواز

ان النكاح

ان النكاح بغير ولي بهذه الاية لان اضافة الفعل الى الفاعل محمول على المباشرة واجاب اصحاب الشافعي ان قوله تعالى فلا جناح عليكم خطاب للاوليا ولو صح العقد بغير ولي لما كان مخاطبا واجيب عن قوله فيما فعلن في انفسهن انما هو التزين والتطيب بعد انقضا العدة لانها تزوج نفسها والله بما تعملون خبير يعني انه تعالى لا يخفى عليه خافية والخبير في صفة الله تعالى هو العالم بكنه الشي وحقيقته من غير شك والخبير في صفة المخلوقين انما يستعمل في نوع من العلم وهو الذي يتوصل اليه بالاجتهاد والفكر والله تعالى منزه عن ذلك كله قوله عز وجل ولا جناح اي لا حرج عليكم فيما عرضتم به اي لوحتم واشرتم به والتعريض ضد التصريح ومعناه ان يضمن كلامه ما يصلح للدلالة على مقصوده ويصلح للدلالة على غير مقصوده ولكن اشعاره بجانب المقصود اتم وارجح وقيل هو الاشارة الى الشي بما يفهم السامع مقصوده من غير تصريح به وقيل التعريض من الكلام ما له ظاهر وباطن من خطبة النسا يعني المعتدات في عدتهن والخطبة بالكسر طلب النكاح والتماسه وقيل ذكر النسا والخطبة بالضم كلام منظوم له اول واخر ومعنى الاية فيما عرضتم به من ذكر النسا عندهن والتعريض بالخطبة في العدة مباح وهو ان يقول انك لجميلة وانك لصالحة ومن غرضي التزوج واني فيك لراغب وعسى الله ان ييسر لي امراة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم من غير تصريح بان يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك ونحو ذلك ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابن عباس في قوله فيما عرضتم به من خطبة النسا هو ان يقول اني اريد التزويج وان النسا لمن حاجتي ولوددت انه تيسر لي امراة صالحة اخرجه البخاري وروي ان سكينة بنت حنظلة تايمت فدخل عليها ابو جعفر محمد بن علي الباقر في عدتها فقال قد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدي وقدمي في الاسلام فقالت سكينة غفر الله لك اتخطبني في عدتي وانت يوخذ عنك فقال انما

اخبرتك بغير ابني من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم على ام سلمة وهي في عدة زوجها فذكر لها منزلته من الله عز وجل وهو
متحامل على يده حتى اثر الحصير في يده من شدة تحامله عليها فما كانت
تلك خطبة **او اكننتم** يعني اضمرتم **في انفسكم** يعني من نكاحهن وقيل هو ان
يدخل ويسلم ويهدي ان شا ولا يتكلم بشي والمقصود انه لا حرج عليكم
في التعريض للمراة في عدة الوفاة ولا فيما يضمر الرجل في نفسه من
الرغبة فيها **علم الله انكم ستذكرونهن** يعني بقلوبكم لان شهوة النفس
والتمني لا يخلو منه احد فلما كان الخاطر كالشي الشاق اسقط عنه الحرج
ولكن لا تواعدوهن سرا اختلفوا في معنى هذا السر المنهي عنه فقيل
هو الزنا كان الرجل يدخل على المراة يعرض بالنكاح ومراده الزنا ويقول لها
دعيني فاذا وفيت عدتك اظهرت نكاحك فنهوا عن ذلك وقيل هو قول
الرجل للمراة لا تفوتيني بنفسك فاني ناكحك وقيل هو ان ياخذ عليها
العهد والميثاق ان لا تتزوج غيره وقيل هو ان لا يخطبها في العدة
وقال الشافعي السر الجماع وهو رواية عن ابن عباس قال الكلبي اي لا تصفوا
انفسكم لهن بكثرة الجماع ويدل على ان لفظ السر كناية عن الجماع قول امرء القيس
الا زعمت بسباسة القوم انني كبرت وان لا يحسن السر امثالي
بسباسة اسم امراة وانما وقع الكناية عن الجماع بالسر لانه مما يسر والله تعالى
حيي كريم فكنى به عن لفظ الجماع الصريح ومعنى الاية لا تواعدوهن مواعدة سرية
ولا تواعدوهن بالشي الموصوف بالسر وقيل في معنى الاية ان الله تعالى اذن
في اول الاية في التعريض بالخطبة ومنع في اخرها عن التصريح بالخطبة **الا ان
تقولوا قولا معروفا** يعني هو ما ذكر من التعريض بالخطبة وقيل هو اعلام ولي
المراة انه راغب في نكاحها **ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب
اجله** اي لا تحققوا العزم على عقدة النكاح في العدة حتى تنقضي وانما سماها
الله كتابا لانها فرضه **واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه** اي فخافوه
واعلموا ان الله غفور حليم لا يعجل بالعقوبة قوله تعالى **لا جناح عليكم ان طلقتم**

النسآ



النسآ ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة اي ولم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة
يعني ولم تعينوا لهن صداقا ولم توجبوه عليكم نزلت في رجل من الانصار تزوج
امراة من بني حنيفة ولم يسم لها صداقا ثم طلقها قبل ان يمسها فنزلت هذه
الاية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم امتعها ولو بقلنسوة فان قلت هل
على من طلق امراته جناح بعد المسيس حتى يوضع عنه الجناح قبل المسيس فما
وجه نفي الحرج والجناح عنه قلت فيه قطع سبب الوصلة وما جاء في الحديث
ان ابغض الحلال الى الله الطلاق فنفى الله الجناح عنه اذا كان الفراق اروح من
الامساك وقيل معناه لا جناح عليكم في تطليقهن قبل المسيس في اي وقت شئتم
حائضا كانت المراة او طاهرا لانه لا سنة في طلاقهن قبل الدخول **ومتعوهن**
اي اعطوهن من مالكم ما يتمتعن به والمتعة والمتاع ما يتبلغ به من الزاد **على الموسع**
اي الغني الذي يكون في سعة من غناه **قدره** اي قدر امكانه **وعلى المقتر** اي الفقير
الذي في ضيق من فقره **قدره** اي قدر امكانه وطاقته **متاعا بالمعروف** يعني
متعوهن تمتيعا بالمعروف يعني من غير ظلم ولا حيف **حقا** اي ذلك التمتع حقا واجبا
لازما **على المحسنين** يعني الى المطلقات بالتمتع وانما خص المحسنين بالذكر لانهم
هم الذين ينتفعون بهذا البيان وقيل معناه من اراد ان يكون محسنا فهذا
شانه وطريقه والمحسن هو المومن والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

فصل في بيان حكم الاية وفيه فروع الفرع الاول اذا تزوج امراة ولم يفرض
لها مهرا ثم طلقها قبل المسيس يجب لها عليه المتعة وبه قال الشافعي وابو
حنيفة واحمد وقال مالك المتعة مستحبة ولو طلقها قبل الدخول وقد فرض لها
مهرا وجب لها عليه نصف المهر المفروض ولا متعة لها الفرع الثاني في المطلقة
بعد الدخول بها فيها قولان قال في القديم لا متعة لها لانها تستحق المهر كاملا
وبه قال ابو حنيفة وهو احدى الروايتين عن احمد وقال في الجديد لها المتعة لقوله
تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف وهو الرواية الاخرى عن احمد قال ابن عمر لكل
مطلقة متعة الا التي فرض لها المهر ولم يدخل بها زوجها فحسبها نصف المهر
الفرع الثالث في قدر المتعة قال ابن عباس اعلاها خادم واوسطها ثلاثة

اثواب درع وخمار وازار واقلها دون ذلك وقاية او مقنعة او شي
من ورق وهو مذهب الشافعي لانه قال اعلاها على الموسع خادم وا وسطها
ثوب واقلها ماله ثمن وحسن ثلاثون درهما وروي ان عبد الرحمن بن عوف طلق
امراته وحممها يعني متعها جارية سودا ومتع الحسن بن علي امراته بعشرة الاف
درهم فقالت متاع قليل من حبيب مفارق وقال ابو حنيفة مبلغها اذا اختلف
الزوجان قدر نصف مهر مثلها لا يجاوز وقال احمد في احدي الروايتين عنه
تتقدر بما تجزي فيه الصلاة وقال في الرواية الاخري تتقدر بتقدير الحاكم
والاية تدل علي ان المتعة تعتبر بحال الزوج في اليسر والعسر وانه مفوض
الي الاجتهاد لانها كالنفقة التي اوجبها الله تعالي للزوجات وبين ان حال
الموسر مخالف لحال المعسر في ذلك الفرع الرابع ومن حكم الاية ان من تزوج
امراة بالغة برضاها علي غير مهر صح النكاح ولها مطالبته بان يفرض لها
صداقا فان دخل بها قبل الفرض فلها عليه مهر مثلها وان طلقها قبل الدخول
والفرض فلها المتعة قوله عز وجل **وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن**
يعني تجامعوهن وهذا في المطلقة بعد التسمية المهر وقبل الدخول حكم الله
لها بنصف المهر ولا عدة عليها وهو قوله **وقد فرضتم لهن فريضة** اي سميتم
لهن مهرا **فنصف ما فرضتم** اي فلهن نصف المهر المسمي ومذهب الشافعي
ان الخلوة من غير مسيس لا توجب الا نصف المهر المسمي لان المسيس اما حقيقة
في المس باليد او جعل كناية عن الجماع وايهما كان فقد وجد الطلاق قبله
وقال ابو حنيفة الخلوة الصحيحة تقرر المهر ومعني الخلوة الصحيحة
ان يخلو بها وليس هناك مانع حسي ولا شرعي فالحسي نحو الرتق والقرن او يكون
معهما ثالث والشرعي نحو الحيض والنفاس وصوم الفرض وصلاة الفرض والاحرام
وسوا كان فرضا او نفلا والاية حجة لمذهب الشافعي قال شريح لم اسمع ذكر الله
في كتابه بابا ولا سترا ان زعم انه لم يمسها فلها نصف الصداق وقال ابن عباس
اذا خلا بها ولم يمسها فله نصف المهر فرع لو مات احد الزوجين بعد التسمية
وقبل المسيس فلها المهر كاملا وعليها العدة ان كان الزوج هو الميت وقوله

الا ان يعفون



الا ان يعفون يعني النسآء المطلقات والمعني الا ان تترك المراة نصيبها من
الصداق فتهبه للزوج فيعود جميع الصداق الي الزوج **او يعفو الذي
بيده عقدة النكاح** فيه قولان احدهما انه الولي وهو قول ابن عباس في رواية
عنه والحسن وعلقمة وطاوس والشعبي والنخعي والزهري والسدي وبه
قال الشافعي في القديم ومالك والقول الثاني انه الزوج وهو علي
وابن عباس في الرواية الاخري وجبير بن مطعم وسعيد بن المسيب وابن جبير
ومجاهد والربيع وقتادة ومقاتل والضحاك ومحمد بن كعب القرظي
وهو قول ابي حنيفة والشافعي في الجديد واحمد وجمهور الفقها فعلي
القول الاول يكون معني الاية الا ان تعفو المراة اذا كانت ثيبا بالغة من
اهل العفو عن نصيبها للزوج او يعفو وليها اذا كانت المراة بكرا صغيرة او غير
جائزة التصرف فيجوز عفو وليها فيترك نصيبها للزوج وانما يجوز عفو الولي
بشروط وهي ان تكون بكرا صغيرة ويكون الولي ابا او جدا لان غيرهما لا يزوج
الصغيرة وعلي القول الثاني ان الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج وصحح
هذا القول الثاني الطبري والواحدي فيكون معني الاية او يعفو الذي
بيده عقدة النكاح يعني الزوج فيعطي المراة الصداق كاملا لان الله تعالي
لما ذكر عفو المراة عن النصف الواجب لها ذكر عفو الزوج عن النصف
الساقط عنه فيحسن للمراة ان تعفو ولا تطالب بشي من الصداق وللرجل
ان يعفو فيوفي لها المهر كاملا وروي ان جبير بن مطعم تزوج امراة ثم
طلقها قبل الدخول بها فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولان المهر
حق المراة فليس لوليها ان يهب من مالها شيا فكذلك المهر لانه مال لها
وان تعفوا اقرب للتقوي هذا خطاب للرجال والنسا جميعا وانما غلب جانب
التذكير لان الذكورة هي الاصل والتانيث فرع عليه والمعني وعفو بعضكم
عن بعض ايها الرجال والنسا اقرب الي حصول التقوي وقيل هو خطاب
للزوج والمعني وليعف الزوج فيترك حقه الذي ساق من المهر اليها قبل
الطلاق فهو اقرب للتقوي **ولا تنسوا الفضل بينكم** يعني ليتفضل

بعضكم على بعض فيعطي الرجل الصداق كاملا او تترك المراة نصيبها من
الصداق حتى يتهما جميعا على الاحسان ومكارم الاخلاق ان الله بما تعملون
يعني من العفو بعضكم لبعض عما وجب له عليه من حق بصير اي لا يخفى
عليه شي من ذلك قوله عز وجل حافظوا اي داوموا وواظبوا على الصلوات
يعني الخمس المكتوبات امر الله عز وجل عباده بالمحافظة على الصلوات
الخمس بجميع شروطها وحدودها واتمام اركانها وفعلها في اوقاتها
المختصة بها والصلاة الوسطى تانيث الاوسط ووسط كل شي خيره واعدله
وقيل الوسطى يعني الفضلى من قولهم للافضل اوسط وانما افردت وعطفت
على الصلوات لانفرادها بالفضل وقيل سميت الوسطى لانها اوسط الصلوات
والله تعالى اعلم **فصل** في ذكر اختلاف العلماء في الصلاة الوسطى وقد
اختلف العلماء من الصحابة فمن بعدهم في الصلاة الوسطى على مذاهب الاول
ان الصلاة الوسطى هي صلاة الفجر وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس ومعاذ وجابر
وعطا وعكرمة ومجاهد والربيع بن انس وبه قال مالك والشافعي ويدل
على ذلك ان مالكا بلغه ان علي بن ابي طالب وابن عباس كانا يقولان الصلاة
الوسطى صلاة الفجر اخرجه مالك في الموطا واخرجه الترمذي عن ابن عباس
وابن عمر تعليقا ولانها بين صلاتي جمع فالظهر والعصر يجمعان وهما صلاتا نهار
والمغرب والعشا يجمعان وهما صلاتا ليل وصلاة الفجر لا تقصر ولا تجمع الى غيرها
ولانها تاتي في وقت مشقة بسبب برد الشتا وطيب النوم في الصيف وفتور
الاعضا وكثرة النعاس وغفلة الناس عنها فخصت بالمحافظة عليها لكونها
معرضة للضياع ولان الله تعالى قال عقيبها وقوموا لله قانتين والقنوت
هو طول القيام وصلاة الفجر مخصوصة بطول القيام ولان الله تعالى خصها
بالذكر في قوله وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا يعني يشهده ملائكة
الليل وملائكة النهار فهي مكتوبة في ديوان حفظة الليل وديوان حفظة
النهار فدل على مزيد فضلها المذهب الثاني انها صلاة الظهر وهو
قول زيد بن ثابت واسامة بن زيد وابي سعيد الخدري ورواية عن عايشة

وبه قال عبيد الله بن شداد وهو رواية عن ابي حنيفة ويدل على ذلك ما روي
عن زيد بن ثابت وعايشة قالا الصلاة الوسطى صلاة الظهر اخرجه مالك
في الموطا عن زيد والترمذي عنهما تعليقا واخرجه ابو داود عن زيد
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر بالهاجرة ولم يكن يصلي
صلاة اشد على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فنزلت حافظوا
على الصلوات والصلاة الوسطى وقال ان قبلها صلاتين وبعدها
صلاتين ولان صلاة الظهر تاتي وسط صلاة النهار وفي شدة الحر ولانها
تاتي بين البردين يعني صلاة الفجر وصلاة العصر المذهب الثالث انها
صلاة العصر وهو قول علي وابن مسعود وابي ايوب وابي هريرة وابن عمر
وابن عباس وابي سعيد الخدري وعايشة وهو قول عبيدة السلماني والحسن
البصري وابراهيم النخعي وقتادة والضحاك والكلبي ومقاتل وبه قال ابو حنيفة
واحمد وداود بن المنذر وقال الترمذي هو قول اكثر الصحابة فمن بعدهم
وقال الماوردي من اصحابنا هذا مذهب الشافعي بصحة الاحاديث فيه
قال وانما نص على انها الصبح لانه لم يبلغه الاحاديث الصحيحة في العصر
ومذهبه اتباع الحديث ويدل على صحة هذا المذهب ما روي عن علي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب وفي رواية يوم الخندق ملا الله
قبورهم وبيوتهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس
وفي رواية شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر وذكر نحوه وزاد في
اخرى ثم صلاها بين المغرب والعشا اخرجاه في الصحيحين م عن ابن مسعود
قال حبس المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة العصر حتى احمرت
الشمس او اصفرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلاة
الوسطى صلاة العصر ملا الله اجوافهم وقبورهم نارا او حشا الله اجوافهم
وقبورهم نارا م عن سمرة بن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الصلاة الوسطى صلاة العصر اخرجه الترمذي وله عن ابن مسعود
مثله وقال في كل واحد منهما حسن صحيح م عن ابي يونس مولى عائشة

قال امرتني عائشة ان اكتب لها مصحفا وقالت اذا بلغت هذه الآية
فآذني حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى قال فلما بلغتها
آذنتها فاملت علي حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة
العصر وقوموا لله قانتين قالت عائشة سمعتها من رسول الله صلى
الله عليه وسلم ويروى عن حفصة نحو ذلك ولان صلاة العصر تاتي
في وقت اشتغال الناس بمعاشهم فكان الامر بالمحافظة عليها اولى
ولانها تاتي بين صلاتي نهار وهي الفجر والظهر وصلاتي ليل وهي المغرب
والعشا وقد خصت بمزيد التاكيد والامر بالمحافظة والتغليظ
لمن ضيعها ويدل على ذلك ما روي عن ابي المليح قال كنا مع بريدة في غزوة
فقال في يوم ذي غيم بكروا بصلاة العصر فان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله اخرجه البخاري قوله بكروا بصلاة
العصر اي قدموها في اول وقتها ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الذي تفوته صلاة العصر فكانما وتر اهله وماله وتر اي نقص وسلب
اهله وماله فبقي فردا بلا اهل ولا مال ومعنى الحديث ليكن حذره من فوت
صلاة العصر كحذره من ذهاب اهله وماله المذهب الرابع انها صلاة
المغرب قاله قبيصة بن ذويب وحجة هذا المذهب ان صلاة المغرب تاتي
بين بياض النهار وسواد الليل ولانها ازيد من ركعتين كما في الصبح واقل
من اربع ولا تقصر في السفر وهي وتر النهار ولان صلاة الظهر سميت الاولى
لان ابتدا جبريل كان بها واذا كانت الظهر اول الصلوات كانت المغرب
هي الوسطى المذهب الخامس انها صلاة العشا ولم ينقل عن احد من
السلف فيها شي وانما ذكرها بعض المتاخرين وحجة هذا المذهب
انها متوسطة بين صلاتين لا تقصران وهما المغرب والصبح ولانها اثقل
صلاة على المنافقين المذهب السادس ان الصلاة الوسطى هي احدى
الصلوات الخمس لا بعينها لان الله امر بالمحافظة على الصلوات الخمس ثم
عطف بالصلاة الوسطى وليس في الآية ذكر بيانها واذا كان كذلك امكن ان يقال

في كل واحدة

في كل واحدة من الصلوات الخمس انها هي الوسطى ابهمها الله على عباده مع
ما خصها بمزيد التوكيد تحريضا لهم في المحافظة على ادا جميع الصلوات على
صفة الكمال والتمام ولهذا السبب اخفى الله ليلة القدر في شهر رمضان
واخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة واخفى اسمه الاعظم في جميع اسمائه
ليحافظوا على ذلك كله وهذا المذهب اختاره جمع من العلما قال محمد
ابن سيرين ان رجلا سال زيد بن ثابت عن الصلاة الوسطى فقال حافظ
على الصلاة كلها تصبها وسئل الربيع بن خثيم عن الصلاة الوسطى فقال
للسائل الوسطى واحدة منهن فحافظ على الكل تكن محافظا على الوسطى ثم قال
ارايت لو علمتها بعينها اكنت محافظا عليها ومضيعا سايرهن فقال السائل
لا فقال الربيع ان كنت حافظت عليهن فقد حافظت على الوسطى والصحيح
من هذه الاقوال قولان قول من قال انها الصبح وقول من قال انها العصر
واصح الاقوال كلها انها العصر للاحاديث الصحيحة الواردة فيها والله تعالى اعلم
وقوله تعالى وقوموا لله قانتين اي طائعين فهو عبارة عن اكمال الطاعة
واتمامها والاحتراز عن ايقاع الخلل في اركانها وسننها وقيل لكل اهل دين
صلاة يقومون فيها عاصين فقوموا انتم لله في صلاتكم طائعين وقيل
القنوت هو الدعا والذكر بدليل امن هو قانت ولما امر بالمحافظة على
الصلوات وجب ان يحمل هذا القنوت على ما فيها من الذكر والدعا فمعنى
الآية وقوموا لله داعين ذاكرين وقيل انما خص القنوت بصلاة الصبح
والوتر لهذا المعنى وقيل القنوت هو السكوت عما لا يجوز التكلم به في
الصلاة ويدل عليه ما روي عن زيد بن ارقم قال كنا نتكلم في الصلاة
يكلم الرجل صاحبه وهو الى جنبه في الصلاة حتى نزلت وقوموا لله
قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام اخرجاه في الصحيحين وقيل
القنوت هو طول القيام في الصلاة ويدل عليه ما روي عن جابر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة طول القنوت اخرجه مسلم
ومن القنوت ايضا طول الركوع والسجود وغض البصر والهدو في الصلاة

وخفض الجناح والخشوع فيها وكان العلماء اذا قام احدهم يصلي يهاب الرحمن
ان يلتفت او يقلب الحصى او يعبث بشيء او يحدث نفسه بشيء من امور الدنيا
الا ناسيا قوله تعالى **فان خفتم فرجالا** اي رجالة **او ركبانا** يعني على
الدواب جمع راكب والمعنى ان لم يمكنكم ان تصلوا قانتين موفين حقوق
الصلاة من اتمام الركوع والسجود والخضوع والخشوع لخوف عدو او غيره
فصلوا مشاة على ارجلكم او ركبانا على دوابكم مستقبلي القبلة وغير
مستقبليها وهذا في حال المقاتلة والمسابقة في وقت الحرب وصلاة
الخوف قسمان احدهما ان يكون في حال القتال وهو المراد بهذه الاية
وقسم في غير حال القتال وهو المذكور في سورة النساء في قوله تعالى واذا
كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة وسياتي الكلام عليها ان شاء الله تعالى في موضعه
فاذا التحم القتال ولم يمكن تركه لاحد فمذهب الشافعي انهم يصلون ركبانا
على الدواب ومشاة على الارجل الى القبلة والى غير القبلة يومون بالركوع
والسجود ويكون السجود اخفض من الركوع ويحترزون عن الصياح
فانه لا حاجة اليه وقال ابو حنيفة لا يصلي الماشي بل يوخر الصلاة
ويقضيها لان النبي صلى الله عليه وسلم اخر الصلاة يوم الخندق فصلى
الظهر والعصر والمغرب بعد ما غربت الشمس فيجب علينا الاقتداء
به واحتج الشافعي لمذهبه بهذه الاية واجيب عن تاخير النبي
صلى الله عليه وسلم الصلاة يوم الخندق بانه لم يكن نزل حكم الخوف
بعد فلما نزلت صلاة الخوف لم يوخر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك
صلاة قط اما الخوف الحاصل لا في القتال بل لسبب اخر كالهارب من العدو
او قصده سبع هائج او غشيه سيل يخاف على نفسه الهلاك لو صلى صلاة
امن فله ان يصلي صلاة شدة الخوف بالايماء في حال العدو ولان قوله تعالى
فان خفتم يطلق تناول الكل فان قلت قوله تعالى فرجالا او ركبانا يدل
على ان المراد منه خوف العدو وحال القتال قلت هو كذلك الا انه لما
ثابت لدفع الضرر وهذا المعنى موجود هنا فوجب ان يكون الحكم كذلك

ههنا



ههنا وروي عن ابن عباس قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم صلى
الله عليه وسلم في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة اخرجه
مسلم وقد عمل بظاهر هذا جماعة من السلف منهم الحسن البصري وعطا
وطاوس ومجاهد وقتادة والضحاك واسحاق بن راهويه قالوا يصلي
في حال شدة الخوف ركعة وقال الشافعي ومالك وجمهور العلما صلاة
الخوف كصلاة الامن في عدد الركعات فان كان الخوف في الحضر وجب عليه
ان يصلي اربع ركعات وان كان في السفر صلى ركعتين ولا يجوز الاقتصار
على ركعة واحدة في حال من الاحوال وتاولوا حديث ابن عباس هذا ان المراد
ركعة مع الامام والركعة الاخرى ياتي بها منفردا كما جاءت الاحاديث الصحيحة
في صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في صلاة الخوف وهذا
التاويل لا بد منه للجمع بين الاحاديث وقوله تعالى **فاذا امنتم** يعني من خوفكم
فاذكروا الله اي فصلوا لله الصلوات الخمس تامة باركانها وسننها **كما علمكم**
ما لم تكونوا تعلمون فيه اشارة الى انعام الله تعالى علينا بالعلم ولولا هدايته
وتعليمه ايانا لم نعلم شيئا ولم نصل الى معرفة شيء فله الحمد على ذلك قوله
عز وجل **والذين يتوفون منكم** يعني يا معشر الرجال **ويذرون ازواجا** يعني
زوجات **وصية لازواجهم** قرئ بالنصب على معنى فليوصوا وصية وبالرفع
على معنى كتب عليكم الوصية **متاعا الى الحول** اي متعوهن متاعا وقيل جعل
الله ذلك لهن متاعا والمتاع نفقة سنة لطعامها وكسوتها وما تحتاج اليه
غير اخراج اي غير مخرجات من بيوتهن نزلت هذه الاية في رجل من اهل الطائف
يقال له حكيم بن الحارث هاجر الى المدينة ومعه ابواه وامراته وله اولاد
فمات فرفع ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية
فاعطى النبي صلى الله عليه وسلم ابويه واولاده ميراثه ولم يعط امراته شيئا
وامرهم ان ينفقوا عليها من تركة زوجها حولا وكان الحكم في ابتدا الاسلام
انه اذا مات الرجل اعتدت زوجته حولا وكان يحرم على الوارث اخراجها
من البيت قبل تمام الحول وكان نفقتها وسكناها واجبة في مال زوجها

تمام السنة وليس لها شي من الميراث ولكنها تكون مخيرة فان شات اعتدت من بيت
زوجها ولها النفقة والسكني وان شات خرجت قبل تمام الحول وليس لها سكني
ولا نفقة وكان يجب علي الرجل ان يوصي بذلك فدلت هذه الاية علي مجموع امرين
احدهما ان لها النفقة والسكني من مال زوجها سنة والثاني ان عليها عدة سنة
ثم ان الله تعالى نسخ هذين الحكمين اما الوصية بالنفقة والسكني فنسخ باية الميراث
فجعل لها الربع او الثمن عوضا عن النفقة والسكني ونسخ عدة الحول باربعة
اشهر وعشرا فان قلت كيف نسخت الاية المتقدمة المتاخرة قلت قد تكون الاية
المتقدمة متقدمة في التلاوة متاخرة في التنزيل كقوله تعالى سيقول السفها
من الناس مع قوله تعالى قد نري تقلب وجهك في السما وقوله تعالى **فان خرجن**
فلا جناح عليكم يا معشر اوليا الميت فيما فعلن **في انفسهن من معروف** يعني التزين
للنكاح ورفع الحرج عن الورثة وجهان احدهما انه لا جناح عليكم في قطع النفقة
عنهن اذا خرجن قبل انقضا الحول والوجه الثاني لا جناح عليكم في ترك منعهن
من الخروج لان مقامها في بيت زوجها حولا غير واجب عليها خيرها الله تعالى
بين ان تقيم في بيت زوجها حولا ولها النفقة والسكني وبين ان تخرج ولا
نفقة لها ولا سكني ثم نسخ الله تعالى ذلك باربعة اشهر وعشرا **والله عزيز** اي
غالب قوي في انتقامه ممن خالف امره ونهيه وتعدي حدوده **حكيم** يعني فيما
شرعه من الشرايع وبين من الاحكام قوله تعالى **وللمطلقات متاع بالمعروف**
انما اعاد الله تعالى ذكر المتعة هنا لزيادة معني وهو ان في غير هذه الاية بيان
حكم غير الممسوسة وفي هذه الاية بيان حكم جميع المطلقات في المتعة
وقيل لانه لما نزل قوله ومتعوهن علي الموسع قدره الي قوله حقا علي المحسنين
فقال رجل من المسلمين ان فعلت احسنت وان لم ارد لم افعل فانزل الله تعالى
وللمطلقات متاع بالمعروف فجعل المتعة لهن بلام التمليك وقال تعالى **حقا**
علي المتقين يعني المومنين الذين يتقون الشرك وقد تقدم احكام المتعة
وقوله **كذلك يبين الله لكم اياته** يعني يبين لكم ما يلزمكم ويلزم ازواجكم
ايها المومنون وعرفتكم احكامي والحق الذي يجب لبعضكم علي بعض في هذه

الايات



الايات كذلك ابين لكم ساير احكامي في اياتي التي انزلتها علي محمد صلي الله عليه
وسلم في هذا الكتاب **لعلكم تعقلون** اي لكي تعقلوا ما بينت لكم من الفرايض
والاحكام وفيه صلاحكم وصلاح دينكم قوله عز وجل **الم تر الي الذين**
خرجوا من ديارهم قال اكثر المفسرين كانت قرية يقال لها داوردان وقع بها
الطاعون فخرجت طايفة منها وبقيت طايفة فسلم الذين خرجوا وهلك اكثر
من بقي بالقرية فلما ارتفع الطاعون رجع الذين خرجوا سالمين فقال الذين
بقوا كان اصحابنا احزم منا رايا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا كما بقوا ولين
وقع الطاعون ثانية لنخرجن الي ارض لا وبا فيها فرجع الطاعون من قابل
فهرب عامة اهلها فخرجوا حتي نزلوا واديا افيح فلما نزلوا المكان الذي
يبتغون فيه النجاة ناداهم ملك من اسفل الوادي وملك اخر من اعلاه ان
موتوا فماتوا جميعا **ق** ان عمر خرج الي الشام فلما جا سرغ بلغه ان الوبا
قد وقع بها فاخبره عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلي الله عليه وسلم
قال اذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض وانتم بها
فلا تخرجوا فرارا منه فحمد الله عمر ثم انصرف وقيل انما فروا من الجهاد
وذلك ان ملكا من ملوك بني اسرايل امرهم ان يخرجوا الي قتال عدوهم
فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا لملكهم ان الارض التي
ناتيها بها وبا فلا نخرج حتي ينقطع منها الوبا فارسل الله عليهم الموت
فخرجوا فرارا منه فلما راي الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب واله
موسي قد تري معصية عبادك فارهم اية في انفسهم حتي يعلموا انهم
لا يستطيعون الفرار منك فلما خرجوا قال الله لهم موتوا عقوبة لهم
فماتوا وماتت دوابهم كموت رجل واحد فاتي عليهم ثمانية ايام حتي
انتفخوا وراحت اجسادهم فخرج الناس اليهم فعجزوا عن دفنهم فحظروا
حظيرة دون السباع فذلك قوله تعالى الم تر يعني الم تعلم باخبار علامي
اياك وهو من روية القلب قال اهل المعاني هو تعجب له يقول هل رايت
مثل هولا كما تقول الم تر الي صنيع فلان وكل ما في القران من قوله الم تر

ولم يجابه النبي صلى الله عليه وسلم فهذا معناه الى الذين خرجوا من ديارهم
وهم الوف قيل هو من العدد واختلفوا في مبلغ عددهم فقيل ثلاثة
الاف وقيل عشرة الاف وقيل بضع وثلاثون الفا وقيل اربعون الفا وقيل
سبعون الفا واصح الاقاويل قول من قال انهم كانوا زيادة على عشرة الاف
لان الله تعالى قال وهم الوف والالوف جمع الكثير وجمع القليل الاف
وقيل معنى وهم الوف مؤتلفون جمع الف والاول اصح قالوا فمر عليهم
مدة فبليت اجسادهم وعريت عظامهم فمر عليهم حزقيل بن بوذي وهو
ثالث خلفاء بني اسرائيل بعد موسى وذلك ان القيم بامر بني اسرائيل
بعد موسى كان يوشع بن نون ثم بعده كالب بن يوقنا ثم قام بعده
حزقيل وكان يقال له ابن العجوز لان امه كانت عجوزا فسالت الله
تعالى الولد بعد ما كبرت وعقمت فوهبه الله لها حزقيل ويقال له ذو الكفل
سمي به لانه تكفل سبعين نبيا وانجاهم من القتل فلما مر حزقيل على
اولئك الموتى وقف عليهم وجعل يتفكر فيهم فاوحى الله تعالى اليه اتريد
ان اريك اية قال نعم يا رب فاحياهم الله تعالى وقيل دعا ربه حزقيل
ان يحييهم فاحياهم الله تعالى وقيل انهم كانوا قومه احياهم الله بعد ثمانية
ايام وذلك انه لما اصابهم ذلك خرج في طلبهم فوجدهم موتى فبكى
وقال يا رب كنت في قوم يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيدا لا قوم
لي فاوحى الله اليه اني قد جعلت حياتهم اليك فقال حزقيل احيوا باذن
الله تعالى فعاشوا وقيل انهم قالوا حين احيوا سبحانك ربنا وبحمدك
لا اله الا انت ثم رجعوا الى قومهم وعاشوا دهرا طويلا وسحنة الموت
على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد دسما مثل الكفن حتى ماتوا لاجالهم
التي كتبت لهم قال ابن عباس وانها لتوجد اليوم تلك الريح في ذلك
السبط من اليهود قال قتادة مقتهم الله على فرارهم من الموت فاماتهم
عقوبة لهم ثم بعثهم ليستوفوا بقية اجالهم ولو جاءت اجالهم ما بعثوا
فان قلت كيف اميت هولاء مرتين في الدنيا وقد قال الله تعالى لا يذوقون

فيها الموت

فيها الموت الا الموتة الاولى قلت ان موتهم كان عقوبة لهم كما قال قتادة وقيل
ان موتهم واحياهم كان معجزة من معجزات ذلك النبي ومعجزات الانبيا خوارق
للعادات ونوادر فلا يقاس عليها فيكون تقدير قوله الا الموتة
الاولى عام مخصوص بمعجزات الانبيا فيكون تقدير قوله الا الموتة الاولى التي
ليست من معجزات الانبيا ولا من خوارق العادات وفي هذه الاية احتجاج
على اليهود ومعجزة عظيمة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث اخبرهم
بامر لم يشاهدوه وهم يعلمون صحة ذلك وفيه احتجاج على منكري
البعث ايضا اذ قد اخبر الله تعالى وهو الصادق في خبره انه اماتهم ثم احياهم
في الدنيا فهو تعالى قادر على ان يحييهم يوم القيمة وقوله تعالى حذر الموت
اي مخافة الطاعون وكان قد نزل بهم وقيل انهم ماتوا وامروا بالجهاد
ففروا حذر الموت فقال لهم الله موتوا ويحتمل ان يكون امر تحويل فهو
كقوله كونوا قردة خاسئين ثم احياهم بعد موتهم ان الله لذو فضل على
الناس يعني انه تعالى تفضل على اولئك الذين اماتهم باحيائهم لانهم ماتوا
على معصية فتفضل عليهم باعادتهم الى الدنيا ليتوبوا وقيل هو على العموم
فهو تعالى متفضل على كافة الخلق في الدنيا ويختص المومنين بفضله يوم
القيامة ولكن اكثر الناس لا يشكرون يعني ان اكثر من انعم عليه لا يشكره
اما الكافر فانه لم يشكر اصلا واما المومنون فلم يبلغوا غاية شكره قوله تعالى
وقاتلوا في سبيل الله قيل هو خطاب للذين احيوا احياهم الله ثم امرهم
بالجهاد فعلى هذا القول فيه اضمار تقديره وقيل لهم قاتلوا في سبيل الله
وقيل هو خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم ومعناه لا تهربوا من الموت
كما هرب هولاء فلم ينفعهم ذلك ففيه تحريض للمومنين على الجهاد
واعلموا ان الله سميع يعني لما يقوله المتعلل للقتال عليم بما يضمره قوله
عز وجل من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا القرض اسم لكل ما يعطيه
الانسان ليجازى عليه فسمى الله تعالى عمل المومنين قرضا على رجاء ما وعدهم به
من الثواب لانهم يعملون لطلب الثواب وقيل القرض ما اسلفه من عمل صالح

أو نسيء قال أمية بن أبي الصلت ::
كل امرئ سوف يجزى قرضه حسنا :: أو سيئا أو مدينا كالذي دانا ::
وأصل القرض في اللغة القطع سمي به لأن المقرض يقطع من ماله شيئا
فيعطيه ليرجع إليه مثله ومعنى الآية من ذا الذي يقدم لنفسه إلى الله
ما يرجو ثوابه عنده وهو تلطف من الله تعالى في استدعاء عباده إلى أعمال
البر والطاعة وقيل في الآية اختصار تقديره من ذا الذي يقرض عباد الله
والمحتاجين من خلقه فهو كقوله إن الذين يؤذون الله أي يؤذون عباد الله
وكما جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال
يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين قال استطعمك عبدي فلان فلم
تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي الحديث واختلفوا
في المراد بهذا القرض فقيل هو الإنفاق في سبيل الله وقيل هو الصدقة
الواجبة وقيل هو صدقة التطوع لأن الله تعالى سماه قرضا والقرض لا يكون
إلا تبرعا ولما روى الطبري بسنده عن ابن مسعود قال لما نزلت من ذا الذي يقرض
الله قرضا حسنا قال أبو الدحداح وإن الله يريد منا القرض قال النبي صلى الله عليه وسلم
نعم يا أبا الدحداح قال فناولني يدك قال فناوله يده قال فإني قد أقرضت ربي
حائطي حائطا فيه ستمائة نخلة ثم جاء يمشي حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيه
في عيالها فناداها يا أم الدحداح قالت لبيك قال اخرجي من الحائط فإني قد
أقرضته ربي زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم من عذق رداح لأبي الدحداح
وقيل في معنى يقرض الله ينفق في طاعته فيدخل فيه الواجب والتطوع وهو الأقرب
حسنا يعني محتسبا طيبة بها نفسه وقيل هو الإنفاق من المال الحلال في وجوه البر
وقيل هو أن لا يمن بالقرض ولا يؤذي وقيل هو الخالص لله تعالى ولا يكون فيه رياء ولا سمعة
فيضاعفه له يعني ثواب ما أنفق أضعافا كثيرة قيل هو يضاعفه إلى سبعمائة
ضعف وقال السدي هذا التضعيف لا يعلمه إلا الله وهذا هو الأصح وإنما أبهم
الله ذلك لأن ذكر المبهم في باب الترغيب أقوى من ذكر المحدود والله يقبض ويبسط

قيل يقبض

قيل يقبض بإمساك الرزق والتقتير على من يشاء ويبسط يعني يوسع على من
يشاء وقيل يقبض بقبول الصدقة ويبسط بالخلف والثواب وقيل إنه تعالى
لما أمرهم بالصدقة وحثهم على الإنفاق أخبر أنه لا يمكنهم ذلك إلا بتوفيقه
وإرادته وإعانته والمعنى والله يقبض بعض القلوب حتى لا يقدر على الإنفاق
في الطاعة وعمل الخير ويبسط بعض القلوب حتى يقدر على فعل الطاعات
والإنفاق في البر كما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن
كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف
القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك أخرجه مسلم وهذا الحديث من أحاديث
الصفات التي يجب الإيمان بها والسكوت عنها وإمرارها كما جاءت من غير تكييف
ولا تشبيه ولا إثبات جارحة هذا مذهب أهل السنة وسلف هذه الأمة
وإليه ترجعون يعني في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم قوله عز وجل ألم تر إلى الملإ
من بني إسرائيل الملأ أشراف القوم ووجوههم وأصله الجماعة من الناس
لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط من بعد موسى أي من بعد موت موسى
ومن زمنه إذ قالوا يعني أولئك الملأ لنبي لهم اختلفوا في ذلك النبي فقيل
هو يوشع بن نون بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب وقيل هو شمعون بن صفية
ابن علقمة من ولد لاوي بن يعقوب وإنما سمي شمعون لأن أمه دعت الله أن
يرزقها غلاما فاستجاب الله لها فولدت غلاما فسمته شمعون ومعناه سمع الله
دعائي وتبدل السين بالعبرانية شينا وقال أكثر المفسرين هو اشمويل بن بال
وقيل ابن علقما قيل إنه من ولد هارون ومعرفة حقيقة ذلك النبي بعينه
ليست مرادة من القصة إنما المراد منها الترغيب في الجهاد وذلك حاصل
والله أعلم ذكر الإشارة إلى القصة كان سبب مسألة أولئك الملإ لذلك
النبي لهم لما مات موسى عليه السلام وخلف من بعده في بني إسرائيل يوشع
بن نون يقيم فيهم أمر الله ويحكم بالتوراة حتى قبضه الله ثم خلف من بعده
كالب بن يوقنا كذلك ثم حزقيل كذلك حتى قبضه الله فعظمت الأحداث

بعده في بني اسرآئيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الاصنام فبعث الله اليهم
الياس نبيا فدعاهم الي الله تعالى وكانت الانبيا من بني اسرآئيل من بعد موسي يبعثوا
اليهم ليجددوا ما نسوا من التوراة ويامروهم بالعمل باحكامها ثم خلف من
بعد الياس اليسع فكان فيهم ما شا الله ثم قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده
خلوف وعظمت فيهم الخطايا وظهر لهم عدو يقال لهم البلسانا وهم قوم
جالوت وكانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة
فظهروا على بني اسرآئيل وغلبوا على كثير من ارضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم
واسروا من ابنا ملوكهم اربعماية واربعين غلاما فضربوا عليهم الجزية واخذوا
توراتهم ولقي بنوا اسرائيل منهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر امرهم
وكان سبط النبوة قد هلكوا كلهم الا امراة حبلى فحبسوها في بيت رهبة
ان تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها
وجعلت المراة تدعو الله ان يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته اشمويل
ومعناه بالعربية اسماعيل تقول سمع الله دعاي فلما كبر الغلام اسلمته
لتعليم التوراة في بيت المقدس وكفله شيخ من علمايهم وتبناه فلما بلغ
الغلام اتاه جبريل عليه السلام وهو نائم الى جانب الشيخ وكان الشيخ
لا يامن عليه احدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ يا اشمويل فقام الغلام
فزعا الى الشيخ وقال ابتاه رايتك تدعوني فكره الشيخ ان يقول لا فيفزع
الغلام فقال يا بني ارجع فنم فنام ثم دعاه الثانية فقال الغلام دعوتني
فقال نم فان دعوتك فلا تجبني فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل
عليه السلام وقال اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله
قد بعثك فيهم نبيا فلما اتاهم كذبوه وقالوا له استعجلت بالنبوة ولم
تنالك وقالوا له ان كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله
اية على نبوتك وانما كان قوام امر بني اسرآئيل بالاجتماع على الملوك
وطاعة الملوك انبيآءهم وكان الملك هو الذي يسير بالجنود والنبي
هو الذي يقيم له امره ويشير عليه ويرشده ويايته بالخبر من ربه

قال وهب



قال وهب فبعث الله اشمويل نبيا فلبثوا اربعين سنة باحسن حال
ثم كان من امر جالوت والعمالقة ما كان فذلك قوله تعالى اذ قالوا
لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله جزم على جواب الامر فلما
قالوا له ذلك قال يعني قال النبي هل عسيتم ان كتب عليكم القتال يعني
مع ذلك الملك ان لا تقاتلوا يعني لا تفوا بما قلتم وتجبنوا عن القتال
معه قالوا وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله فان قلت ما وجه دخول ان
والعرب لا تقول ما لك ان لا تفعل كذا ولكن تقول ما لك لا تفعل كذا
قلت دخول ان وحذفها لغتان صحيحتان فالاثبات كقوله ما لك
ان لا تكون مع الساجدين والحذف كقوله ما لكم لا تومنون وقيل معناه
وما لنا في ان لا نقاتل بحذف حرف الجر وقيل ان ههنا زايدة ومعناه
وما لنا لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنآينا اي اخرج من
غلب عليهم من ديارهم فظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوص لان الذين
قالوا لنبيهم ابعث لنا ملكا كانوا في ديارهم وابنآيهم وانما اخرج من
اسر منهم ومعني الاية انهم قالوا لنبيهم انا انما تركنا الجهاد لانا كنا
ممنوعين في بلادنا لا يظهر علينا عدونا فاما اذا بلغ ذلك منا فنطيع
ربنا في جهاد عدونا ونمنع نسانا واولادنا قال الله تعالى فلما كتب
عليهم القتال في الكلام حذف وتقديره فسال الله ذلك النبي فبعث لهم
ملكا وكتب عليهم القتال فلما كتب عليهم القتال تولوا اي اعرضوا عن
الجهاد وضيعوا امر الله الا قليلا منهم يعني لم يتولوا عن الجهاد وهم الذين
عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على الغرفة على ما سياتي في قصتهم ان شا الله
تعالى والله عليم بالظالمين هو عالم بمن ظلم نفسه حين خالف امر ربه ولم يف
بما قال من ربه تعالى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا
وذلك ان اشمويل سال الله عز وجل ان يبعث لهم ملكا فاتي بعصي وقرن
فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذي يكون ملكا يكون طوله
طول هذه العصي وانظر الي القرن الذي فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل

فنشّ الدهن في القرن فهو ملك بني اسرائيل فادهن راسه بالدهن وملّكه
عليهم واسم طالوت ساول بن قيس من سبط بنيامين بن يعقوب وانما سمّي
طالوت لطوله وكان اطول من جميع الناس براسه ومنكبيه وكان طالوت
رجلا دباغا يدبغ الاديم قاله وهب وقيل كان سقا يستقي الما على حمار
فضل حماره فخرج يطلبه وقال وهب ضلت حمر لابي طالوت فارسله ابوه ومعه
غلام في طلبها فمرّ على بيت اشمويل النبي فقال الغلام لطالوت لو دخلنا
على هذا النبي فسالناه عن امر الحمر ليرشدنا ويدعو لنا فدخلا عليه فبينما
هما عنده يذكران له حاجتهما اذ نشّ الدهن في القرن فقام اشمويل فقاس
طالوت بالعصا فكانت على طوله فقال لطالوت قرّب راسك فقربه اليه
فدهنه بدهن القدس وقال له انت ملك بني اسرائيل الذي امرني الله
تعالى ان املكك عليهم فقال طالوت اوما علمت ان سبطي ادنى سبط بني
اسرائيل قال بلى قال فباي اية قال باية انك ترجع وقد وجد ابوك حمره
فكان كذلك ثم قال لبني اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وقيل
انه جلس عنده وقال الناس ملك طالوت فاتت عظما بني اسرائيل
الى نبيهم اشمويل وقالوا له ما شان طالوت يملك علينا وليس
هو من بيت النبوة ولا المملكة وقد عرفت ان النبوة في سبط لاوي
ابن يعقوب والمملكة في سبط يهوذا ابن يعقوب فقال اشمويل
ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا اي من
اين ان يكون له الملك علينا وكيف يستحقه ونحن احق بالملك منه
انما قالوا ذلك لانه كان في بني اسرائيل سبطان سبط نبوة
وسبط مملكة فسبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب ومنه كان موسى
وهارون عليهما السلام وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه
كان داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من احدهما
وانما كان من بنيامين بن يعقوب فلهذا السبب انكروا كونه ملكا
لهم وزعموا انهم احق بالملك منه ثم اكدوا ذلك بقولهم ولم يؤت سعة

من المال

من المال يعني انه فقير والملك يحتاج الى المال قال يعني اشمويل النبي
ان الله اصطفاه عليكم اي اختاره عليكم وخصه بالملك وفي
هذه الاية دليل على بطلان قول من زعم من الشيعة ان الامامة
موروثة وذلك لان بني اسرائيل انكروا ان يكون ملكهم من لا يكون
من بيت المملكة فرد الله عليهم واعلمهم ان هذا الشرط فاسد
والمستحق بالملك من خصه الله به وزاده بسطة اي فضيلة
وسعة في العلم وذلك انه كان من اعلم بني اسرائيل وقيل انه اوحي اليه
حين اوتي الملك وقيل هو العلم في الحرب والجسم يعني بالطول وذلك
لانه كان اطول من الناس براسه ومنكبيه وقيل بالجمال وكان
طالوت من اجمل بني اسرائيل وقيل المراد به القوة لان العلم
بالحروب والقوة على الاعدا بما فيه حفظ الملوك والله يؤتي ملكه
من يشا يعني انه تعالى لا اعتراض عليه لاحد في فعله فيخص بملكه من
يشا من عباده والله واسع يعني انه تعالى واسع الفضل والرزق
والرحمة وسعت رحمته كل شي ووسع فضله ورزقه كل خلقه
والمعنى انكم طعنتم في طالوت بكونه فقيرا والله واسع الفضل
والرزق فاذا فوض الملك اليه فتح عليه ابواب الرزق والمال من فضله
وسعته وقيل الواسع ذو السعة وهو الذي يعطي عن غنى عليم يعني انه
تعالى مع قدرته على اغنا الفقير عالم بما يحتاج اليه في تدبير نفسه
وملكه والعليم هو العالم بما يكون وبما كان قوله عز وجل وقال لهم
نبيهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت وذلك انهم سالوا اشمويل
النبي فقالوا ما اية ملكه فقال ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت وكانت
قصة التابوت على ما ذكره علما السير والاخبار ان الله تعالى انزل
على ادم عليه السلام تابوتا فيه صورة الانبيا عليهم وكان تابوت
من خشب الشمشار طوله ثلاثة اذرع في عرض ذراعين فكان عند
ادم ثم صار الى شيث ثم توارثه اولاد ادم الى ان بلغ الى ابراهيم

عليه السلام ثم كان عند اسماعيل لانه كان اكبر اولاده ثم صار الى يعقوب
ثم كان في بني اسرائيل الى ان وصل الى موسى عليه السلام فكان يضع
فيه التوراة ومتاعا من متاعه فكان عنده الى ان مات ثم تداوله
انبيا بني اسرائيل الى وقت اشمويل وكان في التابوت ما ذكر الله وهو قوله
تعالى فيه سكينة من ربكم واختلفوا في تلك السكينة ما هي فقال علي بن ابي طالب
هي ريح خجوج هفافة لها راسان ووجه كوجه الانسان وقال مجاهد هي شي
يشبه الهرة لها راس كراس الهرة وذنب كذنب الهرة ولها جناحان من
زمرد وزبرجد وكانوا اذا سمعوا صوته تيقنوا النصر فكانوا اذا اخرجوا
وضعوا التابوت قدامهم فاذا سار ساروا واذا وقف وقفوا وقال ابن عباس
هي طست من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الانبيا وقال وهب
هي روح من الله تعالى تتكلم اذا اختلفوا في شي فتخبرهم ببيان ما يريدون
وقال عطا بن ابي رباح هي ما يعرفون من الايات التي يسكنون اليها وقال
قتادة والكلبي هي فعيلة من السكون اي طمانينة من ربكم في اي مكان كان
التابوت اطمانوا وسكنوا اليه وهذا القول اولى بالصحة فعلى هذا كل
شي كانوا يسكنون اليه فهو سكينة ولم يرد فيه نص صريح فلا يجوز تصويب
قول وتضعيف اخر وقوله تعالى وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون
تحمله الملائكة يعني موسى وهارون انفسهما بدليل قوله صلى الله عليه وسلم
لابي موسى الاشعري لقد اوتيت مزمارا من مزامير آل داود فالمراد به داود
نفسه واختلفوا في تلك البقية التي ترك آل موسى وآل هارون فقيل
هي رضاض من الالواح وعصى موسى قاله ابن عباس وقيل عصى موسى وعصى
هارون وشي من الواح التوراة وكانت العلم والتوراة وقيل كان فيه عصى
موسى ونعلاه وعصى هارون وعمامته وقفيز من المن الذي كان ينزل
على بني اسرائيل فكان التابوت عند بني اسرائيل يتوارثونه قرنا بعد
قرن وكانوا اذا اختلفوا في شي تحاكموا اليه فيتكلم ويحكم بينهم وكانوا اذا
حضروا القتال قدموه بين ايديهم يستفتحون به على عدوهم فينتصرون فلما

عصوا

عصوا وافسدوا سلط الله عز وجل عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت
واخذوه منهم وكان السبب في ذلك انه كان لعيلي وهو الشيخ
الذي ربا اشمويل ابنان شابان وكان عيلي حبر بني اسرائيل وصاحب
قربانهم في زمنه فاحدث ابناه في القربان شيا لم يكن فيه وذلك انه كان
مسوط القربان الذي يسوطونه به كلابين فما اخرجاه كان للكاهن الذي
يسوطه فجعل ابناه كلاليب وكان النسا يصلين في بيت المقدس
فيتشبثان بهن فاوحى الله الى اشمويل ان انطلق الى عيلي وقل له منعك
حب الولد من ان تزجر ابنيك عن ان يحدثا في قرباني وقدسي شيا وان يعصياني
فلانزعن الكهانة منك ومن ولدك ولاهلكنك واياهما فاخبره اشمويل
بذلك ففزع وسار اليهم عدو من حولهم فامر عيلي ابنيه ان يخرجا
بالناس فيقاتلا ذلك العدو فخرجا واخرجا معهما التابوت فلما تهيئوا
للقتال جعل عيلي يتوقع الخبر فجاه رجل فاخبره ان الناس قد انهزموا وقد قتل
ابناه قال فما فعل التابوت قال اخذه العدو وكان عيلي قاعدا على كرسيه
فشهق ووقع على قفاه فمات فمرج امر بني اسرائيل وتفرقوا الى ان بعث الله
طالوت ملكا فسالوا اشمويل البينة على صحة ملك طالوت فقال لهم نبيهم
يعني اشمويل ان اية ملكه يعني علامة ملكه التي تدل على صحته ان ياتيكم التابوت
وكانت قصة رجوع التابوت على ما ذكر اصحاب الاخبار ان الذين اخذوا
التابوت من بني اسرائيل اتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها ازدود
فجعلوه في بيت اصنام لهم ووضعوه تحت الصنم الاعظم فاصبحوا من الغد
والصنم تحته فاخذوه ووضعوه فوقه وسمروا قدمي الصنم على
التابوت فاصبحوا وقد قطعت يدا الصنم ورجلاه واصبح الصنم ملقى
تحت التابوت واصبحت اصنامهم منكسة فاخرجوا التابوت من بيت
اصنامهم ووضعوه في ناحية من مدينتهم فاخذ اهل تلك الناحية وجع
في اعناقهم حتى هلك اكثرهم فقال بعضهم لبعض اليس قد علمتم ان اله بني
اسرائيل لا يقوم له شي فاخرجوه الى قرية اخرى فبعث الله على اهل تلك الناحية



فان كانت الفارة تبتلع الرجل فيصبح ميتا قد اكلت ما في جوفه فاخرجوه
الي الصحرا ودفنوه في مخراة لهم فكان كل من تبرز هناك اخذه الباسور والقولنج
فتحيروا منه فقالت لهم امراة من بني اسرايل كانت عندهم وهي من بنات
الانبيا لا تزالون ترون ما تكرهون ما دام هذا التابوت فيكم فاخرجوه
عنكم فاتوا بعجلة باشارة تلك المراة وحملوا عليها التابوت ثم علقوها
علي ثورين وضربوا جنوبهما فاقبل الثوران يسيران ووكل الله بالثورين
اربعة املاك يسوقانهما فاقبلا حتي وقفا علي ارض بني اسرايل فكسرا
نيربهما وقطعا حبالهما ووضع التابوت في ارض فيها حصاد لبني اسرايل
ورجعا الي ارضهما فلم يرع بني اسرايل الا والتابوت عندهم فكبروا وحمدوا
الله تعا وقال ابن عباس جات الملايكة بالتابوت تحمله بين السما والارض
وهم ينظرون اليه حتي وضعته في دار طالوت عنده وقال الحسن كان
التابوت مع الملايكة في السما فلما ولي طالوت الملك حملته الملايكة ووضعته
بينهم وقال قتادة بل كان التابوت في التيه خلفه موسي عند يوشع بن
نون فبقي هنا فاقبلت الملايكة تحمله حتي وضعته في دار طالوت فاصبح
في داره فاقروا بملكه ان في ذلك لاية لكم يعني قال لهم نبيهم اشمويل ان مجي
التابوت تحمله الملايكة لاية لكم يعني علامة ودلالة علي صدقي فيما
اخبرتكم به ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا ان كنتم مومنين يعني مصدقين
بذلك قال المفسرون فلما جاهم التابوت واقروا بالملك لطالوت
تاهبوا للخروج الي الجهاد فاسرعوا في طاعته وخرجوا معه فذلك قوله تعا
فلما فصل طالوت بالجنود اي خرج واصل الفصل القطع يعني قطع
مستقره شاخصا الي غزوه فخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم سبعون
الف مقاتل وقيل ثمانون الفا وقيل مائة وعشرون الفا ولم يتخلف عنه
الا كبير لكبره او مريض لمرضه او معذور لعذره وذلك انهم لما راوا التابوت
لم يشكوا في النصر فسارعوا الي الخروج في الجهاد وكان مسيرهم في حر شديد
فشكوا الي طالوت قلة الما بينهم وبين عدوهم وقالوا ان المياه لا تحملنا

فادع

فادع الله ان يجري لنا نهرا قال طالوت ان الله مبتليكم بنهر اي مختبركم به
ليتبين طاعتكم وهو اعلم بذلك قال ابن عباس هو نهر فلسطين وقيل
هو نهر عذب بين الاردن وفلسطين فمن شرب منه فليس مني اي فليس من
اهل ديني وطاعتي ومن لم يطعمه اي لم يذقه يعني الما فانه مني يعني من اهل
طاعتي الا من اغترف غرفة بيده قري بفتح الغين وضمها فقيل
الغرفة بالضم الذي يحصل في الكف من الما والغرفة بالفتح
الاغتراف فالضم اسم والفتح مصدر فشربوا منه يعني من النهر الا قليلا منهم
قيل هم اربعة الاف لم يشربوا منه وقيل ثلاثماية وبضعة عشر
رجلا وهو الصحيح ويدل علي ذلك ما روي عن البرا بن عازب قال كان
اصحاب محمد صلي الله عليه وسلم يتحدثون ان عدة اصحاب بدر علي
عدة اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه الا مومن
بضعة وثلاثماية اخرجه البخاري قيل البضع هنا ثلاثة عشر
فلما وصلوا الي النهر القي عليهم العطش فشرب منه الكل الا هذا العدد
القليل وكان من اغترف منه غرفة كما امر الله تعا كفته لشربه
وشرب دوابه وقوي قلبه وصح ايمانه وعبر النهر سالما والذين
شربوا منه وخالفوا امر الله تعا اسودت شفاههم وغلبهم
العطش ولم يرووا وجبنوا وبقوا علي شط النهر ولم يجاوزوه
وقيل جاوزوا كلهم ولكن الذين شربوا لم يحضروا القتال وانما قاتل اوليك
القليل الذين لم يشربوا وهو قوله تعا فلما جاوزه هو يعني جاوز النهر
طالوت والذين امنوا معه يعني اوليك القليل قالوا يعني الذين شربوا
من النهر وخالفوا امر الله تعا وكانوا اهل شك ونفاق فعلي هذا
يكون قد جاوز النهر مع طالوت المومن والمنافق والطايع والعاصي
فلما راوا العدو قال المنافقون لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده
فاجابهم المومنون بقولهم كم من فية قليلة غلبت فية كثيرة وقيل
لم يجاوز النهر مع طالوت الا المومنين خاصة لقوله تعا فلما جاوزه هو

والذين امنوا معه فان قلت فعلى هذا القول من القائل لا طاقة لنا اليوم
بجالوت وجنوده قلت يحتمل ان يكون اهل الايمان وهم الثلاثمائة
وبضعة عشر انقسموا الى قسمين حين راوا العدو فقسم قالوا لما راوا
العدو وكثرته وقلة المومنين لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده
فاجابهم القسم الاخر بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة
باذن الله والله مع الصابرين ومعنى لا طاقة لنا لا قوة لنا اليوم بجالوت
وجنوده قال الذين يظنون اي يستيقنون ويعلمون انهم ملاقوا الله
اي ملاقوا ثواب الله ورضوانه في الدار الاخرة كم من فئة قليلة الفئة
الجماعة لا واحد له من لفظه كالرهط غلبت فئة كثيرة باذن الله اي
بنصر الله وارادته والله مع الصابرين يعني بالنصر والمعونة قوله عز وجل
ولما برزوا يعني طالوت وجنوده من المومنين لجالوت وجنوده يعني
المشركين ومعنى برزوا صاروا بالبراز من الارض وهو ما ظهر واستوى
منها قالوا يعني المومنين اصحاب طالوت ربنا افرغ اي اصبب علينا صبرا
وثبت اقدامنا اي قوي قلوبنا لتثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين
وذلك ان جالوت وقومه كانوا يعبدون الاصنام فسال المومنون الله
ان ينصرهم على القوم الكافرين فهزموهم باذن الله يعني ان الله تعالى استجاب
دعا المومنين فافرغ عليهم الصبر وثبت اقدامهم ونصرهم على القوم الكافرين
حين التقوا فهزموهم باذن الله يعني بنصرته وارادته واصل الهزم في
اللغة الكسر اي كسروهم وردوهم وقتل داود جالوت وكانت قصة
قتله على ما ذكره اهل التفسير واصحاب الاخبار انه عبر النهر فيمن عبر مع
طالوت ايشا ابو داود في ثلاثة عشر ابنا له وكان داود اصغرهم وكان
يرمي بالقذافة فقال داود لابيه يوما يا ابتاه ما ارمي بقذافتي شيئا
الا صرعته فقال له ابوه ابشر يا بني فان الله تعالى قد جعل رزقك في قذافتك
ثم اتاه مرة اخرى فقال يا ابتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت اسدا
رابضا فركبته واخذت باذنه فلم يهجني فقال له ابوه ابشر يا بني فان هذا

خير

خير يريده الله بك ثم اتاه يوما اخر فقال يا ابتاه اني لامشي بين الجبال
فاسبح فما يبقى جبل الا سبح معي قال يا بني ابشر فان هذا خير اعطاكه
الله تعالى قالوا فارسل جالوت الجبار الى طالوت ملك بني اسرائيل ان
ابرز الي او ابرز اليك او ابرز الي من يقاتلني فان قتلني فلكم ملكي
وان قتلته فلي ملككم فشق ذلك على طالوت ونادى في عسكره من
قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته ملكي فهاب الناس جالوت
فلم يجد احدا فسال طالوت نبيهم ان يدعو الله فدعا الله في ذلك
فاتي بقرن فيه دهن القدس وتنور حديد وقيل له ان صاحبكم
الذي يقتل جالوت هو الذي اذا وضع هذا القرن على راسه غلى
حتى يدهن به منه راسه ولا يسيل على راسه كهيئة الاكليل ويدخل
في هذا التنور فيملاه ولا يتقلقل منه فدعا طالوت بني اسرائيل وجربهم
فلم يوافقه احد منهم فاوحى الله الى نبيهم ان في ولد ايشا من يقتل جالوت
فدعا طالوت ايشا وقال له اعرض علي بنيك فاخرج له اثني عشر
رجلا امثال السواري فجعل يعرض واحدا واحدا على القرن فلا يرى شيا
فقال لايشا هل بقي لك ولد غيرهم قال لا فقال النبي يا رب انه
قد زعم ان لا ولد له غيرهم فقال له كذب فقال النبي ان ربي قد كذبك
فقال ايشا صدق ربي يا نبي الله ان لي ولدا اصغر مسقاما اسمه
داود استحييت ان يراه الناس لقصر قامته وحقارته فجعلته في الغنم
يرعاها وهو في شعب كذا وكان داود عليه السلام رجلا قصيرا مسقاما
ازرق امعر مصفرا فدعاه طالوت ويقال انه خرج اليه فوجده في
الوادي وقد سال الوادي ماء وهو يحمل شاتين شاتين يعبر بهما السيل
الى الزريبة التي يريح فيها غنمه فلما راه طالوت قال هذا هو الرجل المطلوب
لا شك فيه فهذا يريح البهائم فهو بالناس ارحم فدعاه طالوت ووضع
القرن على راسه فنش وفاض فقال له طالوت هل لك ان تقتل جالوت
وازوجك ابنتي واجري خاتمك في ملكي قال نعم فقال له هل انست من نفسك

شيا تتقوى به على قتله قال نعم انا ارعى الغنم فيجي الاسد او النمر
او الذيب فياخذ شاة من الغنم فاقوم فافتح لحييه عنها واخرجها
الى قفاه فاخذ طالوت داود ورده الى العسكر فمر داود عليه السلام
في طريقه بحجر فناداه يا داود احملني فاني حجر هارون فحمله ثم مر
بحجر اخر فقال له يا دود احملني فاني حجر موسى فحمله ثم مر بحجر اخر فقال له
يا داود احملني فاني حجرك الذي تقتل به جالوت فوضع الثلاثة
في مخلاته فلما رجع طالوت الى العسكر ومعه داود ونصبا للقتال برز
جالوت يطلب المبارزة فانتدب له داود عليه السلام فاعطاه طالوت
فرسا وسلاحا فلبس السلاح وركب الفرس وسار قريبا ثم رجع الى طالوت
فقال من حوله جبن الغلام فجا فوقف على طالوت فقال له ما شانك فقال له



داود عليه السلام ان لم ينصرني الله لم يغن هذا السلاح عني شيا وان نصرني
فلا حاجة لي به فدعني اقاتل كما اريد قال نعم فاخذ داود مخلاته وتقلدها
واخذ المقلاع بيده ومضى نحو جالوت وكان جالوت من اشد الناس واقواهم
وكان يهزم الجيش وحده وكان له بيضة حديد وزنها ثلاثماية رطل فلما
نظر الى داود وهو يربه وقع الرعب في قلبه فقال له جالوت وانت تبرز لي
قال نعم وكان جالوت على فرس ابلق عليه السلاح التام فقال اتيتني بالمقلاع
والحجر كما يوتى الكلب قال نعم انت شر من الكلب قال جالوت لاجرم لاقسمن لحمك
بين سباع الارض وطير السما فقال له داود عليه السلام او يقسم الله لحمك
ثم قال داود باسم اله ابراهيم واخرج حجرا ثم قال باسم اله اسحاق واخرج حجرا
ثم قال باسم اله يعقوب واخرج حجرا ووضعهم في مقلاعه فصارت الثلاثة
حجرا واحدا وادار داود المقلاع ورمى به جالوت فسخر الله له الريح فحملت الحجر
حتى اصابت انف البيضة فخلط دماغ جالوت وخرج من قفاه وقتل من وراه
ثلاثين رجلا وخر جالوت صريعا قتيلا فاخذه داود يجره حتى القاه بين
يدي طالوت ففرح بنو اسرايل بذلك فرحا شديدا وهزم الله الجيش ثم رجع
طالوت بالناس الى المدينة سالمين غانمين وجعل الناس يذكرون داود فجا

داود

داود الى طالوت وقال له انجز لي ما وعدتني به فقال اتريد ابنة الملك بغير
صداق فقال داود ما شرطت علي صداقا وليس لي شي فقال لا اكلفك
الا ما تطيق انت رجل جري وفي جبالنا اعدا لنا غلف فاذا قتلت منهم ماتي
رجل وجيتني بغلفهم زوجتك ابنتي فاتاهم فجعل كلما قتل منهم واحدا نظم
غلفته في خيط حتى نظم ماتي غلفة فجا بها الى طالوت والقاها بين يديه
وقال ادفع الي امراتي فزوجه ابنته واجرى خاتمه في ملكه فمال الناس
الى داود واحبوه واكثروا ذكره فحسده طالوت واراد قتله فاخبر بذلك ابنة
طالوت رجل يقال له ذو العينين فاخبرت بذلك داود وقالت له انك مقتول
الليلة قال ومن يقتلني قالت ابي قال وهل اجرمت جرما يوجب القتل قالت
حدثني بذلك من لا يكذب ولا عليك ان تغيب الليلة حتى تنظر مصداق
ذلك فقال ان كان يريد ذلك فلا استطيع خروجا ولكن ايتيني بزق خمر
فاتته به فوضعه في مضجعه على سريره وسجاه ودخل داود تحت السرير
فدخل طالوت نصف الليل فقال لابنته اين بعلك قالت هو نايم على سريره
فضربه بالسيف فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر قال يرحم الله داود ما اكثر
شربه للخمر وخرج فلما اصبح علم انه لم يفعل شيا فقال ان رجلا طلبت منه
ما طلبت لحقيق ان لا يدعني حتى يدرك ثاره مني فاشتد حجابه وحراسته
واغلق دونه ابوابه ثم ان داود اتاه ليلة وقد هدات العيون واعمى الله
عنه الحجبة ففتح الابواب ودخل عليه وهو نايم على فراشه فوضع سهما
عند راسه وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله وخرج
فاستيقظ طالوت فبصر بالسهام فعرفها فقال يرحم الله داود هو خير
مني ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي فكف عني ولو شا لوضع هذا السهم
في حلقي وما انا بالذي آمنه فلما كان من الليلة القابلة اتاه ثانيا فاعمى
الله عنه الحجاب فدخل عليه وهو نايم فاخذ ابريق وضوئه وكوزه الذي
يشرب منه وقطع شعرات من لحيته وشيا من طرف ثوبه ثم خرج وتوارى
فلما اصبح طالوت وراى ذلك سلط على داود العيون وطلبه اشد الطلب

فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب يوما فوجد داود يمشي في البرية فقال
اليوم اقتله وركض في اثره فاشتد داود في عدوه وكان اذا فزع لم
يدرك فدخل غارا فاوحى الله الى العنكبوت فنسجت عليه فلما انتهى طالوت
الى الغار ونظر الى بناء العنكبوت قال لو كان دخل هنا لتخرق هذا النسج
وانطلق طالوت وتركه فخرج داود حتى اتى جبل المتعبدين فتعبد معهم وطعن
العلما والعباد على طالوت في شان داود فجعل طالوت لا ينهاه احد عن
قتل داود الا قتله فقتل خلقا كثيرا من العباد والعلما حتى اتي بامراة
تعلم الاسم الاعظم فامر جبارا يقتلها فرحمها الجبار فلم يقتلها
وقال لعلنا نحتاج الى عالم فتركها ثم وقع في قلب طالوت التوبة والندم
على ما فعل واقبل على البكا حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى
القبور ويبكي وينادي انشد الله عبدا يعلم لي توبة الا اخبرني بها
فلما اكثر ذلك منه ناداه مناد من القبور اما ترضى يا طالوت انك
قتلتنا حتى تؤذينا امواتا فازداد حزنا وبكا فتوجه الجبار الى طالوت
لما راى من حاله فقال له ما لك ايها الملك فاخبره وقال هل تعلم لي توبة
او تعلم في الارض عالما اساله عن توبتي فقال له الجبار ايها الملك ان
دللتك على عالم يوشك ان تقتله فقال لا فتوثق منه باليمين فاخبره
ان تلك المراة العالمة عنده فقال انطلق بي اليها لاسالها عن توبتي
قال نعم فانطلق به فلما قربا من الباب قال له الجبار ايها الملك انها
اذا راتك فزعت ولكن ائت خلفي فلما دخلا عليها قال لها الجبار يا هذه
الست تعلمين حقي عليك قالت بلى قال فان لي اليك حاجة تقضيها
قالت نعم قال هذا طالوت قد جاءك يسالك هل له توبة فلما سمعت
بذكر طالوت غشي عليها فلما افاقت قالت والله لا اعلم له توبة ولكن
دلوني على قبر نبي فانطلقوا بها الى قبر اشمويل فوقفت عليه
ودعت وكانت تعلم الاسم الاعظم ثم نادت يا صاحب القبر فخرج
ينفض التراب عن راسه فلما نظر الى ثلاثتهم قال ما لكم اتاكم القيامة

قالت المراة



قالت المراة لا ولكن هذا طالوت قد جا يسالك هل له من توبة فقال
يا طالوت ما فعلت بعدي قال لم ادع من الشر شيا الا فعلته وجيت
اطلب التوبة فقال اشمويل يا طالوت كم لك من الولد قال عشرة رجال
قال ما اعلم لك توبة الا ان تتخلى عن ملكك وتخرج انت وولدك
في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم تقاتل انت
حتى تقتل اخرهم ثم ان اشمويل سقط ميتا ورجع طالوت احزن
ما كان رهبة ان لا يتابعه بنوه على ما يريد وكان قد بكى حتى سقطت
اشفار عينيه ونحل جسمه فجمع اولاده وقال لهم ارايتم لو دفعت
الى النار هل كنتم تفدوني منها قالوا بلى نفديك بما نقدر
عليه قال فانها النار ان لم تفعلوا ما امرتكم به قالوا اعرض علينا
ما اردت فذكر لهم القصة قالوا وانك لمقتول قال نعم قالوا فلا
خير لنا في الحياة بعدك قد طابت انفسنا بالذي سالت فتجهز هو
وولده وخرج طالوت مجاهدا في سبيل الله فتقدم اولاده فقاتلوا حتى
قتلوا ثم شد هو من بعدهم فقاتل حتى قتل وجا قاتل طالوت الى داود
ليبشره بقتله وقال له قد قتلت عدوك فقال داود ما انت بباق
بعده وقتله فكان ملك طالوت الى ان قتل مدة اربعين سنة واتى بنو
اسرائيل الى داود فملكوه عليهم واعطوه خزائن طالوت قال الكلبي
والضحاك ملك داود بعد قتل جالوت بسبع سنين ولم تجتمع بنو اسرائيل
على ملك واحد الا على داود فذلك قوله تعالى وآتاه الله الملك والحكمة
يعني النبوة جمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم يكن كذلك من قبل
بل كانت النبوة في سبط والملك في سبط وقيل الحكمة مع العلم به وعلمه
مما يشا اي وعلم الله داود صنعة الدروع فكان يصنعها ويبيعها
وكان لا ياكل الا من عمل يده وقيل علمه منطق الطير وقيل علمه
الزبور وقيل هو الصوت الطيب والالحان ولم يعط الله احدا من خلقه
مثل صوت داود فكان اذا قرا الزبور تدنوا منه الوحوش حتى توخذ

باعناقها وتظله الطير مسبحة له ويركد الما الجاري وتسكن الريح عند
قراته وقيل علمه سياسة الملك وضبطه ذلك لانه لم يكن من بيت
الملك حتى يتعلمه من اباته وقال ابن عباس هو ان الله اعطاه سلسلة
موصولة بالمجرة وراسها عند صومعته قوتها قوة الحديد
ولونها لون النور وحلقها مستديرة مفصلة بالجوهر مدسرة
بقضبان اللولو الرطب فكان لا يحدث في الهوا حدث الا صلصلت
السلسلة فيعلم داود ذلك الحدث ولا يمسها ذو عاهة الا برا
وكانوا يتحاكمون اليها بعد داود الى ان رفعت فمن تعدي على صاحبه
او انكره حقا اتى السلسلة فمن كان صادقا مد يده الى السلسلة
فنالها ومن كان كاذبا لم ينلها فكان كذلك الى ان ظهر فيهم المكر والخديعة
فبلغنا ان بعض ملوكهم اودع رجلا جوهرة ثمينة فلما طالبه
بالوديعة انكره اياها فتحاكما الى السلسلة فعمد الذي عنده الجوهرة
الى عكازة فنقرها وجعل الجوهرة فيها واعتمد عليها حتى اتيا السلسلة
فقال صاحب الجوهرة رد علي الوديعة فقال صاحبه ما اعرف لك
عندي وديعة فان كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها بيده
وقيل للمنكر قم انت ايضا فتناولها فقال لصاحب الجوهرة امسك
عكازتي فاخذه الرجل منه وقام المنكر الى السلسلة وقال اللهم ان كنت
تعلم ان الوديعة التي يدعيها قد وصلت اليه فقرب السلسلة مني
ومد يده فتناولها فتعجب القوم من ذلك وشكوا فيها فاصبحوا وقد رفع
الله السلسلة قوله تعالى **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض**
يعني ولولا ان الله يدفع ببعض الناس وهم اهل الايمان والطاعة له
بعضا هم وهم اهل الكفر والمعاصي قال ابن عباس ولولا دفع الله بجنود
المسلمين لغلب المشركون على الارض فقتلوا المومنين وخربوا المساجد
والبلاد وقيل معناه ولولا دفع الله بالمومنين والابرار عن الكفار
والفجار **لفسدت الارض** يعني لهلكت بمن فيها ولكن يدفع الله بالمومن عن الكافر

وبالصالح

التاسع عشر من تفسير الكواشي



وبالصالح عن الفاجر روى احمد بن حنبل عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة اهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرا
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض **ولكن الله ذو فضل
على العالمين** يعني ان دفع الفساد بهذا الطريق انعام وافضال عم الناس
كلهم **تلك ايات الله** يعني القصص التي اقتصها من حديث الالوف واماتتهم
واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره بالاية وهي التابوت واهلاك الجبابرة على
يد صبي **نتلوها عليك بالحق** اي باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب
لانه في كتبهم **وانك لمن المرسلين** يعني حيث تخبر بهذه الاخبار العجيبة والقصص
القديمة من غير ان تعرف بقراة كتاب ولا سماع اخبار فدل ذلك على انك من المرسلين
وان الذي تخبر به وحي من الله تعالى قوله عز وجل **تلك الرسل** يعني جماعة الرسل
الذي تقدم ذكرهم في هذه السورة **فضلنا بعضهم على بعض** فيه دليل
على زوال الشبهة لمن اوجب التسوية بين الانبيا في الفضيلة لاستوائهم في القيام
بالرسالة واجتمعت الامة على ان الانبيا بعضهم افضل من بعض وان نبينا
محمدا صلى الله عليه وسلم افضلهم لعموم رسالته وهو قوله تعالى وما ارسلناك
الا كافة للناس بشيرا ونذيرا **منهم** اي من الرسل **من كلم الله** اي كلمه الله
وهو موسى عليه السلام **ورفع بعضهم درجات** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
رفع الله منصبه ومرتبته على كافة ساير الانبيا بما فضله عليهم من الايات
البينات والمعجزات الباهرات فما اوتي نبي من الانبيا اية او معجزة الا واوتي
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وفضل محمد صلى الله عليه وسلم على غيره
من الانبيا بايات ومعجزات اخر مثل انشقاق القمر باشارته وحنين الجذع
اليه عند مفارقته وتسليم الحجر والشجر عليه وكلام البهايم له بشاهدة برسالته
ونبع الما من بين اصابعه وغير ذلك من الايات التي لا تحصى كثرة واعظمها
واظهرها معجزة اية القران العظيم الذي عجز اهل الارض عن معارضته والاتيان
بمثله فهو معجزة باقية الى يوم القيمة ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبيا الا وقد اعطي من الايات ما مثله امن عليه

البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجو ان اكون اكثرهم
تابعا يوم القيامة ق عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا
لم يعطهن احد من الانبيا قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض
مسجدا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي الغنايم ولم تحل
لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت
الي الناس عامة م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت
علي الانبيا بست اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لي الغنايم
وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وارسلت الي الخلق كافة وختم بي النبوة
فان قلت لم ذكره علي سبيل الرمز والاشارة ولم يصرح باسمه صلى الله عليه
وسلم قلت في هذا الابهام والرمز من التفخيم لفضله واعلاء قدره صلى الله
عليه وسلم ما لا يخفي بما فيه من الشهادة بانه العلم الذي لا يشتبه ولا يلتبس
فهو كما يقول الرجل وقد فعل شيا فعله بعضكم او احدكم ويريد نفسه فيكون
افخم من التصريح به كما سيل الحطية عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة
ثم قال ولو شيت لذكرت الثالث اراد نفسه وقوله تعالى واتينا عيسى
ابن مريم البينات يعني الحجج والادلة الباهرة والمعجزات الظاهرة علي نبوته
مثل ابرا الاكمه والابرص واحيا الموتى وايدناه بروح القدس اي وقويناه
بجبريل عليه السلام فكان معه الي ان رفعه الي عنان السما اي الى السما
السابعة فان قلت لم خص عيسى بالذكر من بين ساير الانبيا قلت لما اوتي من
المعجزات الباهرة والايات العظيمة ولقد بين الله تعالى وجه التفضيل حيث
جعل التكلم من الفضل وهو اية عظيمة ايضا فلما اوتي موسى وعيسى من
الايات العظيمة خصا بالذكر في باب التفضيل فعلى هذا كل من كان من الانبيا
اعظم ايات واكثر معجزات كان افضل ولهذا احرز نبينا صلى الله عليه وسلم
قصبات السبق في الفضل لانه اعظم الانبيا ايات واكثرهم معجزات فهو افضلهم
صلى الله وسلم عليه وعليهم اجمعين ولو شا الله اي ولو اراد الله واصل المشية
الارادة ما اقتتل الذين من بعدهم يعني بعد الرسل الذين وصفهم الله

من بعد

من بعد ما جاتهم البينات اي الدلالات الواضحات من الله بما فيه مزدجر
لمن هداه الله ووفقه ولكن اختلفوا يعني اختلف هاولا الذين من بعد الرسل
فمنهم من آمن اي ثبت علي ايمانه بالله ورسوله بفضل الله ومنهم من كفر
اي ومنهم من نفذ الكفر بعد قيام الحجة وبعثة الرسل ولو شا الله ما اقتتلوا
يعني ولو اراد الله ان يحجزهم عن الاقتتال والاختلاف لحجزهم عن ذلك ولكن
الله يفعل ما يريد يعني ان الله تعالى يوفق من يشا لطاعته والايمان به
فضلا ورحمة ويخذل من يشا عدلا منه لا اعتراض عليه في ملكه وفعله
سال رجل علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن القدر فقال يا امير المومنين
اخبرني عن القدر فقال طريق مظلم فلا تسلكه فاعاد السوال فقال بحر
عميق فلا تلجه فاعاد السوال فقال سر الله قد خفي عليك فلا تفتشه
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم قيل اراد به الزكاة الواجبة
وقيل اراد به صدقة التطوع والانفاق في وجوه الخير من قبل ان ياتي يوم لا بيع
فيه اي لا فدية فيه وانما سماه بيعا لان الفدا اشترا النفس من الهلاك
والمعنى قدموا لانفسكم اليوم من اموالكم من قبل ان ياتي يوم لا تجارة فيه فيكسب
الانسان ما يفتدي به من العذاب ولا خلة اي ولا مودة ولا صداقة
ولا شفاعة وظاهر هذا يقتضي نفي الخلة والشفاعة وقد دلت النصوص
علي ثبوت المودة والشفاعة بين المومنين فيكون هذا عام مخصوص والكافرون
هم الظالمون لانهم وضعوا العبادة في غير موضعها قوله عز وجل الله
لا اله الا هو الحي القيوم فصل في فضل هذه الاية الكريمة
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شي سنام وان سنام
القران البقرة وفيها اية هي سيدة اي القران اية الكرسي اخرجه الترمذي
قوله لكل شي سنام وسنام كل شي اعلاه تشبيها بسنام البعير والمراد منه تعظيم
هذه السورة والسنام الفاضل الشريف والكريم واصله من ساد يسود
وقوله هي سيدة اي القران اي افضلها م عن ابي بن كعب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا ابا المنذر اتدري اي اية من كتاب الله معك اعظم

قلت الله لا اله الا هو الحي القيوم فضرب في صدري وقال ليهنك العلم ابا المنذر
عن واثلة بن الاسقع ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءهم في صفة المهاجرين
فسأله انسان اي آية في القران اعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الله لا اله الا هو الحي القيوم اخرجه ابو داود وقال العلما انما تميزت
اية الكرسي بكونها اعظم آية في القران لما جمعت من اصول الاسماء
والصفات من الالهية والوحدانية والحياة والعلم والقيومية والملك والقدرة
والارادة فهذه اصول الاسما والصفات وذلك لان الله تعالى اعظم مذكور
فما كان ذكر الله من توحيد وتعظيم كان اعظم الاذكار وفي هذا الحديث حجة
لمن يقول بجواز تفضيل بعض القران على بعض وتفضيله على ساير كتب الله المنزلة
ومنع من جواز تفضيل بعض القران على بعض ابو الحسن الاشعري وابو بكر الباقلاني
قالا لان تفضيل بعضه على بعض يقتضي نقص المفضول وليس في كلام الله عز وجل نقص
وتاول هولا ما ورد من اطلاق لفظ اعظم وافضل في بعض الايات او السور
بمعنى عظيم وفاضل ومن اجاز تفضيل بعض القران على بعض من العلما والمتكلمين
قالوا هذا التفضيل هو راجع الى عظم اجر القارئ وجزيل ثوابه وقوله ان هذه
الاية او هذه السورة اعظم او افضل بمعنى ان الثواب المتعلق بها اكثر وهذا هو
المختار وهو معنى الحديث والله اعلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ حين يصبح اية الكرسي واثنين من اول حم تنزيل الكتاب من الله
العزيز العليم حفظ يومه ذلك حتى يمسي ومن قراهما حين يمسي حفظ ليلته تلك
حتى يصبح اخرجه الترمذي وقال حديث غريب واما التفسير فقوله عز وجل
الله لا اله الا هو نفي الالهية كل اله سواه واثبت الالهية له سبحانه
وتعالى فهو كقولك لا كريم الا زيد فانه ابلغ من قولك زيد كريم الحي يعني
الباقي على الابد الدايم بلا زوال والحي في صفة الله هو الذي لم يزل موجودا
وبالحياة موصوفا لم تحدث له الحياة بعد موت ولا يعترضه الموت بعد
حياة وساير الاحيا سواه يعتريهم الموت والعدم فكل شي هالك الا وجهه
سبحانه وتعالى القيوم قال مجاهد القيوم القايم على كل شي وتاويله

انه تعالى

انه تعالى قايم بتدبير خلقه في ايجادهم وارزاقهم وجميع ما يحتاجون اليه
وقيل هو القايم الدايم بلا زوال الموجود الذي يمتنع عليه التغير وقيل
هو القايم على كل نفس بما كسبت والقيوم مفعول من القيام وهو نعت للقايم
على كل شي لا تاخذه سنة ولا نوم السنة ما يتقدم من النوم والفتور يسمى
نعاسا وهو النوم الخفيف والوسنان بين النايم واليقظان والنوم هو
الثقل المزيل للعقل والقوة وقيل السنة في الراس والنعاس
في العين والنوم في القلب فالسنة هي اول النوم والنوم هو غشية
ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالاشيا والمعنى لا تاخذه سنة فضلا عن ان
ياخذه نوم لان النوم والسهو والغفلة محال على الله تعالى لان هذه الاشيا عبارة
عن عدم العلم وذلك نقص وافة والله تعالى منزه عن النقص والافات
ولان ذلك تغير والله تعالى منزه عن التغير م عن ابي موسى الاشعري قال قام
فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بخمس كلمات فقال ان الله عز
وجل لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل
الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور وفي رواية النار
لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه والله تعالى اعلم
شرح ما يتعلق بلفظ هذا الحديث قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينام
ولا ينبغي له ان ينام فمعناه الاخبار انه سبحانه وتعالى لا ينام وانه
مستحيل في حقه لان النوم انغمار وغلبة على العقل يسقط به
الاحساس والله تعالى منزه عن ذلك وقوله يخفض القسط ويرفعه
اراد بالقسط الميزان الذي يقع به العدل ومعناه ان الله تعالى
يخفض الميزان ويرفعه بما يوزن فيه من اعمال العباد المرتفعة اليه
وقيل اراد بالقسط الرزق الذي هو قسط كل مخلوق ومعنى
يخفض يقتر ويضيق على من يشا ويرفعه اي يوسعه على من يشا
وقوله يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار يعني ان الحفظة من
الملايكة يصعدون باعمال العباد في الليل بعد انقضائه في اول

منقول من شرح مسلم للشيخ محيي الدين النووي رحمه الله

النهار ويصعدون باعمال النهار بعد انقضايه في اول الليل قوله حجابه
النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه
سبحات بضم السين المهملة والبا الموحدة تحت وبضم التاء اخره
جمع سبحة ومعنى سبحات وجهه نوره وجلاله وبهاوه والحجاب
اصله في اللغة المنع وحقيقة الحجاب انما تكون للاجسام المحدودة
والله تعالى منزه عن الجسم والحد فالمراد به هنا الشي المانع من
الروية سمي ذلك الشي المانع نورا او نارا لانهما يمنعان من الادراك
في العادة والمراد بالوجه الذات والمراد بما انتهى اليه بصره من خلقه
جميع المخلوقات لان بصره سبحانه وتعالى محيط بجميع الكاينات
ولفظة من في قوله من خلقه لبيان الجنس لا للتبعيض ومعنى
الحديث لو زال المانع وهو الحجاب المسمى نورا او نارا وتجلى لخلقه لاحرق
جلال ذاته جميع مخلوقاته هذا اخر كلام الشيخ على هذا الحديث والله
اعلم وروى الطبري بسنده عن ابن عباس في قوله لا تاخذه سنة ولا نوم ان موسى
عليه السلام سال الملايكة هل ينام الله فاوحى الله الى الملايكة وامرهم ان يورقوه
ثلاثا فلا يتركوه ينام ففعلوا ثم اعطوه قارورتين فامسكهما ثم تركوه وحذروه
ان يكسرهما فجعل ينعس وهما في يديه في كل يد واحدة قال فجعل ينعس
وينتبه حتى نعس نعسة فضرب احداهما بالاخرى فكسرهما قال معمر
انما هو مثل ضربه الله تعالى له يقول فكذلك السموات والارض ورواه عن ابي هريرة
مرفوعا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي على المنبر قال وقع في نفس
موسى هل ينام الله وذكر نحو حديث ابن عباس قال بعض العلما اذ صح هذا
الحديث يحمل على ان هذا السوال كان من جهال قوم موسى كطلب الروية من
موسى لان الانبيا عليهم الصلاة والسلام هم اعلم بالله من غيرهم فلا يجوز
ان ينسب الى موسى مثل هذا السوال والله اعلم قوله تعالى **له ما في السموات**
وما في الارض يعني ان الله تعالى مالك جميع ذلك بغير شريك ولا منازع وهو
خالقهم وهم عبيده وفي ملكه فان قلت لم قال له ما في السموات ولم يقل

من



من في السموات قلت لما كان المراد اضافة كل ما سواه اليه بالخلق والملك
وكان الغالب فيهم من لا يعقل اجرى الغالب مجرى الكل فعبر عنه بلفظ ما
من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه اي بامره وهذا استفهام انكار
والمعنى لا يشفع عنده احد الا بامره وارادته وذلك لان المشركين
زعموا ان الاصنام تشفع لهم فاخبر انه لا شفاعة لاحد عنده الا
ما استثناه بقوله الا باذنه يريد بذلك شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم
وشفاعة بعض الانبيا وشفاعة المومنين بعضهم لبعض **يعلم ما بين**
ايديهم وما خلفهم يعني ما بين ايديهم من الدنيا وما خلفهم من الاخرة وقيل
بعكسه لانهم يقدمون على الاخرة ويخلفون الدنيا وراء ظهورهم وقيل
يعلم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم وقيل يعلم ما قدموه بين ايديهم من
خير او شر وما خلفهم مما هم فاعلوه والمقصود من هذا انه سبحانه وتعالى
عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شي من جميع احوال خلقه **ولا يحيطون بشي**
من علمه يقال احاط بالشي اذا علمه وهو ان يعلم وجوده وجنسه وقدره وحقيقته
فاذا علمه وقف عليه وجمعه في قلبه قيل قد احاط به والمراد بالعلم المعلوم
والمعنى ان احدا لا يحيط بمعلومات الله تعالى **الا بما شا** يعني ان يطلعهم عليه
وهم الانبيا والرسل ليكون ما يطلعهم عليه من علم غيبه دليلا على نبوتهم كما قال
تعالى فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول **وسع كرسيه السموات والارض**
يقال فلان يسع الشي سعة اذا احتمله واطاقه وامكنه القيام به واصل
الكرسي في اللغة من تركب الشي بعضه على بعض ومنه الكراسة لتركب بعضها
على بعض والكرسي في العرف اسم لما يقعد عليه سمي به لتركب خشباته بعضها
على بعض واختلفوا في المراد بالكرسي هنا على اربعة اقوال احدها ان الكرسي
هو العرش نفسه قاله الحسن لان العرش والكرسي اسم للسرير الذي يصح التمكن
عليه القول الثاني ان الكرسي غير العرش وهو امامه وهو فوق السموات السبع
ودون العرش قال السدي ان السموات والارض في جوف الكرسي كحلقة ملقاة
في فلاة والكرسي في جنب العرش كحلقة في فلاة عن ابن عباس ان السموات السبع

في الكرسي كدراهم سبعة القيت في ترس وقيل ان كل قائمة من قوائم الكرسي
طولها مثل السموات والارض وهو بين يدي العرش ويحمل الكرسي اربعة
املاك لكل ملك اربعة وجوه واقدامهم على الصخرة التي تحت الارض
السابعة السفلى ملك على صورة ابي البشر ادم وهو يسال الرزق والمطر
لبني ادم من السنة الى السنة وملك على صورة الثور وهو يسال الرزق
للانعام من السنة الى السنة وملك على صورة السبع وهو يسال الرزق
للوحوش من السنة الى السنة وملك على صورة النسر وهو يسال الرزق
للطير من السنة الى السنة وفي بعض الاخبار ان بين حملة العرش
وحملة الكرسي سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور غلظ كل حجاب
مسيرة خمسماية عام لولا ذلك لاحترقت حملة الكرسي من نور حملة العرش
القول الثالث ان الكرسي هو الاسم الاعظم لان العلم يعتمد عليه كما ان الكرسي
يعتمد عليه قال ابن عباس كرسيه علمه القول الرابع المراد بالكرسي الملك
والسلطان والقدرة لان الكرسي موضع الملك والسلطان فلا يبعد ان يكنى
به عن الملك والسلطان على سبيل المجاز ولا يؤده اي ولا يثقله ولا يجهده ولا يشق
عليه حفظهما اي حفظ السموات والارض وهو العلي الرفيع فوق خلقه الذي
ليس فوقه شي فيما يجب له ان يوصف به من معاني الجمال والكمال فهو العلي بالاطلاق
المتعالي عن الاشباه والانداد والاضداد وقيل العلي بالملك والسلطنة
والقهر فلا اعلى منه احد وقيل معنى العلو في صفة الله تعالى منقول الى اقتداره
وقهره واستحقاق صفات المدح جميعها على كل وجه وقيل معناه انه
يعلو ان يحيط به وصف الواصفين العظيم يعني انه ذو العظمة والكبريا
الذي لا شي اعظم منه وقال ابن عباس العظيم الذي قد كمل في عظمته وقيل
العظيم هو ذو العظمة والجلال والكمال وهو صفة الله تعالى ينصرف الى
عظم الشان وجلالة القدر دون العظم الذي هو من نعوت الاجسام
قوله تعالى لا اكراه في الدين سبب نزول هذه الاية فيما روي عن ابن عباس
قال كانت المراة من الانصار تكون مقلاة وهي التي لا يعيش لها ولد فكانت

تنذر

تنذر لئن عاش لها ولد لتهودنه فاذا عاش جعلته في اليهودية فجا الاسلام
وفيهم منهم فلما اجليت بنو النضير كان فيهم عدد من اولاد الانصار
فارادت الانصار استردادهم وقالوا هم ابناونا واخواننا فنزلت
لا اكراه في الدين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خير اصحابكم
فان اختاروكم فهم منكم وان اختاروهم فاجلوهم معهم وقيل كان لرجل
من الانصار من بني سالم بن عوف يقال له ابو الحصين ابنان تنصرا
قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة في نفر من النصارى
يحملون الزيت فلزمهما ابوهما وقال لا ادعكما حتى تسلما فاختصموا
الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر
فانزل الله تعالى لا اكراه في الدين فخلى سبيلهما وقيل نزلت في اهل الكتاب
اذا قبلوا بذل الجزية لم يكرهوا على الاسلام وذلك ان العرب كانت امة
امية ولم يكن لهم كتاب يرجعون اليه فلم يقبل منهم الا الاسلام او القتل
ونزلت في اهل الكتاب لا اكراه في الدين يعني بقبول الجزية لمن اعطى الجزية منهم لم يكره
على الاسلام فعلى هذا القول تكون الاية محكمة ليست بمنسوخة وقيل
بل الاية منسوخة وكان ذلك في ابتدا الاسلام قبل ان يومر بالقتال ثم
نسخت باية القتال وهو قول ابن مسعود وقال الزهري سالت زيد بن اسلم
عن قول الله تعالى لا اكراه في الدين قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة
عشر سنين لا يكره احدا في الدين فابى المشركون الا ان يقاتلوه فاستاذن
الله في قتالهم فاذن له ومعنى لا اكراه في الدين اي دين الاسلام ليس فيه اكراه
عليه قد تبين الرشد من الغي يعني ظهر ووضح وتميز الحق من الباطل والايمان
من الكفر والهدى من الضلالة بكثرة الايات والبراهين الدالة على صحته
فمن يكفر بالطاغوت يعني الشيطان وقيل هو الساحر والكاهن وقيل هو كل
ما عبد من دون الله تعالى وقيل كل ما يطغي الانسان فهو طاغوت فاعول
من الطغيان ويؤمن بالله اي ويصدق بالله انه ربه ومعبوده من دون كل ما
كان يعبده وفيه اشارة انه لا بد للكافر ان يتوب اولا من الكفر ويتبرى منه

ثم يومن بعد ذلك بالله تعالى فمن فعل ذلك صح ايمانه وهو قوله تعالى
فقد استمسك بالعروة الوثقى اي فقد تمسك واعتصم بالعقد الوثيق
المحكم في الدين والوثقى تانيث الاوثق وقيل العروة الوثقى السبب الذي
يوصل الي رضي الله تعالي وهو دين الاسلام لا انفصام لها اي لا انقطاع
لها حتى تؤديه الي الجنة والمعنى ان المتمسك بالدين الصحيح الذي هو
دين الاسلام كالمتمسك بالشيء الوثيق الذي لا يمكن كسره ولا انقطاعه
والله سميع عليم يعني انه تعالى يسمع قول من كفر بالطاغوت واتى بالشهادتين
عليم بما في قلبه من الايمان وقيل معناه سميع لدعائك اياهم الي الاسلام
عليم بحرصك على اسلامهم قوله عز وجل الله ولي الذين امنوا اي ناصرهم
ومعينهم وقيل محبهم وقيل متولي امورهم فلا يكلهم الي غيره وقيل هو متولي
هدايتهم يخرجهم من الظلمات الي النور اي من الكفر الي الايمان وكل ما في
القران من ذكر الظلمات والنور فالمراد به الكفر والايمان غير الذي في سورة
الانعام وهو قوله تعالى وجعل الظلمات والنور فالمراد به الليل والنهار
وانما سمي الكفر ظلمة لالتباس طريقه ولان الظلمة تحجب الابصار عن ادراك
الحقايق فكذلك الكفر يحجب القلوب عن ادراك حقايق الايمان وسمي الاسلام
نورا لوضوح طريقه وبيان ادلته والذين كفروا اولياوهم الطاغوت
يعني كعب بن الاشرف وحيي بن اخطب وساير رؤوس الضلالة يخرجونهم
من النور الي الظلمات اي من الهدى الي الضلالة فان قلت كيف قال يخرجونهم
من النور الي الظلمات وهم كفار لم يكونوا في نور قط قلت هم اليهود كانوا مومنين
بمحمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته قبل ان يبعث لما يجدونه في كتبهم
من نعته وصفته فلما بعث كفروا به وجحدوا نبوته وقيل هو على العموم
في حق جميع الكفار ومنع الطاغوت اياهم عن الدخول فيه اخراج من الايمان
يعني صدهم الطاغوت عنه وحرمانهم خيره وان لم يكونوا دخلوا فيه
فهو كقول الرجل لابيه اخرجتني عن مالك اذا اوصى به لغيره في حياته
وحرمه منه وكقول الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام اني تركت ملة

قوم

قوم لا يومنون بالله ولم يكن قط في ملتهم اوليك اصحاب النار هم فيها خالدون
يعني الكفار والطاغوت اهل النار الذين يخلدون فيها دون غيرهم قوله تعالى
الم تر الي الذي حاج ابراهيم في ربه يعني هل انتهى اليك يا محمد خبر الذي خاصم ابراهيم
وجادله لان الم تر كلمة يوقف بها المخاطب على تعجب منها ولفظها استفهام
فهو كما يقال الم تر الي فلان كيف يصنع وفلان معناه هل رايت فلانا في صنعه
والذي حاج ابراهيم هو نمرود بن كنعان الجبار وهو اول من وضع التاج
على راسه وتجبر في الارض وادعى الربوبية ان اتاه الله الملك اي لان اتاه
الملك فطغى وتجبر بسببه وكانت تلك المحاجة من بطر الملك وطغيانه
وقال مجاهد ملك الارض اربعة مومنان وكافران فاما المومنان فسليمان وذو القرنين
واما الكافران فنمرود وبخت نصر واختلفوا في وقت هذه المحاجة فقيل
لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه نمرود ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك
الذي تدعونا اليه قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت وقيل هذا
بعد القايه في النار وذلك ان الناس قحطوا على عهد نمرود وكان الناس
يمتارون من عنده الطعام فكان اذا اتاه احد يمتار ساله من ربك
فيقول انت فيميره فخرج ابراهيم اليه يمتار لاهله الطعام فاتاه فقال له
من ربك اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال
ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها فرده بغير طعام فرجع ابراهيم الي اهله
فمر على كثيب رمل اعفر فاخذ منه تطييبا لقلب اهله اذا دخل عليهم
فلما اتى اهله وضع متاعه ثم نام فقامت زوجته سارة الي رحله
ففتحته فاذا هو طعام اجود ما راه احد فصنعت منه خبزا فلما
انتبه قربته اليه فقال لها ابراهيم من اين هذا وكان عهده اهله وليس
عندهم طعام فقالت من الطعام الذي جئت به فعلم ابراهيم ان الله قد
رزقه فحمد الله تعالى ثم ان الله تعالى بعث الي نمرود الجبار ملكا ان امن
بي واتركك في ملكك قال وهل رب غيري فجاءه الثانية فقال له
مثل ذلك ثم اتاه الثالثة فرد عليه مثل ذلك فقال له الملك اجمع

جهو على نجع الجبار جموعه فامر الله الملك نفتح عليه بابا من البعوض حتى
سترت الشمس فلم يروها فبعثها الله عليهم فاكلت لحومهم وشربت دماهم فلم يبق
الا العظام ونمرود ينظر ولم يصبه شي من ذلك ثم بعث الله عليه بعوضة
فدخلت في منخره فمكثت في راسه اربعماية سنة يضرب راسه بالمطارق
وكان ارحم الناس به من يجمع يديه ثم يضرب بهما راسه فكان كذلك
يعذب اربعماية سنة مدة ملكه حتى اماته الله عز وجل ومعنى اذ قال ابرهيم
ربي الذي يحيي ويميت هذا جواب سوال غير مذكور تقديره قال له نمرود
من ربك قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت قال يعني نمرود انا احيي واميت
قال اكثر المفسرين دعا نمرود برجلين فقتل احدهما واستحيا الاخر
فجعل ترك القتل احيا فانتقل ابراهيم الى حجة اخرى لا عجزا عن نصرة حجته
الاولى فانها كانت لازمة لانه اراد بالاحيا احيا الميت فكان لابرهيم ان يقول
لنمرود فاحيي من امتّ ان كنت صادقا ولكن انتقل الى حجة اخرى اوضح من
الاولى لما راى من قصور فهم نمرود وضعف رايه فانه عارض الفعل بمثله
وسمى اختلاف الفعلين قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها
من المغرب فبهت الذي كفر يعني تحير نمرود ودهش وانقطعت حجته ولم
يرجع اليه شيا وعرف انه لا يطيق ذلك فان قلت كيف بهت الذي كفر وكان
يمكنه ان يقول لابرهيم سل انت ربك حتى ياتي بها من المغرب قلت انما لم
يقله لانه خاف ان لو سال ذلك لدعا ابرهيم ربه فكان ذلك زيادة في فضيحة
نمرود وانقطاعه وقيل ان الله تعالى صرفه عن تلك المعارضة اظهارا للحجة
عليه ومعجزة لابرهيم صلى الله عليه وسلم وهو الصحيح والله لا يهدي القوم الظالمين
يعني لا يرشدهم الى حجة يدحضون بها حجج اهل الحق عند المحاجة والمخاصمة وعنى
بالظالمين نمرود قوله عز وجل او كالذي مر على قرية هذه معطوفة على الاية
التي قبلها والمعنى الم تر الى الذي حاج ابرهيم او كالذي مر على قرية فيكون هذا
عطفا على المعنى وقيل تقديره هل رايت كالذي حاج ابرهيم وهل رايت كالذي
مر على قرية وقيل الكاف زايدة والتقدير الم تر الى الذي حاج ابرهيم او الى الذي

مر على قرية



مر على قرية واختلفوا في ذلك المار فروي عن مجاهد انه كان كافرا شك في البعث
وهذا القول ضعيف لقوله تعالى قال كم لبثت والله تعالى لا يخاطب الكافر ولقوله
تعالى ولنجعلك اية للناس وهذا اللفظ لا يستعمل في حق الكافر انما يستعمل
في حق الانبيا وقال قتادة وعكرمة والضحاك والسدي هو عزير بن شرخيا
وقال وهب بن منبه هو ارميا بن خلقيا من سبط هارون وهو الخضر والمقصود
القصة تعريف منكري البعث قدرة الله تعالى على احيا خلقه بعد اماتتهم
لا تعريف اسم ذلك المار على القرية فجايز ان يكون ذلك المار هو عزير وجايز ان يكون
ارميا وفي هذه القصة دلالة عظيمة بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
لانه اخبر اليهود بما يجدونه في كتبهم ويعرفونه وهو نبي لم يقرا الكتب القديمة
واختلفوا في تلك القرية فقيل هي بيت المقدس وذلك لما خربها بخت نصر
والمراد بالاحيا هنا عمارتها وقيل هي القرية التي اهلك الله اهلها الذين خرجوا
من ديارهم وهم الوف وقيل هي دير سابر اباد وقيل سلما باد وقيل هي دير هرقل وقيل
هي قرية العنب وهي على فرسخين من بيت المقدس وهي خاوية على عروشها اي
ساقطة على سقوفها وذلك ان السقوف سقطت اولا ثم وقعت الحيطان عليها
بعد ذلك قال يعني ذلك المار انى يحيي هذه الله بعد موتها من قال ان ذلك
المار كان كافرا وهو ضعيف انما حمله على الشك في قدرة الله ومن قال كان نبيا
حمله على سبيل الاستبعاد بحسب مجاري العرف والعادة لا على سبيل الانكار
لقدرة الله تعالى او كان المقصود منه طلب زيادة الدلايل لاجل التاكيد كما قال
ابرهيم عليه السلام رب ارني كيف تحيي الموتى ومعنى انى يحيي هذه الله من ان يحيي هذه
القرية والمراد بالاحيا عمارتها فاحب الله ان يريه اية في نفسه وفي احيا تلك القرية
وكان سبب القصة ما روي عن وهب بن منبه ان الله تعالى بعث ارميا الى ناشية
بن اموص ملك بني اسرايل ليسدده وياتيه بالخبر من الله تعالى فعظمت الاحداث
في بني اسرايل وركبوا المعاصي فاوحى الله تعالى الى ارميا ان ذكر قومك نعمي عليهم
وعرفهم احداثهم وادعهم الي فقال ارميا يا رب اني ضعيف ان لم تقوني
عاجز ان لم تبلغني مخذول ان لم تنصرني فقال الله تعالى اني الهمك فقام

ارميا نهم ولم يدر ما يقول فالهمه الله تعالى في الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم
فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وكان في اخرها عن الله عز وجل اني احلف
بعزتي لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولاسلطن عليهم جبارا فارسيا البسه
الهيبة وانزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم اوحى
الله تعالى اني مهلك بني اسرائيل بيافث ويافث هم اهل بابل وهم من ولد يافث بن
نوح فلما سمع ارميا ذلك صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على راسه فلما راى
الله تعالى تضرعه وبكاه ناداه يا ارميا اشق عليك ما اوحيت اليك قال نعم يا رب
اهلكني قبل ان ارى في بني اسرائيل ما لا اسر به فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي
لا اهلك بني اسرائيل حتى يكون الامر في ذلك من قبلك ففرح ارميا بذلك وطابت
نفسه وقال كلا والذي بعث موسى بالحق لا ارضى بهلاك بني اسرائيل ثم اتى الملك فاخبره
بذلك وكان ملكا صالحا فاستبشر وفرح وقال ان يعذبنا ربنا فبذنوبنا وان
يعف عنا فبرحمته ثم انهم مكثوا بعد ذلك الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا الا معصية
وتماديا في الشر فقل الوحي وذلك حين اقترب هلاكهم فدعاهم الملك الى التوبة
فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بخت نصر البابلي فخرج في ستماية الف راية يريد اهل
بيت المقدس فلما فصل سايرا واتى الخبر الى ملك بني اسرائيل قال لارميا اين ما زعمت
ان الله تعالى اوحى اليك فقال ارميا ان الله لا يخلف الميعاد وانا به واثق فلما قرب
الاجل بعث الله تعالى الى ارميا ملكا قد تمثل له في صورة رجل من بني اسرائيل فقال
له ارميا من انت قال انا رجل من بني اسرائيل استفتيك في اهل رحمي وصلت
ارحامهم ولم ات اليهم الا حسنا ولا يزيدهم اكرامي اياهم الا اسخاطا لي فافتني فيهم
فقال ارميا احسن فيما بينك وبين الله وصلهم وابشر بخير فانصرف الملك فمكث
اياما ثم اقبل اليه في صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه فقال له ارميا من انت
قال انا رجل من بني اسرائيل اتيتك استفتيك في شان اهلي فقال له ارميا
اما طهرت اخلاقهم بعد لك منهم فقال يا نبي الله والذي بعثك بالحق ما اعلم
كرامة ياتيها احد من الناس الى رحمه الا قدمتها اليهم وافضل فقال ارميا
ارجع اليهم فاحسن اليهم اسال الله الذي يصلح عباده الصالحين ان يصلحهم فقام

الملك

الملك فمكث اياما ثم ان بخت نصر نزل بجنوده بيت المقدس ففزع منهم بنوا
اسرائيل فقال ملكهم لارميا يا نبي الله اين ما وعدك الله تعالى فقال اني بربي واثق
ثم اقبل ذلك الملك الى ارميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر
بنصر ربه الذي وعده فقعد بين يديه فقال له ارميا من انت قال انا الذي
جيتك في شان اهلي مرتين فقال ارميا ان لهم ان يفيقوا من الذي هم فيه
فقال الملك يا نبي الله ان كل شي كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت اصبر عليه
فاليوم رايتهم على عمل لا يرضي الله تعالى فقال ارميا على اي عمل رايتهم قال
عمل عظيم يسخط الله تعالى فغضبت لله تعالى فاتيتك لاخبرك واني اسالك
بالله الذي بعثك بالحق ان تدعو الله عليهم ليهلكوا فقال ارميا يا مالك السموات
والارض يا ذا الجلال والاكرام ان كانوا على حق وصواب فابقهم وان كانوا على
عمل لا ترضاه فاهلكهم فما خرجت الكلمة من فيه حتى ارسل الله عز وجل صاعقة
من السما على بيت المقدس فالتهب مكان القربان واحرقت سبعة ابواب من ابوابه
فلما راى ذلك ارميا صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على راسه وقال يا مالك
السموات والارض اين ميعادك الذي وعدتني به فنودي انهم لم يصبهم ما اصابهم
الا بفتياك ودعايك عليهم فاستيقن ارميا انها فتياه وان ذلك السايل كان
رسول من الله اليه فخرج ارميا حتى خالط الوحوش ودخل بخت نصر وجنوده بيت
المقدس ووطي الشام وقتل بني اسرائيل حتى افناهم وخرب بيت المقدس
وامر جنوده ان يملا كل رجل منهم ترسه ترابا ويقذفه في بيت المقدس ففعلوا
ذلك حتى ملوه ثم امرهم ان يجمعوا من كان في بلدان بيت المقدس فاجتمع عنده
من كان بقي من بني اسرائيل من صغير وكبير فاختار منهم سبعين الف صبي فقسمهم
بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل اربعة الغلمة وكان في اوليك الغلمان
دانيال وحنانيا وعزير وفرق من بقي من بني اسرائيل ثلاث فرق فقتل ثلثا قتلهم
وثلثا سباهم وثلثا اقرهم بالشام فكانت هذه الوقعة الاولى التي انزل الله
ببني اسرائيل بظلمهم فلما ولى بخت نصر راجعا الى بابل ومعه سبايا بني اسرائيل
اقبل ارميا على حمار له ومعه عصير عنب في ركوة وسلة تين حتى غشي ايليا وهي ارض

بيت المقدس فلما راي خرابها قال اني يحيي هذه الله بعد موتها ومن قال ان
المار كان عزيرا قال ان بخت نصر لما خرب بيت المقدس وقدم بسبي بني
اسرائيل وكان فيهم عزير ودانيال وسبعة الاف من اهل بيت داود
فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حمار حتى نزل دير هرقل على شط دجلة
فطاف في القرية فلم ير احدا وعامة شجرها حامل فاكل من الفاكهة
واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل
العصير في زق ولما راي خراب القرية وهلاك اهلها قال اني يحيي هذه
الله بعد موتها وانما قال ذلك تعجبا لا شكا في البعث ورجعنا الى الحديث
قال وهب ثم ان ارميا ربط حماره بحبل جديد والقى الله عليه النوم فلما
نام نزع الله منه الروح مائة عام وامات حماره وبقي عصيره وتينه عنده واعمى
الله عنه العيون فلم يره احد وذلك ضحى ومنع لحمه من السباع والطير
فلما مضى من وقت موته سبعين سنة ارسل الله تعالى ملكا الى ملك من ملوك
فارس يقال له نوشك وقال له ان الله يامرك ان تنفر بقومك فتعمر بيت
المقدس وايليا حتى يعود اعمر ما كان فانتدب الملك الف قهرمان
مع كل قهرمان ثلاثمائة الف عامل وجعلوا يعمرونها واهلك الله بخت نصر
ببعوضة دخلت في دماغه ونجى الله من بقي من بني اسرائيل وردهم جميعا
الى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا احسن ما كانوا
فلما مضت المائة احيا الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم احيا الله جسده
وهو ينظر ثم نظر الى حماره فاذا عظامه تلوح بيض متفرقة فسمع صوتا من
السماء ايتها العظام البالية ان الله يامرك ان تجتمعي فاجتمع بعضها الى بعض
ثم نودي ان الله يامرك ان تكتسي لحما وجلدا فكان كذلك ثم نودي ان الله
يامرك ان تحيي فقام الحمار باذن الله ثم نهق وعمر الله ارميا فهو يرى في
الفلوات فذلك قوله تعالى **فاماته الله مائة عام** اصل العام من العوم
وهو السباحة سميت السنة عاما لان الشمس تعوم في جميع بروجها
ثم بعثه اي ثم احياه واصله من بعثت الناقة اذا اقمتها من مكانها **قال كم**

لبثت

لبثت يعني قال الله تعالى له كم قدر الزمان الذي مكثت فيه ميتا قبل ان ابعثك
من مكانك حيا ويقال ان الله تعالى لما احياه بعث اليه ملكا فساله كم لبثت
قال يعني ذلك المبعوث بعد مماته **لبثت يوما** وذلك ان الله تعالى اماته ضحى
في اول النهار واحياه بعد مائة سنة في اخر النهار قبل ان تغيب الشمس فقال
لبثت يوما وهو يرى ان الشمس قد غابت ثم التفت فراي بقية من الشمس فقال
او بعض يوم قال يعني قال الله له وقيل قال الملك له **بل لبثت مائة عام**
فانظر الى طعامك يعني التين الذي كان معك قبل موتك **وشرابك** يعني ذلك
العصير **لم يتسنه** يعني لم تغيره السنون التي اتت عليه فكان التين كانه قد
قطف من ساعته والعصير كانه قد عصر من ساعته لم يتغير ولم ينتن **وانظر**
الى حمارك اي وانظر الى احياء حمارك فنظر فاذا هو عظام بيض فركب الله تعالى العظام
بعضها على بعض ثم كساه اللحم والجلد واحياه وهو ينظر **ولنجعلك اية**
للناس قيل الواو زائدة مقحمة وقيل دخول الواو فيه دلالة انها شرط لفعل
بعدها والمعنى ما فعلنا من الاماتة والاحياء لنجعلك اية للناس يعني عبرة وفعلنا صح
ودلالة على البعث بعد الموت قاله اكثر المفسرين وقيل انه عاد الى قريته
وهو شاب اسود الراس واللحية واولاد اولاد اولاده شيوخ وعجائز
شمط فكان ذلك اية للناس **وانظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها**
لحما قرئ بالراء ومعناه كيف نحييها يقال انشر الله الميت انشارا اي
احياه وقرئ بالزاي ومعناه كيف نرفعها من الارض ونردها الى اماكنها
من الجسد ونركب بعضها على بعض وانشاز الشيء رفعه وازعاجه يقال
نشزته فنشز اي رفعته فارتفع واختلفوا في معنى الاية فقال الاكثرون
انه اراد عظام الحمار وقيل ان الله تعالى لما احيا عزيرا او ارميا على اختلاف القولين
فيه ثم قال له انظر الى حمارك قد هلك وبليت عظامه فنظر وبعث الله
ريحا فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل فاجتمعت فركب بعضها على بعض
حتى الكسرة من العظم رجعت الى موضعها فصار حمارا من عظم ليس فيه لحم
ولا فيه دم ثم كسا الله تلك العظام اللحم والعروق والدم فصار حمارا ذا لحم



ودم لا روح فيه ثم بعث الله ملكا فاقبل اليه يمشي حتى اخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه
الروح فقام الحمار حيا باذن الله ثم نهق وقيل اراد بالعظام عظام هذا
الرجل نفسه وذلك ان الله تعالى اماته ثم بعثه ولم يمت حماره ثم قيل له انظر
الى حمارك فنظر فراى حماره حيا قائما كهيئته يوم ربطه لم يطعم ولم يشرب
مائة عام ونظر الى الرمة في عنقه جديدة لم تتغير ثم قيل له انظر الى العظام
وذلك ان الله اول ما احيا منه عينيه فنظر فراى سائر جسده ميتا وفي الاية
تقديم وتاخير تقديره وانظر الى حمارك وانظر الى العظام كيف ننشزها ولنجعلك
اية للناس وعن ابن عباس وغيره من المفسرين لما احيا الله عزيرا بعد ما اماته مائة
سنة ركب حماره حتى اتى الى محلته فانكره الناس وانكرهو الناس وانكر منازله
فانطلق على وهم حتى اتى منزله فاذا بعجوز عمياء مقعدة قد اتى عليها مائة وعشرون
سنة وكانت امة لهم ولما خرج عزير عنهم كانت بنت عشرين سنة وكانت قد
عرفته وعقلته فقال لها يا هذه هذا منزل عزير فقالت نعم وبكت وقالت
ما رايت احدا يذكر عزيرا منذ كذا وكذا فقال انا عزير فقالت سبحان الله
ان عزيرا افتقدناه من مائة سنة ولم نسمع له بذكر فقال اني عزير ان الله
اماتني مائة سنة ثم احياني فقالت ان عزيرا كان رجلا مجاب الدعوة
وكان يدعو للمريض وصاحب البلايا بالعافية فادع الله ان يرد علي بصري
حتى اراك فان كنت عزيرا عرفتك فدعا ربه ومسح بيده على عينيها
فصحتا واخذ بيدها وقال لها قومي باذن الله فاطلق الله رجليها فقامت
صحيحة فنظرت اليه وقالت اشهد انك عزير وانطلقت الى بني اسرائيل
وهم في انديتهم ومجالسهم وابن لعزير شيخ ابن مائة سنة وثمانية عشر سنة
وبنو ابنه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت انا فلانة
مولاتكم قد دعا لي عزير ربه فرد بصري واطلق رجلي وزعم ان الله قد كان
اماته مائة سنة ثم بعثه قال فنهض الناس اليه وقال ابنه كان لابي
شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فنظر اليها
فراها فعرف انه عزير وقيل لما رجع عزير الى قريته وقد احرق بخت نصر

التوراة

التوراة ولم يكن من الله عهد بين الخلق بكى عزير على التوراة فاتاه ملك باناء
فيه ما فسقاه من ذلك الما فمثلت التوراة في صدره فرجع الى بني اسرائيل
وقد علمه الله التوراة وبعثه نبيا فقال انا عزير فلم يصدقوه فقال
انا عزير قد بعثني الله اليكم لاجدد لكم توراتكم قالوا فاملها علينا فاملاها
عليهم من ظهر قلبه قالوا ما جعل الله التوراة في قلب رجل بعد ما ذهبت
الا انه ابنه فقالوا عزير ابن الله وستاتي القصة في سورة التوبة ان شاء
الله تعالى **فلما تبين له** يعني فلما اتضح له عيانا ما كان ينكره من احيا القرية
وراه عيانا في نفسه **قال اعلم** قرئ مجزوما وموصولا على الامر يعني قال الله
له اعلم وقرئ اعلم على قطع الالف ورفع الميم على الخبر عن الذي قال انى يحيي
هذه الله بعد موتها والمعنى فلما تبين له وراى ذلك عيانا قال اعلم **ان الله
على كل شيء قدير** يعني الاماتة والاحيا قوله عز وجل **واذ قال ابراهيم رب ارني
كيف تحيي الموتى** اختلفوا في سبب هذا السؤال من ابراهيم عليه السلام فقيل
انه مر على دابة ميتة وهي جيفة حمار وقيل بل كانت حوتا ميتة بساحل البحر
وقيل بحر طبرية فراها وقد توزعها دواب البحر والبر فاذا مد البحر جات
الحيتان فاكلت منها واذا جزر البحر جات السباع فاكلت منها فاذا ذهبت
السباع جات الطير فاكلت منها فلما راى ابراهيم ذلك تعجب منها وقال يا رب
قد علمت انك لتجمعها من بطون السباع وحواصل الطيور واجواف
دواب البحر فارني كيف تحييها لاعاين ذلك فازداد يقينا فعاتبه الله
تعالى **قال اولم تؤمن** يعني اولم تصدق **قال بلى** يا رب قد علمت وامنت
ولكن ليطمئن قلبي اي ليسكن قلبي عند المعاينة اراد ابراهيم عليه السلام
ان يصير له علم اليقين عين اليقين لان الخبر ليس كالمعاينة وقيل لما راى
الجيفة على البحر وقد تناولتها السباع والطير ودواب البحر تفكر كيف يجمع
ما تفرق من تلك الجيفة وتطلعت نفسه الى مشاهدة ميت يحييه ربه
ولم يكن ابراهيم عليه السلام شاكا في احيا الله الموتى ولا دافعا له ولكنه
احب ان يرى ذلك عيانا كان المومنين يحبون ان يروا نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم

ويحبون روية الله تعالى والجنة ويطلبونه ويسالونه في دعايهم مع الايمان بصحة
ذلك وزوال الشك عنهم فكذلك احب ابرهيم ان يصير الخبر له عيانا وقيل كان
سبب هذا السوال من ابرهيم انه لما احتج على نمرود فقال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت
فقال نمرود وانا احيي واميت فقتل احدي الرجلين واطلق الاخر فقال ابراهيم
ان الله تعالى يقصد الى جسد ميت فيحييه فقال له نمرود انت عاينته فلم يقدر
ابرهيم ان يقول نعم فانتقل الى حجة اخرى ثم سال ابرهيم ربه ان يريه كيف
يحيي الموتى قال اولم تومن قال بلى ولكن ليطمين قلبي بقوة حجتي فاذا قيل انت
عاينته فاقول نعم وقال سعيد بن جبير لما اتخذ الله ابرهيم خليلا سال ملك
الموت ربه ان ياذن له فيبشر ابرهيم بذلك فاذن له فاتى ابرهيم ولم يكن
في الدار فدخل داره وكان ابراهيم من اغير الناس كان اذا خرج اغلق بابه
فلما جا وجد في الدار رجلا فثار اليه لياخذه وقال من اذن لك ان تدخل داري
فقال اذن لي رب الدار فقال ابراهيم صدقت وعرف انه ملك فقال له
من انت فقال انا ملك الموت جيت ابشرك ان الله قد اتخذك خليلا فحمد الله تعالى
وقال له ما علامة ذلك قال ان يجيب الله دعاك ويحيي الموتى بسوالك فحينيذ
قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تومن قال بلى ولكن ليطمين قلبي
بانك اتخذتني خليلا وتجيبني اذا دعوتك وتعطيني اذا سالتك عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن احق بالشك من ابراهيم اذ قال رب
ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تومن قال بلى ولكن ليطمين قلبي ويرحم الله
لوطا لو كان ياوي الى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لاجبت
الداعي الفصول على معنى الحديث وما يتعلق به اختلف العلما في قوله
صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابرهيم على اقوال كثيرة فاحسنها
واصحها ما نقل المزني وغيره من العلما ان الشك مستحيل في حق ابراهيم
فان الشك في احيا الموتى لو كان متطرقا الى الانبيا لكنت انا احق به من ابرهيم
وقد علمتم اني لم اشك فاعلموا ان ابرهيم لم يشك وانما خص ابراهيم بالذكر
لكون الاية قد يسبق الى بعض الاذهان الفاسدة منها احتمال الشك ونفى

ذلك عنه



التاسع عشر من تفسير الخازن ١٨



ذلك عنه وقال الخطابي ليس في قوله نحن احق بالشك من ابرهيم اعتراف
بالشك على نفسه ولا على ابرهيم لكن فيه نفي الشك عنهما يقول اذا لم اشك
في قدرة الله على احيا الموتى فابراهيم اولى بان لا يشك وقال ذلك على سبيل
التواضع والهضم من النفس وكذلك قوله لو لبثت في السجن طول ما لبث
يوسف لاجبت الداعي وفيه الاعلام بان المسالة من ابرهيم لم تعرض من جهة
الشك لكن من قبل زيادة العلم بالعيان يفيد من المعرفة والطمانينة ما لا يفيد
بالاستدلال وقيل لما نزلت هذه الاية قال قوم شك ابراهيم ولم يشك نبينا
صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابرهيم
ومعناه ان هذا الذي تظنونه شكا انا اولى به فانه ليس بشك وانما هو طلب لمزيد
اليقين وانما رجح ابرهيم صلى الله عليه وسلم على نفسه صلى الله عليه وسلم تواضعا
منه وادبا او قبل ان يعلم انه صلى الله عليه وسلم خير ولد ادم واما تفسير
الاية فقوله تعالى واذ قال ابراهيم اي واذكر يا محمد اذ قال ابرهيم وقيل انه معطوف
على قوله الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه والتقدير الم تر الى الذي حاج ابرهيم
في ربه الم تر اذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال يعني قال الله لابراهيم
اولم تومن الالف في اولم الف اثبات وايجاب كقول جرير الستم خير من ركب المطايا.
اي الستم كذلك والمعنى اولست قد امنت وصدقت اني احيي الموتى
قال بلى امنت وصدقت ولكن ليطمين قلبي يعني سالتك ذلك ارادة
طمانينة القلب وزيادة اليقين وقوة الحجة وقال ابن عباس معناه ولكن
لاري من اجابتك واعلم انك قد اجبتني قال فخذ اربعة من الطير قيل
اخذ طاووسا وديكا وحمامة وغرابا وقيل نسرا بدل الحمامة فان قلت
لم خص الطير من جملة الحيوانات بهذه الحالة قلت لان الطير صفته
الطيران في السما والارتفاع في الهوا وكانت همة ابراهيم عليه السلام
كذلك وهو العلو في الوصول الى الملكوت فكانت معجزته مشاكلة لهمته
فان قلت لم خص هذه الاربعة اجناس من الطير بالاخذ قلت فيه اشارة
في الطاووس اشارة لما في الانسان من حب الزينة والجاه وفي النسر اشارة

الي شدة الشغف بالاكل وفي الديك اشارة الي شدة الشغف بجنب النكاح
وفي الغراب اشارة الي شدة الحرص ففي هذه الطيور مشابهة لما في الانسان
من حب هذه الاوصاف وفيه اشارة الي ان الانسان اذا ترك هذه
الشهوات الذميمة لحق اعلا الدرجات في الجنة ونال سبيل السعادات
فصرهن اليك قري بكسر الصاد ومعناه قطعهن ومزقهن وقري بضم الصاد
ومعناه املهن اليك ووجههن اليك وقيل معناه اجمعهن واضممهن اليك
يقال صره بالامالة والضم قال فيه اضمار ومعناه فصرهن اليك ثم قطعهن
فحذفه اكتفا بقوله ثم اجعل علي كل جبل منهن جزا لانه يدل عليه قال المفسرون
امر الله تعالى ابراهيم صلى الله عليه وسلم ان يذبح تلك الطيور وينتف ريشها
وان يخلط ريشها ولحمها ودمها بعضه ببعض ففعل ثم امره ان يجعل علي
كل جبل منهن جزا واختلفوا في عدد الاجزا والجبال فقال ابن عباس رضي الله
عنه امر ان يجعل كل طير اربعة اجزا وان يجعلها علي اربعة اجبل علي كل
جبل ربعا من كل طير قيل جبل علي جهة الشرق وجبل علي جهة الغرب
وجبل علي جهة الشمال وجبل علي جهة الجنوب وقيل جزاه سبعة اجزا ووضعها
علي سبعة اجبل وامسك روسهم بيده ثم دعاهن فقال تعالين باذن الله
تعالى فجعل كل قطرة من دم طاير تطير الي القطرة الاخرى وكل ريشة
تطير الي الريشة الاخرى وكل عظم يطير الي العظم الاخر وكل بضعة
تطير الي البضعة الاخرى وابراهيم ينظر حتى لقيت كل جثة بعضها
ببعض في السما بغير روس ثم اقبلن سعيا الي روسهن كلما جا طاير قال براسه
فان كان راسه دنا منه وان لم يكن تاخر عنه حتى التقى كل طاير براسه
فذلك قوله تعالى ثم ادعهن ياتينك سعيا وقيل المراد بالسعي الاسراع
والعدو وقيل المشي والحكمة في سعي الطيور اليه دون الطيران لان ذلك
ابعد من الشبهة لانها لو طارت لتوهم متوهم انها غير تلك الطيور
وان ارجلها غير سليمة فنفى الله تعالى هذه الشبهة بقوله ياتينك سعيا
وقيل المراد بالسعي المشي والمراد بالمشي الطيران وفيه ضعف لانه لا يقال

للطاير

للطاير اذا طار سعى وقيل السعي المشي وهو الحركة الشديدة واعلم ان الله
عزيز يعني انه تعالى غالب علي جميع الاشيا لا يعجزه شي حكيم يعني في جميع
اموره قوله تعالى مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله قيل
اراد به الانفاق في الجهاد وقيل هو الانفاق في جميع ابواب الخير ووجوه
البر فيدخل فيه الواجب والتطوع وفيه اضمار تقديره مثل صدقات
الذين ينفقون اموالهم كمثل حبة اي كمثل زارع حبة انبتت اي اخرجت تلك
الحبة سبع سنابل جمع سنبلة في كل سنبلة ماية حبة فان قلت فهل رايت
سنبلة فيها ماية حبة حتى يضرب المثل بها قلت ذلك غير مستحيل وما لا يكون
مستحيلا فضرب المثل به جايز وان لم يوجد والمعنى في كل سنبلة ماية حبة
ان جعل الله ذلك فيها وقيل هو موجود في الدخن وقيل ان المقصود من
الاية انه اذا علم الانسان الطالب للزيادة والربح انه اذا بذر حبة واحدة
اخرجت له سبعماية حبة ما كان ينبغي له ترك ذلك ولا التقصير فيه فكذلك
ينبغي لمن طلب الاجر عند الله في الاخرة ان لا يترك الانفاق في سبيل الله
اذا علم انه يحصل له بالواحد عشرة وماية وسبعماية والله يضاعف لمن يشا
يعني انه تعالى يضاعف هذه المضاعفة لمن يشا وقيل معناه يضاعف علي هذا
ويزيد لمن يشا من سبع الي سبعين الي سبعماية الي ما يشا من الاضعاف مما لا يعلمه
الا الله تعالى والله واسع يعني غني يعطي الغنا عن سعة وقيل واسع القدرة
علي المجازاة وعلي الجود والافضال عليم يعني بنية من ينفق في سبيله وقيل
عليم بمقادير الانفاق وبما يستحق المنفق من الجزا والثواب عليه قوله
عز وجل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله قيل نزلت في عثمان بن عفان
وعبد الرحمن بن عوف اما عثمان فجهز المسلمين في غزوة تبوك بالف بعير باقتابها
واحلاسها فنزلت فيه هذه الاية وقيل ان عبد الرحمن بن سمرة جا عثمان بالف
دينار في جيش العسرة فصبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فرايته يدخل
يده فيها ويقلبها ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم فانزل الله
الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله واما عبد الرحمن بن عوف فجا باربعة

وقال كان عندي
الاف درهم صدقة الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كان عندي
ثمانية الاف فامسكت لنفسي ولعيالي اربعة الاف واربعة الاف اقرضتها
لربي عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما امسكت
وفيما اعطيت والمعنى الذين ينفقون المجاهدين في سبيل الله بالانفاق
عليهم في حوائجهم ومونتهم **ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى** اي لا يتبع
نفقته التي انفقها عليهم بالمن والاذى وهو ان يمن عليه بعطائه فيقول
قد اعطيتك كذا وكذا فيعدد نعمه عليه فيكدرها عليه والاذى هو ان يعيره
فيقول كم تسال وانت فقير ابدا وقد بليت بك واراحني الله منك وامثال
ذلك والمن في اللغة الانعام والمنة النعمة الثقيلة يقول من علي فلان
علي فلان اذا اثقله بالنعمة ويكون ذلك بالقول ومنه قول الشاعر
فمني علينا بالسلام فانما ٭ كلامك ياقوت ودر منظم ٭
ومن المن بالقول ما هو مستقبح بين الناس مثل ان يمن على الانسان بما
اعطاه قال عبد الرحمن بن يزيد كان ابي يقول اذا اعطيت رجلا شيئا ورايت
ان سلامك يثقل عليه فلا تسلم عليه والعرب تمدح بترك المن وكتم
النعمة وتذم على اظهاره والمن به قال قائلهم في المدح بترك المن
زاد معروفك عندي عظما ٭ انه عندك مستور حقير ٭
تتناساه كان لم تاته ٭ وهو في العالم مشهور كبير ٭
وقال قائلهم في ذم المنان بالعطا ٭
اتيت قليلا ثم اسرعت منة ٭ فنيلك ممنون كذاك قليل ٭
واما الاذى فهو ما يصل الى الانسان من ضرر بقول او فعل اذا عرفت
هذا فنقول هو اظهار المعروف الى الناس والمن عليهم به والاذى هو
ان يشكي منهم بسبب ما اعطاهم فحرم الله تعالى على عباده المن بالمعروف
والاذى فيه وذم فاعله فان قلت قد وصف الله تعالى نفسه بالمنان
فما الفرق قلت المنان في صفة الله تعالى معناه المتفضل لان الله افضاله
على عباده واحسانه اليهم في جميع ما هم فيه منة منه سبحانه وتعالى من العباد

تقيير

تقيير وتكدير فظهر الفرق بينهما وقوله تعالى **لهم اجرهم** يعني ثوابهم
عند ربهم يعني في الاخرة **ولا خوف عليهم** يعني يوم القيمة **ولا هم يحزنون**
يعني على ما خلفوا في الدنيا **قول معروف** اي كلام حسن ورد جميل على الفقير
السايل وقيل عدة حسنة يعده بها وقيل دعا صالح يدعو له بظهر
الغيب **ومغفرة** اي يستر عليه خلته وفقره ولا يهتك ستره وقيل هو
ان يتجاوز عن الفقير اذا استطال عليه حالة رده **خير من صدقة** يعني
هذا القول المعروف والمغفرة خير من الصدقة التي يدفعها الى الفقير **يتبعها
اذى** وهو ان يعطي الفقير الصدقة ويمن عليه بها ويعيره بقول او يوذيه
بفعل **والله غني** اي مستغن عن صدقة العباد والغني الكامل الغني الذي
لا يحتاج الى احد وليس كذلك الا الله تعالى **حليم** يعني ان الله تعالى حليم لا يعجل
بالعقوبة على من يمن على عباده ويوذي بصدقته قوله تعالى **يا ايها الذين
امنوا لا تبطلوا صدقاتكم** يعني اجور صدقاتكم **بالمن والاذى** يعني على
السايل الفقير وقال ابن عباس بالمن على الله تعالى والاذى لصاحبها
ثم ضرب الله تعالى لذلك مثلا فقال تعالى **كالذي** اي كابطال الذي **ينفق
ماله رئاء الناس** اي مرآة لهم وسمعة ليروا نفقته ويقولوا انه سخي كريم
ولا يومن بالله واليوم الاخر يعني ان الريا يبطل الصدقة ولا تكون النفقة
مع الريا من فعل المومنين لكن من فعل المنافقين لان الكافر معلن بكفره غير
مرآي به **فمثله** اي مثل هذا المرائي بصدقته وساير اعماله **كمثل صفوان**
هو الحجر الاملس الصلب وهو واحد وجمع فمن جعله جمعا قال واحده
صفوانة ومن جعله واحدا قال جمعه صفي **عليه تراب** اي على ذلك
الصفوان تراب **فاصابه وابل** يعني المطر الشديد العظيم القطر **فتركه
صلدا** يعني ترك المطر ذلك الصفوان صلدا املس لا شي عليه من ذلك
التراب فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة المنافق والمرائي والمومن المنان
بصدقته ويوذي الناس يرى ان لهولاء اعمالا في الظاهر كما يرى التراب
على هذا الصفوان فاذا جا المطر اذهبه وازاله وكذلك هولاء يوم القيمة

تبطل اعمالهم وتضمحل لانها لم تكن لله تعالى كما اذهب الوابل ما على الصفوان
من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا اي لا يقدرون على ثواب شيء مما عملوا
في الدنيا والله لا يهدي القوم الكافرين يعني الذي سبق في علمه انهم
يموتون على الكفر روى البغوي بسنده عن محمود بن لبيد ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك
الاصغر يا رسول الله قال الريا يقول لهم يوم يجازي العباد باعمالهم اذهبوا
الى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء م عن ابي هريرة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى انا اغنى الشركا
عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معي غيري تركته وشركه قوله عز وجل
ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله اي طلب رضاء الله وتثبيتا
من انفسهم يعني على الانفاق في طاعة الله وتصديقا بثوابه وقيل معناه ان
انفسهم موقنة مصدقة بوعد الله اياها فيما انفقت وقيل احتسابا وتصديقا
والمعنى انهم يخرجون زكاة اموالهم وينفقون اموالهم في سائر وجوه البر
والطاعات طيبة انفسهم بما انفقوا على يقين بثواب الله وتصديق بوعده
يعلمون ان ما انفقوا خير لهم مما تركوا وقيل معناه على يقين باخلاف الله عليهم
وقيل معناه انهم يتثبتون في الموضع الذي يضعون فيه صدقاتهم قيل كان الرجل
اذا هم بصدقة يتثبت فان كانت لله خالصة امضاها وان خالطها شك او
ريا امسك كمثل جنة اي بستان قال الفرا اذا كان في البستان نخل فهو جنة
وان كان فيه كرم فهو فردوس بربوة هي المكان المرتفع على الارض المستوي لان ما ارتفع
من الارض عن مسيل الما والاودية كان ثمرها احسن وازكى اذا كان لها من الماء
ما يرويها وقيل هي الارض المستوية الجيدة الطيبة اذا اصابها المطر انتفخت
وربت فاذا كانت الارض بهذه الصفة كثر ريعها وحملت اشجارها اصابها وابل
وهو المطر الشديد قال بعضهم

ما روضة من رياض الحزن معشبة * خضرا جاد عليها وابل هطل

اراد بالحزن ما غلظ وارتفع من الارض فآتت اكلها ضعفين اي فاعطت ثمرها

مثلين

١٨٣



مثلين قيل انها حملت في سنة من الريع ما يحمله غيرها في سنتين وقيل
اضعفت فحملت في السنة مرتين فان لم يصبها وابل فطل اي طش وهو
المطر الخفيف الضعيف والمعنى ان لم يكن اصابها وابل واصابها طل
فتلك حال هذه الجنة في تضاعف ثمرها فانها لا تنقص بالطل عن مقدار
ثمرها بالوابل وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المؤمن المخلص في انفاقه
وسائر عمله يقول الله تعالى كما ان الجنة تريع وتزكو في كل حال ولا تخلف
سوا المطر كان قليلا او كثيرا فكذلك يضعف الله صدقة المؤمن المخلص
في صدقته وانفاقه الذي لا يمن ولا يؤذي سوا قلت نفقته او كثرت
والله بما تعملون بصير يعني انه تعالى لا يخفى عليه نفقة المخلص في صدقته
الذي لا يمن بها ولا يؤذي والذي يمن بصدقته ويؤذي قوله تعالى ايود
احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب هذه متصلة بما قبلها
وهو قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ايود يعني ايحب احدكم
ان تكون له جنة اي بستان من نخيل واعناب انما خصهما بالذكر لانهما
اشرف الفواكه واحسنها ولما فيهما من الغذا والتفكه تجري من تحتها الانهار
يعني ان جري الانهار فيها من تمام حسنها وسببا لزيادة ثمرها له فيها من كل
الثمرات لان ذلك من تمام كمال البستان وحسنه واصابه الكبر يعني
لصاحب هذه الجنة وكثرت جهات حاجاته ولم يكن له كسب غيرها فحينئذ
يكون في غاية الاحتياج الى تلك الجنة فان قلت كيف عطف واصابه
الكبر على ايود وكيف يجوز عطف الماضي على المستقبل قلت فيه وجهان
احدهما ان يكون له جنة حال ما اصابه الكبر والوجه الثاني انه عطف على
المعنى فكانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وله ذرية
ضعفا يعني له اولاد ضعاف عجزة عن الحركة لسبب الضعف والصغر فاصابها
يعني اصاب تلك الجنة اعصار فيه نار فاحترقت الاعصار ريح ترتفع الى السما
وتستدير كانها عمود وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المنافق والمرائي
يقول مثل عمل المنافق والمرائي بعمله في حسنه كمثل جنة ينتفع بها

صاحبها فالكبر وضعف وصار له اولاد ضعاف اصاب جنته اعصار
فيه نار فاحرقها وهو احوج ما يكون اليها فحصل في قلبه من الغم والحيرة
ما لا يعلمه الا الله لكبره وضعفه وضعف اولاده فهو لا يجد ما يعود
به على اولاده وهم لا يجدون ما يعودون به عليه فبقوا جميعا متحيرين
عجزة لا حيلة بايديهم فكذلك حال من اتى يوم القيمة باعمال حسنة و
يتصدق بها وجه الله تعالى فيبطلها الله تعالى وهو في غاية الحاجة اليها حين
لا يستعتب له ولا توبة وقال عبيد بن عمير قال عمر يوما لاصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم فيمن ترون نزلت هذه الاية ايود احدكم قالوا الله اعلم فغضب
عمر وقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء فقال عمر
قل يا ابن اخي ولا تحقر نفسك فقال ضرب الله مثلا لعمل قال لاي عمل قال لرجل
غني يعمل بطاعة الله تعالى ثم بعث الله تعالى له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى
احرق اعماله كلها كذلك يبين الله لكم الايات يعني كما بين الله تعالى لكم امر النفقة
المقبولة وغير المقبولة كذلك يبين الله لكم من الايات سوى ذلك لعلكم تتفكرون
اي تتعظون وقال ابن عباس لعلكم تتفكرون يعني زوال الدنيا واقبال الاخرة
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم اي من خيار ما كسبتم
وجيده وقيل من حلالات ما كسبتم بالتجارة والصناعة وفيه دليل على اباحة
الكسب وانه ينقسم الى طيب وخبيث عن خولة الانصارية قالت سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا المال خضر حلو من اصابه بحقه بورك
له فيه ورب متخوض فيما شاءت نفسه من مال الله ورسوله ليس له يوم القيمة
الا النار اخرجه الترمذي المتخوض الذي ياخذ المال من غير وجهه كما يخوض
الانسان في الماء يمينا وشمالا خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ياتي على الناس زمان لا يبالي المرء بما اخذ منه امن حلال ام من حرام خ عن المقدام
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اكل احد طعاما قط خيرا من ان ياكل من عمل
يده وان نبي الله داود كان ياكل من عمل يده ق عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان اطيب ما اكلتم من كسبكم وان اولادكم من كسبكم اخرجه

الترمذي

للترمذي والنسائي واختلفوا في المراد بقوله تعالى انفقوا فقيل المراد منه
الزكاة المفروضة لان الامر للوجوب والزكاة واجبة فوجب صرف الاية
اليها وقيل المراد به صدقة التطوع وقيل انه يتناول النفل والفرض
جميعا لان المفهوم من هذا الامر ترجيح جانب الفعل على الترك وهذا المفهوم
قدر مشترك بين الفرض والنفل فوجب ان يدخل تحت هذا الامر فعلى القول
الاول ان المراد من هذا الانفاق هو الزكاة فيتفرع عليه مسائل المسئلة
الاولى ظاهر الاية يدل على وجوب الزكاة في كل مال يكتسبه الانسان
فيدخل فيه زكاة الذهب والفضة والنعم وعروض التجارة لان ذلك
يوصف بانه مكتسب وذهب جمهور العلماء الى وجوب الزكاة في مال التجارة
وقال داود الظاهري لا يجب الزكاة بحكم التجارة في العروض الا ان ينوي به التجارة
في حال تملكه ودليل الجمهور ما روي عن سمرة بن جندب قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يامرنا باخراج الصدقة من الذي نعد للبيع اخرجه ابو داود
م عن ابي عمرو بن حماس ان اباه قال مررت بعمر بن الخطاب وعلى عنقي ادمة احملها
فقال عمر الا تؤدي زكاتك يا حماس فقلت ما لي غير هذا واهب في القرظ قال ذاك
مال فضع فوضعتها فحسبها فاخذ منها الزكاة فاذا حال الحول على عروض التجارة
قوم فان بلغ قيمته عشرون دينارا او مائتا درهم اخرج منه ربع العشر
المسئلة الثانية في قوله ومما اخرجنا لكم من الارض وظاهر الاية يدل
على وجوب الزكاة في كل ما خرج من الارض من النبات مما يزرع الادميون لكن
جمهور العلماء خصصوا هذا العموم فاوجبوا الزكاة في النخيل والكروم وفيما
يقتات ويدخر من الحبوب واوجب ابو حنيفة الزكاة في كل ما يقصد من نبات
الارض كالفواكه والبقول والخضراوات كالبطيخ والقثاء والخيار ونحو ذلك
دليل الجمهور ما روي عن معاذ انه كتب الى النبي صلى الله عليه وسلم يسئله
عن الخضراوات وهي البقول فقال ليس فيها شيء اخرجه الترمذي وقال هذا
الحديث ليس بصحيح وليس يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب شيء وانما
يروى هذا عن موسى بن طلحة عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل والعمل على

هذا عند اهل العراق ليس في الخضراوات صدقة ثلث وحديث موسى بن
طلحة اخرجه الشيخ مجد الدين ابو البركات عبد السلام بن عبد الله بن تيمية
الحراني في احكامه عن عطا بن السائب قال اراد عبد الله بن المغيرة ان ياخذ
من ارض موسى بن طلحة من الخضراوات صدقة فقال له موسى بن طلحة ليس
لك ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ليس في ذلك صدقة رواه
الاثرم في سننه وهو اقوى المراسيل لاحتجاج من ارسله به وقال الزهري
والاوزاعي ومالك تجب الزكاة في الزيتون وتجب الزكاة في الثمار عند بدو
الصلاح ونحو ان يحمر البسر او يصفر ووقت الاخراج بعد الاجتنا والجفاف
وفي الحبوب عند الاشتداد ووقت الاخراج بعد الدياس والتصفية

المسئلة الثالثة يجب اخراج العشر فيما سقي بالمطر والانهار والعيون
ونصف العشر فيما سقي بنضح او سانية ويدل على ذلك ما روي عن ابن عمر ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال فيما سقت السما والعيون او كان عثريا العشر
وما سقي بالنضح نصف العشر اخرجه البخاري ولابي داود والنسائي قال فيما سقت
السما والانهار والعيون او كان بعلا العشر وما سقي بالسواني والنضح نصف العشر
قال ابو داود البعل ما شرب بعروقه ولم يتعن في سقيه قال وقال وكيع هو
الذي ينبت من ما السما قوله او كان عثريا اراد به العذي من الزرع وهو
البعل وقد فسره في لفظ الحديث والنضح هو الاستقا وكذلك السانية وهي
الدابة التي يستقى عليها سوا كانت من الابل او البقر ولا يجب العشر في الثمار
والزروع حتى تبلغ خمسة اوسق ستون صاعا وقال ابو حنيفة يجب العشر في كل
قليل او كثير من الثمار والزروع واحتج الجمهور في ايجاب النصاب بما روي
عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس فيما دون خمسة
اوسق صدقة او ليس فيما دون خمسة اواق من الورق صدقة وفي رواية
ليس فيما دون خمسة اوسق من تمر ولا حب صدقة اخرجاه في الصحيحين
ومن قال ان المراد بقوله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا
لكم من الارض صدقة التطوع احتج بما روي عن انس بن مالك ان رسول الله

صلى الله



١٨٥

صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يغرس غرسا او يزرع زرعا فياكل منه
طير او انسان او بهيمة الا كان له به صدقة اخرجاه في الصحيحين
قوله تعالى ولا تيمموا الخبيث اي ولا تقصدوا والخبيث يعني الردي
من اموالكم منه تنفقون اي من الخبيث عن البرا بن عازب في قوله ولا تيمموا
الخبيث منه تنفقون قال نزلت فينا معشر الانصار كنا اصحاب نخل
فكان الرجل ياتي من نخله على قدر كثرته وقلته وكان الرجل ياتي بالقنو
والقنوين فيعلقه في المسجد وكان اهل الصفة ليس لهم طعام فكان
احدهم اذا جاع اتى القنو فضربه بعصاه فيسقط البسر والتمر فياكل
وكان ناس ممن لا يرغب في الخير ياتي بالقنو فيه الشيص والحشف وبالقنو
قد انكسر فيعلقه فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم
ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه
الا ان تغمضوا فيه الاغماض في اللغة غض البصر واطباق الجفن والمراد
به هنا التجويز والمساهلة وذلك ان الانسان اذا راى ما يكره اغمض عنه
لئلا يرى ذلك قال ابن عباس معناه لو ان لاحدكم على رجل حق فجاءه بهذا
لم ياخذه الا وهو يرى انه قد اغمض عن حقه وتركه وقال البرا لو اهدي
ذلك لاحدكم مثل ما اعطى لم ياخذه الا على اغماض وحيا قال فكنا بعد
ذلك ياتي احدنا بصالح ما عنده اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
صحيح غريب وقيل كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة اموالهم
ويعزلون الجيد لانفسهم فانزل الله تعالى ولا تيمموا الخبيث يعني الردي
منه تنفقون يعني تتصدقون ولستم باخذيه يعني ذلك الشي الخبيث
الردي الا ان تغمضوا فيه وقال البرا لو اهدي ذلك لكم ما اخذتموه
الا على استحيا من صاحبه وغيظ فكيف ترضون لي ما لا ترضون لانفسكم
اذا كان المال كله جيدا فليس له اعطا الردي لان اهل السهمان شركاوه
فيما عنده واذا كان كله رديا فلا باس باعطا الردي واعلموا ان الله غني
عن صدقاتكم لم يامركم بالتصدق لعوز واحتياج اليها حميد اي محمود في

يعني ذلك الشي الخبيث الردي

افعاله وقيل حميد بمعنى حامد اي اجركم على ما تفعلونه من الخير قوله تعالى
الشيطان يعدكم الفقر اي يخوفكم بالفقر يقال وعدته خيرا ووعدته
شرا واذا لم يذكر الخير والشر يقال في الخير وعدته وفي الشر اوعدته والفقر
سوء الحال وقلة ذات اليد واصله من كسر فقار الظهر ومعنى الاية
ان الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول للرجل امسك عليك مالك فانك
اذا تصدقت افتقرت ويامركم بالفحشاء يعني يوسوس لكم ويحثكم على
البخل ومنع الزكاة والصدقة قال الكلبي كل فحشاء في القران فهي الزنا
الا هذا الموضع وفي الاية لطيفة وهي ان الشيطان يخوف الرجل
اولا بالفقر ثم يتوصل بهذا التخويف الى ان يامره بالفحشاء وهي البخل
وذلك لان البخل صفة مذمومة عند كل احد فلا يستطيع الشيطان
ان يحسن له البخل الا بتلك المقدمة وهي التخويف من الفقر فلهذا
قال تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة
منه يعني مغفرة لذنوبكم وسترا لكم وفضلا يعني رزقا وخلفا فالمغفرة
اشارة الى منافع الاخرة والفضل اشارة الى منافع الدنيا وما يحصل
من الرزق والخلف عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان للشيطان لمة بابن ادم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد
بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق
فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى
فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرا الشيطان يعدكم الفقر ويامركم
بالفحشاء اخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب قوله لمة
ان للشيطان لمة بابن ادم اللمة الخطرة الواحدة من الالمام وهو القرب
من الشي والمراد بهذه اللمة التي تقع في القلب من فعل خير او شر والهم
فاما لمة الشيطان فوسوسة واما لمة الملك فالهام من الله تعالى والله
واسع اي غني قادر على اغنائكم واخلاف ما تنفقونه عليم بما تنفقونه
لا يخفى عليه خافية ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من

يوم يصبح

١٨٦



يوم يصبح فيه العباد الا ملكان ينزلان يقول احدهما اللهم اعط منفقا
خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا ق عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى انفق ينفق عليك وفي رواية يد الله ملاى
لا يغيضها نفقة سحا الليل والنهار وقال ارايتم ما انفق منذ خلق
السموات والارض فانه لم يغض ما في يده وفي رواية فانه لم ينقص
ما في يمينه وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع وفي
رواية وبيده الاخرى الفيض او القبض يرفع ويخفض ق عن اسما بنت
ابي بكر الصديق قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انفقي ولا تحصي
فيحصي الله عليك ولا توعي فيوعي الله عليك قوله ولا توعي اي لا تشحي فيشح الله عليك
اي فتجازين بما تستحقين من تضييق رزقك ولا يخلف عليك ولا يبارك لك والمعنى لا
تجمعي وتمنعي بل انفقي ولا تعدي ولا تشحي قوله تعالى يؤتي الحكمة من يشا
قال ابن عباس هي علم القران ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه
ومؤخره وحلاله وحرامه وقال الضحاك القران والفهم فيه وانما قال ذلك
لتضمن القران الحكمة وقال في القران مائة وتسع ايات ناسخة ومنسوخة
والف اية حلال وحرام لا يسع المؤمنين تركهن حتى يعلموهن ولا يكونوا كاهل
النهروان يعني الخوارج تاولوا ايات من القران في اهل القبلة وانما نزلت
في اهل الكتاب جهلوا علمها فسفكوا بها الدما وانتهبوا الاموال وشهدوا
على اهل السنة بالضلالة فعليكم بعلم القران فانه من علم فيما نزل لم يختلف
في شي منه وقيل هي القران والعلم والفقه وقيل هي الاصابة في القول
والفعل وحاصل هذه الاقوال الى شيئين العلم والاصابة فيه ومعرفة
الاشيا بذواتها واصل الحكمة المنع ومنه حكمة الدابة لانها تمنعها قال الشاعر
ابني حنيفة احكموا سفهاءكم اي امنعوا سفهاءكم وقال السدي الحكمة النبوة
لان النبي يعلم الناس فيمنعهم وقيل الحكمة الورع في دين الله لان الورع
يمنع صاحبه من ان يقع في الحرام او ما لا يحل له فعله ومن يؤت الحكمة يعني
ومن يؤته الله الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا نكره تعظيما معناه فقد اوتي اي

خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب اي وما يتعظ بما وعظه الله تعالى الا ذووا
العقول الذين عقلوا عن الله امره ونهيه قوله عز وجل وما انفقتم من نفقة يعني
فيما فرضه الله عليكم من اعطاء زكاة وغيرها او نذرتم من نذر يعني ما اوجبتموه
على انفسكم في طاعة الله فوفيتم به والنذر ان يوجب الانسان على نفسه
شيئا ليس بواجب يقال نذرت لله نذرا واصله من الخوف لان الانسان انما
يعقد على نفسه النذر من خوف التقصير في الامر المهم والنذر في الشرع
على ضربين مفسر وغير مفسر فالمفسر ان يقول لله علي صوم او حج او عتق
او صدقة فيلزمه الوفا به ولا يجزيه الوفا بغيره وغير المفسر هو ان يقول
نذرت لله لا افعل كذا ثم يفعله او يقول لله علي نذر من غير تسمية لشيء
فيلزمه فيه كفارة يمين خ عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه
م عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نذر نذرا لم يسمه فكفارته
كفارة يمين ومن نذر نذرا في معصية فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا
لا يطيقه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا اطاقه فليف به اخرجه
ابو داود م عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذر
في معصية ولا فيما لا يملك ابن ادم اخرجه النسائي ق عن ابي هريرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان النذر لا يقرب من ابن ادم شيئا لم يكن الله قدره له
ولكن النذر يوافق القدر فيخرج بذلك من البخيل شيئا لم يكن البخيل يريد ان
يخرج م عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النذر
وقال انه لا ياتي بخير وانما يستخرج به من البخيل قال بعض العلماء يحتمل
ان يكون سبب النهي عن النذر كون الناذر يصير ملتزما له فياتي به تكلفا
بغير نشاط او يكون سببه كونه ياتي به على سبيل المعاوضة عن الامر الذي
طلبه فينقص اجره وشان العبادة ان تكون متمحضة لله تعالى قال بعضهم
يحتمل ان يكون النهي لكونه قد يظن بعض الجهلة ان يرد القدر او يمنع من
حصول المقدور فنهي عنه خوفا من اعتقاد ذلك وسياق الحديث يؤكد هذا

وقوله

وقوله في بعض روايات الحديث انه لا ياتي بخير معناه انه لا يرد شيئا من القدر
وقوله فيخرج ذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد ان يخرج معناه انه لا ياتي
هذه القربة تطوعا محضا مبتدا وانما ياتي بها في مقابلة شيء يريده كشفاء
ان شفي مريضي فعلي كذا ونحو ذلك مما حصل له بالقدر والله اعلم وقوله تعالى
فان الله يعلمه اي يعلم ما انفقتم ونذرتم فيجازيكم به وانما قال يعلمه ولم يقل
يعلمهما لانه رد الضمير على الاخير منهما فهو كقوله ومن يكسب خطيئة او اثما
ثم يرم به بريئا وقيل ان الكناية عادت على ما في قوله وما انفقتم لانها
اسم فهو كقوله وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ولم يقل بهما
وما للظالمين يعني الواضعين الصدقة في غير موضعها وقيل الذين يريدون
بصدقاتهم الريا والسمعة وقيل هم الذين يتصدقون بالمال الحرام من انصار
اي اعوان يدفعون عنهم عذاب الله تعالى فيه وعيد عظيم لكل ظالم قوله تعالى
ان تبدوا الصدقات اي تظهروا الصدقات والصدقة ما يخرجه الانسان
من ماله على وجه القربة فيدخل فيه الزكاة الواجبة وصدقة التطوع فنعما هي
اي فنعمت الخصلة هي وقيل معناه فنعم الشيء هي وقيل معناه فنعم شيئا ابداء
الصدقات وان تخفوها اي تسروا الصدقة وتؤتوها الفقراء اي وتعطوها
الفقراء في السر فهو خير لكم يعني اخفاء الصدقة افضل من العلانية وكل مقبول
اذا كانت النية صادقة واختلفوا في المراد بالصدقة المذكورة في الاية فقال
الاكثرون المراد بها صدقة التطوع واتفق العلماء على ان كتمان صدقة التطوع
افضل وكتمانها خير من اظهارها لان ذلك ابعد من الريا واقرب الى الاخلاص
ولان فيه بعدا عما تؤثره النفس من اظهار الصدقة وفي صدقة السر ايضا
فائدة ترجع الى الفقير الاخذ وهي انه اذا اعطي في السر زال عنه الذل
والانكسار ويدل على ان صدقة السر افضل ما روي عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا
ظله امام عادل وشاب نشا في عبادة الله عز وجل ورجل قلبه معلق
بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك

وافترقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله عز وجل
ورجل دعته امراة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله عز وجل
ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه
اخرجاه في الصحيحين ووجه جواز اظهار الصدقة ان يكون قد
امن على نفسه من مداخلة الريا في عمله او يكون ممن يقتدى به في افعاله
فاذا اظهر الصدقة تابعه غيره على ذلك واما الزكاة فاظهار اخراجها
افضل من كتمانها كالصلاة المكتوبة في الجماعة افضل وصلاة التطوع
في البيت افضل ولان في اظهار الزكاة نفي التهمة عن المزكي وقيل ان الاية
واردة في زكاة الفرض وكان اخفاوها خيرا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
لانهم كانوا لا يظنون باحد انه يمنع الزكاة فاما اليوم في زماننا فاظهار الزكاة
افضل حتى لا يساء الظن به وقيل ان الاية عامة في جميع الصدقات
الواجبة والتطوع والاخفا افضل في كل صدقة من زكاة وغيرها وقوله تعالى
ويكفر عنكم من سياتكم قيل ان من صلة زائدة تقديره ويكفر عنكم سياتكم
قال ابن عباس جميع سياتكم وقيل من ادخل للتبعيض لتكون العباد على وجل
ولا يتكلوا والمعنى ويكفر عنكم الصغاير من سياتكم واصل التكفير في اللغة
التغطية والستر والله بما تعملون خبير يعني من اظهار الصدقات واخفائها
قوله تعالى ليس عليك هداهم قيل سبب نزول هذه الاية ان اناسا من
المسلمين كان لهم قرابات واصهار في اليهود وكانوا ينفعونهم وينفقون
عليهم قبل ان يسلموا فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم وارادوا بذلك ان يسلموا
وقيل كانوا يتصدقون على فقرا اهل المدينة فلما كثر المسلمون نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة على الدخول في الاسلام
لحرصه صلى الله عليه وسلم على اسلامهم فنزل ليس عليك هداهم ومعناه ليس
عليك هداية من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل ان يدخلوا في الاسلام
فحينئذ تتصدق عليهم فما عليك الا انك تبعث بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله
باذنه فاما كونهم مهتدين فليس ذلك اليك ولكن الله يهدي من يشاء يعني ان الله
تعالى

١٨٨

تعالى يوفق من يشاء فيهديه الى الاسلام واراد بالهداية هنا هداية التوفيق
واما هداية البيان والدعوة فكانت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما نزلت هذه الاية اعطوهم وتصدقوا عليهم وما تنفقوا من خير
اي من مال فلانفسكم اي تفعلون تنفعون به انفسكم وما تنفقون
الا ابتغاء وجه الله ظاهره خبر ومعناه نهي اي ولا تنفقون الا ابتغا
وجه الله وقال الزجاج هذا خاص للمومنين اعلمهم الله انه قد علم مرادهم
بنفقتهم ما عندهم وقيل معناه ولستم في صدقتكم على اقاربكم من المشركين
تقصدون الا وجه الله وقد علم الله هذا من قلوبكم فانفقوا عليهم اذا كنتم
انما تبتغون وجه الله في صلة الرحم وسد خلة مضطر قال بعض العلما
لو انفقت على شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك واجمع العلما على انه
لا يجوز صرف الزكاة الا الى المسلمين وهم اهل السهمان المذكورون في سورة
التوبة وجوز ابو حنيفة صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة وخالفه ساير
العلما في ذلك فعلى هذا تكون الاية مختصة بصدقة التطوع اباح الله تعالى
ان يتصدق على فقرا المسلمين وفقرا اهل الذمة فاما زكاة الفرض فلا يجوز صرفها
الى اهل الذمة بحال وما تنفقوا من خير يوف اليكم يعني يوفر لكم جزاوه وقال
ابن عباس يجازيكم به يوم القيامة ومعناه يودي اليكم يوم القيامة ولهذا
حسن ادخال الى مع التوفية لانها تضمنت معنى التادية وانتم لا تظلمون اي لا
تنقصون شيا من ثواب اعمالكم قوله عز وجل للفقرا الذين احصروا اختلفوا
في موضع اللام في قوله للفقرا فقيل هو مردود على موضع اللام من قوله فلانفسكم
كانه قال وما تنفقوا من خير فللفقرا وانما تنفقون لانفسكم وقيل معناه الصدقات
التي سبق ذكرها للفقرا وقيل خبره محذوف تقديره للفقرا الذين من صفتهم
كذا وكذا حق واجب وهم فقرا المهاجرين كانوا نحوا من اربعماية رجل لم يكن لهم
بالمدينة مساكن ولا عشاير وكانوا قد اووا الى صفة في المسجد يتعلمون القران بالليل
ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهم اصحاب الصفة فحث الله تعالى الناس على مواساتهم فكان من عنده

فضل اتاهم به اذا امسى وقوله **الذين احصروا في سبيل الله** يعني هم الذين
حبسوا انفسهم على الجهاد في سبيل الله وقيل حبسوا انفسهم على طاعة الله
لا يستطيعون ضربا في الارض يعني لا يتفرغون للتجارة وطلب المعاش
والكسب وهم اهل الصفة الذين تقدم ذكرهم وقيل حبسهم الفقر
والعدم عن الجهاد في سبيل الله وقيل هم قوم اصابتهم جراحات في جهادهم
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاروا زمنى حصرهم المرض والزمانة عن
الضرب في سبيل الله **يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف** اي يظن من لم يختبر حالهم
انهم اغنياء من التعفف وهو تفعل من العفة وهي ترك الشي والكف عنه
يقال تعفف اذا ترك السوال ولزم القناعة والمعنى يظنهم من لم يعرف حالهم
اغنيا لاظهارهم التجمل وتركهم المسئلة **تعرفهم بسيماهم** السيما والسيمياء
العلامة التي يعرف بها الشي واختلفوا في معناها هنا فقيل هي الخشوع
والتواضع وقيل هي اثر الجهد من الحاجة والفقر وقيل هي صفرة الوانهم
من الجوع ورثاثة ثيابهم من الضر **لا يسالون الناس الحافا** يعني الحاحا قيل
اذا كان عنده غداء لا يسال عشاء واذا كان عنده عشاء لا يسال غداء وقيل
لا يسالون الناس اصلا لانه قال يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وهو ترك
المسئلة فدل بذلك انهم لا يسالون البتة ولانه قال تعرفهم بسيماهم ولو
كانت المسئلة من شانهم لما كانت الى معرفتهم بالعلامة حاجة فمعنى الاية
ليس يصدر منهم سوال حتى يقع فيه الحاف فهم لا يسالون الناس الحافا ولا غير
الحاف ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس الغنى عن كثرة العرض
ولكن الغنى غنى النفس ق عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين
الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد
غنى يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسال الناس لفظ البخاري
خ عن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان ياخذ احدكم احبله ثم ياتي
الجبل فياتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها خير له من ان يسال الناس اعطوه
ام منعوه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سال الناس وله

ما يغنيه



ما يغنيه جاء يوم القيمة ومسالته في وجهه خموش او خدوش او كدوح قيل
يا رسول الله وما يغنيه قال خمسون درهما او قيمتها من الذهب اخرجه ابو داود
والترمذي والنساي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سال وله قيمة اوقية فقد الحف اخرجه ابو داود وقال زاد هشام في
حديثه وكانت الاوقية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين درهما
وفي رواية عطاء بن يسار من سال منكم وله اوقية او عدلها فقد سال الحافا
عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سال
وله اربعون درهما فهو ملحف اخرجه النساي م عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من سال الناس تكثرا فانما يسال جمرا فليستقل او
ليستكثر وقوله تعالى **وما تنفقوا من خير فان الله به عليم** يعني انه تعالى
يعلم مقادير الانفاق ويجازي عليه ففيه حث على الصدقة والانفاق في
الطاعة وقوله تعالى **الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية**
قال ابن عباس في رواية عنه نزلت هذه الاية في علي بن ابي طالب كانت عنده
اربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم
سرا وبدرهم علانية وفي رواية عنه لما نزل للفقرا الذين احصروا
في سبيل الله بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير كثيرة الى اهل الصفة وبعث
علي بن ابي طالب في الليل بوسق من تمر فانزل الله تعالى فيهما الذين ينفقون اموالهم
بالليل والنهار يعني بنفقة الليل نفقة علي وبنفقة النهار نفقة عبد
الرحمن وفي الاية اشارة الى ان صدقة السر افضل من صدقة العلانية
لانه تعالى قدم نفقة الليل على نفقة النهار وقدم السر على العلانية وقيل
نزلت الاية في الذين يربطون الخيل للجهاد في سبيل الله لانهم يعلفونها
بالليل والنهار سرا وعلانية خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا واحتسابا وتصديقا بوعده
فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيمة يعني حسنات وقيل
الاية عامة في الذين ينفقون اموالهم في جميع الاوقات ويعمون بها اصحاب

الحاجات والفاقات **فلهم أجرهم عند ربهم** أي جزاء أعمالهم **ولا خوف عليهم ولا**
هم يحزنون يعني في الآخرة قوله عز وجل **الذين يأكلون الربا** أي يعاملون به وإنما
خص بالأكل لأنه معظم الأمر المقصود من المال لأن المال لا يؤكل إنما يصرف في
المأكول ثم يؤكل فمنع الله التصرف في الربا بما ذكر فيه من الوعيد م عن جابر قال لعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء
وأصل الربا في اللغة الزيادة يقال ربا الشيء يربو إذا زاد وكثر وفي الشرع الزيادة في
المال **لا يقومون** يعني من قبورهم يوم القيامة **إلا كما يقوم الذي يتخبطه**
الشيطان أي يصرعه وأصل الخبط الضرب والوطء وهو ضرب على غير استواء
يقال ناقة خبوط للتي تضرب الأرض بقوائمها وتطأ الناس بأخفافها وفي قولهم
تخبط خبط عشواء للرجل الذي يتصرف في الأمور على غير اهتداء وتمييز ويتخبطه
الشيطان إذا مسه بخبل أو جنون **من المس** يعني من الجنون يقال مس الرجل
فهو ممسوس إذا كان به جنون ومعنى الآية أن آكل الربا يبعث يوم القيامة
مثل المصروع الذي لا يستطيع الحركة الصحيحة لأن الربا ربا في بطونهم
حتى أثقلهم فلا يقدرون على الإسراع قال سعيد بن جبير تلك علامة
آكل الربا إذا استحله يوم القيامة وروى البغوي بسند الثعلبي عن أبي
سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة الإسراء قال
فانطلق بي جبريل إلى رجال كثير كل رجل بطنه مثل البيت الضخم منضدين
على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا أن قال
فيقبلون مثل الإبل المنهومة يخبطون الحجارة والشجر لا يسمعون ولا يعقلون
فإذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فيصرعون
ثم يقوم أحدهم فيميل به بطنه فيصرع فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى
يغشاهم آل فرعون فيردونهم مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم في البرزخ بين
الدنيا والآخرة قال وآل فرعون يقولون اللهم لا تقم الساعة أبدا قال ويوم
القيامة يقول أدخلوا آل فرعون أشد العذاب قلت يا جبريل من هؤلاء
قال هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان
من المس

من المس قوله بطنه مثل البيت الضخم أي العظيم الكبير الغليظ وقوله
منضدين أي موضوع بعضهم على بعض والسابلة الطريق وقوله
مثل الإبل المنهومة النهم بالتحريك إفراط في الشهوة في الطعام من
الجوع قوله تعالى **ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا** أي ذلك الذي
نزل بهم من العذاب بقولهم هذا واستحلالهم إياه وذلك أن أهل
الجاهلية كان أحدهم إذا حل ماله على غريمه فيطالبه به فيقول
الغريم زدني في الأجل حتى أزيدك في المال فيفعلان
ذلك ويقولون سواء علينا الزيادة في أول البيع بالربح أو عند
المحل لأجل التأخير فكذبهم الله تعالى ورد عليهم ذلك بقوله **وأحل الله البيع**
وحرم الربا يعني وأحل الله الأرباح في التجارة بالبيع والشراء وحرم الله
الربا الذي هو زيادة في المال لأجل تأخير الأجل وذلك لأن الله تعالى خلق
الخلق وهم عبيده وهو مالكهم يحكم فيهم بما يشاء ويستعبدهم بما يريد ليس
لأحد أن يعترض عليه في شيء مما أحل أو حرم وإنما على كافة الخلق الطاعة
والتسليم لحكمه وأمره ونهيه وذكر بعض العلماء الفرق بين البيع والربا
فقال إذا باع ثوبا يساوي عشرة بعشرين فقد جعل ذات ذلك الثوب
مقابلا للعشرين فلما حصل التراضي على هذا التقابل صار كل واحد منهما
مقابلا للآخر في المالية عندهما فلم يكن أخذ من صاحبه شيئا بغير عوض
أما إذا باع عشرة دراهم بعشرين فقد أخذ العشرة الزائدة بغير عوض
ولا يمكن أن يقال إن العوض هو الإمهال في مدة الأجل لأن الإمهال ليس مالا
أو شيئا يشار إليه حتى يجعله عوضا عن العشرة الزائدة فقد ظهر الفرق بين
الصورتين والله أعلم **فصل** في حكم الربا وفيه مسائل المسألة
الأولى ذكروا في سبب تحريم الربا وجوها أحدها أن الربا يقتضي أخذ مال الغير
بغير عوض لأن من يبيع درهما بدرهمين نقدا كان أو نسيئة فقد حصل
له زيادة درهم من غير عوض فهو حرام الوجه الثاني إنما حرم عقد الربا
لأنه يمنع الناس عن الاشتغال بالتجارة لأن صاحب الدراهم إذا تمكن من عقد

عقد الربا حث عليه تحصيل الزيادة من غير تعب ولا مشقة فيفضي ذلك
الى انقطاع منافع الناس بالتجارات وطلب الارباح الوجه الثالث ان الربا
هو سبب لانقطاع المعروف بين الناس من القرض فلما حرم الربا طابت النفوس
بقرض الدراهم للمحتاج واسترجاع مثله لطلب الاجر من الله تعالى الوجه
الرابع ان تحريم الربا قد ثبت بالنص ولا يجب ان يكون حكم جميع التكاليف
معلومة للخلق فوجب القطع بتحريم الربا وان كنا لا نعلم وجه الحكمة في ذلك
المسئلة الثانية اعلم ان الربا في اللغة الزيادة ثم الذي يعم في البيع
التجارة غير حرام فثبت ان الزيادة المحرمة هو الربا الموصوف على اسبوا
في مال مخصوص بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم واتفقوا على قوله
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالورق ربا الا هاء وهاء والبر بالبر
ربا الا هاء وهاء والشعير بالشعير ربا الا هاء وهاء والتمر بالتمر ربا الا هاء وهاء
وفي رواية الورق بالورق ربا الا هاء وهاء والذهب بالذهب ربا الا هاء وهاء
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب وزنا بوزن
مثلا بمثل والفضة بالفضة وزنا بوزن مثلا بمثل فمن زاد او استزاد فقد اربى
فقد اربى وفي رواية التمر بالتمر والحنطة بالحنطة والشعير بالشعير والملح
بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد واستزاد فقد اربى الا ما اختلف الوانه
عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب
والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح
بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا
كيف شئتم اذا كان يدا بيد فنص رسول الله صلى الله عليه وسلم على جريان
الربا في هذه الستة اشياء وهي النقدين واربعة اصناف من
المطعومات وهي البر والشعير والتمر والملح فذهب عامة اهل العلم
الى ان الربا يثبت في هذه الاشياء لاوصاف فيها فيتعدى الى كل ما يوجد
تلك الاوصاف فيه ثم اختلفوا في تلك الاوصاف فذهب قوم الى ان المعنى
في جميعها امر واحد وهو النفع فاثبتوا الربا في جميع الاموال وذهب

الاكثرون

الاكثرون الى ان الربا ثبت في الدراهم والدنانير بوصف النقدين
ثم ذهب اصحاب الراي الى انه يثبت بعلة الوزن فاثبتوا الربا في جميع
الموزونات مثل الحديد والنحاس والقطن ونحو ذلك واما الاربعة
الاشيا المطعومة فذهب اصحاب الراي الى ان الربا يثبت فيها بعلة
الوزن والكيل فاثبتوا الربا في جميع المكيلات والموزونات مطعوما او غير
مطعوم كالجص والنورة ونحوهما وذهب جماعة الى ان العلة فيها الطعم مع
الكيل والوزن فكل مطعوم مكيل او موزون يثبت فيه الربا ولا يثبت فيما
سوى ذلك مما ليس بمكيل او موزون وهو قول سعيد بن المسيب والشافعي
في القديم وقال في الجديد يثبت الربا فيها بوصف الطعم فاثبت الربا في جميع
الاشيا المطعومة من الثمار والفواكه والبقول والادوية مكيلة كانت او
موزونة لما روي عن معمر بن عبد الله ارسل غلامه بصاع قمح فقال بعه
ثم اشتر به شعيرا فذهب الغلام فاخذ صاعا وزيادة بعض من صاع
فلما جاء معمر اخبره بذلك فقال له معمر لم فعلت ذلك انطلق فرده
ولا تاخذن الا مثلا بمثل فاني كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الطعام بالطعام مثلا بمثل وكان طعامنا الشعير قيل له فانه ليس بمثله
فقال اني اخاف ان يضارع اخرجه مسلم فجملة مال الربا عند الشافعي ما كان
ثمنا او مطعوما المسئلة الثالثة الربا نوعان ربا فضل وهو الزيادة
وربا نسيئة وهو الاجل فان باع ما يدخل فيه الربا بجنسه مثل ان باع النقد من
جنسه كالذهب بالذهب او المطعوم بجنسه كالحنطة بالحنطة ونحو ذلك
فيشترط فيه التماثل والمساواة بمعيار الشرع فان كان موزونا كالدراهم
والدنانير فيشترط فيه المساواة في الوزن وان كان مكيلا كالحنطة والشعير
فيشترط فيه بيعه بجنسه المساواة في الكيل ويشترط التقابض في مجلس
العقد وان باع ما يدخل فيه الربا بغير جنسه نظر فان باعه بما لا يوافقه
في وصف الربا مثل ان باع مطعوما باحد النقدين فلا ربا فيه كما لو باعه
بغير مال الربا وان باعه بما يوافقه في الوصف لا في الجنس مثل ان باع الدراهم

بالدنانير او باع الحنطة بالشعير او كان مطعوما بمطعوم اخر من غير
جنسه فلا يثبت فيه ربا التفاضل فيجوز بيعه متفاضلا ويثبت
فيه ربا النسيئة فيشترط في بيعه التقابض لقوله صلى الله عليه وسلم
الا يدا بيد وقوله هاء وهاء فيه اشتراط التقابض في المجلس وتحريم
النسيئة وقوله صلى الله عليه وسلم الا سواء بسواء فيه اشتراط
المماثلة وتحريم التفاضل عند اتفاق الجنس وقوله صلى الله
عليه وسلم فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم فيه
اطلاق التبايع مع التفاضل عند اختلاف الجنس مع اشتراط
التقابض في المجلس وهو قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يدا بيد
والله اعلم المسألة الرابعة في القرض ومن اقرض شيئا وشرط
عليه ان يرد عليه افضل منه فهو قرض جر منفعة فهو ربا ويدل
عليه ما روي عن مالك قال بلغني ان رجلا اتى ابن عمر فقال اني اسلفت
رجلا سلفا واشترطت عليه افضل مما اسلفته فقال عبد الله بن عمر
فذلك الربا اخرجه مالك في الموطا فان لم يشترط فقضاه وزاد او
رد المستقرض افضل مما اخذ جاز ويدل عليه ما روي عن مجاهد ان ابن عمر
استلف دراهم فقضى صاحبها خيرا منها فابى ان ياخذها وقال هذه
خير من دراهمي فقال ابن عمر قد علمت ولكن نفسي بذلك طيبة اخرجه مالك
في الموطا وقوله تعالى فمن جاءه موعظة من ربه اي تذكير وتخويف وانما ذكر
الفعل لان تانيثه غير حقيقي فجاز تذكيره لان الوعظ والموعظة شيء واحد
فانتهى اي عن اكل الربا فله ما سلف اي ما مضى من ذنبه قبل النهي مغفور له
وامره الى الله يعني بعد النهي ان شاء عصمه حتى يثبت على الانتهاء وان شاء
خذله فيعود الى اكل الربا وقيل معناه وامره الى الله فيما يامره وينهاه ويحل
له ويحرم عليه وليس اليه من امر نفسه شيء وقيل ان الاية فيمن يعتقد
تحريم الربا ثم ياكل فامره الى الله ان شاء عفى عنه وان شاء عذبه ومن عاد
يعني الى اكل بعد التحريم مستحلا له فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون

قوله عز وجل

قوله عز وجل يمحق الله الربا اي ينقصه ويهلكه ويذهب بركته قال
ابن عباس لا يقبل الله منه صدقة ولا حجا ولا جهادا ولا صلاة ويربي
الصدقات اي يزيدها وينميها ويبارك فيها في الدنيا ويضاعف اجرها
في الاخرة (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق
احد بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا اخذها الرحمن
بيمينه وان كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون اعظم من الجبل
كما يربي احدكم فلوه او فصيله لفظ مسلم وللبخاري من تصدق بعدل
تمرة من كسب طيب ولا يصعد الى الله الا الطيب وفي رواية ولا يقبل الله الا الطيب
فان الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي احدكم فلوه حتى
تكون مثل الجبل والله لا يحب كل كفار يعني كل مصر على كفره مقيم عليه مستحل
لاكل الربا اثيم يعني متماد في الاثم فيما نهي عنه من اكل الربا لا ينزجر عنه
ولا يتركه وقيل يحتمل ان يكون الكفار راجعا الى مستحل الربا والاثيم راجعا
الى من يفعله مع اعتقاد التحريم فتكون الاية جامعة للفريقين قوله
عز وجل ان الذين امنوا يعني صدقوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات يعني
التي امرهم الله بها واقاموا الصلاة اي المفروضة باركانها وحدودها في
اوقاتها واتوا الزكاة يعني المفروضة عليهم في اموالهم لهم اجرهم عند ربهم
اي لهم ثواب اعمالهم في الاخرة ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون اي يوم القيمة
قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا قيل
نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وكانا قد اسلفا في التمر
فلما حضر الجذاذ قال صاحب التمر لهما ان انتما اخذتما حقكما لم يبق
لي ما يكفي عيالي فهل لكما ان تاخذا النصف وتؤخرا النصف واضعف لكما
ففعلا فلما حل الاجل طلبا منه الزيادة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فنهاهما فانزل الله عز وجل هذه الاية فسمعا واطاعا واخذا رؤوس اموالهما
وقيل نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان
في الربا الى بني عمرو بن عمير ناس من ثقيف فجاء الاسلام ولهما اموال عظيمة في

في الربا فانزل الله تعالى الاية وقال النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة
الوداع فيما رواه جابر من افراد مسلم الا كل شي من امر الجاهلية تحت قدمي
موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وان اول دم اضع من دمائنا دم
ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل وربا
الجاهلية موضوع واول ربا اضع ربا العباس بن عبد المطلب فانه موضوع
كله وقيل نزلت في اربعة اخوة من ثقيف وهم مسعود وعبد ياليل
وحبيب وربيعة بنو عمرو بن عمير بن عوف الثقفي وكانوا يداينون بني
المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكانوا يرابون فلما ظهر النبي صلى الله
عليه وسلم على الطائف اسلم هولاء الاخوة بنو عمرو الثقفي ثم طلبوا
رباهم في بني المغيرة فقال بنو المغيرة والله ما نعطي الربا في الاسلام وقد
وضعه الله على المومنين فاختصموا الى عتاب بن اسيد وكان عامل رسول الله
على مكة فكتب عتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم بقصة الفريقين وكان ذلك
مالا عظيما فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله اي خافوا الله فيما
امركم به والانتهاء عما نهاكم عنه وذروا اي واتركوا ما بقي من الربا المبقي واتركوا
طلب ما بقي لكم من فضل على رووس اموالكم ان كنتم مومنين يعني ان كنتم محققين
لايمانكم قولا وفعلا فان لم تفعلوا اي لم تتركوا ما بقي من الربا بعد نزول هذه فاذنوا
قرى بكسر الذال والمد على وزن امنوا ومعناه فاعلموا غيركم انكم حرب
لله ورسوله وقرئ فاذنوا بفتح الذال مع القصر ومعناه فاعلموا انتم
واقنوا بحرب من الله ورسوله قال ابن عباس يقال لاكل الربا يوم القيمة
خذ سلاحك للحرب قال اهل المعاني حرب الله النار وحرب رسول الله السيف
واختلفوا في معنى هذه المحاربة فقيل المراد بها المبالغة في الوعيد
والتهديد دون نفس الحرب وقيل بل المراد منه نفس الحرب وفيه
ان من اصر على اكل الربا وعلم به الامام قبض عليه واجرى فيه حكم الله
من التعزير والحبس الى ان تظهر منه التوبة وان كان له شوكة ومنعة
عسكر حاربه الامام كما يحارب الفئة الباغية قال ابن عباس من كان مقيما

على اكل

على اكل الربا لا ينزع عنه فحق على امام المسلمين ان يستتيبه فان نزع والا
ضرب عنقه فان تبتم اي تركتم اكل الربا ورجعتم عنه فلكم رووس
اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون يعني لا تظلمون انتم الغريم بطلب زيادة
على راس المال ولا تظلمون انتم بنقصان راس المال فلما نزلت هذه الاية
قال بنو عمرو الثقفي ومن كان يعامل بالربا من غيرهم بل نتوب الى الله تعالى
فانه لا يدان لنا يعني لا قوة لنا بحرب الله ورسوله ورضوا برووس اموالهم
فشكا بنو المغيرة العسرة ومن كان عليه دين وقالوا اخرونا الى ان تدرك
الغلات فابوا ان يوخروهم فانزل الله عز وجل وان كان ذو عسرة يعني وان كان
الذي عليه الحق من غرمائكم معسرا والعسر نقيض اليسر وهو تعذر وجدان
المال والعسرة [illegible] الرجل اذا [illegible] ولم يجد ما يوديه في دينه فنظرة اي فامهال
وتاخير الى ميسرة اي الى زمن اليسار وهو ضد الاعسار وهو وجدان المال
الذي يوديه في دينه واختلفوا في حكم الاية وهل الانظار مختص بالربا
ام هو عام في كل دين على قولين القول الاول وهو قول ابن عباس وشريح
والنخعي والسدي ان الاية في الربا وذكر عن شريح ان رجلا خاصم
رجلا الى شريح فقضى عليه وامر بحبسه فقال رجل كان عند شريح انه معسر
والله يقول في كتابه وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة فقال شريح انما
ذلك في الربا وان الله تعالى قال في كتابه ان الله يامركم ان تودوا الامانات
الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ولا يامرنا الله بشي ثم
يعذبنا عليه والقول الثاني وهو قول مجاهد وجماعة من المفسرين
ان هذه الاية عام في كل دين على معسر واحتجوا بان الله تعالى قال وان كان
ذو عسرة ولم يقل ذا عسرة ليكون الحكم عاما في جميع المعسرين وان
تصدقوا خير لكم يعني وان تصدقوا على المعسر بما عليه من الدين
فهو خير لكم وانما جاز حذف المبتدا لانه
قد جرى ذكره [illegible] ان التصدق [illegible] ان كنتم
تعلمون يعني ان التصدق خير لكم وافضل لان [illegible] في الدنيا

والثواب الجزيل في العتق **فصل** في ثواب انظار المعسر والوضع عنه
وتشديد امر الدين والامر بقضائه م عن ابي قتادة انه طلب غريما له فتوارى
عنه ثم وجده فقال اني معسر فقال آلله قال آلله قال فاني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن
معسر او يضع عنه م عن ابي اليسر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله في ظله يوم لا ظل الا ظله ق عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن قبلكم تاجر يداين الناس فاذا رأى
معسرا قال لفتيانه تجاوزوا عنه لعل الله يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه د
عن ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اعظم الذنوب عند الله ان يلقاه
بها عبد بعد الكبائر التي نهى الله عنها ان يموت رجل وعليه دين لا يدع له قضاء
اخرجه ابو داود خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ
اموال الناس يريد اداءها ادى الله عز وجل عنه ومن اخذ اموال الناس يريد
اتلافها اتلفه الله ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطل الغني
ظلم وفي رواية واذا اتبع احدكم على ملي فليتبع ق عن كعب بن مالك رضي الله
تعالى عنه انه تقاضى ابن ابي حدرد دينا كان له في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد
فارتفعت اصواتهما حتى سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيته فخرج
اليهما حتى كشف سجف حجرته فنادى فقال يا كعب قلت لبيك يا رسول الله
فاشار بيده ان ضع الشطر من دينك قال كعب قد فعلت يا رسول الله قال
قم فاقضه ق عن ابي هريرة قال كان لرجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
سن من الابل فجاءه يتقاضاه فقال اعطوه فطلبوا سنه فلم يجدوا الا
سنا فوقها فقال اعطوه فقال اوفيتني اوفاك الله فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ان خيركم احسنكم قضاء وفي رواية انه اغلظ للرجل على النبي صلى الله عليه
وسلم حتى هم به بعض اصحابه فقال دعوه فان لصاحب
الحق مقالا ثم امر له بأفضل من سنه م عن ابي قتادة الانصاري عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قام فيهم فذكر لهم ان الجهاد في سبيل الله والايمان بالله

افضل الاعمال

ها افضل الاعمال فقام رجل فقال يا رسول الله ارأيت ان قتلت في سبيل الله أتكفر عني
خطاياي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ان قتلت وانت صابر
محتسب مقبل غير مدبر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت
قال ارأيت ان قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم نعم وانت صابر محتسب مقبل غير مدبر الا الدين فان
جبريل قال لي ذلك عن محمد بن جحش قال كنا جلوسا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فرفع راسه الى السماء ثم وضع راحته على جبهته
ثم قال سبحان الله ماذا انزل من التشديد فسكتنا وفزعنا فلما كان
من الغد سألته يا رسول الله ما هذا التشديد الذي نزل فقال والذي
نفسي بيده لو ان رجلا قتل في سبيل الله ثم احيي ثم قتل ثم احيي وعليه
دين ما دخل الجنة حتى يقضى عنه دينه اخرجه النسائي قوله تعالى **واتقوا
يوما ترجعون فيه الى الله** قرئ بفتح التاء اي تصيرون فيه الى الله
وقرئ بضم التاء وفتح الجيم اي تردون فيه الى الله **ثم توفى كل نفس ما كسبت**
من خير او شر **وهم لا يظلمون** اي في ذلك وفي هذه الاية وعيد شديد
زاجر قال ابن عباس هذه اخر اية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال جبريل ضعها على راس مائتين وثمانين من سورة البقرة وعاش بعدها
رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى وعشرين يوما وقيل تسع ليال وقيل
سبع ومات صلى الله عليه وسلم لليلتين خلتا من ربيع الاول في يوم الاثنين
سنة احدى عشرة من الهجرة وروى الشعبي عن ابن عباس ان اخر اية
نزلت اية الربا قوله عز وجل **يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين** قال
ابن عباس لما حرم الله الربا اباح السلم وقال اشهد ان السلف المضمون
الى اجل مسمى قد احله الله في كتابه واذن فيه وقوله اذا تداينتم اي تعاملتم
بالدين اذا باع بعضكم بعضا والتداين تفاعل من الدين يقال داينته
اذا عاملته بالدين وانما قال بدين بعد قوله تداينتم لان المداينة
قد تطلق على المجازاة وعلى المعاطاة فقيده بالدين ليعرف المراد من اللفظ

وجعل صواحبه المثنيين من الآخر وقيل انما قال بدين ليرجع الضمير اليه في قوله
فاكتبوه اذ لو لم يذكر ذلك لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلا يحسن
بذلك وقيل انما ذكره تأكيدا **الى اجل مسمى** يعني الى مدة معلومة الطرفين
والآخر مثل السنة والشهر ولا يجوز الى مدة غير معلومة كالى وقت الحصاد
او نحوه والاجل يلزم في الثمن في البيع وفي السلم حتى لا يكون لصاحبه
الطلب قبل محل الاجل بخلاف القرض فانه لا يلزم فيه الاجل عند اكثر اهل
العلم **ق** عن ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون
في الثمر العام والعامين فقال لهم من اسلف فليسلف في كيل معلوم او وزن
معلوم الى اجل معلوم وقوله تعالى **فاكتبوه** اي اكتبوا الدين الذي تداينتم
به بيعا كان ذلك او سلما او قرضا واختلفوا في هذه الكتابة فقيل هي واجبة
وهو مذهب عطاء وابن جريج والنخعي واختيار محمد بن جرير الطبري وقيل
الامر محمول على الندب والاستحباب فان ترك فلا باس وهو قول جمهور العلماء
وقيل كانت الكتابة والاشهاد والرهن فرضا ثم نسخ بقوله تعالى فان امن بعضكم
بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وهو قول الحسن والشعبي والحكم بن عيينة
ثم بين الله تعالى كيفية الكتابة فقال **وليكتب بينكم كاتب** اي ليكتب كتاب الدين
بين الطالب والمطلوب كاتب **بالعدل** اي بالحق من غير زيادة ولا نقصان
ولا تقديم اجل ولا تأخيره قيل ان فائدة الكتابة هي حفظ المال من الجانبين
لان صاحب الدين اذا علم ان حقه مقيد بالكتابة تعذر عليه طلب زيادة
او تقديم المطالبة قبل حلول الاجل ومن عليه الدين اذا عرف ذلك تعذر عليه
الجحود او النقص من اصل الدين الذي عليه فلما كانت هذه الفائدة في الكتابة
امر الله تعالى بها **ولا يأب** اي ولا يمتنع **كاتب ان يكتب** واختلفوا في وجوب
الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد فقيل بوجوبها لانه ظاهر الكلام
نهي عن الامتناع عن الكتابة وايجابها على كل كاتب ... المطلوب بالكتابة
وتحمل الشهادة ... فرض كفاية وهو
قول الشعبي فان لم يوجد الا واحد وجب عليه ذلك وقيل ... المذهب

والاستحباب



الايجاب وذلك ان الله تعالى لما علمه الكتابة وشرفه بها استحب له
ان يكتب ليقضي حاجة اخيه المسلم ويشكر تلك النعمة التي انعم الله بها
عليه وقيل ان كتابة الكتابة وتحمل الشهادة واجبتان على الكاتب
والشاهد ثم نسخها الله بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد **كما علمه الله**
يعني كما علمه الله وامره به **فليكتب** وذلك ان يكتب بحيث لا يزيد ولا ينقص
ويكتب ما يصلح ان يكون حجة عند الحاجة ولا يخص احد الخصمين بالاحتياط
له دون الآخر وان يكون كل واحد منهما آمنا من ابطال حقه وان يكون ما يكتبه
متفقا عليه عند العلماء وان يحترز من الالفاظ التي يقع النزاع فيها وهذه
الامور لا تحصل الا لمن هو فقيه عالم باللغة ومذاهب العلماء **وليملل**
الذي عليه الحق يعني ان المطلوب الذي عليه الحق يقر على نفسه ليعلم
ما عليه من الحق فيذكر قدره وجنسه وصفة الاجل ونحو ذلك والاملال
والاملاء لغتان فصيحتان معناهما واحد **وليتق الله ربه** يعني المملي **ولا يبخس**
منه اي ولا ينقص من الحق الذي وجب عليه **شيئا فان كان الذي عليه الحق سفيها**
اي جاهلا بالاملاء وقيل هو الطفل الصغير وقال الشافعي السفيه هو المبذر
المفسد لماله ودينه **او ضعيفا** يعني شيخا كبيرا وقيل هو ضعيف العقل لعته
او جنون **او لا يستطيع ان يمل هو** يعني لخرس او عمى او عجمة في كلامه او حبس
او غيبة لا يمكنه الحضور عند الكاتب او يجهل ماله وعليه فهؤلاء كلهم لا يصح
اقرارهم فلا بد ان يقوم غيرهم مقامهم وهو قوله تعالى **فليملل وليه** يعني ولي
كل واحد من هؤلاء الثلاثة المحجور عليهم لانه يقوم مقامه في صحة الاقرار
وقال ابن عباس اراد بالولي صاحب الدين يعني ان عجز الذي عليه الحق عن الاملاء
فليملل صاحب الحق لانه اعلم بحقه **بالعدل** اي بالصدق **واستشهدوا**
شهيدين من رجالكم يعني واشهدوا على حقوقكم شاهدين لان المقصود من
الكتابة هو الاشهاد من رجالكم يعني من اهل ملتكم يعني من المسلمين الاحرار دون
العبيد والصبيان وهذا قول اكثر اهل العلم واجاز شريح وابن سيرين شهادة
العبيد وحجة هذا القول ان قوله من رجالكم عام يتناول العبيد وغيرهم

وذلك لأن عقل الإنسان ودينه وعدالته تمنعه من الكذب فإذا
اجتمعت هذه الشروط فيه كانت شهادته معتبرة وحجة [illegible]
ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا وهذا نص يقتضي أن من تحمل شهادة وجب
عليه الأداء إذا طولب بها والعبد ليس كذلك فإن السيد إذا [illegible]
في ذلك حرم عليه الذهاب إلى أداء الشهادة فوجب أن لا يكون [illegible]
الشهادة (فإن لم يكونا رجلين) أي فإن لم يكن الشاهدان رجلين (فرجل وامرأتان)
أي فليشهد رجل وامرأتان وأجمع الفقهاء على أن شهادة النساء مع الرجال جائزة
في الأموال فيثبت الحق بشهادة رجل وامرأتين واختلفوا في غير الأموال
فذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي إلى أنه تجوز شهادة النساء مع الرجال
في سائر الحقوق غير العقوبات وذهب جماعة إلى أن غير المال لا يثبت إلا برجلين
عدلين وذهب الشافعي إلى أن ما يطلع عليه النساء غالبا كالولادة والرضاع
والبكارة والثيوبة ونحوها تجوز بشهادة رجل وامرأتين أو بشهادة أربع نسوة
واتفقوا على أن شهادة النساء غير جائزة ولا مقبولة في العقوبات والحدود [illegible]
وقوله تعالى (ممن ترضون من الشهداء) يعني من كان مرضيا عندكم في دينه وأمانته
والشرائط المعتبرة في العدالة وقبول الشهادة عشرة وهي الإسلام والحرية
والعقل والبلوغ والعدالة والمروءة وأن لا يجر بتلك الشهادة منفعة
إلى نفسه ولا يدفع بها مضرة ولا يكون معروفا بكثرة الغلط والسهو وأن لا يكون
بينه وبين من شهد عليه عداوة فشهادة الكافر مردودة لأن الكافر لا تقبل
شهادته لأن الذي يكذب على الله تعالى أولى بأن ترد شهادته وجوز أصحاب الرأي
شهادة أهل الذمة بعضهم على بعض ولا تقبل شهادة [illegible] وأجاز [illegible]
وابن سيرين وهو قول [illegible] حتى [illegible] شهادته ولا تجوز
شهادة الصبيان وسئل ابن عباس عن ذلك فقال لا تجوز لأن الله تعالى قال ممن ترضون
من الشهداء [illegible] الشاهد [illegible]
على الصغائر والمروءة شرطها ما يتصل بآداب النفس مما يعلم أن تاركه قليل
الحياء وهي حسن الهيئة والسيرة والعشرة والصناعة فإن كان الرجل يظهر

من نفسه

من نفسه شيئا مما يستحي أمثاله من إظهاره في الأغلب علم بذلك قلة مروءته
وترد شهادته وأما التهمة شرط فلا تقبل شهادة العدو على العدو
وإن كان مقبول الشهادة على غيره لأنه متهم في حق عدوه لا في حق غيره ولا تقبل
شهادة الرجل لولده ووالده وتقبل شهادته عليهما ولا تقبل شهادة من يجر
بشهادته إلى نفسه نفعا (ق) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجلود حدا ولا ذي غمر على أخيه ولا مجرب
شهادة ولا القانع أهل البيت لهم ولا ظنين في ولاء ولا قرابة قال الفزاري
القانع التابع أخرجه الترمذي قوله لا تجوز شهادة خائن أراد بالخيانة
الخيانة في الدين والمال والأمانة فإن من ضيع شيئا من أوامر الله أو ارتكب شيئا
مما نهي عنه لا يكون عدلا والغمر بكسر الغين الحقد والقانع هو السائل
المستطعم وقيل هو المنقطع إلى قوم يخدمهم فترد شهادته للتهمة في جر
النفع إلى نفسه لأن التابع لأهل البيت ينتفع بما يصير إليهم والظنين
المتهم وقوله تعالى (أن تضل إحداهما) أي تنسى إحدى المرأتين (فتذكر
إحداهما الأخرى) لأن الغالب في طباع النساء النسيان فأقيمت المرأتان
مقام الرجل الواحد حتى لو نسيت إحداهما تذكرها الأخرى فيقول حضرنا مجلس
كذا وسمعنا كذا فيحصل بذلك الذكرى وحكي عن سفيان بن عيينة أنه قال
فتذكر أي تجعل إحداهما الأخرى ذكرا والمعنى أن شهادتهما تصير كشهادة
ذكر والقول الأول أصح لأنه معطوف على تضل وهو النسيان وقوله تعالى
(ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا) يعني إذا دعوا لتحمل الشهادة وسماهم شهداء
لأنهم يكونون شهداء وهذا أمر إيجاب عند بعضهم وقال قوم يجب إذا لم يكن
غيره فإن كان غيره فهو مخير وقيل هو أمر ندب فهو مخير في جميع الأحوال
وقال بعضهم [illegible] الشهادة وأدائها [illegible] الآية ولا يأب
الشهداء إذا ما دعوا [illegible] الآية في الأمرين جميعا
[illegible] فالشاهد بالخيار [illegible]
[illegible] (ولا تسأموا) أي ولا تملوا ولا تضجروا (أن تكتبوه) الضمير

راجع الى الحق والدين صغيرا كان او كبيرا يعني قليلا كان الحق او الدين او كثيرا الى اجله اي الى
محل الحق والدين ذلكم يعني ذلك الكتاب اقسط عند الله يعني اعدل عند الله
لانه هو امر به واتباع امره اعدل من تركه واقوم للشهادة يعني ابلغ لان الكتاب
تذكر الشهود وادنى ان لا ترتابوا يعني واحرى واقرب الى ان لا تشكوا في الشهادة
الا ان تكون تجارة حاضرة اي الا ان تقع تجارة حاضرة يدا بيد تديرونها
بينكم اي فيما بينكم ليس فيها اجل فليس عليكم جناح اي لا حرج عليكم ان لا تكتبوها
يعني التجارة الحاضرة والتجارة تقليب الاموال وتصريفها لطلب النماء والزيادة
بالارباح وانما رخص الله تعالى في الكتابة والاشهاد في هذا النوع من التجارة لكثرة
ما يجري بين الناس فلو كلفوا فيها الكتابة والاشهاد لشق ذلك عليهم ولانه اذا
اخذ كل واحد من المتبايعين حقه من صاحبه في ذلك المجلس لم يكن هناك
خوف التجاحد فلا حاجة الى الكتابة والاشهاد واشهدوا اذا تبايعتم يعني
فيما جرت العادة بالاشهاد فيه واختلفوا في هذا الامر فقيل هو للوجوب
فيجب ان يشهد في كبير الحق وصغيره ونقده ونسيئه وقيل هو امر ندب
واستحباب وهو قول الجمهور وقيل انه منسوخ بقوله فان امن بعضكم بعضا
فليؤد الذي اؤتمن امانته وقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد فيه النهي عن
المضارة واصله يضارر بكسر الراء الاولى ومعناه لا يضار الكاتب فيابى ان
يكتب والشاهد فيابى ان يشهد او يضار الكاتب فيزيد او ينقص او يحرف
ما املي عليه فيضر صاحب الحق او من عليه الحق وكذا الشاهد وقيل اصله
يضارر بفتح الراء الاولى ومعناه ان يدعو الرجل الكاتب والشاهد وهما
مشغولان فيقولان نحن على شغل مهم فاطلب غيرنا فيقول الداعي ان الله
امركما ان تجيبا اذا دعيتما ويلح عليهما فيشغلهما عن حاجتهما فنهي عن مضارتهما
وامر ان يطلب غيرهما وان تفعلوا يعني ما نهيتكم عنه من الضرار فانه فسوق
بكم اي معصية وخروج عن الامر واتقوا الله اي خافوا الله واحذروه فيما نهاكم
عنه من المضارة وغيرها ويعلمكم الله يعني ما يكون ارشادا لكم في امر الدنيا
كما يعلمكم ما يكون ارشادا لكم في امر الدين والله بكل شيء عليم يعني انه تعالى

علم

بجميع مصالح عباده لا يخفى عليه شيء من ذلك قوله تعالى وان كنتم على سفر
يعني مسافرين ولم تجدوا كاتبا يعني ولم تجدوا الة الكتابة فرهن جمع رهن
وقرئ فرهان مقبوضة يعني فارتهنوا ممن تداينونه رهونا مقبوضة
لتكون وثيقة لكم باموالكم واصل الرهن من الدوام يقال رهن الشيء اذا
دام وثبت والرهن ما وضع عند الانسان مما ينوب مناب ما اخذ
منه دينا فان قلت لم شرط الارتهان في السفر مع عدم الكاتب ولا يختص
به بل يجوز دون حضر وقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رهن درعه
عند ابي الشحم اليهودي على طعام اخذه الى اجل ولم يكن ذلك في سفر
ولا عند عدم كاتب قلت ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة
دون الحضر ولكن لما كان السفر مظنة لاعواز الكاتب والاشهاد امر الله تعالى
به على سبيل الارشاد الى حفظ الاموال لمن كان على سفر بان يقيم التوثق بالارتهان
مقام التوثق بالكتابة والاشهاد واتفق العلماء على جواز الرهن في الحضر والسفر جميعا
ومع وجود الكاتب وعدمه وقال مجاهد لا يجوز الا في السفر عند عدم الكاتب
لظاهر الاية واجاب الجمهور عن ظاهر الاية ان الكلام انما خرج على الاعم الاغلب
لا على سبيل الشرط واتفق العلماء على ان الرهن لا يتم الا بالقبض وهو قوله فرهن
مقبوضة يعني ارتهنوا واقبضوا لان المقصود من الرهن هو استيثاق
جانب الحق وذلك لا يتم الا بالقبض فلو رهن ولم يسلم لم يجبر الراهن على
التسليم فاذا سلم الرهن لزم من جهته حتى لا يجوز له ان يسترجعه ما دام شيء من
الحق باقيا وقوله تعالى فان امن بعضكم بعضا يعني فان كان الذي عليه الحق
امينا عند صاحب الحق فلم يرتهن منه شيئا لحسن ظنه به فليؤد الذي اؤتمن
امانته يعني فليؤد المديون الذي عليه الحق الذي كان في ظن الدائن الذي هو
صاحب الحق امانته يعني حقه سمى الدين امانة وان كان مضمونا لائتمانه عليه
حيث امن من جحوده ولم يكتب ولم يشهد عليه ولم ياخذ منه رهنا وحث المديون
على ان يكون عند ظن الدائن الذي ائتمنه وان يؤدي اليه حقه الذي ائتمنه
ولم يرتهن منه عليه شيئا ثم زاد ذلك توكيدا بقوله وليتق الله ربه اي المديون

في اداء الحق عند حلول الاجل من غير مماطلة ولا جحود بل يعامله المعاملة الحسنة
كما احسن ظنه فيه ثم رجع الى خطاب الشهود فقال تعالى ولا تكتموا الشهادة يعني
اذا دعيتم الى اقامتها واداءها وذلك لان الشاهد متى امتنع من اقامة الشهادة
وكتمها فقد ابطل بذلك حق صاحب الحق فلهذا نهى عن كتمان الشهادة
وبالغ في الوعيد عليه فقال تعالى ومن يكتمها فانه آثم قلبه اي فاجر قلبه
والآثم الفاجر وانما اضيف الاثم الى القلب لان الافعال من الدواعي والصوارف
انما تحدث في القلب فلما كان الامر كذلك اضيف الاثم الى القلب وقيل ما اوعد
الله على شيء كايعاده على كتمان الشهادة فانه تعالى قال فانه آثم قلبه
واراد به مسخ القلب نعوذ بالله من ذلك والله بما تعملون عليم يعني من بيان
الشهادة وكتمانها ففيه وعيد وتحذير لله ما في السموات وما في الارض
ملكا واهلها له عبيد وهو مالكهم وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله



وهذا ايضا ولا حديث النفس والخواطر الفاسدة التي ترد على القلب ولا يتمكن
من دفعها فالمؤاخذة بها تجري مجرى تكليف ما لا يطاق واجيب عن هذا
بان الخواطر الحاصلة في القلب على قسمين فمنها ما يوطن الانسان نفسه على
ويعزم على اظهاره الى الوجود فهذا مما يؤاخذ الانسان به والقسم الثاني
ما يخطر بالبال ولا يمكن دفعه عن نفسه لكن يكرهه ولا يعزم على فعله
ولا اظهاره الى الوجود فهذا معفو عنه بدليل قوله لها ما كسبت وعليها
ما اكتسبت وقال قوم هذه الآية خاصة ثم اختلفوا في وجه تخصيصها فقال
بعضهم هي متصلة بالآية التي قبلها وانما نزلت في كتمان الشهادة ومعنى
الآية وان تبدوا ما في انفسكم ايها الشهود من كتمان الشهادة او تخفوه اي
تخفوا الكتمان يحاسبكم به الله وهذا ضعيف لان اللفظ عام وان كان
واردا عقيب قضية ولا يلزم صرفه اليها وقال بعضهم ان الآية نزلت
فيمن يتولى الكافرين من المؤمنين والمعنى وان تبدوا اي تظهروا ما في
انفسكم يعني من ولاية الكفار او تخفوه فلا تظهروه يحاسبكم به الله
وذهب اكثر العلماء الى ان الآية عامة ثم اختلفوا فقال قوم هي منسوخة

بالآية



بالآية التي بعدها ويدل عليه ما روي عن ابي هريرة قال لما نزلت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم
او تخفوه الآية اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا يا رسول الله كلفنا
من الاعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد انزلت
عليك هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون
ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا
واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقترأها القوم وذلت بها
السنتهم انزل الله في اثرها آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون
كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا
سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى
فانزل الله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا قال نعم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته
على الذين من قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر
لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال نعم اخرجه مسلم
وله عن ابن عباس نحوه وفيه قد فعلت بدل نعم (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى تجاوز لامتي ما حدثت به انفسها ما لم يعملوا به
او يتكلموا وفي رواية ما وسوست به صدورها وقال قوم ان الآية غير منسوخة
لان النسخ لا يرد الا على الامر والنهي ولا يرد على الاخبار وقول الله تعالى يحاسبكم
به الله خبر فلا يرد عليه النسخ ثم اختلفوا في تاويلها فقال قوم قد اثبت
الله تعالى للخلق كسبا فقال بما كسبت قلوبكم وليس لله عبد اسر عملا
او اعلنه من حركة جارحة او همّ قلب الا يعلمه الله ثم يخبره به ويحاسبه
عليه ثم يغفر ما يشاء او يعذب بما يشاء وقال آخرون في معنى الآية ان الله تعالى
يحاسب خلقه بجميع ما ابدوا من اعمالهم او اخفوه ويعاقبهم عليه غير ان
معاقبتهم على ما اخفوه اخفه مما لم يعملوا به وهو ما يحدث لهم في الدنيا من النوائب

والمصائب والامور التي يحزنون عليها وهذا قول عائشة عن امية انها
سالت عائشة عن قول الله عز وجل ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه
يحاسبكم به الله وعن قوله ومن يعمل سوءا يجز به فقالت ما سالني
عنها احد منذ سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه معاتبة
الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة حتى البضاعة يضعها في يد
قميصه فيفقدها فيفزع لها حتى ان العبد ليخرج من ذنوبه كما يخرج
التبر الاحمر من الكير اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وله
عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله بعبده
الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد بعبده الشر امسك عليه بذنبه
حتى يوافيه به يوم القيمة وقال قوم في معنى الاية وان تبدوا ما في انفسكم
يعني مما عزمتم عليه او تخفوه اي ولا تبدوه وانتم عازمون عليه يحاسبكم
به الله فاما ما حدثت النفس مما لم تعزموا عليه فان ذلك مما لا يكلف الله نفسا
الا وسعها ولا يواخذ به قال عبد الله بن المبارك قلت لسفيان ايواخذ العبد
بالهمة فقال اذا كانت عزما اخذ بها وقيل معنى المحاسبة الاخبار والتعريف
فيرجع معنى هذه المحاسبة الى كونه تعالى عالما بكل ما في الضماير والسراير
مما ظهر او اخفي ومعنى الاية وان تبدوا ما في انفسكم فتعملوا به او تخفوه
مما اضمرتم ونويتم يحاسبكم به الله اي يخبركم به ويعرفكم اياه ثم يغفر للمومنين
اظهارا للفضله ويعذب الكافرين اظهارا للعدله يروى عن ابن عباس
ويدل عليه انه قال يحاسبكم به الله ولم يقل يواخذكم به لان المحاسبة غير المواخذة
ويدل عليه ايضا ما روي عن صفوان بن محرز المازني قال بينا ابن عمر يطوف اذ
عرض له رجل فقال يا ابا عبد الرحمن اخبرني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم
في النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنى المومن من ربه حتى يضع
عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا وكذا فيقول اعرف رب اعرف مرتين
فيقول سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم ثم يطوى صحيفة حسناته
واما الاخرون او الكفار والمنافقون فينادى بهم على رووس الخلائق هولاء

الذين

الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين اخرجاه في الصحيحين وقوله
تعالى فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء قال ابن عباس يغفر لمن يشاء الذنب العظيم
ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لا يسال عما يفعل وهم يسالون والله على كل شي
قدير يعني انه تعالى قادر على كل شي كامل القدرة فيغفر للمومنين فضلا ويعذب
الكافرين عدلا قوله عز وجل امن الرسول بما انزل اليه من ربه عن ابن
عباس قال لما نزلت هذه الاية وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به
الله دخل قلوبهم منه شي لم يدخل من شي فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى
امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون الاية لا يكلف الله نفسا الا وسعها
لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا قال
قد فعلت ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال قد فعلت
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا
فانصرنا على القوم الكافرين قال قد فعلت اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن قال الزجاج لما ذكر الله في هذه السورة فرض الصلاة والزكاة والصوم
والحج والطلاق والايلا والحيض والجهاد واقاصيص الانبيا وما ذكر من كلام
الحكم ختم السورة بذكر تصديق نبيه صلى الله عليه وسلم والمومنين بجميع ذلك
ومعنى امن الرسول صدق الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى
صدق الرسول ان هذا القران وجملة ما فيه من الشرايع والاحكام
منزل من عند الله عز وجل والمومنون يعني وصدق المومنون بذلك ايضا
كل اي كل واحد من المومنين امن بالله وملايكته وكتبه ورسله فهذه
اربع مراتب من اصول الايمان ومنوط بانه فاما الايمان بالله فهو ان يومن
بان الله واحد احد لا شريك له ولا نظير له ويومن بجميع اسمايه الحسنى
وصفاته العليا وانه حي عالم قادر على كل شي واما الايمان بالملايكة
فهو ان يومن بوجودهم وانهم معصومون وانهم مطهرون وانهم السفرة
الكرام البررة وانهم الوسايط بين الله تعالى وبين رسله واما الايمان بكتبه
فهو ان يومن بان الكتب المنزلة من عند الله هي وحي الله الى رسله

وانها حق وصدق من عند الله تعالى بغير شك ولا ارتياب وانه لم يحرف
لم يحرف ولم يبدل ولم يغير وانه مشتمل على المحكم والمتشابه وان محكمه
يكشف عن متشابهه واما الايمان بالرسل فهو ان يومن بانهم رسل الله
الى عباده وامناوه على وحيه وانهم معصومون وانهم افضل الخلق وان
بعضهم افضل من بعض وقد انكر بعضهم ذلك وتمسك بقوله تعالى
لا نفرق بين احد من رسله واجيب عنه بان المقصود من هذا الكلام شي
اخر وهو اثبات نبوة الانبيا والرد على اليهود والنصارى الذين يقرون
بنبوة موسى وعيسى وينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقد ثبت
بالنص الصريح تفضيل بعض الانبيا على بعض بقوله تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض ومعنى قوله لا نفرق بين احد من رسله لم نومن ببعض ونكفر
ببعض كما فعلت اليهود والنصارى بل نومن بجميع رسله وفي الاية اضمار
تقديره وقالوا يعني المومنين لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا
يعني سمعنا قولك واطعنا امرك والمعنى قالوا المومنون سمعنا قول ربنا فيما
امرنا به واطعناه فيما الزمنا من فرايضه واستعبدنا به من طاعته وسلمنا
له فيما امرنا به ونهانا عنه غفرانك ربنا اي نسالك غفرانك ربنا او يكون
المعنى اغفر لنا ربنا واليك المصير يعني قالوا واليك مرجعنا ومعادنا فاغفر
لنا ذنوبنا وروى البغوي بغير سند عن حكيم بن جابر ان جبريل عليه السلام
قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قد اثنى عليك وعلى امتك فسل
تعطه فسال بتلقين الله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير قوله تعالى لا يكلف
الله نفسا الا وسعها يعني طاقتها والوسع اسم لما يسع الانسان ولا يضيق
عليه قال ابن عباس واكثر المفسرين ان هذه الاية نسخت حديث النفس
والوسوسة وذلك انه لما نزلت وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه ضجّ المومنون
منها وقالوا يا رسول الله نتوب من عمل اليد والرجل واللسان فكيف نتوب من
الوسوسة وحديث النفس فنزلت هذه الاية والمعنى انكم لا تستطيعون
ان تمتنعوا من الوسوسة وحديث النفس كان ذلك مما لا تطيقوه وقال

قيل يحتمل ان يكون
ابتدا خبر من عند الله
تعالى ويحتمل ان يكون
حكاية عن المومنين
وفيه اضمار كانه قال
تعالى عنهم وقالوا لا يكلف
الله تعالى نفسا الا
وسعها صح

ابن عباس

ابن عباس في رواية عنه هم المومنون خاصة وسع الله عليهم امر دينهم ولم
يكلفهم ما لا يستطيعون كما قال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال
تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج وسئل سفيان بن عيينة عن قوله
تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها قال الا يسرها ولم يكلفها فوق طاقتها
وهذا قول حسن لان الوسع ما دون الطاقة وقيل معناه ان الله تعالى لا يكلف
نفسا الا وسعها فلا يتعبدها بما لا تطيق لها ما كسبت يعني للنفس ما عملت
من الخير فلها اجره وثوابه وعليها ما اكتسبت يعني من الشر وعليها وزره
وعقابه وقيل في معنى الاية ان الله تعالى لا يواخذ احدا بذنب غيره قوله
عز وجل ربنا لا تواخذنا وهذا تعليم من الله تعالى عباده المومنين كيف يدعونه
ومعناه قولوا ربنا لا تواخذنا اي لا تعاقبنا وانما جا بلفظ المفاعلة وهو
فعل الواحد لان المسيء قد امكن من نفسه وطرق السبيل اليه بفعله فكانه
عليه من يعاقبه بذنبه ويواخذه به ان نسينا او اخطانا فيه وجهان احدهما
انه من النسيان الذي هو السهو وهو ضد التذكر قيل كان بنو اسرائيل
اذا نسوا شيا مما امروا به او اخطاوا عجلت لهم بتحريم عليهم شيا مما كان حلالا
لهم من مطعم او مشروب على حسب ذلك الذنب فامر الله المومنين ان يسالوه
ترك مواخذتهم بذلك فان قلت اليس فعل الناسي في محل العفو بدليل قوله
صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه فاذا
كان النسيان في محل العفو قطعا فما معنى طلب العفو عنه بالدعا قلت
الجواب عنه من وجوه الاول ان النسيان على ضربين اما الاول فهو ما كان
من العبد على وجه التضييع والتفريط وهو ترك ما امر بفعله كمن راى
على ثوبه دما فاخر ازالته عنه ثم نسي فصلى فيه وهو على ثوبه فيعد مقصرا
اذ كان يلزمه المبادرة الى ازالته اما اذا كان لم يره فيعذر فيه وكذا النوع
الثاني ترك ما امر بفعله على وجه السهو او ارتكب منهيا عنه من غير قصد اليه
كادم عليه السلام من الشجرة التي نهي عنها على وجه النسيان من غير
عزم على المخالفة كما قال تعالى ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له

عن ما فعل هذا يجب ان يسأل الله ان يعفو عنه ذلك واذا الانسان نسي الحق
فهو كمن ترك صلاة ثم نسيها او ترك دراسة القرآن بعد ان حفظه حتى
نسيه فهذا لا يعذر بنسيانه وسهوه لانه فرط فيتجه ان النسيان
على قسمين واذا كان كذلك صح طلب العفو والغفران عن النسيان
الوجه الثاني من الجواب ان الصحابة رضي الله عنهم كانوا من المتقين لله
حق تقاته فان صدر منهم ما لا ينبغي فلا يكون الا على سبيل السهو والنسيان
فطلبهم العفو والغفران لما يقع منهم على سبيل السهو والنسيان انما يكون لشدة
خوفهم وتقواهم الوجه الثالث ان المقصود من هذا الدعا هو التضرع
والتذلل لله تعالى واما الخطا ففي قوله تعالى او اخطانا فعلى وجهين ايضا احدهما
ان ياتي العبد ما نهي عنه بقصد وارادة فذلك خطا منه وصوبه ماخوذ
فيحسن طلب العفو والغفران لذلك الفعل الذي ارتكبه الوجه الثاني
ان يكون الخطا على سبيل الجهل والظن بان له فعله كمن ظن ان وقت الصلاة
لم يدخل وصوم يوم غيم فاخر ما حتى خرج وقتها فهذا من الخطا الموضوع
عن العبد لكن طلب العفو والغفران لسبب تقصيره وقوله ربنا ولا تحمل علينا
اصرا يعني عهدا ثقيلا وميثاقا غليظا فلا نستطيع القيام به فتعذبنا
بنقضه وتركه كما حملته على الذين من قبلنا يعني اليهود فلم يقوموا به فعذبتهم
عليه وقيل معناه ولا تشدد علينا كما شددت على اليهود ومن قبلنا
وذلك ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة وامرهم باداء ربع اموالهم زكاة ومن
اصاب منهم ثوبه نجاسة قطعها ومن اصاب ذنبا اصبح وذنبه مكتوب على
بابه ونحو هذا من الاثقال والاصار التي كانت عليهم فسال المؤمنون ان يصونهم
من امثال هذه التغليظات والعهود الثقيلة وقد اجاب الله تعالى دعاهم
برحمته وخفف عنهم بفضله وكرمه فقال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج
وقيل الاصر ذنب لا توبة له فسال المسلمون ربهم ان يعصمهم من مثله ربنا
ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به يعني ولا تكلفنا من الاعمال ما لا نطيق القيام به لثقل
حمله علينا وتكليف ما لا يطاق على وجهين احدهما ما لا يمكن لعجز العبد احتماله

كتكليف



كتكليف الاعمى النظر والزمن العدو ونحو ذلك وهذا النوع من التكليف لا يكلف
الله به احدا الوجه الثاني من تكليف ما لا يطاق هو ما في قدرة
العبد احتماله مع المشقة الشديدة والكلفة العظيمة كتكليف
الاعمال الشاقة والفرائض الثقيلة كما كان في ابتدا الاسلام صلاة
الليل واجبة ونحوه وهذا الذي سال المؤمنون ربهم لا يحملهم ما لا طاقة
لهم به واستدل بهذه الاية من يقول ان تكليف ما لا يطاق جائز
اذ لو لم يكن جائزا لما حسن طلب تخفيفه بالدعا من الله تعالى وقيل في قوله
ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به هو حديث النفس والوسوسة وقيل هو
شهوة الغلمة وقيل هو الحب وقيل هو شماتة الاعدا وقيل هو الفرقة
والقطيعة وقيل هو مسخ القردة والخنازير نعوذ بالله من ذلك كله وقوله
واعف عنا اي تجاوز عن ذنوبنا وامحها عنا واغفر لنا اي استر علينا ذنوبنا
ولا تفضحنا وارحمنا اي تعمدنا برحمة تنجينا بها من عقابك فانه ليس
بناج من عقابك الا من رحمته وقيل انا لا ننال العمل الا بطاعتك ولا نترك
معصيتك الا برحمتك واصل الرحمة رقة تقتضي الاحسان الى المرحوم واذا وصف
بها الله تعالى فليس يراد بها الا الاحسان المجرد والتفضل على العباد دون الرقة
وقيل ان طلب العفو هو ان يسقط عنه عقاب ذنوبه وطلب المغفرة
هو ان يستر عليه صونا له من الفضيحة كان العبد يقول اطلب منك
العفو واذا عفوت عني فاستره علي فاذا عفى الله تعالى عن العبد وستره طلب
الرحمة التي هي الانعام والاحسان ليفوز بالنعيم والثواب انت مولانا اي ناصرنا
وحافظنا وولينا ومتولي امرنا فانصرنا على القوم الكافرين يعني الجاحدين
الذين عبدوا غيرك وجحدوا وحدانيتك قال ابن عباس في قوله تعالى غفرانك
ربنا قال قد غفرت لكم وفي قوله لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا قال لا اواخذكم
ربنا ولا تحمل علينا اصرا قال لا احمل عليكم ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال
لا احملكم واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم
الكافرين قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين

قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين وكان
معاذ اذا ختم سورة البقرة قال آمين م عن عبد الله بن مسعود قال
لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهي
في السادسة واليها ينتهي ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها
ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال
فراش من ذهب قال فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا اعطي
الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك من امته شيئا
المقحمات قوله المقحمات الذنوب العظام التي تولج مرتكبها النار والقحم الاقتحام
الولوج ق عن ابن مسعود الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلة كفتاه معناه كفتاه من كل
ما يحذر من كل هامة وشيطان فلا يقربه تلك الليلة وقيل كفتاه من قيام
الليل م عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده جبريل عليه السلام
اذ سمع نقيضا من فوقه فرفع جبريل بصره الى السما فقال هذا باب
من السما فتح اليوم لم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل الى
الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك
فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما الا اعطيته عن
النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق
السموات والارض بالفي عام انزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة ولا يقران
في دار ثلاث ليال فيقربه شيطان اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
غريب آخر تفسير سورة البقرة والله سبحانه وتعالى اعلم واحكم

تفسير سورة آل عمران مدنية

وهي مائتا آية وثلاثة آلاف واربعمائة
وثمانون كلمة واربعة الاف وخمسمائة وخمسة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الم الله لا اله الا هو الحي القيوم
قال المفسرون نزلت هذه الآيات في وفد نجران وكانوا ستين راكبا قدموا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم ثلاثة

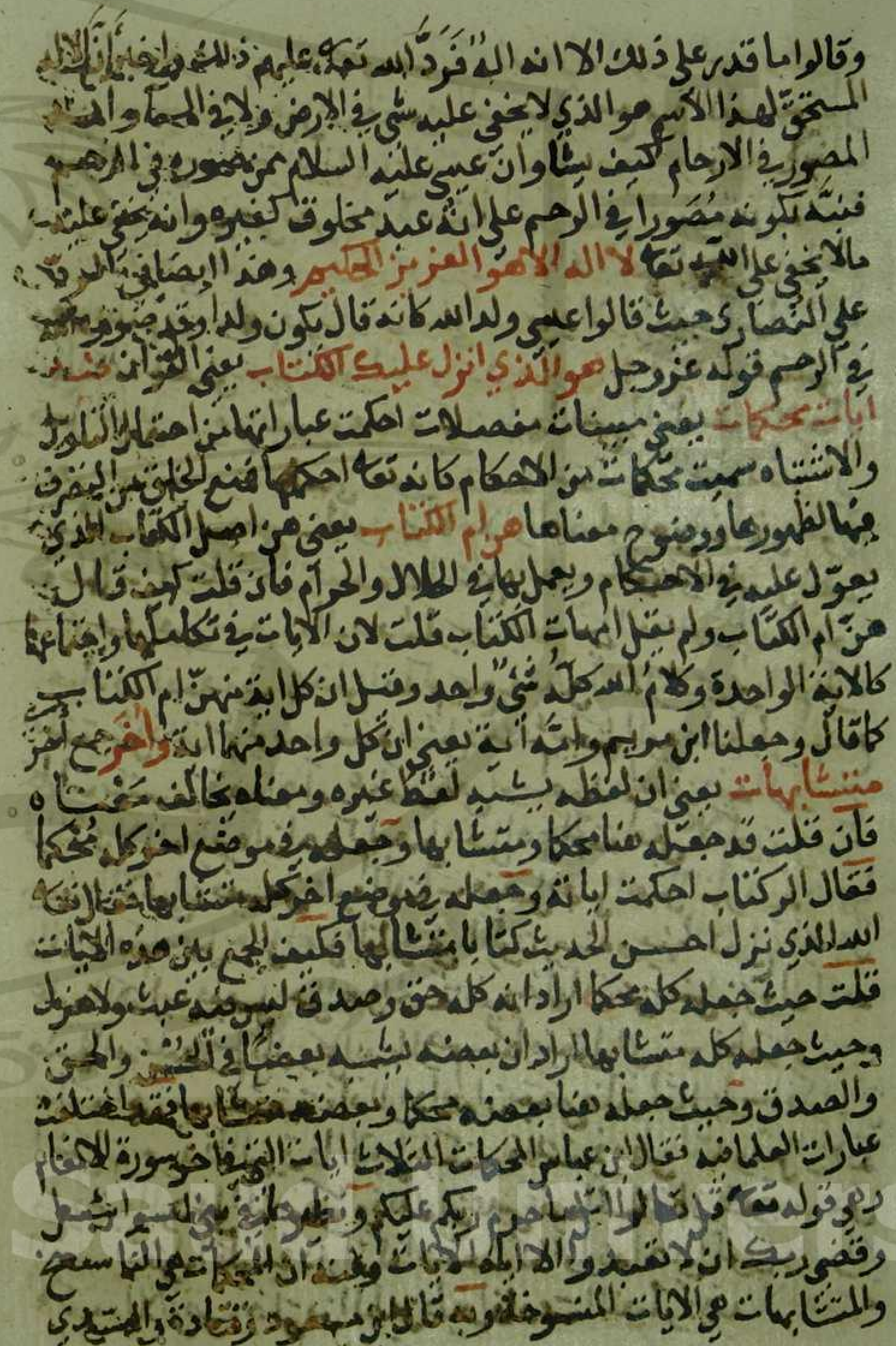
نفر

نفر من اكابرهم يؤول امرهم وهم العاقب واسمه عبد المسيح وهو امير القوم وصاحب
مشورتهم الذي لا يصدرون عن رايه والسيد واسمه الايهم وهو ثمالهم
ثمال القوم غياثهم وقوامهم وهو صاحب رحلهم الذي يقوم بامر طعامهم
وشرابهم وابو حارثة بن علقمة وهو اسقفهم وحبرهم وكان ملوك الروم
يكرمونه لما بلغهم عن علمه واجتهاده في دينهم فدخلوا مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين صلى العصر وعليهم ثياب الحبرات جبب وارديه
في جمال رجال بني الحارث بن كعب يقول من رآهم ما رأينا وفدا مثلهم وقد حانت
صلاتهم فقاموا للصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى المشرق فلما فرغوا كلم السيد والعاقب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما اسلما قالا قد اسلمنا قبلك قال كذبتما
يمنعكما من الاسلام دعواكما لله ولدا وعبادتكما الصليب واكلكما الخنزير
قالا ان لم يكن عيسى ولد الله فمن ابوه وخاصموه جميعا في عيسى فقال النبي صلى
الله عليه وسلم الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه قالوا بلى قال
الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتي عليه الموت قالوا بلى قال
الستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شي يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك
عيسى من ذلك شيئا قالوا لا قال الستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شي في الارض
ولا في السما قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك الا ما علم قالوا لا قال الستم
تعلمون ان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وربنا لا ياكل ولا يشرب قالوا
بلى قال الستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المراة ثم وضعته كما تضع
المراة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث
قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فانزل الله صدر سورة
آل عمران الى بضع وثمانين آية منها زاد بعضهم فقالوا يا محمد الست
تزعم ان عيسى كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا فحسبنا ثم ابوا
الا جحودا فانزل الله عز وجل الم الله لا اله الا هو الحي القيوم يعني ان
ينزه نفسه عما يقول النصارى في معرفة الاله فهو الله لا اله الا هو

فكيف تثبتون له ولداً فتبين تعالى ان احداً لا يستحق العبادة غيره لانه
الواحد الاحد ليس معه اله ولا له ولد ثم اتبع ذلك بما يجري مجرى
الدلالة عليه فقال الحي القيوم اما الحي في صفة الله تعالى فهو الدائم الباقي
الذي لا يصح عليه الموت واما القيوم فهو القائم بذاته والقائم بتدبير
الخلق ومصالحهم فيما يحتاجون اليه في معاشهم ومعادهم نزل عليك الكتاب
يعني القران بالحق اي بالصدق والعدل مصدقا لما بين يديه يعني
لما قبله من الكتب في التوحيد والنبوات والاخبار وبعض الشرايع وقوله
لما بين يديه في مجاز الكلام وذلك لغاية ظهوره واشتهاره وانزل التوراة
والانجيل اي من قبل القران فان قلت لم قيل نزل الكتاب وانزل التوراة والانجيل
قلت لان القران نزل منجما منفصلا في اوقات كثيرة ونزل هو للتكثير وانزل
التوراة والانجيل جملة واحدة هدى للناس يعني ان انزال التوراة والانجيل
قبل القران كان هدى للناس فان قلت كيف وصف القران في اول البقرة
بانه هدى للمتقين ووصف هنا التوراة والانجيل بانهما هدى للناس قلت
انما وصف القران بانه هدى للمتقين لانهم هم الذين انتفعوا به وتبعوه
ووصف هنا التوراة والانجيل بانهما هدى للناس لان المناظرة كانت مع نصارى
نجران وهم يعتقدون صحة التوراة والانجيل فلهذا السبب قال هنا هدى
للناس وقيل ان قوله هدى للناس يعود الى الكتب الثلاثة يعني القران المتقدم
ذكره والتوراة والانجيل وانما وصف هذه الكتب بانها هدى للناس لان فيها
من الشرايع والاحكام وانزل الفرقان يعني الفارق بين الحق والباطل قيل
اراد به القران وانما اعاد ذكره تعظيما لشانه ومدحا له لكونه فارقا بين الحق
والباطل وقيل انما اعاد ذكره ليبين انه تعالى انزله بعد التوراة والانجيل
ليجعله فارقا بين ما اختلف فيه اليهود والنصارى في امر عيسى عليه السلام
وقيل المراد به الكتب الثلاثة لان كلها هدى للناس ومفرقة بين الحلال والحرام
والحق والباطل وقال السدي في الاية تقديم وتاخير تقديره وانزل التوراة
والانجيل والفرقان هدى للناس ان الذين كفروا بايات الله يعني الكتب

المنزلة

المنزلة يعرفونها قيل اراد بهم نصارى وفد نجران كفروا بالقران وبمحمد
صلى الله عليه وسلم وقيل ان خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ فهو يتناول
كل من كفر بشيء من ايات الله لهم عذاب شديد والله عزيز اي غالب لا يغلب
ذو انتقام يعني ممن كفر به والانتقام المبالغة في العقوبة قوله تعالى
ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السما اي لا يخفى عليه شيء من امور العالم
وهو مطلع على احوالهم فقوله ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السما اشارة
الى كمال علمه المتعلق بجميع المعلومات هو الذي يصوركم في الارحام التصوير
جعل الشي على صورة والصورة هيئة يكون عليها الشي بالتاليف والارحام
جمع رحم كيف يشاء يعني الصور المختلفة المتفاوتة في الخلقة ذكرا او
انثى ابيض او اسود حسنا او قبيحا كاملا او ناقصا والمعنى انه الذي يصوركم
في ظلمات الارحام صورا مختلفة في الشكل والطبع واللون وذلك من نطفة
ق عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون
علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث اليه ملكا باربع
كلمات بكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه الروح
فوالذي لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه
وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها
وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق
عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها ق عن انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول اي رب نطفة اي رب
علقة اي رب مضغة فاذا اراد الله ان يقضي خلقها قال يا رب اذكر ام انثى
اشقي ام سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب ذلك في بطن امه وقيل ان الاية
واردة في الرد على النصارى وذلك ان عيسى عليه السلام كان يخبر ببعض
الغيب ويقول لفلان صنعت في دارك كذا وصنعت كذا وانه احيى الموتى وابرا
الاكمه والابرص وخلق من الطين طيرا فادعت النصارى فيه الالهية


وقالوا ما قدر على ذلك الا انه اله فرد الله تعالى عليهم ذلك واخبر انه الاله
المستحق لهذا الاسم هو الذي لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء وانه
المصور في الارحام كيف يشاء وان عيسى عليه السلام ممن صوره في الرحم
فنبه بكونه مصورا في الرحم على انه عبد مخلوق كغيره وانه يخفى عليه
ما لا يخفى على الله تعالى **لا اله الا هو العزيز الحكيم** وهذا ايضا فيه الرد
على النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله كانه قال يكون ولدا وقد صوره
في الرحم قوله عز وجل **هو الذي انزل عليك الكتاب** يعني القرآن **منه**
ايات محكمات يعني مبينات مفصلات احكمت عباراتها من احتمال التاويل
والاشتباه سميت محكمات من الاحكام كانه تعالى احكمها فمنع الخلق من التصرف
فيها لظهورها ووضوح معناها **هن ام الكتاب** يعني هن اصل الكتاب الذي
يعول عليه في الاحكام ويعمل بها في الحلال والحرام فان قلت كيف قال
هن ام الكتاب ولم يقل امهات الكتاب قلت لان الايات في تكاملها واجتماعها
كالاية الواحدة وكلام الله كله شيء واحد وقيل ان كل اية منهن ام الكتاب
كما قال وجعلنا ابن مريم وامه اية يعني ان كل واحد منهما اية **واخر** جمع اخرى
متشابهات يعني ان لفظه يشبه لفظ غيره ومعناه يخالف معناه
فان قلت قد جعله هنا محكما ومتشابها وجعله في موضع اخر كله محكما
فقال الر كتاب احكمت اياته وجعله في موضع اخر كله متشابها فقال
الله الذي نزل احسن الحديث كتابا متشابها فكيف الجمع بين هذه الايات
قلت حيث جعله كله محكما اراد انه كله حق وصدق ليس فيه عبث ولا هزل
وحيث جعله كله متشابها اراد ان بعضه يشبه بعضا في الحسن والحق
والصدق وحيث جعله هنا بعضه محكما وبعضه متشابها فقد اختلفت
عبارات العلماء فيه فقال ابن عباس المحكمات الثلاث الايات التي في اخر سورة الانعام
وهو قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم والتي في بني اسرائيل
وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه الايات وعنه ان المحكمات هي الناسخة
والمتشابهات هي الايات المنسوخة وبه قال ابن مسعود وقتادة والسدي

وقيل ان المحكمات

وقيل ان المحكمات ما فيه احكام الحلال والحرام والمتشابهات ما سوى ذلك
يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا وقيل ان المحكمات ما اطلع
الله عباده على معناه والمتشابه ما استأثر الله بعلمه فلا سبيل لاحد
الى معرفته نحو الخبر عن اشراط الساعة مثل الدجال ويأجوج ومأجوج
ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وفناء الدنيا وقيام
الساعة فجميع هذا مما استأثر الله بعلمه وقيل ان المحكم ما لا يحتمل من
التاويل الا وجها واحدا والمتشابه ما يحتمل اوجها روي ذلك عن الشافعي
وقيل المحكم سائر القرآن والمتشابه هو الحروف المقطعة في اوائل السور
قال ابن عباس ان رهطا من اليهود منهم حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف
ونظراؤهما اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال له حيي بلغنا انه
انزل عليك الم فانشدك الله أأنزلت عليك قال نعم قال ان كان ذلك
حقا فاني اعلم مدة ملك امتك هي احدى وسبعون سنة فهل انزل عليك
غيرها قال نعم المص قال فهذه اكثر هي احدى وستون ومائة قال فهل
انزل عليك غيرها قال نعم الر قال فهذه اكثر هي مائتان واحدى وثلاثون
سنة فهل من غيرها قال نعم المر قال فهذه اكثر هي مائتان واحدى وسبعون
سنة ولقد خلطت علينا ولا ندري ابكثيره ناخذ ام بقليله ونحن ممن لا نؤمن
بهذا فانزل الله هذه الاية قوله فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون
ما تشابه منه وقيل ان المحكم ما لم يتكرر الفاظه والمتشابه ما تكررت
الفاظه وقيل ان المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتج الى بيان والمتشابه
ما احتاج الى بيان وقيل ان المحكم هو الامر والنهي والوعد والوعيد والمتشابه
هو القصص والامثال فان قلت لما نزل القرآن لبيان الدين وارشاد
العباد وهدايتهم فما فائدة المتشابه وهلا كان كله محكما قلت ذكر
العلماء عن هذا السؤال اجوبة احدها ان القرآن نزل بالفاظ العرب
ولغاتهم وكلام العرب على ضربين احدهما الايجاز للاختصار والموجز الذي
لا يخفى على سامعه ولا يحتمل غير ظاهره والاطالة لبيان المراد والتوكيد

الضرب الثاني المجاز والكنايات والاشارة والتلويحات واغماض المعاني
وهذا الضرب هو المستحسن عند العرب والبديع في كلامهم فلهذا انزل الحق
تعالى القران على هذين الضربين ليتحقق عجزهم عن الاتيان بمثله فكانه
قال عارضوه باي الضربين شئتم ولو نزل كله محكما واضحا لقالوا هلا نزل
بالضرب المستحسن عندنا الجواب الثاني ان الله تعالى انزل المتشابه
لفائدة عظيمة وهو ان يشتغل اهل العلم والنظر برده الى المحكم
فيطول بذلك فكرهم ويتصل بالبحث عن معانيه اهتمامهم فيثابون على تعبهم
كما اثيبوا على عبادتهم ولو انزل القران كله محكما لاستوى في معرفته العالم والجاهل
ولم يفضل العالم على غيره ولماتت الخواطر وخمدت الفكرة ومع الغموض تقع الحاجة
الى الفكرة والحيلة الى استخراج المعاني وقد قيل في عيب الغنا انه يورث
البلادة وفي فضيلة الفقر انه يورث البحث الى القوت وقيل انه يبعث على
الحيلة لانه اذا احتاج احتال الجواب الثالث ان اهل كل علم يجعلون في علومهم
معان غامضة ومسائل دقيقة ليختبروا بذلك اذهان المتعلمين منهم على
انتزاع الجواب لانهم اذا قدروا على انتزاع المعاني الغامضة كانوا على الواضح
اقدر فلما كان ذلك حسنا عند العلما جاز ان يكون ما انزله الله تعالى من
المتشابه هذا النحو الجواب الرابع ان الله تعالى انزل المتشابه في كتابه
مختبرا به عباده ليقف المؤمن عنده ويرد علمه الى عالمه فيعظم ثوابه
ويرتاب به المنافق فيداخله الزيغ فيستحق بذلك العقوبة كما ابتلي بنو اسرائيل
بالنهر والله اعلم بمراده فاما الذين في قلوبهم زيغ اي ميل عن الحق وقيل الزيغ
الشك واختلفوا في المعني بهم والمشار اليهم فقيل هم وفد نجران الذين حاجوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام وقالوا الست تزعم انه روح
الله وكلمته قال بلى قالوا فحسبنا فانزل الله هذه الاية وقيل هم اليهود لانهم
طلبوا معرفة مدة بقاء هذه الامة واستخراجه بحساب الجمل من الحروف
المقطعة في اوائل السور وقيل انهم المنافقون وقيل هم الخوارج وكان قتادة
يقول ان لم يكونوا الحرورية والسبائية فلا ادري من هم وقيل هم جميع المبتدعة

فيتبعون

فيتبعون ما تشابه منه يعني يحيلون المحكم على المتشابه والمتشابه
على المحكم ويقولون ما بال هذه الاية عمل بها كذا وكذا ثم نسخت وقيل كل من
احتج لباطله بالمتشابه فهو المعني بهذه الاية ق عن عائشة قالت تلا
رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات
الى قوله وما يذكر الا اولوا الالباب فقال فاذا رايتم الذين يتبعون ما تشابه منه
فاولئك الذين سماهم الله فاحذروهم وقوله تعالى ابتغاء الفتنة اي طلب
الشرك والكفر وقيل طلب الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالهم وقيل طلب
افساد ذات البين وابتغاء تاويله اي تفسيره واصل التاويل في اللغة المرجع
والمصير تقول آل الامر الى كذا اذا رجع اليه وتسمى العاقبة تاويلا لان الامر
يصير اليه قال ابن عباس في قوله وابتغاء تاويله اي طلب بقاء ملك محمد صلى الله
عليه وسلم وقيل المراد بهم الكفار طلبوا متى يبعثون وكيف احياؤهم بعد الموت
وقيل هو طلب تفسير المتشابه وعلمه وما يعلم تاويله الا الله يعني تاويل
المتشابه وقيل لا يعلم انقضاء ملك هذه الامة الا الله لان انقضاء ملكها
مع قيام الساعة وذلك لا يعلمه الا الله وقيل يجوز ان يكون للقران تاويل
استاثر الله بعلمه لم يطلع عليه احدا من خلقه كعلم قيام الساعة ووقت طلوع
الشمس من مغربها وخروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم وعلم الحروف المقطعة
واشباه ذلك مما استاثر الله بعلمه فالايمان به واجب وحقائق علومه مفوضة
الى الله تعالى وهذا قول اكثر المفسرين وهو مذهب ابن مسعود وابن عباس
في رواية عنه وابي بن كعب وعائشة واكثر التابعين فعلى هذا القول تم الكلام
عند قوله الا الله ووقف عليه ثم ابتدا فقال تعالى والراسخون في العلم اي الثابتون
في العلم وهم الذين اتقنوا علمهم بحيث لا يدخل في علمهم شك يقولون امنا به قال
ابن عباس سماهم راسخين في العلم بقولهم امنا به فرسوخهم في العلم هو الايمان
به وقال عمر بن عبد العزيز في هذه الاية انتهى علم الراسخين بتاويل القران الى ان قالوا
امنا به كل من عند ربنا يعني المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وما علمنا منه
وما لم نعلم فنحن معنيون في المتشابه بالايمان به ونكل معرفته الى الله تعالى

وفي المحكم يجب علينا الايمان به والعمل بمقتضاه وروي عن ابن عباس انه قال
قال تفسير القران على اربعة اوجه فمنه تفسير لا يسع احد جهله
وتفسير تعرفه العرب بالسنتها وتفسير يعلمه العلما وتفسير لا يعلمه
الا الله وقيل ان الواو في قوله والراسخون في العلم واو العطف يعني ان
تاويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون في العلم وهم مع علمهم يقولون
امنا به روي عن ابن عباس انه كان يقول انا من الراسخين في العلم وعن مجاهد
عنه انا ممن يعلم تاويله ووجه هذا القول ان الله تعالى انزل كتابه لينتفع
به عباده ولا يجوز ان يكون في القران شي لا يعرفه احد من الامة وفي المراد
بالراسخين في العلم هنا قولان احدهما انهم مومني اهل الكتاب مثل عبد الله
ابن سلام واصحابه دليله قوله تعالى لكن الراسخون في العلم منهم والقول الثاني
انه الراسخين هم العلما العاملون بعلمهم سئل انس بن ملك عن الراسخين
في العلم فقال العالم العامل بما علم المتبع وقيل الراسخ في العلم من وجد في علمه
اربعة اشيا التقوى فيما بينه وبين الله والتواضع فيما بينه وبين الناس
والزهد فيما بينه وبين الدنيا والمجاهد فيما بينه النفس وما يذكر الا اولوا
الالباب اي وما يتعظ بما في القران الا ذوي العقول وهذا ثنا من الله عز وجل
على الذين قالوا امنا به كل من عند ربنا قوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا اي ويقول
الراسخون في العلم ربنا لا تزغ قلوبنا اي لا تملها عن الحق والهدى كما ازغت
الذين في قلوبهم زيغ بعد اذ هديتنا اي وفقتنا لدينك والايمان بالمحكم والمتشابه
من كتابك وهب لنا من لدنك رحمة اي اعطنا توفيقا وتثبيتا للذي نحن عليه
من الايمان والهدى وقيل هب لنا تجاوزا ومغفرة انك انت الوهاب الهبة
العطية الخالية عن الاعواض والاغراض والوهاب من صفة الله تعالى انه
يعطي كل واحد على قدر استحقاقه م عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قلوب بني ادم كلها بين اصبعين من اصابع
الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف حيث يشا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم مصرف القلوب اصرف قلوبنا على طاعتك هذا من احاديث الصفات

وللعلما

وللعلما فيه قولان احدهما الايمان به وامراره كما جاء من غير تعرض لتاويل
ولا تكييف ولا لمعرفة معناه بل نومن به وانه حق ونكل علمه الى مراد الله
ورسوله صلى الله عليه وسلم وهذا القول هو مذهب اهل السنة من سلف
الامة وكثير من اهل الحديث وغيرهم والقول الثاني انه يتاول بحسب
ما يليق به وان ظاهره غير مراد قال تعالى ليس كمثله شي فعلى هذا المراد هو
المجاز كما يقال فلان في قبضتي وفي كفي يريد انه تحت قدرته وفي تصرفه لا انه
حال في كفه فمعنى الحديث انه سبحانه وتعالى متصرف في قلوب عباده وغيرها كيف
شا لا يمتنع عليه منها شي ولا يفوته ما اراد منها كما لا يمتنع على الانسان ما بين
اصبعيه فخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه بما يفهمونه ويعلمونه
من انفسهم وانما ثني لفظ الاصبعين والقدرة واحدة لانه جرى على المعهود
من التمثيل بحسب ما اعتادوه وان كان غير مقصود به التثنية او الجمع وهذا
مذهب جمهور المتكلمين وغيرهم من المتاخرين وانما خص القلوب بالذكر لفائدة
وهي ان الله تعالى جعل القلوب محلا للخواطر والارادات والنيات وهي مقدمات
الافعال ثم جعل ساير الجوارح تابعة للقلوب في الحركات والسكنات والله اعلم
قوله تعالى ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه اي ليوم القضا وقيل اللام بمعنى
في اي في يوم لا ريب فيه اي لا شك فيه انه كاين وهو يوم القيامة ان الله لا يخلف
الميعاد هذا من بقية دعا الراسخين في العلم وذلك انهم لما طلبوا من الله تعالى
ان يصرف قلوبهم عن الزيغ وان يخصهم بالهداية والرحمة وذلك من مصالح الدين
والدنيا ثم انهم اتبعوا ذلك بقولهم ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه
ومعناه انا نعلم انك جامع الناس للجزا في يوم القيمة ونعلم ان وعدك حق
وانك لا تخلف الميعاد فمن ازغت قلبه فهو هالك ومن مننت عليه بالهداية
والرحمة فهو ناج من العذاب سعيد قوله تعالى ان الذين كفروا يعني رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم قريظة والنضير لن تغني اي لن تنفع
ولن تدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيا اي من عذاب الله شيا وقيل من
بمعنى عند اي عند الله شيا واوليك هم وقود النار كداب ال فرعون قال ابن عباس

كفعل آل فرعون وصنيعهم في الكفر وقيل كسنة آل فرعون وقيل كعادة
آل فرعون والمعنى ان عادة هولاء الكفار في تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجحود الحق كعادة آل فرعون فانهم كذبوا موسى وصدقوا فرعون والذين
من قبلهم يعني كفار الامم الماضية مثل عاد وثمود وغيرهم كذبوا باياتنا
يعني لما جاتهم بها الرسل فاخذهم الله بذنوبهم اي فعاقبهم بسبب
تكذيبهم والله شديد العقاب وقيل في معنى الاية ان الذين كفروا
لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم عند حلول النقمة والعقوبة مثل
آل فرعون وكفار الامم الخالية فاخذناهم فلم تغن عنهم اموالهم ولا اولادهم
قوله عز وجل قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون قرئ بالتاء والياء
فيهما فمن قرا بالياء فيهما المنقوطة تحت فمعناه بلغهم يا محمد انهم سيغلبون
ويحشرون ومن قرا بالتا المنقوطة فوق فمعناه قل لهم ستغلبون وتحشرون
الى جهنم قيل اراد بالذين كفروا مشركي قريش والمعنى قل لكفار مكة ستغلبون
يوم بدر وتحشرون في الآخرة الى جهنم فلما نزلت هذه الاية قال لهم النبي
صلى الله عليه وسلم يوم بدر ان الله غالبكم وحاشركم الى جهنم وقيل اراد ابا سفيان
جمع جماعة من قومه بعد وقعة بدر فانزل الله هذه الاية وقيل ان هذه
الاية نزلت في اليهود وقال ابن عباس ان يهود اهل المدينة قالوا لما هزم
رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين يوم بدر هذا والله النبي الذي بشر به
موسى لا ترد له راية وارادوا اتباعه ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى
تنظروا وقعة اخرى فلما كان يوم احد ونكب اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم شكوا وغلب عليهم الشقا فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله
صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوا العهد وانطلق كعب بن الاشرف
في ستين راكبا الى مكة ليستنفرهم فاجمعوا امرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانزل الله هذه الاية وقال ابن عباس وغيره لما اصاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم قريشا يوم بدر ورجع الى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال
يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر واسلموا

قيل

٢٠٧



قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل تجدون ذلك في
كتابكم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب
فاصبت منهم فرصة وانا والله لو قاتلناك لعرفت انا نحن الناس فانزل الله
عز وجل قل للذين كفروا يعني اليهود ستغلبون اي ستهزمون وتحشرون
يعني في الآخرة الى جهنم وبئس المهاد اي الفراش والمعنى بئس ما مهد
لهم يعني النار قوله تعالى قد كان لكم آية في فئتين التقتا قيل الخطاب
للمؤمنين يروى ذلك عن ابن مسعود والحسن وقيل هو خطاب للكفار
فيكون عطفا على الذي قبله ويخرج على قول ابن عباس وقيل هو خطاب
لليهود قاله ابن جرير فان قلت لم قال قد كان لكم آية ولم يقل قد كانت
لكم لان الاية مؤنثة قلت كلما ليس بمؤنث حقيقي يجوز تذكيره وقيل
انه رد المعنى الى البيان فمعناه قد كان لكم بيان فذهب الى المعنى وترك
اللفظ وقال الفرا انما ذكر لانه حالت الصفة بين الفعل والاسم
المؤنث فذكر الفعل وكلما جاء من هذا فهو وجهه ومعنى الاية قد كان
لكم آية اي عبرة ودلالة على صدق ما اقول انكم ستغلبون في فئتين
اي فرقتين واصلها في الحرب لان بعضهم يفيء الى بعض اي يرجع التقتا
يعني يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله اي في طاعة الله وهم رسول الله
واصحابه وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من
المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلا من الانصار وكان صاحب
راية المهاجرين علي بن ابي طالب وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة
وكان فيهم سبعون بعيرا وفرسان وكان معهم من السلاح ستة ادرع
وثمانية سيوف وقوله تعالى واخرى كافرة اي وفرقة اخرى كافرة وهم
مشركوا مكة وكانوا تسعمائة وخمسون رجلا من المقاتلة وكان راسهم
عتبة بن عبد شمس وكان فيهم مائة فرس وكانت وقعة بدر اول مشهد
شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وقوله تعالى يرونهم مثليهم
قرئ بالتا يعني ترون اهل مكة ضعفي المسلمين يا معشر اليهود وذلك

قوله

وذلك ان جماعة من اليهود وكانوا قد حضروا القتال يوم بدر لينظروا على من تكون الدبرة ولمن النصر فرءوا المشركين مثلي عدد المسلمين ورءوا النصر للمسلمين فكان ذلك معجزة وقرئ يرونهم بالياء واختلفوا في وجه قراءة اليا فجعل بعضهم الرؤيا للمسلمين ثم له تأويلات احدها يرى المسلمون المشركين مثليهم كما هم فان قلت كيف قال مثليهم وانما كانوا ثلاثة امثالهم قلت هذا مثل الرجل وعنده درهم انا محتاج الى مثلي هذا الدرهم يعني الى مثليه سواه فيكون ثلاثة دراهم ووجه اخر وهو ان يكون الله تعالى اظهر للمسلمين من عدد المشركين القدر الذي يعلم المؤمنون انهم يغلبونهم لازالة الخوف من قلوبهم وهذا التأويل الثاني هو الاصح قلل الله المشركين في اعين المسلمين راوهم مثليهم فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى يرونهم مثليهم وبين قوله واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم وكيف يقال ان المشركين استكثروا المسلمين والمسلمين استكثروا المشركين وان الفئتين تساويا في استقلال احدهما الاخرى قلت ان التقليل والتكثير في حالين مختلفين فان قلنا ان الفئة الرائية هم المسلمون فانهم راوا عدد المشركين عند بداية القتال على ما هم عليه ثم قلل الله المشركين في اعين المسلمين حتى اجترؤا عليهم فنصروا عليهم بذلك السبب قال ابن مسعود نظرنا الى المشركين فرايناهم يضعفون علينا ثم نظرنا اليهم فما رايناهم يزيدون علينا رجلا واحدا وفي رواية اخرى عنه قال لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال اراهم مائة قال فاسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال الفا وان قلنا ان الفئة الرائية هم المشركون على قول بعض ان الرؤية راجعة الى المشركين يعني يرى المشركون المسلمين مثليهم فقلل الله المسلمين في اعين المشركين في اول القتال ليجترؤا عليهم ولا ينصرفوا فلما اخذوا في القتال كثر الله المسلمين في اعين المشركين ليجبنوا فيكون ذلك سبب خذلانهم وقد روي ان المشركين لما اسروا يوم بدر قالوا للمسلمين كم كنتم قالوا كنا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا قالوا ما كنا نراكم

الا تضعفون



الا تضعفون علينا فكان في وقعة بدر احوال في التكثير والتقليل وما ذلك الا اظهار للقدرة التامة وقوله تعالى رأي العين اي في رأي العين والله يؤيد اي يقوي بنصره من يشاء ان في ذلك يعني الذي ذكر من النصر وقلة رؤية الجيش مثليهم لعبرة اي لاية والعبرة الدلالة الموصلة الى اليقين المؤدية الى العلم واصلها من العبور كانه طريق يعبرونه فيوصلهم الى مرادهم وقيل العبرة هي التي يعبر بها من منزلة الجهل الى منزلة العلم لاولي الابصار لذوي العقول والبصائر قوله عز وجل زين للناس قال اهل السنة المزين هو الله تعالى لانه تعالى خالق جميع افعال العباد ولان الله خلق جميع ملاذ الدنيا واباحها لعبيده واباحتها للعبد تزيين لها قال الله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقال تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق وقال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها وقال تعالى كلوا مما رزقناكم حلالا طيبا فكل ذلك يدل على ان المزين هو الله تعالى ومما يؤكد ذلك قراءة مجاهد زين بفتح الزاي على تسمية الفاعل وقال الحسن المزين هو الشيطان وهو قول طائفة من المعتزلة ويدل على ذلك ان الله تعالى زهد في هذه الاشياء بان اعلم عباده زوالها ولان الله تعالى اطلق حب الشهوات فيدخل فيه الشهوات المحرمة والمزين لذلك هو الشيطان ولان الله تعالى ذكر هذه الاشياء في معرض الذم للدنيا ويدل عليه اخر الاية وهو قوله تعالى والله عنده حسن المآب ونقل عن ابي علي الجبائي من المعتزلة ان ما كان حراما كان المزين له هو الشيطان وكل ما كان مباحا من ذلك كان المزين له هو الله والصحيح ما ذهب اليه اهل السنة لان الله تعالى خالق الكل ولا شريك له في ملكه وقوله تعالى حب الشهوات يعني المشتهيات لان الشهوة توقان النفس الى الشيء المشتهى من النساء انما بدا بذكر النساء لان الالتذاذ بهن اكثر والاستئناس بهن اتم ولانهن حبائل الشيطان واقرب الى الافتتان والبنين وانما خص البنين بالذكر لان حب الولد الذكر اكثر من حب الانثى ووجه محبته ظاهر لانه يتكثر به ويعتضد به ويقوم مقامه وقد جعل الله تعالى في قلب الانسان حب الزوجة والولد لحكمة بالغة وهي بقاء التوالد

ولولا تلك المحبة لما حصل ذلك والقناطير المقنطرة جمع قنطار [illegible]
قنطارا من الاحكام والعقد يقال قنطرته اذا احكمته ومنه القنطرة
اي المحكمة الطاق واختلفوا في القنطار هل هو محدود او غير محدود
على قولين احدهما انه محدود ثم اختلفوا في حده فروي عن معاذ بن
جبل ان القنطار الف ومايتا اوقية وقال ابن عباس الف ومايتا مثقال
وعنه انه اثنى عشر الف درهم او الف دينار دية احدكم وبه قال الحسن
وقال سعيد بن جبير هو مائة الف ومائة من ومائة رطل ومائة مثقال
ومائة درهم ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا وقال
سعيد بن المسيب وقتادة هو ثمانون الف وقال مجاهد سبعون الفا وقال
السدي هو اربعة الاف مثقال والقول الثاني ان القنطار ليس بمحدود وقال
الربيع بن انس القنطار وزن لا يحد وهو اختيار ابن جرير الطبري وغيره وقال
الحكم القنطار ما بين السماء والارض من مال وقال ابو نضرة القنطار ملء مسك
ثور ذهبا او فضة وقيل القنطار من المال ما فيه عبور الحياة تشبيها بعبور القنطرة
المقنطرة اي المجموعة وقيل المضاعفة لان القناطير جمع واقله ثلاثة والمقنطرة
بالمضاعفة فيحتمل ان تكون ستة او تسعة وقيل المقنطرة المسكوكة المنقوشة
من الذهب والفضة انما بدا بهما من بين ساير اصناف الاموال لانهما قيم الاشياء
وانما كانا محبوبين لان المالك لهما مالك قادر على ما يريده وهذه صفة كمال
وهي محبوبة قيل سمي الذهب ذهبا لانه يذهب ولا يبقى والفضة فضة لانها
تنفض اي تتفرق والخيل المسومة الخيل جمع لا واحد له من لفظه كالقوم
والرهط سميت الافراس خيلا لاختيالها في مشيتها وقيل لان الخيل لا يركبها
احد الا وجد في نفسه مخيلة يعني عجبا واختلفوا في معنى المسومة على ثلاثة
اقوال القول الاول انها الراعية يقال اسمت الدابة وسومتها اذا ارسلتها
للمرعى والمقصود انها اذا رعت زاد حسنها والقول الثاني انها من السمة وهي
العلامة ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في تلك العلامة فقيل هي الغرة
والتحجيل التي تكون في الخيل وقيل هي الخيل البلق وقيل المعلمة بالكي والقول

الثالث

الثالث انها المطهرة الحسان وتسويمها حسنها والانعام جمع نعم وهي الابل
والبقر والغنم ولا يقال للجنس الواحد منها نعم الا للابل خاصة فانه غلب
عليها والحرث يعني الزرع ذلك يعني ذلك الذي ذكر من هذه الاصناف
متاع الحيوة الدنيا اي الذي يستمتع به في الحياة الدنيا وهي زايلة فانية
يشير الى ان الحياة الدنيا متاع يفنى والله عنده حسن المآب اي المرجع
ففيه اشارة الى التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة وقيل فيه اشارة الى ان من
آتاه الله الدنيا كان الواجب عليه ان يصرفها فيما يكون فيه صلاحه في الآخرة
لانها السعادة القصوى في قوله تعالى قل اؤنبئكم بخير من ذلكم يعني الذي ذكر
من متاع الدنيا للذين اتقوا قال ابن عباس في رواية عنه يريد المهاجرين والانصار
اراد ان يصرفهم ويشوقهم الى الآخرة قال العلماء ويدخل في هذا الخطاب كل
من اتقى الشرك عند ربهم معناه انه تعالى اخبر انما عنده خير مما كان في الدنيا
وان كان محبوبا فحثهم على ترك ما يحبون لما يرجون ثم فسر ذلك الخير فقال
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من
الله ق عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل
يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله
في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم
تعط احدا من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون واي شيء افضل
من ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده ابدا وقيل ان العبد
اذا علم ان الله تعالى قد رضي عنه كان اتم لسروره واعظم لفرحه والله بصير
بالعباد يعني انه تعالى عالم بمن يؤثر ما عنده ممن يؤثر شهوات الدنيا فيجازي
كلا على عمله فيثيب ويعاقب على قدر الاعمال وقيل انه تعالى بصير بالذين
اتقوا فلذلك اعد لهم الجنات قوله عز وجل الذين يقولون ربنا اننا امنا
اي صدقنا فاغفر لنا ذنوبنا اي استر علينا وتجاوز عنا وقنا عذاب النار
قوله تعالى الصابرين يعني على اداء الواجبات وعن المحرمات والمنهيات
وفي البأساء والضراء وحين البأس وقيل الصابرين على دينهم والصادقين

يعني في ايمانهم وقال قتادة هم قوم صدقت نياتهم واستقامت السنتهم
وقلوبهم في السر والعلانية والصدق يكون في القول والفعل والنية
فاما صدق القول فهو مجانبة الكذب والصدق في الفعل هو الانصراف
عنه قبل اتمامه والصدق في النية العزم على الفعل حتى يبلغه
والقانتين يعني المطيعين لله وقيل هم المصلون وهو عبارة عن دوام
الطاعة والمواظبة عليها **والمنفقين** يعني اموالهم في طاعة الله ويدخل
فيه نفقة الرجل على نفسه وعلى اهله واقاربه وصلة رحمه
والزكاة والنفقة في جميع القربات **والمستغفرين بالاسحار** يعني المصلين
بالسحر وهو الوقت بعد ثلث الليل الى طلوع الفجر وقيل كانوا يصلون
بالليل حتى اذا كان وقت السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار فكان
هذا دابهم في ليلهم قال نافع كان ابن عمر يحيي الليل ثم يقول يا نافع
اسحرنا فاقول لا فيعاود الصلاة فاذا قلت نعم قعد يستغفر ويدعو
حتى يصبح **ق** عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى
ثلث الليل الاخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسالني فاعطيه
من يستغفرني فاغفر له وفي لفظ مسلم فيقول انا الملك انا الملك
من ذا الذي يدعوني الحديث وله في رواية اخرى فيقول هل من سايل
يعطى هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له حتى ينفجر
الصبح هذا الحديث من احاديث الصفات وللعلماء فيه وفي امثاله
مذهبان معروفان مذهب السلف الايمان به واجراؤه على ظاهره
ونفي الكيفية عنه والمذهب الثاني هو مذهب من يتاول احاديث
الصفات قال ابو سليمان الخطابي انما ينكر هذا الحديث من يقيس
الامور على ما يشاهده من النزول الذي هو تدل من اعلى الى اسفل
وانتقال من فوق الى تحت وهذه صفة الاجسام فاما نزول من لا يستولي عليه
صفات الاجسام فان هذه المعاني غير متوهمة فيه وانما هو خبر عن قدرته

ورافته

ورأفته بعباده وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم يفعل
ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على افعاله كمية سبحانه
ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وقيل في قوله تعالى والمستغفرين
بالاسحار وصف الله تعالى هؤلاء بما وصف ثم بين انهم مع ذلك لشدة
خوفهم ووجلهم انهم يستغفرون بالاسحار وروي ان لقمان قال لابنه يا بني
لا تكن اعجز من الديك فانه يصوت بالاسحار وانت نائم على فراشك
وقيل هم الذين يصلون صلاة الصبح في جماعة فعلى هذا القول انما
سميت الصلاة استغفارا لانهم طلبوا بفعلها المغفرة قوله عز وجل
شهد الله انه لا اله الا هو قيل في سبب نزول هذه الاية ان حبرين
من احبار الشام قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ابصرا المدينة
قال احدهما لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي
صلى الله عليه وسلم الذي يخرج في اخر الزمان فلما دخلا على النبي صلى
الله عليه وسلم عرفاه بالصفة فقالا له انت محمد قال نعم قالا وانت
احمد قال نعم قالا فانا نسألك عن شيء فان انت اخبرتنا به امنا بك
وصدقناك قال سلاني قالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله عز
وجل فانزل الله هذه الاية فاسلم الحبران وقيل ان هذه الاية نزلت
في نصارى نجران فيما ادعوا في عيسى عليه السلام فقوله تعالى شهد الله يعني
بين الله واظهر لان معنى الشهادة تبيين واظهار وقيل معنى شهد الله
حكم الله وقضى وقيل معناه اعلم الله انه لا اله الا هو وذلك بيان الدلائل
لما امكن التوصل الى معرفة الوحدانية فهو تعالى ارشد عباده الى معرفة
توحيده بما بين من عجائب مصنوعاته وغرايب مبتدعاته سئل
بعض الاعراب ما الدليل على وجود الصانع فقال ان البعرة تدل على
البعير واثار القدم تدل على المسير فهيكل علوي بهذه اللطافة ومركز
سفلي بهذه الكثافة اما يدلان على وجود الصانع الخبير قال ابن عباس
خلق الله تعالى الارواح قبل الاجساد باربعة الاف سنة وخلق الارزاق

قبل الارواح باربعة آلاف سنة فشهد لنفسه بنفسه قبل ان خلق الخلق
حين كان ولم يكن سماء ولا ارض ولا بر ولا بحر فقال تعالى شهد الله انه لا اله
الا هو **والملائكة** اي وشهد الملائكة معنى شهادة الله الاخبار والاعلام ومعنى
شهادة الملائكة والمؤمنين الاقرار والاعتراف بانه لا اله الا هو ولما كان
كل واحد من هذين الامرين يشبه شهادة حسن اطلاق لفظ الشهادة عليهما



واولوا العلم اي وشهد اولوا العلم بانه لا اله الا هو واختلفوا في اولوا
العلم فقيل هم الانبياء عليهم الصلاة والسلام لانهم اعلم الخلق بالله تعالى وقيل
هم علماء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار
وقيل هم علماء مؤمني اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم
علماء جميع المؤمنين **قائما بالقسط** اي بالعدل نصب على الحال وقيل على القطع او المدح
ومعناه انه تعالى قائم بتدبير خلقه كما يقال فلان قائم بامر فلان يعني
انه مدبر له متعهد لاسبابه وفلان قائم بحق فلان اي انه مجاز له فالله تعالى
مدبر امر خلقه وقائم بارزاقهم ومجاز لهم باعمالهم **لا اله الا هو** انما كرره
للتاكيد وقيل ان الاول وصف وتوحيد والثاني رسم تعليم اي قولوا لا اله
الا هو وقيل فائدة التكرير الاعلام بان هذه الكلمة اعظم الكلام واشرفه
ففيه حث للعباد على تكريرها والاشتغال بها فانه من اشتغل بها فقد
اشتغل بافضل العبادات **العزيز** اي الغالب الذي يقهر **الحكيم** يعني في جميع
افعاله **ان الدين عند الله الاسلام** يعني ان الدين المرضي عند الله هو الاسلام كما
قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا وفيه رد على اليهود والنصارى وذلك
لما ادعت اليهود انه لا دين افضل من اليهودية وادعت النصارى انه لا دين
افضل من النصرانية فرد الله عليهم ذلك فقال ان الدين عند الله الاسلام وقرئ
أن الدين بفتح الهمزة ردا على أن الاولى والمعنى شهد الله انه لا اله الا هو وشهد
أن الدين عند الله الاسلام واصل الدين في اللغة الجزاء يقال كما تدين تدان ثم
صار اسما للملة والشريعة ومعناه الانقياد للطاعة والشريعة قال الزجاج
الدين اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه وامرهم بالاقامة عليه والاسلام هو الدخول

في السلم

في السلم وهو الاستسلام والانقياد والدخول في الطاعة روى البغوي
بسنده الثعلبي عن غالب القطان قال اتيت الكوفة في تجارة فنزلت
قريبا من الاعمش فكنت اختلف اليه فلما كان ليلة اردت ان انحدر
الى البصرة قام من الليل يتهجد فمر بهذه الاية شهد الله انه لا اله
الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم
قال الاعمش وانا اشهد بما شهد الله واستودع الله هذه الشهادة
وهي لي عند الله وديعة ان الدين عند الله الاسلام قالها مرارا
قلت سمع فيها شيئا فصليت الصبح معه وودعته ثم قلت اني سمعتك
ترددها فما بلغك فيها قال والله لا احدثك بها الى سنة فكتبت
على بابه ذلك اليوم واقمت سنة فلما مضت السنة قلت يا ابا محمد قد
مضت السنة فقال حدثني ابو وائل عن عبد الله قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله عز وجل
ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي
الجنة قوله تعالى **وما اختلف الذين اوتوا الكتاب** قال الكلبي نزلت في اليهود
والنصارى حين تركوا الاسلام والمعنى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب
في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم **الا من بعد ما جاءهم العلم** يعني بيان نعته
وصفته في كتبهم وقال الربيع ان موسى عليه السلام لما حضره
الموت دعا سبعين رجلا من احبار بني اسرائيل فاودعهم التوراة
واستخلف يوشع بن نون فلما مضى القرن الاول والثاني والثالث
وقع الفرقة والاختلاف بينهم ووقع الشر والاختلاف وذلك بعد
ما جاءهم العلم يعني بيان ما في التوراة من الاحكام **بغيا بينهم** اي
طلبا للملك والرياسة فسلط الله عليهم الجبابرة وقيل نزلت في
نصارى نجران ومعناه وما اختلف الذين اوتوا الكتاب يعني الانجيل
في اختلافهم كان في امر عيسى عليه السلام وما ادعوا فيه من الالهية الا
من بعد ما جاءهم العلم يعني بان الله تعالى واحد احد وان عيسى عبده ورسوله



بغيا بينهم يعني المعاداة والمخالفة ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب
فيه وعيد وتهديد لمن أصر على الكفر من اليهود والنصارى الذين جحدوا
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل فإن حاجوك أي خاصموك يا محمد
في الدين وذلك أن اليهود والنصارى قالوا لسنا على ما سميتنا به يا محمد
إنما اليهودية والنصرانية نسب والدين هو الإسلام ونحن عليه فأمر الله
عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم إذ يحتج عليهم بأنه اتبع أمر الله الذي هم
معترفون به بقوله فقل أسلمت وجهي لله أي انقدت له بقلبي ولساني وجميع
جوارحي وإنما خص الوجه بالذكر لأنه أشرف الجوارح للإنسان الظاهرة فإذا
خضع وجهه لشيء فقد خضع له سائر جوارحه وقيل أراد بالوجه العمل
أي أخلصت عملي لله وقصدت بعبادتي إلى الله ومن اتبعني ومن أسلم كما أسلمت أنا
وقل للذين أوتوا الكتاب يعني اليهود والنصارى والأميين يعني مشركي
العرب أأسلمتم لفظه استفهام ومعناه أمر أي أسلموا فإن أسلموا فقد اهتدوا
يعني إلى الفوز والنجاة في الآخرة فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية
على أهل الكتاب قالوا قد أسلمنا فقال لليهود أتشهدون أن عيسى كلمة الله وعبده
ورسوله فقالوا معاذ الله وقال للنصارى أتشهدون أن عيسى عبد الله ورسوله
فقالوا معاذ الله أن يكون عيسى عبدا قال الله تعالى وإن تولوا أي أعرضوا فإنما عليك
البلاغ يعني تبليغ الرسالة وليس عليك هدايتهم واختلف علماء الناسخ والمنسوخ
في الآية فذهبت طائفة إلى أنها محكمة والمراد بها تسلية النبي صلى الله عليه وسلم
لأنه كان يحرص على إيمانهم ويتألم لتركهم الإجابة وذهبت طائفة إلى أنها
منسوخة بآية السيف لأن المراد بها الاقتصار على التبليغ وهذا منسوخ
بآية السيف والله بصير بالعباد يعني أنه تعالى عالم بمن يؤمن وبمن لا يؤمن قوله عز وجل
إن الذين يكفرون بآيات الله يعني يجحدون القرآن وينكرونه وهم اليهود والنصارى
ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس كان أنبياء بني إسرائيل
يأتيهم الوحي ولم يكن يأتيهم كتاب لأنهم كانوا مستمسكين بأحكام التوراة فكانوا يذكرون
قومهم فيقتلون أنبياءهم فيقوم رجال ممن آمن بهم وصدقهم فيذكرونهم ويأمرونهم

بالمعروف

بالمعروف وينهونهم عن المنكر فيقتلونهم أيضا فهم الذين يأمرون بالقسط
يعني بالعدل من الناس روى البغوي بسند الثعلبي عن أبي عبيدة بن الجراح
قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل
نبيا أو رجل أمر بالمنكر ونهى عن المعروف ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس
إلى أن انتهى إلى قوله وما لهم من ناصرين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة
واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني إسرائيل فأمروا من قتلهم
بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعا من آخر النهار في ذلك اليوم
فهم الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه وأنزل الله الآية فيهم فبشرهم بعذاب
أليم إنما دخلت الفاء في قوله فبشرهم مع أنه خبر إن لأنه في معنى الجزاء والتقدير
من كفر فبشره بعذاب أليم يوم القيامة وهذا محمول على الاستعارة وهو
أن إنذار الكفار بالعذاب قام مقام بشرى المحسنين بالثواب وفي هذه
الآية توبيخ لليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كان
أسلافهم الذين قتلوا الأنبياء لأنهم رضوا بفعلهم أولئك الذين حبطت
أعمالهم في الدنيا والآخرة وبطلان العمل هو أن لا يقبل في الدنيا ولا يجازى
عليه في الآخرة وما لهم من ناصرين يعني يمنعونهم من العذاب قوله تعالى
ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب نزلت في اليهود يدعون إلى كتاب
الله يعني القرآن وذلك أن اليهود دعوا إلى حكم القرآن فأعرضوا عنه قال
ابن عباس إن الله جعل القرآن حكما فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحكم القرآن على اليهود والنصارى أنهم على غير الهدى فأعرضوا عنه وروي
عن ابن عباس أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بيت المدراس
على جماعة من اليهود فدعاهم إلى الله عز وجل فقال له نعيم بن عمرو
والحارث بن زيد على أي دين أنت يا محمد فقال على ملة إبراهيم قالا إن
إبراهيم كان يهوديا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا إلى التوراة فهي

بيننا وبينكم فأبيا عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية فعلى هذا القول يكون المولى
بكتاب الله التوراة وروي عنه أيضا أن رجلا وامرأة من أهل خيبر
زنيا وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما فيهم فرفعوا
أمرهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجوا أن يكون عنده رخصة
فحكم عليهما بالرجم فقال النعمان بن أوفى وبحري بن عمرو جرت
عليهما يا محمد وليس عليهما الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيني وبينكم التوراة فقالوا قد أنصفت فقال من أعلمكم بالتوراة
قالوا رجل أعور يقال له عبد الله بن صوريا يسكن فدك فأرسلوا إليه
فقدم المدينة وكان جبريل قد وصفه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت ابن صوريا قال نعم قال أنت أعلم اليهود
بالتوراة قال كذلك يزعمون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالتوراة وقال له اقرأ فقرأ فلما أتى على آية الرجم وضع يده عليها وقرأ
ما بعدها فقال عبد الله بن سلام يا رسول الله قد جاوزها ثم قام ورفع
كفه عنها وقرأها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود وفيها
أن المحصن والمحصنة إذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما وإن كانت المرأة
حبلى تربص بها حتى تضع ما في بطنها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
باليهوديين فرجما فغضبت اليهود لذلك فأنزل الله عز وجل ألم تر إلى الذين
أوتوا نصيبا من الكتاب يعني علمهم الذي علموه من التوراة يدعون
إلى كتاب الله يعني القرآن أو التوراة على اختلاف الروايتين ليحكم بينهم
أي ليقضي بينهم وإضافة الحكم إلى الكتاب هو على سبيل المجاز ثم يتولى فريق منهم
يعني الرؤساء والعلماء وهم معرضون يعني عن الحق وقيل الذين تولوا
هم العلماء والذين أعرضوا هم الأتباع ذلك بأنهم يعني ذلك التولي والإعراض
إنما حصل بسبب أنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات تقدم
تفسيره في سورة البقرة وغرهم أي وأطمعهم في دينهم ما كانوا يفترون
أي يختلقون ويكذبون وقيل هو قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل هو قولهم

لن تمسنا

لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وقيل غرهم قولهم نحن على الحق وأنتم على
الباطل فكيف إذا جمعناهم أي فكيف يكون حالهم إذا جمعناهم ليوم أي في يوم
لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت أي لا شك فيه أنه كائن وواقع
وهو يوم القيامة وفيه تهديد لهم واستعظام لما أعد لهم في ذلك اليوم
وأنهم يقعون فيما لا حيلة لهم فيه وأن ما حدثوا به أنفسهم وسهلوه
عليها تعلل بباطل وطمع فيما لا يكون ولا يحصل لهم قيل إن أول راية
ترفع لأهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم على رؤوس الأشهاد
ثم يؤمر بهم إلى النار وهم لا يظلمون أي لا ينتقص من حسناتهم إن كانت لهم حسنة
ولا يزاد على سيئاتهم قوله عز وجل قل اللهم مالك الملك قال قتادة
ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه عز وجل أن يجعل ملك فارس
والروم في أمته فأنزل الله هذه الآية وقال ابن عباس لما فتح رسول الله صلى
الله عليه وسلم مكة ووعد أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود
هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم وهم أعز وأمنع من ذلك
ألم يكف محمدا مكة والمدينة حتى طمع في ملك فارس والروم فأنزل الله هذه
الآية وقيل إن اليهود قالوا والله لا نطيع رجلا جاء ينقل النبوة من بني إسرائيل
إلى غيرهم فنزلت هذه الآية قل اللهم معناه يا الله لما حذف حرف النداء
زيد الميم في آخره وقيل إن الميم فيه معنى آخر وهو يا الله أمنا بخير أي قصدنا
مالك الملك أي مالك العباد وما ملكوا وقيل مالك ملك السموات والأرض
وقيل معناه بيده الملك يؤتيه من يشاء وقيل معناه مالك الملوك ووارثهم
يوم لا يدعي الملك أحد غيره وفي بعض كتب الله المنزلة أنا الله مالك الملوك
قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فإن العباد أطاعوني جعلتهم رحمة لهم
وإن هم عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن
توبوا إلي أعطفهم عليكم وقيل المالك هو القدرة والمليك هو القادر والمعنى
أنه تعالى قادر على كل شيء ومالك على كل مالك ومملوك وقادر وبعد ورد وقيل
معناه مالك الملك أي جنس الملك يتصرف فيه كيف يشاء تؤتي الملك من تشاء

يعني النبوة لانها اعظم مراتب الملك وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم له الامر
على بواطن الخلق وظواهرهم والملك ليس له الامر الا على ظواهر بعض الخلق ممن
من يطيعه منهم وطاعة النبي واجبة على الكافة وتنزع الملك ممن تشا يعني
بذلك نزع النبوة من بني اسرآئيل واتيانها محمدا صلى الله عليه وسلم فانه
لانبي بعده ولم يشركه في نبوته ورسالته احد وقيل تؤتي الملك من تشآ
يعني محمدا واصحابه وتنزع الملك ممن تشآ يعني ابا جهل وصناديد قريش
وقيل تؤتي الملك من تشا يعني امة محمد صلى الله عليه وسلم وتنزع الملك ممن
تشا يعني فارس والروم وقيل تؤتي الملك يعني ادم وذريته وتنزع الملك
ممن تشا يعني ابليس وجنوده الذين كانوا في الارض قبل ادم وتعز من تشآء
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة وتذل من تشا يعني اليهود باخذ
الجزية منهم ونزع النبوة عنهم وقيل تعز المهاجرين والانصار وتذل فارس
والروم وقيل تعز من تشا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه دخلوا مكة
في عشرة الاف ظاهرين عليها وتذل من تشآ يعني ابا جهل واصحابه
حين قتلوا والقوا في قليب بدر يوم بدر وقيل تعز من تشا بالطاعة وتذل
من تشا بالمعصية وقيل تعز من تشا بالغنى وتذل من تشا بالفقر وقيل
تعز من تشا بالقناعة والرضى وتذل من تشا بالحرص والطمع بيدك الخير
يعني النصر والغنيمة وقيل الالف واللام تفيد العموم والمعنى بيدك كل الخيرات
فان قلت كيف قال بيدك الخير دون الشر قلت لان الكلام انما وقع في الخير
الذي يسوقه الله الى عباده المومنين وهو الذي انكرته اليهود والمنافقون
فقال بيدك الخير تؤتيه اولياءك على رغم اعدائك وقيل ان قوله بيدك
الخير لا ينافي ان يكون بيده غيره فيكون المعنى الخير بيدك وما سواه الا انه
خص الخير بالذكر لانه المنتفع به والمرغوب فيه انك على كل شي قدير يعني
من ايتاء الملك من تشا واعزاز من تشا واذلال من تشا قوله تعالى تولج الليل
في النهار الاية لما ذكر الله تعالى انه مالك الملك اردفه بذكر قدرته الباهرة
في حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال اخراج الحي من الميت ثم عطف عليه

انه يرزق

انه يرزق من يشا بغير حساب وفي ذلك دلالة على انه من قدر على تلك
الافعال العظيمة المحيرة لذوي الافهام والعقول قادر على ان ينزع الملك
من فارس والروم واليهود ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم فقوله تعالى
تولج الليل في النهار يعني تدخل النهار في الليل وهو ان تجعل الليل قصيرا
وما نقص منه زاد في النهار حتى يكون النهار خمسة عشر ساعة وذلك
غاية طول النهار ويكون الليل تسع ساعات وذلك غاية قصر الليل وتولج
النهار في الليل حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة وذلك غاية طوله ويكون
النهار تسع ساعات وذلك غاية قصره وقيل المراد انه تعالى ياتي بسواد
الليل عقيب ضوء النهار وياتي بضوء النهار بعد ظلمة الليل والقول الاول اصح
واقرب الى معنى الاية لانه اذا نقص الليل كان ذلك القدر زيادة في النهار وبالعكس
وهو معنى الولوج قوله تعالى وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي
يعني انه تعالى يخرج الانسان الحي من النطفة وهي ميتة ويخرج النطفة
من الانسان ويخرج الفرخ وهو حي من البيضة وهي ميتة وبالعكس
وكذلك ساير الحيوانات وقيل يخرج النبات الغض من الحب اليابس ويخرج
النخلة من النواة وبالعكس وقيل معناه انه تعالى يخرج المومن من الكافر
والكافر من المومن لان المومن حي الفواد والكافر ميته وترزق من تشا بغير
حساب يعني من غير تضييق ولا تقتير بل تبسط الرزق لمن تشا وتوسعه
عليه قوله تعالى لا يتخذ المومنون الكافرين اوليا من دون المومنين قال ابن
عباس كان الحجاج بن عمرو وابن ابي الحقيق وقيس بن زيد يبطنون بنفر من الانصار
ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعيد بن خيثمة
لاوليك النفر اجتنبوا هولاء اليهود لا يفتنوكم عن دينكم فابى اوليك
النفر الا مباطنتهم فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في حاطب بن ابي بلتعة
وغيره ممن كان يظهر المودة لكفار مكة وقيل نزلت في عبد الله بن ابي واصحابه
كانوا يتولون المشركين واليهود وياتونهم بالاخبار يرجون ان يكون لهم
الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية ونهى

المومنين عن مثل ذلك وقيل ان عبادة بن الصامت كان له حلفاء من اليهود
فقال يوم الاحزاب يا رسول الله ان معي خمسمائة من اليهود وقد رايت ان استظهر
بهم على العدو فنزلت هذه الاية وقوله لا يتخذ المومنون الكافرين
اوليا يعني انصارا واعوانا من دون المومنين يعني من غير المومنين
والمعنى لا يجعل المومن ولايته لمن هو غير مومن نهى الله المومنين ان يوالوا
الكفار او يلاطفوهم لقرابة بينهم او محبة او معاشرة والمحبة في الله
والبغض في الله باب عظيم واصل من اصول الايمان ومن يفعل ذلك
يعني موالاة الكفار من نقل الاخبار اليهم واظهار عورة المسلمين او يودهم
ويحبهم فليس من الله في شي اي فليس من دين الله في شي وقيل معناه فليس من ولاية
الله في شي وهذا امر معقول لان ولاية المولى معاداة اعداه وموالاة الله وموالاة
الكفار ضدان لا يجتمعان الا ان تتقوا منهم تقاة اي الا ان تخافوا منهم مخافة
ومعنى الاية ان الله نهى المومنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم
الا ان يكون الكفار غالبين ظاهرين او يكون المومن في قوم كفار فيداهنهم بلسانه
وقلبه مطمين بالايمان دفعا عن نفسه من غير ان يستحل دما حراما او مالا
حراما او غير ذلك من المحرمات او يظهر الكفار على عورة المسلمين والتقية
لا تكون الا مع خوف القتل مع سلامة النية قال الله تعالى الا من اكره وقلبه
مطمين بالايمان ثم هذه التقية رخصة فلو صبر على اظهار ايمانه حتى قتل
كان له بذلك اجر عظيم وانكر قوم التقية اليوم وقالوا كانت التقية في جدة
الاسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين فاما اليوم فقد اعز الله الاسلام
والمسلمين فليس لاهل الاسلام ان يتقوا من عدوهم قال يحيى البكا قلت
لسعيد بن جبير في ايام الحجاج ان الحسن يقول لكم التقية باللسان والقلب
مطمين بالايمان فقال سعيد ليس في الاسلام تقية انما التقية في الحرب
وقيل انما تجوز التقية لصون النفس عن الضرر لان دفع الضرر عن
النفس واجب بقدر الامكان ويحذركم الله نفسه اي ويخوفكم الله
ان تعصوه بان ترتكبوا المنهي عنه او تخالفوا المامور به او توالوا الكفار

فتستحقوا

فتستحقوا عقابه على ذلك كله والى الله المصير يعني ان الله يحذركم عقابه اذا
صرتم اليه في الاخرة قوله عز وجل قل ان تخفوا ما في صدوركم يعني ما في
قلوبكم من موالاة الكفار ومودتهم وانما ذكر الصدر لانه وعا القلب او تبدوه
يعني تظهروا موالاة الكفار قولا وفعلا وقيل معناه ان تخفوا ما في قلوبكم من
تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم او تبدوه اي تظهروه بالحرب والمقاتلة
يعلمه الله اي يحفظه عليكم ويجازيكم به ويعلم ما في السموات وما في الارض
يعني انه تعالى اذا كان لا يخفى عليه شي في السموات ولا في الارض فكيف يخفى عليه
حالكم وموالاتكم الكفار وميلكم اليهم بقلوبكم والله على كل شي قدير يوم تجد كل نفس
ما عملت من خير محضرا يعني تجد كل نفس جزا ما عملت محضرا يوم القيمة لم
ينقص ولم يبخس منه شي وما عملت من سو اي تجد ما عملت من الخير محضرا فتسر به
وما عملت من سو تود اي تتمنى لو ان بينها وبينه اي وبين ما عملت من السو
امدا بعيدا اي مكانا بعيدا قيل كما بين المشرق والمغرب والامد الاجل والغاية
وقيل معناه تود انها لم تعمله ويكون بينه وبينها امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه
انما كرره لتاكيد الوعيد والله روف بالعباد قيل معناه انه روف بهم حيث حذرهم
نفسه وعرفهم كمال قدرته وعلمه وانه يمهل ولا يهمل وقيل معناه انه روف
بالعباد حيث امهلهم للتوبة ولتدارك العمل الصالح وقيل انه تعالى لما قال ويحذركم
الله نفسه وهو وعيد اتبعه بقوله والله روف بالعباد وهو وعد ليعلم العبد المومن
ان رحمته ووعده غلبت وعيده وسخطه قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله نزلت في اليهود والنصارى حيث قالوا نحن ابناء الله واحباوه
فنزلت هذه الاية فعرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فلم يقبلوها وقال ابن
عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش في المسجد الحرام وقد نصبوا
اصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في اذانها الشنوف وهم يسجدون
لها فقال يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة ابيكم ابراهيم واسماعيل فقالت له
قريش انما نعبدها حبا لله ليقربونا الى الله زلفى فنزلت هذه الاية وقيل
ان نصارى نجران قالوا انما نقول هذا القول في عيسى حبا لله وتعظيما له فانزل الله



قل يا محمد ان كنتم تحبون الله فيما تزعمون فاتبعوني يحببكم الله لانه قد ثبتت
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالدلايل الظاهرة والمعجزات الباهرة فوجب
على كافة الخلق متابعته والمعنى قل ان كنتم صادقين في ادعاء محبة الله
تكونوا منقادين لاوامره ومطيعين له فاتبعوني فان اتباعي من محبة الله
وطاعته وقال العلماء ان محبة العبد لله عبارة عن اعظامه واجلاله
وايثار طاعته واتباع امره ومجانبة نهيه ومحبة الله للعبد ثناوه عليه
ورضاه عنه وثوابه له وعفوه عنه فذلك قوله تعالى **ويغفر لكم ذنوبكم**
يعني ان من غفر له فقد ازال عنه العذاب **والله غفور رحيم** يعني انه تعالى يغفر
ذنوب من احبه ويرحمه بفضله وكرمه ولما نزلت هذه الاية قال عبد الله بن
ابي ابن سلول راس المنافقين لاصحابه ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويامرنا
ان نحبه كما احبت النصارى عيسى ابن مريم فانزل الله عز وجل **قل اطيعوا الله
والرسول** يعني ان طاعة الله متعلقة بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم
ولهذا قال الشافعي رحمه الله كل امر ونهي ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
جرى ذلك في الفريضة واللزوم مجرى ما امر الله به في كتابه او نهى عنه وقال
ابن عباس فان طاعتكم لمحمد صلى الله عليه وسلم طاعتكم لي فاما ان تطيعوني وتقصروا
محمدا فلن اقبل منكم **فان تولوا** اعرضوا عن طاعة الله ورسوله **فان الله لا يحب
الكافرين** اي لا يرضى افعالهم ولا يغفر لهم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن ابى قال من اطاعني
دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الامير
فقد اطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني قوله عز وجل **ان الله اصطفى
آدم ونوحا** قال ابن عباس قالت اليهود نحن من ابناء ابراهيم واسحق ويعقوب
ونحن على دينهم فانزل الله هذه الاية والمعنى ان الله اصطفى هولاء بالاسلام
وانتم يا معشر اليهود على غير دين الاسلام ومعنى اصطفى اختار من
الصفوة وهي الخالص من كل شي آدم هو ابو البشر عليه السلام ونوحا

هو نوح



هو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام وحكى ابن
الجوزي في تفسيره عن ابي سليمان الدمشقي ان اسم نوح السكن وانما سمي نوحا
لكثرة نوحه على نفسه **وآل ابراهيم** قيل اراد بآل ابراهيم ابراهيم نفسه
وقيل آل ابراهيم اسماعيل واسحق ويعقوب وذلك ان الله تعالى جعل ابراهيم
عليه السلام اصلا للشعبتين فجعل اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام
اصلا للعرب ومحمد صلى الله عليه وسلم منهم فهو داخل في هذا الاصطفا وجعل
اسحق اصلا لبني اسرائيل وجعل فيهم النبوة والملك الى زمن نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم ثم جمع له ولامته النبوة والملك الى يوم القيمة وقيل اراد
بآل ابراهيم من كان على دينه **وآل عمران** واختلفوا في عمران هذا فقيل هو
عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وهو والد موسى وهارون
فيكون آل عمران موسى وهارون او هو نفسه وقيل هو عمران بن اشيم بن امون
وقيل ابن ماثان وهو من ولد سليمان بن داود عليهما وعمران هذا هو والد
مريم وابنها عيسى فعلى هذا يكون المراد بآل عمران مريم وابنها عيسى وانما
خص هولاء بالذكر لان الانبيا والرسل من نسلهم **على العالمين** اي اختارهم
واصطفاهم على العالمين بما خصهم من النبوة والرسالة **ذرية** اي اصطفى
ذرية واصلها من ذرا يعني خلق وقيل من الذر لان الله استخرجهم من ظهر
آدم كالذر وانما سمي الآبا والابنا ذرية لان الله خلق بعضهم من بعض فالابناء
من ذرية الآبا والآبا من ذرية آدم وهو من ذراه الله اي خلقه **بعضها من بعض**
اي بعضها من ولد بعض وقيل بعضها من بعض في التناصر والتعاضد وقيل
بعضها على دين بعض **والله سميع عليم** يعني انه تعالى سميع لاقوال العباد عليم
بنياتهم وانما يصطفي لنبوته ورسالته من يعلم استقامته قولا وفعلا قوله
تعالى **اذ قالت امرات عمران** هي حنة بنت فاقود ام مريم وعمران هو عمران
ابن ماثان وقيل اشيم وليس بعمران ابي موسى لان بينهما الف وثمانماية سنة
وكان بنو ماثان روس بني اسرائيل في ذلك الزمن واحبارهم وملوكهم **رب اني
نذرت لك ما في بطني محررا** اي جعلت الحمل الذي في بطني نذرا محررا مني لك والنذر

ما يوجبه الانسان على نفسه ويعني محررا اي عتيقا خالصا متفرغا لعبادة الله
وخدمة الكنيسة لا اشغله بشي من امور الدنيا قيل كان المحرر عندهم اذا
حرر جعل في الكنيسة يقوم عليها ويخدمها ولا يبرح مقيما فيها حتى يبلغ الحلم
ثم يخير فان احب اقام فيها وان احب ذهب حيث شا فان اراد الخروج
بعد ان اختار الاقامة في الكنيسة لم يكن له ذلك ولم يكن احد من انبيا
بني اسرائيل وعلمائهم الا ومن اولاده محرر الخدمة بيت المقدس ولم يكن
يحرر الا الغلمان ولا تصلح الجارية لخدمة بيت المقدس لما يصيبها من الحيض
والاذى فحررت ام مريم ما في بطنها وكانت القصة في ذلك على ما ذكره اصحاب
السير والاخبار ان زكريا وعمران تزوجا اختين فكانت اشاع بنت فاقود وهي ام
يحيى عند زكريا وكانت حنة بنت فاقود اخت اشاع عند عمران وهي ام مريم
وكانت قد امسكت عن الولد حتى اسنت وكبرت وكانوا اهل بيت صالحين وهم
من الله بمكان فبينما هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا فتحركت
نفسها بذلك للولد فدعت الله ان يهب لها ولدا وقالت اللهم لك علي
ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته
وخدمته فلما حملت بمريم حررت ما في بطنها ولم تعلم ما هو فقال لها
زوجها ويحك ما صنعت ارايت ان كان في بطنك انثى فلا يصلح لذلك
فوقعا جميعا في هم شديد من اجل ذلك ومات عمران قبل ان تضع حنة
حملها ثم قال تعالى حاكيا عنها فتقبل مني يعني نذري والتقبل اخذ
الشي على الرضا واصله من المقابلة لانه يقابل بالجزا وهذا سؤال
من لا يريد بما فعله الا الطلب لرضا الله تعالى والاخلاص في دعائه
وعبادته انك انت السميع يعني لتضرعي ودعائي العليم يعني بنيتي
وما في الضمير قوله عز وجل فلما وضعتها اي ولدت حملها وانما قال
وضعتها لانه كان في علم الله انها جارية وكانت حنة ترجو ان يكون غلاما
قالت يعني حنة رب اني وضعتها انثى تريد بذلك اعتذارا الى الله تعالى

من اطلاقها

من اطلاقها النذر المتقدم فذكرت ذلك على سبيل الاعتذار لا على سبيل
الاعلام لان الله تعالى عالم بما في بطنها قبل ان تضعه والله اعلم بما وضعت
قرئ بجزم التا اخبارا عن الله تعالى والمعنى انه تعالى قال والله اعلم بالشي
الذي وضعته وقرئ وضعتُ برفع التا وهو من كلام ام مريم على تقدير
انها لما قالت رب اني وضعتها انثى خافت ان تكون اخبرت الله تعالى بذلك
فازالت هذه الشبهة بقولها والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى
يعني في خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها وفي الكلام تقديم وتاخير
تقديره وليس الانثى كالذكر والمراد منه تفضيل الذكر على الانثى لان الذكر
يصلح للخدمة في الكنيسة ولا تصلح الانثى لذلك لضعفها وما يحصل لها
من الحيض لانها عورة ولا يجوز لها الحضور مع الرجال وقيل في معنى الاية
ان المقصود منها هو تفضيل هذه الانثى على الذكر كانها قالت كان الذكر
مطلوبي لخدمة المسجد وهذه الانثى هي موهبة الله تعالى وليس الذكر الذي
طلبت كالانثى التي هي موهبة الله تعالى وكانت مريم من اجمل النسا وافضلهن
في وقتها واني سميتها مريم يعني العابدة والخادمة وهو بلغتهم وارادت
بهذه التسمية ان يفضلها الله على اناث الدنيا واني اعيذها بك وذريتها
اي امنعها واجيرها بك وذريتها من الشيطان الرجيم يعني اللعين الطريد
وذلك ان حنة ام مريم لما فاتها ما كانت تطلب من ان يكون ولدها ذكرا
فاذا هي انثى تضرعت الى الله تعالى ان يحفظها ويعصمها من الشيطان الرجيم
وان يجعلها من الصالحات العابدات ق عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ما من بني ادم من مولود الا نخسه الشيطان حين
يولد فيستهل صارخا من نخسه اياه الا مريم وابنها ثم يقول ابو هريرة
اقروا ان شئتم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وللبخاري
عنه قال كل ابن ادم يطعن الشيطان في جنبه باصبعه حين يولد
غير عيسى ابن مريم جا يطعن فطعن في الحجاب قوله تعالى فتقبلها ربها
بقبول حسن يعني تقبل الله مريم من حنة مكان الذكر يعني قبل ورضي

قال الزجاج الاصل في العربية تقبل بتقبل ويكون تقبول بتقبول علي قبلها قبولا
كما يقال قبلت الشي قبولا ويجوز قبولا اذا رضيته وقال ابو عمرو ليس
في المصادر فعول بفتح الفا الا هذا ولم اسمع فيه الضم وقيل معنى التقبل
والقبول واحد وهما سوا وهو ان يرى الشي ويأخذه وقيل معنى التقبل
التكفل في التربية والقيام لشانها وانما قال بقبول للجمع بين الامرين
يعني التقبل الذي بمعنى التكفل والقبول الذي هو بمعنى الرضى وانبتها
نباتا حسنا يعني سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت في
غير زيادة ولا نقصان او فكانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في العام
وكفلها زكريا قال اهل الاخبار لما ولدت حنه مريم اخذتها فلفتها في
خرقة وحملتها الى المسجد فوضعتها عند الاحبار ابناء هارون وهم يومئذ
يلون من بيت المقدس ما يلي الحجبة من الكعبة وقالت دونكم هذه النذيرة
فتنافسوا فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم
زكريا انا احق بها لان خالتها عندي فقال له الاحبار لو تركت لاحق الناس
بها لتركت لامها التي ولدتها ولكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه بها
فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلا الى نهر جار قيل هو الاردن فالقوا اقلامهم
في الماء على ان من ثبت قلمه في الما وصعد فهو اولى بها من غيره وكان على كل قلم اسم
مكتوب اسم واحد منهم وقيل بل كانوا يكتبون التوراة بها فالقوا اقلامهم التي كانت
بايديهم فارتفع قلم زكريا فوق الما ووقف وانحدرت اقلامهم مع جري الما الى اسفل
فسهمهم زكريا وقرعهم وكان زكريا راس الاحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى
وكفلها زكريا قرى بتشديد الفا وضمها زكريا الى نفسه بالقرعة وقام بامرها
وهو زكريا بن اذن بن مسلم بن صدوق من اولاد سليمان بن داود عليهم السلام فلما
ضم زكريا مريم الى نفسه بنا لها محرابا في المسجد وجعل بابه في سطحه لا يرقى
اليه الا بسلم ولا يصعد اليها غيره وكان ياتيها بطعامها وشرابها كل يوم فذلك
قوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب يعني الغرفة والمحراب اشرف
المجالس ومقدمها وكذلك هو من المسجد وقيل المحراب ما يرقى اليه بدرج

وقيل كان

وقيل كان زكريا يغلق عليها سبعة ابواب فاذا دخل عليها المحراب
وجد عندها رزقا يعني فاكهة من غير وقتها فكان يجد عندها فاكهة
الشتا في الصيف وفاكهة الصيف في الشتا قال يعني زكريا يا مريم انى
لك هذا اي من اين لك هذه الفاكهة قالت يعني مريم مجيبة لزكريا
هو من عند الله يعني من الجنة وقيل ان مريم من حين ولدت لم تلقم ثديا
بل كان ياتيها رزقها من الجنة فيقول زكريا يا مريم انى لك هذا قالت هو
من عند الله تكلمت وهي صغيرة في المهد كما تكلم ولدها عيسى عليه السلام
وهو صغير في المهد وقال محمد بن اسحق اصابت بني اسرائيل ازمة وهي
على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها وكفالتها فخرج على بني اسرائيل
فقال يا بني اسرائيل تعلمون والله لقد كبر سني وضعفت عن حمل بنت عمران
فايكم يكفلها بعدي فقالوا والله لقد جهدنا واصابنا من السنة ما ترى
فتدافعوها بينهم ثم لم يجدوا من حملها بدا فتقارعوا عليها بالاقلام فخرج السهم
لرجل نجار يقال له يوسف بن يعقوب وكان ابن عم لمريم فعرفت مريم
في وجهه شدة ذلك عليه فقالت له يا يوسف احسن بالله الظن فان الله
سيرزقنا فجعل يوسف يرزق لمكانها منه فكان ياتيها كل يوم من كسبه
بما يصلحها فاذا ادخله عليها في المحراب انماه الله وزاده فيدخل زكريا عليها
فيقول يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشا بغير
حساب وهذا يحتمل ان يكون من تمام كلام مريم او ابتدا كلام من الله عز وجل
ومعناه الله تعالى يرزق من يشا بغير تقدير لكثرته ومن غير سبب وفي هذه الاية
دليل على جواز كرامات الاوليا وظهور خوارق العادات على ايديهم قال اهل
الاخبار فلما راى زكريا ذلك قال ان الذي قدر على ان ياتي مريم بالفاكهة
في غير وقتها من غير سبب لقادر على ان يصلح زوجي ويهب لي ولدا
في غير حينه مع الكبر فطمع في الولد وذلك ان اهل بيته كانوا قد انقرضوا
وكان زكريا قد كبر وشاخ وايس من الولد فذلك قوله تعالى هنالك دعا
زكريا ربه يعني انه عليه السلام دخل محرابه واغلق الابواب وسال ربه الولد

قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة يعني انه قال يا رب اعطني
من عندك ولدا مباركا تقيا صالحا رضيا والذرية تطلق على الواحد
والجمع والذكر والانثى والمراد بها هنا الواحد وانما قال الطيبة لتانيث
لفظ الذرية انك سميع الدعا اي سامعه ومجيبه قوله عز وجل
فنادته الملائكة يعني جبريل عليه السلام وانما اخبر عنه بلفظ الجمع
تعظيما لشانه ولانه رئيس الملائكة وقل ان يبعث الا ومعه جمع من
الملائكة فجرى ذلك على مجرى العادة وهو قايم يصلي في المحراب اي في المسجد
وذلك ان زكريا عليه السلام كان الحبر الكبير الذي يقرب القربان ويفتح
لهم الباب فلا يدخلون حتى ياذن لهم في الدخول فبينما هو قايم يصلي
في محرابه عند المذبح والناس ينتظرون ان ياذن لهم في الدخول اذا هو برجل
شاب عليه ثياب بيض ففزع زكريا منه فناداه جبريل عليه السلام يا زكريا
ان الله يبشرك بيحيى اي بولد اسمه يحيى قال ابن عباس سمي يحيى لان الله
تعالى احيى قلبه بالايمان واحيى به عقر امه وقيل لان الله تعالى احياه
بالطاعة حتى لم يهم بمعصية قط مصدقا بكلمة من الله يعني عيسى بن مريم
وانما سمي عيسى عليه السلام كلمة لان الله تعالى قال له كن فكان من غير اب ولا له
على كمال القدرة فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها كان وقيل سمي كلمة لان
عيسى عليه السلام كان يرشد الخلق الى الحقايق والاسرار الالهية ويهتدى
به كما يهتدى بكلام الله تعالى فسمي كلمة بهذا الاعتبار وقيل سمي كلمة لان الله
تعالى بشر به مريم على لسان جبريل وقيل لان الله تعالى اخبر الانبيا الذين
قبله في كتبه المنزلة عليهم انه يخلق نبيا من غير واسطة اب فلما جا
قيل هذا هو تلك الكلمة يعني الوعد الذي وعد انه يخلقه كذلك
وكان يحيى اول من امن بعيسى وصدقه وكان يحيى اكبر من عيسى بستة اشهر
وكانا ابني خالة وقتل يحيى قبل ان يرفع عيسى عليهما السلام وقيل ان ام يحيى
لقيت ام عيسى وهما حاملتان فقالت ام يحيى لام عيسى يا مريم اشعرت اني
حامل فقالت مريم وانا ايضا حامل فقالت ام يحيى اني لاجد ما في بطني

يسجد



يسجد لما في بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله يعني ان يحيى امن
بعيسى وصدق به وسيدا من ساد يسود والسيد هو الرئيس الذي يتبع
وينتهى الى قوله وكان يحيى عليه السلام سيد المومنين ورئيسهم في الدين
والعلم والحلم وقيل السيد هو الحسن الخلق وقيل الذي يطيع ربه
وقيل هو الفقيه العالم وقيل سيد في العلم والعبادة والورع وقيل
السيد هو الحليم الذي لا يغضبه شي وقيل السيد هو الذي يفوق قومه
في جميع خصال الخير وقيل هو السخي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم
يا بني سلمة قالوا جد بن قيس على انا نبخله قال واي دا ادوى من البخل لكن سيدكم
عمرو بن الجموح وقوله وحصورا قال ابن عباس وغيره من المفسرين الحصور الذي
لا ياتي النسا ولا يقربهن فعلى هذا هو فعول بمعنى فاعل يعني انه حصر نفسه
عن الشهوات واصله من الحصر وهو الحبس وقيل هو العنين وقيل هو الفقير
الذي لا مال له فيكون الحصور بمعنى المحصور يعني الممنوع من النسا قال سعيد بن المسيب
كان له مثل هدبة الثوب وقد تزوج مع ذلك ليغض بصره وفيه قول اخر وهو
ان الحصور هو الممتنع من الوطي مع القدرة عليه وانما تركه للعفة والزهد فيه
وهذا القول هو الصحيح وهو قول جماعة من المحققين وهو اليق بمنصب الانبيا
لان الكلام انما خرج مخرج المدح والثنا وذكر صفة النقص في معرض
المدح لا يجوز وايضا فان منصب النبوة يجل ان يضاف الى احد منهم نقص وافة
فحمل الكلام على منع النفس عن الوطي مع القدرة عليه اولى من حمله على ترك
الوطي مع العجز عنه ونبيا من الصالحين يعني من اولاد الانبيا الصالحين
قوله تعالى قال يعني زكريا رب اي يا رب قيل هو خطاب مع جبريل لان الاية
المتقدمة دلت على ان الذي ناداه هم الملائكة فعلى هذا القول يكون الرب
هنا هو السيد والمربي اي يا سيدي وقيل انه خطاب مع الله تعالى فيكون الرب
بمعنى المالك وذلك ان الملائكة لما بشروه بالولد تعجب ورجع في ازالة
التعجب الى الله تعالى فقال رب انى يكون لي غلام يعني من اين يكون وكيف يكون
لي غلام وقد بلغني الكبر قيل هو من المقلوب ومعناه وقد بلغت الكبر

وشخت وقيل معناه وقد نالني الكبر وادركني الضعف فان قلت كيف
انكر زكريا الولد مع تبشير الملائكة اياه به وما معنى هذه المراجعة
ولم تعجب من ذلك بعد وعد الله اياه به الكان شاكا في وعد الله
او في قدرته قلت لم يشك زكريا عليه السلام في وعد الله وفي قدرته
وانما قال ذلك على سبيل الاستفهام والاستعلام والمعنى من اي جهة
يكون لي الولد ايكون بازالة العقر عن زوجتي ورد شبابي علي او يكون
ونحن على حالنا من الكبر والضعف فاجابه بقوله كذلك الله يفعل ما يشا
وقال عكرمة والسدي لما سمع زكريا نداء الملائكة جاءه الشيطان فقال
يا زكريا ان الصوت الذي سمعت ليس هو من الله وانما هو من الشيطان ولو
كان من الله لاوحاه اليك كما يوحي اليك في سائر الامور فقال زكريا دفعا
للوسوسة واعترض على الجواب بانه لا يجوز ان يشتبه على الانبيا
كلام الشيطان اذ لو جوزنا ذلك لارتفع الوثوق باخبارهم عن الوحي
السماوي واجيب عن هذا الاعتراض بانه لما دلت الدلايل على صدق
الانبيا فيما يخبرون به عن الله تعالى بواسطة الملك فلا مدخل للشيطان
فيه وذلك فيما يتعلق بالدين والشرايع فاما ما يتعلق بمصالح الدنيا
وبالولد فقد يحتمل فيه حصول الوسوسة فسال زكريا ذلك لتزول هذه
الوسوسة من خاطره قال الكلبي كان زكريا يوم بشر بالولد ابن اثنين
وتسعين سنة وقيل ابن تسع وتسعين سنة وقال ابن عباس في رواية
الضحاك كان ابن مائة وعشرين سنة وكانت امراته بنت ثمان وتسعين
سنة فذلك قوله وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر اي عقيم لا تلد قال كذلك الله
يفعل ما يشا يعني انه تعالى قادر على هبة الولد على الكبر يفعل ما يشا
لا يعجزه شي قوله عز وجل قال يعني زكريا رب اجعل لي اية اي علامة اعلم
بها

بها وقت حمل امراتي فازيد في العبادة والشكر لله قال ايتك اي علامتك
على الذي طلبت معرفة علمه الا تكلم الناس اي لا تقدر على تكلم الناس ثلثة ايام
اي مدة ثلاثة ايام قال جمهور المفسرين عقد لسانه عن تكلم الناس ثلاثة
ايام مع ابقائه على قدرة التسبيح والذكر ولذلك قال في اخر الاية واذكر
ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار يعني في ايام منعك من تكلم الناس وهذه
من الايات الباهرة والمعجزات الزاهرة لان قدرته على التسبيح والذكر
مع عجزه عن تكلم الناس بامور الدنيا وذلك مع صحة الجسم وسلامة
الجوارح من اعظم المعجزات وانما منع من الكلام مع الناس ليخلص في هذه
الايام لعبادة الله تعالى وذكره ولا يشغل لسانه بشي اخر توفيرا منه على
قضاء حق هذه النعمة الجسيمة وشكر الله على اجابته فيما طلب الاية
من اجله وان يكون ذلك دليله على وجود الحمل ليتم سروره بذلك وقال
قتادة انما امسك لسانه عن الكلام عقوبة لسواله الاية بعد مشافهة
الملائكة اياه ببشارة الولد فلم يقدر على الكلام ثلثة ايام الا رمزا يعني
الا اشارة والاشارة قد تكون باليد وبالعين وبالايما بالراس وكانت
اشارته بالاصبع المسبحة وقيل الرمز قد يكون باللسان من غير تبيين
كلام وهو الصوت الخفي شبه الهمس وقيل اراد به صوم ثلاثة ايام لانهم
كانوا اذا صاموا لم يتكلموا والقول الاول اصح لموافقة اهل اللغة عليه
واذكر ربك كثيرا وذلك لما منعه الله من الكلام في تلك المدة امره بالذكر
فقال واذكر ربك كثيرا فانك لا تمنع من ذلك ولا يحال بينك وبينه وسبح
اي وعظم ربك ونزهه عن النقايص وقيل وصل لربك وسميت الصلاة
سبحة لان فيها تنزيها للرب سبحانه وتعالى بالعشي والابكار فاما العشي فهو
ما بين زوال الشمس الى غروبها ومنه سمي صلاتي الظهر والعصر صلاتي العشي
والابكار هو ما بين طلوع الفجر الى الضحى قوله تعالى واذ قالت الملائكة
يعني جبريل عليه السلام يا مريم ان الله اصطفاك اي اختارك وطهرك يعني
من مسيس الرجال وقيل من الحيض والنفاس وكانت مريم لا تحيض وقيل من الذنوب

واصطفاك اي اختارك على نساء العالمين اي عالمي زمانها وقيل على
جميع نسا العالمين فان قلت هل فرق بين الاصطفا الاول والثاني
قلت ذكر العلما في معناهما وجوها يتحصل منها الفرق فقيل
في معنى الاصطفا الاول ان الله تعالى اختار مريم وتقبلها منذورة
محررة ولم يحرر قبلها انثى ولم يجعل ذلك لغيرها من النسا
وان الله يبعث اليها رزقها من عنده وكفلها زكريا ومعنى الاصطفا
الثاني ان الله وهب لها عيسى من غير اب واسمعها كلام الملائكة
ولم يحصل ذلك لغيرها من النسا ق عن علي بن ابي طالب قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها
خديجة بنت خويلد قال ابو كريب واشار وكيع الى السما والارض وقيل
اراد بهذه الاشارة تفسير الضمير في قوله خير نسائها ومعناه انهما
خير كل نسا السما والارض قال الشيخ محيي الدين النووي والاظهر ان معناه
ان كل واحدة منهما خير نساء الارض في عصرها واما التفضيل بينهما فمسكوت
عنه ق عن ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كمل من الرجال كثير
ولم يكمل من النسا الا مريم بنت عمران واسية امرات فرعون وفضل
عائشة على النسا كفضل الثريد على سائر الطعام قال العلما معناه
ان الثريد من كل طعام افضل من المرق وثريد اللحم افضل من مرقه بلا ثريد
وثريد ما لا لحم فيه افضل من مرقه بغير ثريد وفضل عائشة على النسا
كزيادة فضل الثريد على غيره وليس في هذا تصريح بتفضيلها على مريم
واسية لاحتمال ان المراد تفضيلها على نسا هذه الامة عن انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نسا العالمين مريم بنت عمران
وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد واسية امرات فرعون اخرجه
الترمذي قوله عز وجل يا مريم اقنتي لربك اي قالت الملائكة لها شفاها
اطيعي ربك وقيل معناه اطيلي القيام في الصلاة لربك قال الاوزاعي لما قالت
الملائكة لها ذلك قامت حتى تورمت قدماها وسالت دما وقيحا وحكي عن

مجاهد

مجاهد نحوه واسجدي واركعي مع الراكعين انما قدم السجود على الركوع
لان الواو لا تقتضي الترتيب انما هي للجمع كانه قيل لها افعلي الركوع والسجود
وقيل انما قدم السجود على الركوع لانه كان كذلك في شريعتهم وقال ابن الانباري
امرها امرا عاما وحضها على فعل الخير فكانه قال استعملي السجود في حال
والركوع في حال ولم يرد تقديم السجود على الركوع بل اراد العموم بالامر
على اختلاف الحالين وانما قال اركعي مع الراكعين ولم يقل مع الراكعات لان لفظ
الراكعين اعم فيدخل فيه الرجال والنسا والصلاة مع الرجال افضل واتم
وقيل معناه افعلي كفعل الراكعين وقيل المراد به الصلاة جماعة اي صلي
مع المصلين في جماعة قوله تعالى ذلك من انباء الغيب يقول الله عز وجل
لمحمد صلى الله عليه وسلم ذلك الذي ذكرت لك من حديث زكريا ويحيى ومريم
وعيسى عليهم السلام من اخبار الغيب نوحيه اليك اي نلقيه اليك يا محمد لانه
لا يمكنك ان تعلم اخبار الامم الماضية الا بوحي منا اليك وانما قال نوحيه لانه رد
الضمير الى ذلك فلذلك ذكر اللفظ وما كنت يعني يا محمد لديهم هنالك عندهم
اذ يلقون اقلامهم يعني التي كانوا يكتبون بها في الماء لاجل الاقتراع ايهم يكفل مريم
يعني يربيها ويقوم بمصالحها فقيل سبب منازعتهم في كفالة مريم حتى اقترعوا
على ذلك انها كانت بنت عمران وكان رئيسهم وكبيرهم فلاجل ذلك رغبوا
في كفالتها وقيل لان مريم حررت لعبادة الله وخدمة المسجد وكان ابوها
قد مات فلاجل ذلك رغبوا في كفالتها وما كنت لديهم اذ يختصمون يعني في
كفالتها وتربيتها اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه معناه
وما كنت لديهم يا محمد اذ يختصمون وما كنت لديهم اذ قالت الملائكة يعني جبريل
عليه السلام يا مريم ان الله يبشرك والبشارة اخبار المرء بما يسره من خبر
بكلمة منه يعني برسالة من الله وخبر من عنده فهو كقول القائل القى الي فلان
كلمة سرني بها واخبرني بخبر فرحت به يعني الاية اذ قالت الملائكة لمريم يا مريم
ان الله يبشرك ببشرى من عنده وهي ولد يولد لك من غير بعل ولا فحل وذلك
الولد اسمه المسيح عيسى ابن مريم وقال قتادة في قوله تعالى بكلمة منه هو قوله تعالى

كن فسماه الله كلمة لانه كان عن كلمة التي هي كن كما يقال لما قدر الله من شي هذا
قدر الله وقضا الله يعني ان هذا الامر عن قدره وقضائه حدث وقال ابن عباس
الكلمة هي عيسى عليه السلام وانما سماه كلمة لانه وجد عن الكلمة التي هي كن
فان قلت ان كل مخلوق انما يوجد بواسطة الكلمة التي هي كن فلم خص عيسى
عليه السلام بهذا الاسم وسماه كلمة دون غيره قلت ان كل مخلوق وان وجد
حدوثه وخلقه بواسطة الكلمة الا ان هذا السبب ما هو المتعارف ولما
كان حدوث عيسى عليه السلام بمجرد الكلمة من غير واسطة اخرى فلاجرم
كان اضافة حدوثه الى الكلمة اتم واكمل ولهذا التاويل حسن ان يسمى
عيسى عليه السلام نفس الكلمة لانه حدث عنها فان قلت الضمير في قوله اسمه
عايد الى الكلمة وهي مونثة فلم ذكر الضمير قلت لان المسمى بها مذكر فلهذا
ذكر الضمير فان قلت لم قال اسمه المسيح عيسى ابن مريم وهذه ثلاثة الاسم
منها واحد وهو عيسى واما المسيح فلقب وابن مريم صفة قلت الضمير في قوله
اسمه يرجع الى عيسى وللمسمى علامة يعرف بها ويتميز عن غيره فكانه قال الذي
يعرف به ويتميز به عن من سواه هو مجموع هذه الثلاثة واختلفوا لم سمي عيسى
عليه السلام مسيحا وهل هو اسم مشتق او موضوع فقيل انه موضوع واصله
بالعبرانية مشيحا فغيرته العرب واصل عيسى ايشوع كما قالوا موسى واصله
موشى او ميشا وقال الاكثرون انه اسم مشتق ثم ذكروا فيه وجوها قال ابن عباس
سمي عيسى مسيحا لانه ما مسح ذا عاهة الا برا منها وقيل لانه مسح بالبركة وقيل
لانه مسح من الاقذار وطهر من الذنوب وقيل انه خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن
وقيل لان جبريل عليه السلام مسحه بجناحه حتى لا يكون للشيطان عليه سبيل
وقيل لانه كان يسيح في الارض ولا يقيم بمكان فكانه يمسح الارض اي يقطعها مساحة
فعلى هذا القول تكون الميم زايدة وقيل سمي مسيحا لانه كان مسيح القدمين لا اخمص
له وسمي الدجال مسيحا لانه ممسوح احدى العينين وقيل المسيح هو الصديق
وبه سمي عيسى عليه السلام وقد يكون المسيح بمعنى الكذاب وبه سمي الدجال فعلى
هذا تكون هذه الكلمة من الاضداد وقوله تعالى وجيها اي شريفا رفيعا ذا جاه

وقدر



وقدر في الدنيا والاخرة اما وجاهته في الدنيا فبسبب النبوة وانه كان يبري
الاكمه والابرص ويحيي الموتى واما وجاهته في الاخرة فبسبب علو منزلته
عند الله وهو قوله تعالى ومن المقربين يعني عند الله يوم القيمة لان لاهل
الجنة منازل ودرجات ومنازل الانبيا ودرجاتهم اعلى من سواهم وقيل فيه تنبيه
على علو منزلته وانه رفعه الى السما ويكلم الناس في المهد يعني ويكلم الناس صغيرا
وهو في المهد وذلك قبل اوان الكلام ووقته والكلام الذي تكلم به هو ما ذكر الله
عنه في سورة مريم وهو قوله اني عبد الله اتاني الكتاب الاية وتكلم ببراءة امه
لما رموها به اهل الغربة من القذف ويحكى ان مريم قالت كنت اذا خلوت انا وعيسى
حدثني وحدثته فاذا شغلني عنه انسان سبح وهو في بطني وانا اسمع ولما
تكلم ببراءة امه سكت بعد ذلك فلم يتكلم الا في الوقت الذي يتكلم فيه الصغير
قال ابن عباس تكلم عيسى ساعة ثم سكت ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغ النطق وكهلا
يعني ويكلم الناس في حال الكهولة والكهل في اللغة هو الذي اجتمع قوته وكمل شبابه
والكهل عند العرب الذي جاوز الثلاثين وقيل هو الذي خطه الشيب وهو السن
الذي يستحكم فيه العقل ويستنبا فيه الانبيا قال ابن قتيبة لما كان لعيسى
ثلاثون سنة ارسله الله تعالى فمكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله تعالى
وقال وهب بن منبه جاه الوحي على راس ثلاثين سنة فمكث في نبوته ثلاث سنين
ثم رفعه الله فمعنى الاية انه يكلم الناس وهو في المهد ببراءة امه وهو معجزة عظيمة
ويكلم الناس في حال الكهولة بالدعوة والرسالة وقيل فيه بشارة لمريم اخبرها
بانه يبقى حتى يكتهل وقيل فيه اخبار بانه يتغير من حال الى حال ولو كان الها كما زعمت
النصارى لم يدخل عليه التغير ففيه رد على النصارى الذين يدعون فيه الالهية
وقال الحسن بن الفضل وكهلا يعني ويكلم الناس كهلا بعد نزوله من السما
وفي هذه نص على انه سينزل من السما الى الارض ويقتل الدجال وقال مجاهد
الكهل الحليم والعرب تمدح الكهولة لانها الحالة الوسطى في احتناك السن واستحكام
العقل وجودة الراي والتجربة ومن الصالحين يعني انه من العباد الصالحين
مثل ابراهيم واسحق ويعقوب وموسى وغيرهم من الانبيا وانما ختم اوصاف عيسى

عليه السلام بكونه من الصالحين بعد ما وصفه بالاوصاف العظيمة لان الصلاح
من اعظم المراتب واشرف المقامات لانه لا يسمي المرء صالحا حتي يكون مواظبا علي
النهج الاصلح والطريق الاكمل في جميع اقواله فلما وصفه الله تعالي بكونه وجيها
في الدنيا والاخرة ومن المقربين وانه يكلم في المهد وكهلا اردفه بقوله ومن
الصالحين ليكمل له اعلي الدرجات واشرف المقامات قوله تعالي قالت يعني مريم
اني يكون لي ولد اي من اين يكون لي ولد ولم يمسسني بشر اي ولم يصبني رجل
وانما قالت ذلك تعجبا لا استكبارا في قدرة الله تعالي اذ لم تكن العادة جرت ان يولد
ولد من غير اب قال كذلك الله يخلق ما يشا يعني هكذا يخلق الله منك ولدا
من غير ان يمسك بشر فيجعله اية للناس وعبرة فانه يخلق ما يشا ويصنع ما
يريد وهو قوله تعالي اذا قضي امرا فانما يقول له كن فيكون يعني كما يريد
ويعلمه الكتاب يعني الكتابة والخط باليد والحكمة يعني العلم والسنة واحكام
الشرايع والتوراة يعني التي انزلت علي موسي والانجيل يعني الانجيل الذي انزل
عليه وهذا اخبار من الله تعالي لمريم ما هو فاعل بالولد الذي بشرها به من
الكرامة وعلو المنزلة ورسولا الي بني اسرائيل ويجعله رسولا الي بني اسرائيل
وكان اول انبيا بني اسرائيل يوسف بن يعقوب واخرهم عيسي ابن مريم عليهما السلام
فلما بعث اليهم قال اني قد جئتكم باية من ربكم اي بعلامة من ربكم علي صدق
قولي وانما قال باية وقد جا بايات كثيرة لان الكل دل علي شي واحد وهو صدقه
في الرسالة فلما قال عيسي ذلك لبني اسرائيل قالوا وما هذه الاية قال اني اخلق اي
اصور واقدر لكم من الطين كهيئة الطير والهيئة الصورة المهياة من قولهم هيات
الشي اذا قدرته واصلحته فانفخ فيه اي في الطير المهيا المصور فيكون طيرا قرئ
بلفظ الجمع لان الطير اسم جنس يقع علي الواحد والاثنين والجمع وقرئ فيكون طايرا
علي التوحيد علي معني يكون ما انفخ فيه طايرا او ما اخلقه يكون طايرا وقيل انه
لم يخلق غير الخفاش وهو الذي يطير في الليل وانما خص الخفاش لانه من اكمل الطير
خلقا وذلك لانه يطير بلا ريش وله اسنان ويقال ان الانثي منه لها ثدي وتحيض
ذكروا ان عيسي عليه السلام لما ادعي النبوة واظهر المعجزات اخذوا يتعنتوا عليه

فطلبوا

فطلبوا منه ان يخلق لهم خفاشا فاخذ طينا وصوره كهيئة الخفاش ثم نفخ فيه
فاذا هو طير يطير بين السما والارض قال وهب كان يطير ما دام الناس
ينظرون اليه فاذا غاب عنهم سقط ميتا ليتميز فعل المخلوق من فعل الخالق
وهو الله تعالي وليعلم ان الكمال لله تعالي باذن الله معناه بتكوين الله وتخليقه
والمعني اني اعمل هذا التصوير انا فاما خلق الحياة فيه فهو من الله تعالي علي
سبيل اظهار المعجزة علي يد عيسي عليه السلام وابرئ الاكمه والابرص اي واشفي
الاكمه والابرص واصححهما واختلفوا في الاكمه فقال ابن عباس هو الذي ولد
اعمي وقيل هو الاعمي وان كان ابصر وقيل هو الاعمش وقيل هو الذي يبصر
بالنهار ولا يبصر بالليل والابرص هو الذي به وضح وكان الغالب علي زمان
عيسي الطب فاراهم المعجزة من جنس ذلك الا انه ليس في علم الطب ابرا الاكمه
والابرص فكان ذلك معجزة له ودليلا علي صدقه قال وهب ربما اجتمع علي
عيسي من المرضي في اليوم الواحد نحو خمسين الفا فمن اطاق ان يمشي اليه مشي
ومن لم يطق مشي عيسي عليه السلام اليه وكان يداويهم بالدعا علي شرط الايمان
برسالته واحيي الموتي باذن الله قال ابن عباس قد احيي اربعة انفس عازر
وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح فاما عازر فكان صديقا لعيسي فارسلت
اليه اخت عازر ان اخاك عازر يموت وكان بينهما مسيرة ثلاثة ايام فاتاه عيسي
واصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة ايام فقال لاخته انطلقي بنا الي قبره
فانطلقت بهم الي قبره فدعا الله عيسي فقام عازر حيا باذن الله فخرج من
قبره وعاش وولد له واما ابن العجوز فانه مر به وهو ميت علي عيسي
عليه السلام يحمل علي السرير فدعا الله عيسي فجلس علي سريره ونزل
عن اعناق الرجال ولبس ثيابه واتي اهله وعاش وولد له واما ابنة العاشر
فكان ياخذ العشور من الناس ماتت بنت له بالامس فدعا الله عيسي
فاحياها الله بدعوته فعاشت وولد لها واما سام بن نوح عليه السلام
جا الي قبره ودعا الله بالاسم الاعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف راسه
خوفا من قيام الساعة ولم يكونوا يشيبون في ذلك الزمان فقال قد

قامت القيمة فقال عيسى لا ولكن دعوتك باسم الله الاعظم ثم قال للميت قم
بشرط ان يعيذني الله من سكرات الموت مرة اخرى فدعا الله عيسى ففعل
وانبئكم يعني واخبركم بما تاكلون اي مما لم اعاينه وما تدخرون في بيوتكم
اي وما ترفعونه فتخبونه في بيوتكم لتاكلوه فيما بعد ذلك قيل كان عيسى عليه
السلام يخبر الرجل بما اكل البارحة وبما ياكل اليوم وبما يدخره للعشا وقيل
كان في الكتاب يحدث الغلمان بما يصنع اباوهم ويقول للغلام انطلق
فقد اكل اهلك كذا وكذا وقد رفعوا لك كذا فينطلق الصبي الى اهله
فيبكي على اهله حتى يعطوه ذلك الشي فيقولون من اخبرك بهذا فيقول عيسى
فحبسوا صبيانهم عنه وقالوا لا تلعبوا مع هذا الساحر وجمعوهم في بيت
فجا عيسى يطلبهم فقالوا ليسوا هاهنا فقال وما في البيت قالوا خنازير قال
كذلك يكونوا ففتحوا عليهم الباب فاذا هم خنازير ففشى ذلك في بني
اسرائيل وطهر فهموا به فخافت عليه امه فحملته على حمار لها وخرجت هاربة
الى مصر وقال قتادة انما كان هذا في نزول المايدة وكان خوانا ينزل عليهم
اينما كانوا فيه من طعام الجنة وامروا ان لا يخونوا ولا يدخروا فخانوا وادخروا
فجعل عيسى يخبرهم بما اكلوا من المايدة وما ادخروا منها فمسخهم الله خنازير
وفي هذا دليل قاطع على صحة نبوة عيسى عليه السلام ومعجزة عظيمة له وهو
اخباره عن المغيبات مع ما تقدم له من الايات الباهرات من ابراء الاكمه
والابرص واحياء الموتى باذن الله تعالى واخباره عن الغيوب باعلام الله اياه ذلك
وهذا مما لا سبيل لاحد من البشر عليه الا الانبيا عليهم السلام فان قلت
قد يخبر المنجم والكاهن عن مثل ذلك فما الفرق قلت ان المنجم والكاهن لا بد
لكل واحد منهما من مقدمات يرجع اليها ويعتمد في اخباره عليها اما المنجم فانه
يستعين على ذلك بواسطة معرفة الكواكب وامتزاجاتها او بواسطة حساب
الرمل ونحو ذلك وقد يخطي في كثير مما يخبر به واما الكاهن فانه يستعين برائه
من الجن وقد يخطي ايضا في كثير مما يخبر به واما اخبار الانبيا عليهم
السلام عن المغيبات فليس الا بوحي سماوي وهو من الله تعالى وليس باستعانة

بواسطة

234

بواسطة حساب ولا غيره فحصل الفرق ان في ذلك يعني الذي تقدم ذكره
من خلق الطير من الطين باذن الله وابراء الاكمه والابرص والاخبار عن المغيبات
لاية لكم اي لعبرة ودلالة على صدقي في اني رسول من الله اليكم ان كنتم مومنين
يعني مصدقين بذلك ومصدقا قيل الله عطف على قوله رسولا وقيل
عطف على اني قد جيتكم باية من ربكم والمعنى وجيتكم مصدقا لما بين يدي
من التوراة وذلك لان الانبيا عليهم السلام يصدق بعضهم بعضا وكل واحد
منهم يصدق الذي قبله ويصدق بما انزل الله من الكتب والشرايع والاحكام
فلهذا قال عيسى عليه السلام ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض
الذي حرم عليكم قال وهب بن منبه ان عيسى كان على شريعة موسى عليهما السلام وكان
يسبت ويستقبل بيت المقدس وقال لبني اسرائيل اني لم ادعكم الى خلاف حرف
مما في التوراة الا لاحل لكم بعض الذي حرم عليكم واضع عنكم الاصار وذلك ان الله
تعالى كان قد حرم على اليهود بعض الاشيا عقوبة لهم على بعض ما صدر منهم من
الجنايات كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم فبقي
ذلك التحريم مستمرا على اليهود الى ان جا عيسى عليه السلام فرفع عنهم تلك الشدة
التي كانت عليهم قال قتادة كان الذي جا به عيسى الين مما جا به موسى وكان قد
حرم عليهم فيما جا به موسى لحوم الابل والثروب والشحوم واشيا من الطير والحيتان
زاد غيره فجا عيسى بالتخفيف واحلها لهم وقال اخرون ان عيسى عليه السلام رفع
كثيرا من احكام التوراة ورفع السبت ووضع الاحد وكان ذلك كله بامر الله
فكان ذلك ناسخا لتلك الاحكام والشرايع والناسخ والمنسوخ حق وصدق
وجيتكم باية من ربكم اي بحجة واضحة شاهدة على صحة رسالتي ثم خوفهم
بقوله فاتقوا الله يعني يا معشر بني اسرائيل فيما امركم به وانهاكم عنه واطيعون
يعني فيما دعوتكم اليه لان طاعة الرسول من توابع تقوى الله ومما ادعوكم اليه هو قوله
ان الله ربي وربكم فاعبدوه لان جميع الرسل كانوا على دين واحد وهو التوحيد
ولم يختلفوا الى الله تعالى وفي هذه الاية حجة بالغة على نصارى وفد نجران ومن قال
بقولهم من ساير النصارى باخبار الله عن عيسى عليه السلام انه كان بريا مما نسبه

اليه النصارى وانه عبد الله وخصه بنبوته ورسالته ثم ختم ذلك بقوله
هذا صراط مستقيم يعني التوحيد قوله عز وجل فلما احس عيسى منهم الكفر
اي وجد وعرف وقيل راى والاحساس عبارة عن وجدان الشي بالحاسة وهي
انهم تكلموا بكلمة الكفر فاحس ذلك عيسى منهم وعرف اصرارهم عليه وعزمهم
على قتله والله تعالى اعلم بمراده ذكر سبب القصة في ذلك قال اهل
الاخبار والسير لما بعث الله عيسى عليه السلام الى بني اسرائيل وامره باظهار رسالته
والدعا اليه نفوه واخرجوه من بينهم فخرج هو وامه يسيحان في الارض فنزلا في قرية
على رجل فاضافهم واحسن اليهم وكان لتلك القرية ملك جبار متعد فجاء ذلك
الرجل في بعض الايام وهو مهموم حزين فدخل منزله ومريم عند امراته فقالت
مريم ما شان زوجك اراه كئيبا حزينا قالت لا تسأليني قالت مريم اخبريني
لعل الله يفرج كربته قالت المراة ان لنا ملكا جبارا وقد جعل على كل رجل منا
يوما يطعمه فيه هو وجنوده ويسقيهم الخمر وان لم يفعل عاقبه واليوم نوبتنا
وليس عندنا سعة لذلك فقالت قولي له لا يهتم لذلك فانا آمر ابني ان يدعو له
فيكفي ذلك ثم قالت مريم لعيسى في ذلك فقال عيسى ان فعلت ذلك وقع شر
قالت مريم لا تبالي فانه قد احسن الينا واكرمنا فقال عيسى قولي له اذا اقترب ذلك
الوقت فاملا قدورك وخوابيك ماء ثم اعلمني ففعل الرجل ذلك ثم دعى الله
عيسى عليه السلام فتحول ما في القدور مرقا ولحما وماء الخوابي خمرا لم ير الناس
مثله فلما جا الملك واكل من ذلك الطعام وشرب من ذلك الخمر قال من اين لك
هذا الخمر فقال الرجل هو من ارض كذا فقال الملك ان خمري من تلك الارض وليست
مثل هذه فقال هي من ارض اخرى فلما راه الملك قد اخلط شدد عليه فقال الرجل
انا اخبرك ان عندي غلاما لا يسال الله شيا الا اعطاه اياه وانه دعا الله تعالى
فجعل الما خمرا وكان للملك ابن يريد ان يستخلفه في ملكه وقد مات قبل ذلك
بايام وكان يحبه حبا شديدا فقال الملك ان رجلا دعا الله حتى صار الما خمرا
بدعوته ليستجيبن له في احيا ابني فطلب عيسى وكلمه في ذلك فقال له عيسى
لا تفعل فانه ان عاش وقع شر فقال الملك لا ابالي اليس اراه فقال عيسى ان انا احييته

تركني

تركني وامي نذهب حيث نشا قال نعم فدعا الله عيسى فعاش الغلام فلما راه
اهل مملكته الملك قد عاش تبادروا الى السلاح وقالوا قد اكلنا هذا الملك
حتى اذا دنا اجله يريد ان يستخلف علينا ابنه فياكلنا كما اكلنا ابوه فاقتتلوا
وظهر امر عيسى وقصدوا قتله وكفروا به وقيل ان اليهود كانوا عارفين
بانه المسيح المبشر به في التوراة وانه ينسخ دينهم فلما اظهر عيسى عليه
السلام الدعوة اشتد ذلك عليهم واخذوا في اذاه وطلبوا قتله وكفروا به
فاستنصر عليهم كما اخبر الله عز وجل عنه بقوله قال يعني عيسى عليه السلام
من انصاري الى الله اي مع الله وقيل معناه الى ان ابين امر الله واظهر دينه
وقيل الى بمعنى في اي في ذات الله وسبيله وقيل الى في موضعها والمعنى من يضم
نصرته الى نصرة الله لي قال الحواريون نحن انصار الله وذلك ان عيسى عليه السلام
لما دعا بني اسرائيل الى الله تعالى تمردوا عليه وكفروا به خرج يسيح في الارض
فمر بجماعة يصطادون السمك وكانوا اثني عشر ورئيسهم شمعون ويعقوب
فقال عيسى عليه السلام ما تصنعون قالوا نصيد السمك قال افلا تمشون
حتى نصيد الناس قالوا ومن انت قال انا عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله فسالوه
اية تدلهم على صدقه وكان شمعون قد رمى شبكته في الما فدعا الله عيسى
فاجتمع في تلك الشبكة من السمك ما كادت تتمزق من كثرته فاستعانوا
باهل سفينة اخرى وملوا السفينتين من السمك فعند ذلك آمنوا به
وانطلقوا معه واختلفوا في الحواريين فقيل كانوا يصطادون السمك فلما
امنوا بعيسى صاروا يصطادون الناس ويهدونهم الى الدين سموا حواريين
لبياض ثيابهم يقال حورت الشي بمعنى بيضته وقيل كانوا قصارين سموا بذلك
لانهم كانوا يحورون الثياب اي يبيضونها وقيل ان مريم سلمت عيسى الى اعمال
شتى فكان اخر من سلمته الى الحواريين وكانوا قصارين وصباغين فدفعته
الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب وعرض له سفر فقال لعيسى
انك قد تعلمت هذه الصنعة وانا خارج الى السفر ولا ارجع الى عشرة ايام
وهذه ثياب مختلفة الالوان وقد علمت على كل واحد منها بخيط على اللون



الذي يصبغ به فاريد ان تفرغ منها دنت قد رمي وخرج المعلم الي سفره فطرح
عيسى جبا واحدا على لون واحد وادخل فيه جميع الثياب وقال كوني
باذن الله على ما اريد منك ثم قدم الحواري والثياب كلها في الحب
فقال لعيسى ما فعلت قال قد فرغت منها فقال واين هي قال في الحب
قال كلها قال نعم قال لقد افسدت على الثياب قال عيسى لا ولكن قم
فانظر وقام عيسى واخرج ثوبا احمر وثوبا اخضر وثوبا اصفر وثوبا
اسود حتى اخرجها كلها على الالوان التي يريد الحواري فجعل الحواري
يتعجب من ذلك وعلم ان ذلك من الله تعالى فقال للناس تعالوا فانظروا
فامن به هو واصحابه وهم الحواريون وقيل سموا حواريين لصفاء قلوبهم
ولما ظهر عليهم من اثر العبادة ونورها وقيل الحواريون الاصفيا وكانوا
اصفيا عيسى وخاصته وقيل الحواريون هم الخلفا وقيل هم الوزرا وكانوا
خلفاء عيسى ووزراه وقيل الحواريون هم الانصار والحواري الناصر والحواري
الرجل الذي يستعان به عن جابر بن عبد الله قال ندب النبي صلى الله عليه وسلم
الناس يوم الخندق فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير ثم ندبهم
فانتدب الزبير فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حواري وحواري
الزبير قال الحواريون نحن انصار الله يعني انصار دين الله ورسوله واعوانه
امنا بالله اي صدقنا بان الله ربنا ورب كل شي واشهد يعني انت يا عيسى بانا
مسلمون قيل معناه واشهد بانا منقادون لما تريد من نصرك والذب عنك
ومستسلمون لامر الله عز وجل وقيل هو اقرار منهم بان دينهم الاسلام
وانه دين عيسى وكل الانبيا قبله لا اليهودية والنصرانية ربنا امنا بما
انزلت يعني قال الحواريون بعد اشهاد عيسى عليهم بانهم مسلمون ربنا امنا بما
انزلت يعني بكتابك الذي انزلته على عيسى عليه السلام واتبعنا الرسول
يعني عيسى فاكتبنا مع الشاهدين يعني الذين شهدوا لانبيائك بالصدق
واتبعوا امرك ونهيك فاثبت اسماءنا مع اسمائهم واجعلنا في عدادهم
ومعهم فيما تكرمهم به وهذا يقتضي ان يكون الشاهدين الذين سالوا الحواريون ان يكونوا
معهم



معهم وخصهم بفضل عليهم فلهذا قال ابن عباس في قوله تعالى فاكتبنا
مع الشاهدين اي مع محمد صلى الله عليه وسلم وامته لانهم المخصوصون
بتلك الفضيلة فانهم يشهدون للرسل بالبلاغ وقيل مع
الشاهدين يعني النبيين لان كل نبي شاهد على امته قوله عز وجل
ومكروا يعني كفار بني اسرائيل الذين احس عيسى منهم الكفر واصل المكر
صرف الغير عما يقصده بضرب من الحيلة وقيل هو السعي بالفساد في الخفية
فاما مكرهم بعيسى فانهم دبروا في قتله وهموا به وذلك ان عيسى عليه السلام
بعد ان اخرجه قومه هو وامه رجع مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة
واظهر رسالته اليهم فهموا بقتله والفتك به فذلك مكرهم والمكر من
الخلق الخبث والخديعة والحيلة ومكر الله اي جازاهم على مكرهم فسمي الجزا
باسم الابتدا لانه في مقابلته وقيل مكر الله استدراج العبد واخذه بغتة
من حيث لا يحتسب ومكر الله في هذه الاية خاصة هو القا الشبهة على
صاحبهم الذي دلهم على عيسى حين ارادوا قتله حتى قتل قال ابن عباس
ان عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فلما راوه قالوا قد جا الساحر ابن الساحرة
والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وامه فلما سمع عيسى ذلك دعا عليهم ولعنهم فمسخهم
الله خنازير فلما راي ذلك يهودا راس اليهود وملكهم فزع لذلك وخاف دعوته
فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى وثاروا اليه ليقتلوه فبعث الله عز وجل جبريل
عليه السلام فادخله خوخة في سقفها روزنة فرفعه من تلك الروزنة وامر
يهودا ملك اليهود رجلا من اصحابه يقال له ططيانوس ان يدخل الخوخة
فيقتله فيها فلما دخل لم ير عيسى وابطا عليهم فظنوا انه يقاتله فيها والقى الله
عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا انه عيسى فاخذوه وقتلوه وصلبوه قال
وهب بن منبه ان اليهود طرقوا عيسى في بعض الليل ونصبوا الخشبة ليصلبوه
عليها فاظلمت الارض وارسل الله عز وجل الملائكة فحالت بينهم وبينه فجمع عيسى
الحواريين تلك الليلة واوصاهم وقال ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك
ويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى احد

الحواريين الي اليهود وقال ما تجعلون لي ان دللتكم علي المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما
فاخذها ودلهم عليه فلما دخل البيت الذي فيه المسيح القى الله شبه عيسى عليه
ورفع الله عيسى واخذ الذي دل عليه فقال انا الذي دللتكم عليه فلم يلتفتوا
الي قوله فقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى فلما صلب الذي القي عليه
شبه عيسى جات مريم وامراة اخرى كان عيسى عليه السلام دعا لها فابراها
الله من الجنون بدعوته فجعلتا تبكيان عند المصلوب فجاءهما عيسى عليه
السلام وقال علي من تبكيان ان الله عز وجل قد رفعني ولم يصبني الا خير وهذا
شي شبه لهم فلما كان عيسى بعد سبعة ايام قال الله لعيسى اهبط الي مريم
المجدلانية وهو اسم موضع فهو نسبة اليه فانه لم يبك عليك احد
بكاها ولم يحزن عليك احد حزنها ثم لتجمع لك الحواريين فتبثهم في الارض
دعاة الي الله عز وجل فاهبطه الله عز وجل عليها فاشتعل الجبل نورا حين
هبط فجمعت له الحواريين فبثهم دعاة في الارض ثم رفعه الله فتلك الليلة
التي تدخن فيها النصارى فلما اصبح الحواريون تكلم كل واحد منهم بلغة من ارسله
عيسى اليهم فذلك قوله تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين يعني وهو
افضل المجازين بالسيئة العقوبة وقال السدي ان اليهود حبست عيسى
في بيت ومعه عشرة من الحواريين فدخل عليهم رجل منهم وكان قد نافق
فالقي عليه شبه عيسى فاخذ وقتل وصلب وقال قتادة ذكر لنا ان نبي الله
عيسى عليه السلام قال لاصحابه ايكم يقذف عليه شبهي فانه مقتول فقال رجل
منهم انا يا نبي الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفعه اليه فكساه الريش والبسه
النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم حول العرش
وصار انسيا ملكيا سماويا ارضيا وقال اهل التاريخ حملت مريم بعيسى ولها
ثلاثة عشر سنة وولدته ببيت لحم من ارض اوري شلم لمضي خمس وستين سنة
من غلبة الاسكندر علي ارض بابل واوحى الله الي عيسى علي راس ثلاثين سنة ورفعه
الله من بيت المقدس ليلة القدر من رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة
فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت امه مريم بعد رفعه ست سنين قوله

تعالى

تعالى اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي اختلفوا في معنى
التوفي هنا علي طريقين فالطريق الاول ان الاية علي ظاهرها من غير
تقديم ولا تاخير وذكروا في معناها وجوها الاول معناه اني قابضك
ورافعك الي من غير موت من قولهم توفيت الشي واستوفيته اذا اخذته
وقبضته تاما والمقصود منه ان لا يصل اعداوه من اليهود اليه بقتل
ولا غيره الوجه الثاني ان المراد بالتوفي النوم ومنه قوله عز وجل
الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فجعل النوم وفاة وكان
عيسى قد نام فرفعه الله وهو نائم لئلا يلحقه خوف فمعنى الاية اني منيمك
ورافعك الي الوجه الثالث ان المراد بالتوفي حقيقة الموت قال ابن عباس
معناه اني مميتك قال وهب بن منبه ان الله توفى عيسى ثلاث ساعات
من النهار ثم رفعه اليه وقيل ان النصارى يزعمون ان الله توفاه ثلاث ساعات
ثم احياه ورفعه اليه الوجه الرابع ان الواو في قوله ورافعك الي لا تفيد
الترتيب والاية تدل علي ان الله تعالى يفعل به ما ذكر فاما كيف يفعل ومتى يفعل
فالامر فيه موقوف علي الدليل وقد ثبت في الحديث ان عيسى سينزل ويقتل
الدجال وسنذكره ان شا الله تعالى الوجه الخامس قال ابو بكر الواسطي
معناه اني متوفيك عن شهواتك وعن حظوظ نفسك ورافعك الي وذلك
ان عيسى عليه السلام لما رفع الي السما صارت حالته حالة الملائكة في زوال
الشهوة الوجه السادس ان معنى التوفي اخذ الشي وافيا ولما علم الله
تعالى ان من الناس من يخطر بباله ان الذي رفعه الله اليه هو روحه دون
جسده كما زعمت النصارى ان المسيح رفع لاهوته يعني روحه وبقي في الارض
ناسوته يعني جسده فرد الله تعالى عليهم بقوله اني متوفيك ورافعك الي
فاخبر الله تعالى انه رفعه بتمامه الي السما بروحه وجسده جميعا الطريق
الثاني ان في الاية تقديما وتاخيرا تقديره اني رافعك الي ومطهرك من
الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالك الي الارض وقيل لبعضهم هل تجد نزول
عيسى في القران قال نعم قوله تعالى وكهلا وذلك لم يكتهل في الدنيا وانما معناه

وكهلا بعد نزوله من السما ف عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب
ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد زاد في رواية
حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول ابو هريرة اقرؤا
ان شئتم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وفي رواية كيف انتم
اذا نزل فيكم ابن مريم وامامكم منكم وفي رواية فامكم منكم قال ابن ابي ذيب
تدري ما امكم منكم قلت تخبرني قال فامكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم
محمد صلى الله عليه وسلم وفي افراد مسلم من حديث النواس بن سمعان قال فبينما
كذلك اذ بعث الله المسيح ابن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضا شرقي
دمشق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بيني وبينه يعني
عيسى نبي وانه نازل فاذا رايتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الى الحمرة والبياض
ينزل بين ممصرتين كان راسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الاسلام
فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله في زمانه الملل كلها
الا الاسلام ويهلك المسيح الدجال ثم يمكث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى
ويصلي عليه المسلمون اخرجه ابو داود ونقل بعضهم ان عيسى عليه السلام يدفن
في حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقوم ابو بكر وعمر يوم القيمة بين نبيين
محمد وعيسى صلى الله عليهما وسلم وقوله تعالى ومطهرك من الذين كفروا اي مخرجك من
بينهم ومنجيك منهم وجاعل الذين اتبعوك في التوحيد وصدقوا قولك وهم
اهل الاسلام من امة محمد صلى الله عليه وسلم فوق الذين كفروا بالعز والنصر
والغلبة بالحجة الظاهرة وقيل هم الحواريون الذين اتبعوا عيسى على دينه وقيل
هم النصارى فهم فوق اليهود وذلك لان ملك اليهود قد ذهب فليس لهم مملكة
وملك النصارى باق فعلى هذا القول يكون الاتباع بمعنى المحبة والادعا لا اتباع
الدين لان النصارى وان اظهروا متابعة عيسى عليه السلام فهم اشد مخالفة له وذلك
ان عيسى عليه السلام لم يرض بما هم عليه من الشرك والقول الاول اصح لان الذين
اتبعوه شهدوا بانه عبد الله ورسوله وكلمته وهم المسلمون وقوله ثم الى يوم

القيمة

القيمة ثم الي مرجعكم يعني يقول الله عز وجل الي مرجع الفريقين في الاخرة
الذين اتبعوا عيسى وصدقوا به والذين كفروا به فاحكم بينكم فيما كنتم فيه
تختلفون يعني من الحق في امر عيسى ثم بين الحكم فقال فاما الذين كفروا
يعني الذين جحدوا نبوة عيسى وخالفوا ملته وقالوا فيه ما قالوا من الباطل
ووصفوه بما لا ينبغي من سائر اليهود والنصارى فاعذبهم عذابا شديدا
في الدنيا يعني بالقتل والسبي والذلة واخذ الجزية منهم والاخرة اي واعذبهم
في الاخرة بالنار وما لهم من ناصرين يعني مانعين يمنعونهم من عذابنا واما الذين
امنوا يعني بعيسى عليه السلام وصدقوا بنبوته وانه عبد الله ورسوله وكلمته
وعملوا الصالحات يعني عملوا بما فرضت عليهم وشرعت لهم فيوفيهم اجورهم يعني
جزا اعمالهم لا ينقص منه شي والله لا يحب الظالمين اي لا يحب من ظلم غيره حقا
له او وضع شيا في غير موضعه والمعنى ان الله تعالى لا يرحمهم ولا يثني عليهم بجميل
ثم قال تعالى ذلك يعني الذي ذكرته لك من اخبار عيسى وامه مريم والحواريين
وغير ذلك من القصص نتلوه عليك اي نخبرك به يا محمد على لسان جبريل وانما
اضاف ما يتلوه جبريل الى نفسه سبحانه وتعالى لانه من عنده وبامره من غير
تفاوت اصلا فاضافه اليه من الايات يعني القران وقيل الايات يعني العلامات
الدالة على نبوتك يا محمد لانها اخبار لا يعلمها الا من قرا وكتب او نبي يوحى اليه
وانت امي لا تقرا ولا تكتب فثبت ان ذلك من الوحي السماوي الذي انزل عليك
والذكر الحكيم الممنوع من الباطل وقيل المراد من الذكر الحكيم القران لانه حاكم يستفاد منه
جميع الاحكام وقيل الذكر الحكيم هو اللوح المحفوظ الذي منه نزلت جميع كتب الله تعالى
على رسله وهو لوح من درة بيضا معلق بالعرش قوله عز وجل ان مثل عيسى عند الله
كمثل ادم خلقه من تراب الاية اجمع اهل التفسير ان هذه الاية نزلت في محاجة
نصارى وفد نجران قال ابن عباس ان رهطا من اهل نجران قدموا على النبي صلى
الله عليه وسلم وكان فيهم السيد والعاقب فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما شانك
تذكر صاحبنا فقال من هو قالوا عيسى تزعم انه عبد الله فقال النبي صلى الله عليه
وسلم اجل انه عبد الله فقالوا له فهل رايت له مثلا او انبئت به ثم خرجوا من

عنده فجاءه جبريل عليه السلام فقال لهم قل لهم اذا اتوك ان مثل عيسى عند الله كمثل
ادم خلقه من تراب وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انه عبد الله
ورسوله وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول فغضبوا وقالوا يا محمد هل
رايت انسانا قط من غير اب فانزل الله ان مثل عيسى عند الله اي في الخلق والانشا
في كونه خلقه من غير اب كمثل ادم في كونه خلقه من تراب من غير اب وام ومعنى
الاية ان صفة خلق عيسى من غير اب كصفة ادم في كونه خلقه من تراب
لا من اب وام فمن اقر بان الله خلق ادم من التراب اليابس وهو ابلغ في القدرة
فلم لا يقر بان الله خلق عيسى ابن مريم من غير اب بل الشان في خلق ادم اعجب
واغرب وتم الكلام عند قوله كمثل ادم لانه تشبيه كامل ثم قال تعالى خلقه
من تراب فهو خبر مستانف على جهة التفسير لحال خلق ادم في كونه خلقه
من تراب اي قدره جسدا من طين ثم قال له كن اي انشاه خلقا بالكلمة
وكذلك عيسى انشاه خلقا بالكلمة فعلى هذا القول ذكروا في الاية اشكالا
وهو انه تعالى قال خلقه من تراب ثم قال له كن فهذا يقتضي ان يكون خلق ادم
متقدما على قوله كن ولا يكون بعد الخلق واجيب عن هذا الاشكال بان الله تعالى
اخبر انه خلقه من تراب لا من ذكر وانثى ثم ابتدا خبرا فقال اني اخبركم ايضا
اني قلت له كن فكان من غير ترتيب في الخلق كما يكون في الولادة ويحتمل ان يكون
المراد انه تعالى خلقه جسدا من تراب ثم قال له كن بشرا فكان فيصح النظم
وقيل ان الضمير في قوله كن يرجع الى عيسى عليه السلام وعلى هذا فلا اشكال
في الاية فان قلت كيف شبه عيسى بادم وقد وجد عيسى من غير اب ووجد
ادم من غير اب وام قلت هو مثله في احد الطرفين فلا يمنع اختصاصه
دونه في الطرف الاخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف
ولانه شبه به في انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في ذلك
نظيران لان الوجود من غير اب وام اغرب في العادة من الوجود من غير اب
فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر
فيما هو اغرب مما استغربه وحكي ان بعض العلما اسر في بعض بلاد الروم

فقال



فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فادم اولى لانه لا اب له
ولا ام قالوا وكان يحيي الموتى فقال لهم حزقيل اولى لان عيسى احيى اربعة
نفر واحيى حزقيل اربعة الاف قالوا وكان يبرئ الاكمه والابرص قال
فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سليما وقوله كن فيكون قال ابن عباس
معناه كن فكان فاريد بالمستقبل الماضي وقيل معناه ثم قال له كن واعلم
يا محمد ان ما قال له ربك كن فانه يكون لا محالة الحق من ربك الذي انبأتك
به من تمثيل عيسى بادم هو الحق من ربك فلا تكونن من الممترين اي من الشاكين
ان ذلك كذلك وهو خطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته لانه
صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فهو كقوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النسا
والمعنى فلا تكونن من الممترين يا ايها السامع كائنا من كان بعد هذا التمثيل
والبرهان الذي ذكر وهو من باب التهييج لزيادة الثبات والطمانينة قوله تعالى
فمن حاجك فيه اي من جادلك في عيسى وقيل في الحق من بعد ما جاءك من
العلم يعني بان عيسى عبد الله ورسوله فقل تعالوا اي هلموا والمراد به المجيء
واصله من العلو بالراي والعزم كما تقول تعال نتفكر في هذه المسئلة
ندع ابناءنا وابناءكم اي يدع كل مني ومنكم ابناءه ونساءنا ونساءكم
وانفسنا وانفسكم قيل اراد بالابناء الحسن والحسين وبالنساء فاطمة
وبالنفس نفسه صلى الله عليه وسلم وعليا رضي الله عنه وقيل هو على العموم
لجماعة اهل الدين ثم نبتهل قال ابن عباس نتضرع في الدعا وقيل معناه نجتهد
ونبالغ في الدعا وقيل معناه نلتعن والابتهال الالتعان يقال عليه
بهلة الله اي لعنة الله فنجعل لعنة الله على الكاذبين يعني منا ومنكم في امر
عيسى قال المفسرون لما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية على وفد نجران
ودعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر في امرنا ثم ناتيك غدا
فلما خلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب وكان كبيرهم وصاحب رايهم
ما ترى يا عبد المسيح قال لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل
ولئن فعلتم ذلك لتهلكن فان ابيتم الا الاقامة على ما انتم عليه من القول

في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد احتضن الحسين واخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي يمشي خلفها والنبي
صلى الله عليه وسلم يقول لهم اذا دعوت فامنوا فلما راهم اسقف نجران قال
يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله
فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة فقالوا
يا ابا القسم قد راينا ان لا نباهلك وان نتركك على دينك وتتركنا على
ديننا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ابيتم المباهلة فاسلموا يكون
لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا ذلك فقال فاني اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب
العرب طاقة ولكنا نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا
وان نؤدي اليك في كل سنة الفي حلة الف في صفر والف في رجب زاد في رواية
وثلاثة وثلاثون درعا عادية وثلاثة وثلاثون بعيرا واربع وثلاثون فرسا
عارية فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان العذاب
تدلى على اهل نجران ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي
نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصارى
كلهم حتى هلكوا فان قلت ما كان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين الصادق من
الكاذب منه ومن خصمه وذلك يختص به وبمن يباهله فما معنى ضم الابنا
والنسا في المباهلة قلت ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه
بصدقه حيث استجرا على تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس اليه
فلذلك ضمهم في المباهلة ولم يقتصر على تعريض نفسه لذلك وعلى ثقته بكذب
خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته هلاك استيصال ان تمت
المباهلة وانما خص الابنا والنسا لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلب وربما فداهم
الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل وانما قدمهم في الذكر على النفس
لينبه بذلك على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وفيه دليل قاطع وبرهان
واضح على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو احد من موافق ومخالف
انهم اجابوا الى المباهلة لانهم عرفوا صحة نبوته وما يدل عليها في كتبهم وقوله

عز وجل

عز وجل ان هذا يعني الذي قص عليك يا محمد من خبر عيسى عليه السلام وانه عبد الله
ورسوله لهو القصص الحق واصله من القص وهو تتبع الاثر والقصص الخبر
الذي يتتابع فيه المعاني وما من اله الا الله انما دخلت من لتوكيد النفي والمعنى
ان عيسى ليس باله كما زعمت النصارى ففيه رد عليهم وعلى جميع من ادعى من المشركين
انهم الهة واثبات الالهية لله تعالى وحده لا شريك له في الالهية وان الله
لهو العزيز اي الغالب المنتقم من عصاه وخالف امره وادعى معه الها آخر
الحكيم يعني في تدبيره وفيه رد على النصارى لان عيسى لم يكن كذلك فان تولوا يعني
فان اعرضوا عن الايمان ولم يقبلوه فان الله عليم بالمفسدين اي الذين يعبدون
غير الله ويدعون الناس الى عبادة غيره وفيه وعيد وتهديد لهم قوله عز وجل
قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سوا بيننا وبينكم قال المفسرون لما قدم
وفد نجران المدينة اجتمعوا باليهود واختصموا في ابراهيم صلى الله عليه وسلم
فزعمت النصارى انه كان نصرانيا وهم على دينه واولى الناس به وقالت اليهود
بل كان يهوديا وهم على دينه وهم اولى الناس به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلا الفريقين بري من ابراهيم ودينه بل كان حنيفا مسلما وانا على دينه فاتبعوا
دينه الاسلام فقالت اليهود ما تريد الا ان نتخذك ربا كما اتخذت النصارى
عيسى ربا وقالت النصارى يا محمد ما تريد الا ان نقول فيك ما قالت اليهود
في عزير فانزل الله عز وجل قل يا اهل الكتاب تعالوا اي هلموا الى كلمة يعني
فيها انصاف ولا ميل فيها لاحد على صاحبه والعرب تسمي كل قصة او قصيدة
لها اول واخر وشرح كلمة سوا اي عدل لا تختلف فيها التوراة والانجيل والقرآن
وتفسير الكلمة قوله ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيا ولا يتخذ
بعضنا بعضا اربابا من دون الله وذلك ان النصارى عبدوا غير الله
وهو المسيح واشركوا به وهو قولهم اب وابن وروح القدس فجعلوا الواحد
ثلاثة واتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وذلك انهم يطيعونهم
فيما امروهم به من الشرك ويسجدون لهم فهذا معنى اتخاذ بعضهم بعضا
اربابا من دون الله فثبت ان النصارى قد جمعوا بين هذه الثلاثة اشيا

ومعنى الاية قل يا محمد لليهود والنصارى هلموا الى امر عدل نصف وهو ان لا نقول
عزير ابن الله ولا نقول المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بشر مخلوق مثلنا
ولا نطيع احبارنا ورهباننا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع
الى ما شرع ولا يسجد بعضنا لبعض لان السجود لغير الله حرام فلا نسجد
لغير الله وقيل معناه ولا نطيع احدا في معصية الله فان تولوا يعني فان
اعرضوا عما امرتهم به فقولوا انتم لهم اولئك اشهدوا بانا مسلمون اي مخلصون
بالتوحيد لله والعبادة له ق عن ابن عباس ان ابا سفيان اخبره ان هرقل ارسل اليه
في ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ماد فيها ابا سفيان وكفار قريش فاتوه وهم بايليا فدعاهم في مجلسه
وحوله عظماء الروم ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث به
مع دحية الى عظيم بصرى فدفعه الى هرقل فقراه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما
بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت
فانما عليك اثم الاريسيين ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم
ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله
فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون لفظ الحديث احد روايات البخاري
وقد اخرجه باطول من هذا وفيه زيادة قوله الاريسيين وفي رواية اليريسيين
والاريسين الاكار وهو الزراع والفلاح وقيل اتباع عبد الله بن اريس رجل
كان في الزمن الاول بعث الله نبيا فخالفه قومه وقيل هم الاروسيون وهم
نصارى اتباع عبد الله بن اروس وهم الاروسية وقيل هم الاريسيون بضم الهمزة وهم
الملوك الذين يخالفون انبياءهم وقيل هم المتبخترون وقيل هم اليهود
والنصارى الذين صدوا عن الاسلام واتبعوك على كفرك قوله تعالى يا اهل الكتاب
لم تحاجون في ابراهيم قال ابن عباس اجتمع عند النبي صلى الله عليه وسلم
نصارى نجران واحبار اليهود فتنازعوا عنده فقالت الاحبار ما كان
ابراهيم الا يهوديا وقالت النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانيا فانزل الله فيهم يا اهل

الكتاب

الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده ومعنى الاية
ان اليهود والنصارى لما اختصموا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في شان ابراهيم
وادعت كل طائفة انه كان منهم وعلى دينهم فبراه الله عز وجل مما ادعوا فيه واخبر
ان اليهودية والنصرانية انما حدثتا بعد نزول التوراة والانجيل وان ما نزل بعد
ابراهيم بزمان طويل فكان بين ابراهيم وبين موسى ونزول التوراة عليه خمسمائة
سنة وخمس وسبعين سنة وبين موسى وعيسى الف وستمائة واثنان وثلاثون سنة
وقال ابن اسحق كان بين ابراهيم وموسى خمسمائة سنة وستون سنة وبين موسى وعيسى
الف سنة وتسعمائة وعشرون سنة واورد على هذا التاويل ان الاسلام ايضا انما
حدث بعد ابراهيم وموسى وعيسى بزمان طويل وكذلك انزال القران انما انزل
بعد التوراة والانجيل فكيف يصح ما ادعيتم في ابراهيم انه كان حنيفا مسلما
واجيب عنه بان الله عز وجل اخبر في القران ان ابراهيم كان حنيفا مسلما وليس
في التوراة والانجيل ان ابراهيم كان يهوديا او نصرانيا فصح وثبت ما ادعاه
المسلمون وبطل ما ادعاه اليهود والنصارى وهو قوله افلا تعقلون يعني بطلان
قولكم يا معشر اليهود والنصارى حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدل المحال ها انتم هؤلاء
ها للتنبيه وهي موضع النداء يعني هؤلاء والمراد بهم اهل الكتابين يعني يا معشر
اليهود والنصارى حاججتم اي جادلتم وخاصمتم فيما لكم به علم يعني فيما وجدتم في كتبكم
وانزل عليكم بيانه في امر موسى وعيسى وادعيتم انكم على دينهما وقد انزلت التوراة
والانجيل عليكم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم يعني انه ليس في كتابكم ان ابراهيم كان
يهوديا او نصرانيا والله يعلم يعني ما كان ابراهيم عليه من الدين وانتم لا تعلمون يعني
ذلك والمعنى وانتم جاهلون بما تقولون في ابراهيم ثم براه الله عز وجل مما يقولوا فيه
واعلمهم ان ابراهيم بريء من دينهم فقال تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا
يعني لم يكن كما ادعوه ثم وصفه بما كان عليه من الدين فقال تعالى ولكن كان حنيفا
مسلما يعني مائلا عن الاديان كلها الى الدين المستقيم وهو الاسلام وقيل الحنيف
الذي يوحد ويختتن ويضحي ويستقبل القبلة في صلاته وهو احسن الاديان
واسهلها واحبها الى الله عز وجل وما كان من المشركين يعني الذين يعبدون الاصنام

وقيل فيه تعريض بكون النصارى مشركين لقولهم بالالهية المسيح وعبادتهم
له قوله عز وجل بالتوبيخ والاحتجاج وميز بين الارواح والاشباح بالاسما
والكتاب والنبي واظهر لنا من التعارف والتناكر بمنصب اعلام الساكر عنوا
ان اولى الناس بابراهيم يعني احقهم به واقربهم منه للذين اتبعوه يعني
الذين كانوا في زمانه وامنوا به واتبعوا شريعته وهذا النبي يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم والذين امنوا يعني هذه الامة الاسلامية والله ولي المؤمنين يعني بالنصر
والمعونة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي ولاة من
النبيين وانا وليي ابي وخليل ربي ابراهيم ثم قرا ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه
وهذا النبي والذين امنوا والله ولي المؤمنين اخرجه الترمذي وروى الكلبي
عن ابي صالح عن ابن عباس ورواه محمد بن اسحاق عن ابن شهاب باسناده حديث
هجرة الحبشة قال لما هاجر جعفر بن ابي طالب واناس من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم الى ارض الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم
الى المدينة وكان من امر بدر ما كان اجتمعت قريش في دار الندوة وقالوا ان
لنا في الذين عند النجاشي من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثارا ممن قتل منكم ببدر
فاجمعوا مالا واهدوه الى النجاشي لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم ولينتدب
لذلك رجلان من ذوي رايكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن ابي معيط معهما
الهدايا الادم وغيره فركبا البحر حتى اتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشي سجدا له
وسلما عليه وقالا له ان قومنا لك ناصحون شاكرون ولصاحبكم محبون وانهم
بعثونا اليك لنحذرك هؤلاء الذين قدموا عليك لانهم قوم رجل كذاب خرج
فينا يزعم انه رسول الله ولم يتابعه احد منا الا السفهاء وانا كنا قد ضيقنا
عليهم الامر والجاناهم الى شعب بارضنا لا يدخل عليهم احد ولا يخرج منهم احد
فقتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليهم الامر بعث اليك ابن عمه ليفسد
عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم الينا لنكفيكهم قالا
واية ذلك انهم اذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التي
يحييك بها الناس رغبة عن دينك قال فدعاهم النجاشي فلما حضروا صاح

جعفر

جعفر بالباب يستاذن عليك حزب الله فقال النجاشي مروا هذا الصايح فليعد
كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي نعم فليدخلوا بامان الله وذمته فنظر
عمرو بن العاص الى صاحبه وقال الا تسمع كيف يرطنون بحزب الله وما اجابهم به الملك
فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه فلم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص الا ترى انهم
يستكبرون ان يسجدوا لك فقال لهم النجاشي ما منعكم ان تسجدوا لي وتحيوني
بالتحية التي يحييني بها من اتاني من الافاق قالوا نسجد لله الذي خلقك
وملكك وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الاوثان فبعث الله فينا
نبيا صادقا فامرنا بالتحية التي رضيها الله وهي السلام تحية اهل الجنة
فعرف النجاشي ان ذلك حق وانه في التوراة والانجيل قال ايكم الهاتف يستاذن
عليك حزب الله قال جعفر انا قال فتكلم قال انك ملك من ملوك الارض من اهل
الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وانا احب ان اجيب عن اصحابي
فمر هذين الرجلين فليتكلم احدهما ولينصت الاخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو
لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل هذين الرجلين اعبيد نحن ام احرار فان كنا عبيدا
قد ابقنا من اربابنا فردنا اليهم فقال النجاشي اعبيد هم ام احرار فقال احرار كرام
فقال النجاشي نجوا من العبودية فقال جعفر سلهما هل ارقنا دما بغير حق
فيقتص منا فقال عمرو لا ولا قطرة قال جعفر سلهما هل اخذنا اموال الناس بغير
حق فعلينا قضاؤها قال النجاشي ان كان قنطارا فعلي قضاؤه فقال عمرو لا ولا قيراط
فقال النجاشي فما تطلبون منهم قال كنا وهم على دين واحد وامر واحد على دين ابائنا
فتركوا ذلك واتبعوا غيره فبعثنا قومنا اليك لتدفعهم الينا فقال النجاشي وما هذا
الدين الذي كنتم عليه والدين الذي اتبعتموه فقال جعفر اما الدين الذي كنا عليه
فهو دين الشيطان كنا نكفر بالله ونعبد الحجارة واما الذي تحولنا اليه فهو
دين الاسلام جاءنا به من عند الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا
له فقال النجاشي يا جعفر تكلمت بامر عظيم فعلى رسلك ثم امر النجاشي بضرب الناقوس
فضرب فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي انشدكم
الله الذي انزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا مرسلا

فقالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى فقال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به
فقد كفر بي فقال النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يأمركم به وما
ينهاكم عنه فقال يقرأ علينا كتاب الله ويأمرنا بالمعروف وينهانا عن
المنكر ويأمر بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويأمرنا أن نعبد
الله وحده لا شريك له فقال اقرأ علي مما يقرأ عليكم فقرأ عليه
سورة العنكبوت والروم ففاضت عينا النجاشي وأصحابه من الدمع
وقالوا زدنا من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم الكهف فأراد عمرو أن
يغضب النجاشي فقال انهم يشتمون عيسى وأمه فقال النجاشي ما تقولون
في عيسى وأمه فقرأ عليهم سورة مريم فلما أتى على ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي
من سواكه قدر ما يقذي العين وقال والله ما زاد المسيح على ما تقولون هذا
ثم أقبل على جعفر وأصحابه فقال اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي آمنون من سبكم
أو آذاكم غرم ثم قال أبشروا ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب ابراهيم فقال
عمرو يا نجاشي ومن حزب ابراهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤوا من عنده
ومن اتبعهم فأنكر ذلك المشركون وادعوا دين ابراهيم ثم رد النجاشي على عمرو
وصاحبه المال الذي حملوه وقال انما هديتكم الي رشوة فاقبضوها فان الله
ملكني ولم يأخذ مني رشوة قال جعفر فانصرفنا فكنا في خير جوار وأنزل الله عز
وجل في ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومتهم في ابراهيم وهو في المدينة
ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين
قوله تعالى ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة
ابن اليمان وعمار بن ياسر حين دعاهم اليهود الى دينهم فنزلت فيهم ودت طائفة
أي تمنت جماعة من أهل الكتاب يعني اليهود لو يضلونكم يعني عن دينكم ويردونكم
الى الكفر وما يضلون الا أنفسهم لأن المؤمنين لا يقبلون قولهم فيحصل عليهم
الاثم بتمنيهم اضلال المؤمنين وما يشعرون يعني وبال الاضلال يعود عليهم
لأن العذاب يضاعف لهم بسبب ضلالهم وتمني اضلال المسلمين وما يقدرون
على ذلك انما يضلون أمثالهم وأتباعهم وأشياعهم يا أهل الكتاب الخطاب لليهود

لم تكفرون



لم تكفرون بآيات الله يعني القرآن وقيل المراد بآيات الله الواردة في التوراة والانجيل
من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وسبب كفرهم بالتوراة والانجيل على هذا
القول هو تحريفهم وتبديلهم ما فيهما من بيان نعت رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم
وصفته والبشارة بنبوته لأنهم ينكرون ذلك وأنتم تشهدون يعني أن نعته
وصفته مذكور في التوراة والانجيل وذلك أن أحبار اليهود كانوا يكتمون الناس
نعته وصفته فاذا خلا بعضهم ببعض أظهروا ذلك فيما بينهم وشهدوا أنه
حق يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وذلك أن علماء اليهود والنصارى
كانوا يعلمون بقلوبهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله وأن دينه حق
وكانوا ينكرون ذلك بألسنتهم وكانوا يجتهدون في القاء الشبهات والتشكيكات
وذلك أن الساعي في اخفاء الحق لا يقدر على ذلك الا بهذه الأمور فقوله تعالى
لم تلبسون الحق بالباطل معناه تحريف التوراة وتبديلها فيخلطون المحرف
الذي كتبوه بأيديهم بالحق المنزل وقيل هو خلط الاسلام باليهودية
والنصرانية وذلك أنهم تواطؤوا على اظهار الاسلام في أول النهار والرجوع عنه
في آخره والمراد بهذا تشكيك الناس وقيل انهم كانوا يقولون ان محمدا صلى
الله عليه وسلم معترف بصحة نبوة موسى وانه حق ثم ان التوراة دالة على أن
شرع موسى لا ينسخ فهذا من تلبيساتهم على الناس وتكتمون الحق يعني نعت
محمد صلى الله عليه وسلم وصفته في التوراة وأنتم تعلمون يعني أنه رسول من عند الله
وأن دينه حق وانما كتمتم الحق عنادا وحسدا وأنتم تعلمون ما تستحقون
على كتمان الحق من العقاب قوله عز وجل وقالت طائفة من أهل الكتاب
آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره وهذا نوع آخر من
تلبيسات اليهود قيل تواطأ اثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عرينة
فقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون اعتقاد
القلب ثم اكفروا آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا
أن محمدا ليس بذلك المبعوث وظهر لنا كذبه فاذا فعلتم ذلك شك
أصحاب محمد في دينه واتهموه وقالوا انهم أهل الكتاب وأعلم به منا فيرجعون

عن دينهم وقيل هذا في شأن القبلة وذلك انه لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على
اليهود فقال كعب بن الاشرف لاصحابه امنوا بالذي انزل على محمد في امر الكعبة
وصلوا اليها اول النهار ثم اكفروا وارجعوا الى قبلتكم اخر النهار لعلهم يرجعون
فيقولون هؤلاء اهل كتاب وهم اعلم فيرجعون الى قبلتنا فاطلع الله رسوله
صلى الله عليه وسلم على سرهم وانزل هذه الاية ووجه النهار اوله والوجه مستقبل
كل شي لانه اول ما يواجه منه واشد وانشد في معناه ٭
٭ من كان مسرورا بمقتل مالك ٭ فليات نسوتنا بوجه نهار ٭ وقوله
لعلهم يرجعون يعني عنه اذا القينا هذه الشبهة لعلهم يشكون في دينهم فيرجعون
عنه ولما دبروا هذه الحيلة اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بها فلم تتم لهم
ولم يحصل لها اثر في قلوب المومنين ولولا هذا الاعلام من الله تعالى لكان ربما اثر ذلك
في قلوب بعض من كان في ايمانه ضعف قوله عز وجل ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم
هذا متصل بالاول وهو من قول اليهود يقول بعضهم لبعض ولا تومنوا اي ولا تصدقوا
الا لمن تبع دينكم اي وافق ملتكم التي انتم عليها وهي اليهودية واللام في لمن صلة كقوله
ردف لكم اي ردفكم قل ان الهدى هدى الله اي ان الدين دين الله والبيان بيانه وهذا
خبر من الله تعالى ثم اختلفوا فيه فمنهم من قال هذا كلام معترض بين كلامين وما بعده
متصل بالكلام الاول وهو اخبار عن قول اليهود بعضهم لبعض ومعنى الاية ولا تومنوا
الا لمن تبع دينكم ولا تومنوا ان يوتى احد مثل ما اوتيتم من العلم والحكمة والكتاب
والايات من فلق البحر وانزال المن والسلوى عليكم وغير ذلك من الكرامات ولا تومنوا
ان يحاجوكم عند ربكم لانكم اصح دينا منهم فلما اخبر الله تعالى عن اليهود بذلك قال في
اثناء ذلك قل ان الهدى هدى الله والمعنى ان الذي انتم عليه انما صار دينا بامر الله
بحكم الله وامره فاذا امر بدين اخر وجب اتباعه والانقياد لحكمه لانه هو الذي
هدى اليه وامر به وقيل معناه قل لهم يا محمد ان الهدى هدى الله وقد جئتكم به
ولن ينفعكم في دفعه هذا الكيد الضعيف وقرا الحسن والاعمش ان يوتى بكسر الالف
فيكون قول اليهود تاما عند قوله الا لمن تبع دينكم وما بعده من قول الله تعالى والمعنى
قل يا محمد ان الهدى هدى الله ان يوتى احد مثل ما اوتيتم وتكون بمعنى الجحد اي ما يوتى

احد

ان يوتى احد مثل ما اوتيتم يا امة محمد من الدين والهدى او يحاجوكم عند ربكم يعني
الا ان يحاجوكم اليهود بالباطل فيقولوا نحن افضل منكم وقوله عند ربكم اي عند
فعل ربكم وقيل او في قوله او يحاجوكم بمعنى حتى ومعنى الاية ما اعطى الله احدا
مثل ما اعطيتم يا امة محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكم وقرا ابن كثير
آن يوتى بالمد على الاستفهام وحينئذ يكون في الكلام اختصار تقديره
ان يوتى احد مثل ما اوتيتم يا معشر اليهود من الكتاب والحكمة تحسدونه ولا
تومنون به هذا قول قتادة والربيع قالا هذا من قول الله تعالى يقول قل يا محمد ان
الهدى هدى الله بان انزل كتابا مثل كتابكم وبعث نبيا مثل نبيكم حسدتموه وكفرتم
به قل ان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء وقوله او يحاجوكم على هذه القراءة
رجوع الى خطاب المومنين ويكون او بمعنى ان لانهما حرفا شرط وجزاء يوضع
احدهما موضع الاخر والمعنى وان يحاجوكم يا معشر المومنين عند ربكم قل يا محمد ان
الهدى هدى الله ونحن عليه ويحتمل ان يكون الجميع خطابا للمومنين ويكون نظم
الاية ان يوتى احد مثل ما اوتيتم يا معشر المومنين فانه حسدكم فقل ان الفضل
بيد الله فان حاجوكم فقل ان الهدى هدى الله ويحتمل ان يكون الخبر عن اليهود
قد تم عند قوله لعلهم يرجعون وقوله ولا تومنوا من كلام الله تعالى تثبت به قلوب
المومنين لئلا يشكوا عند تلبيس اليهود وتزويرهم في دينهم يقول الله لا تصدقوا
يا معشر المومنين الا لمن تبع دينكم ولا تصدقوا ان يوتى احد مثل ما اوتيتم من الدين
والفضل ولا تصدقوا ان يحاجوكم عند ربكم او يقدروا على ذلك فان الهدى هدى
الله وان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء والله واسع عليم فتكون الاية كلها خطابا
للمومنين عند تلبيس اليهود لئلا يرتابوا ولا يشكوا وقوله تعالى قل ان الفضل بيد الله
يعني قل لهم يا محمد ان التوفيق للايمان والهداية للاسلام بيد الله اي انه مالك له
وقادر عليه دونكم ودون ساير خلقه يوتيه من يشاء يعني الفضل الذي هو
دين الاسلام يعطيه من يشاء من عباده ويوفق له من اراد من خلقه وفيه تكذيب
لليهود في قولهم ان يوتى احد مثل ما اوتيتم فقال الله تعالى ردا عليهم قل ليس ذلك
اليكم وانما الفضل بيد الله يوتيه من يشاء واصل الفضل في اللغة الزيادة واكثر



غضبان فانزل الله عز وجل تصديق ذلك ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم
ثمنا قليلا الاية فدخل الاشعث بن قيس الكندي فقال ما يحدثكم ابو عبد الرحمن
قلنا كذا وكذا فقال صدق فيّ نزلت كان بيني وبين رجل خصومة في بئر
فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
شاهداك او يمينه قلت انه اذا يحلف ولا يبالي فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي الله
وهو عليه غضبان ونزلت ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا
الى اخر الاية واخرجه الترمذي وابو داود وقالا ان الحكومة كانت بين الاشعث
وبين رجل يهودي وقيل نزلت هذه الاية في رجل اقام سلعة في السوق
فحلف لقد اعطي بها ما لم يعطه خ عن عبد الله بن ابي اوفى ان رجلا اقام سلعة
وهو في السوق فحلف بالله لقد اعطي بها ما لم يعط ليوقع فيها من المسلمين
فنزلت ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى اخر الاية وقيل
الاقرب حمل الاية على الكل فقوله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله يدخل فيه
جميع ما امر الله به ويدخل فيه العهود والمواثيق الماخوذة من جهة الرسل
ويدخل فيه ما يلزم الرجل نفسه من عهد وميثاق فكل ذلك من عهد الله
الذي يجب الوفاء به ومعنى ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله يعني
الامانة وايمانهم يعني الكاذبة ثمنا قليلا يعني شيئا يسيرا من حطام الدنيا
وذلك لان المشتري ياخذ شيئا فكل واحد من المعطي والماخوذ ثمن للاخر
فهذا معنى الشرا اولئك يعني من هذه صفته لا خلاق لهم في الاخرة ونعيمها
وجميع منافعها ولا يكلمهم الله يعني كلاما يسرهم به او ينفعهم وقيل هو بمعنى
الغضب ولا ينظر اليهم يوم القيمة اي لا يرحمهم ولا يحسن اليهم ولا ينيلهم خيرا ولا يزكيهم
اي لا يطهرهم من الذنوب ولا يثني عليهم بجميل ولهم عذاب اليم يعني في الاخرة ق عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر
اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم رجل حلف على سلعة لقد اعطي بها اكثر مما اعطي
وهو كاذب ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال امرئ مسلم

ورجل

من تفسير الخازن من الجزء الاول ٢٥

٣٣٦



ورجل منع فضل ماء فيقول الله اليوم امنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل
يداك م عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم
القيمة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم قال فقراها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلاث مرات فقلت خابوا وخسروا من هم يا رسول الله قال
المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب وللنسائي المنان بما اعطى
والمسبل ازاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب م عن ابي امامة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه حرم الله عليه
الجنة واوجب له النار قالوا يا رسول الله وان كان شيئا يسيرا قال وان كان
قضيبا من اراك قوله عز وجل وان منهم يعني من اليهود لفريقا يعني طائفة
وجماعة وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وابو ياسر
وشعبة بن عمرو الشاعر يلوون اي يعطفون ويميلون واصل اللي الفتل من قولك
لويت يده اذا فتلتها السنتهم بالكتاب يعني بالتحريف والتغيير والتبديل وتحريف
الكلام تقليبه عن وجهه لان المحرف يلوي لسانه عن سنن الصواب بما ياتي به من
عند نفسه قال الواحدي ويحتمل ان يكون المعنى ويلوون بالسنتهم الكتاب
لانهم يحرفون الكتاب عما هو عليه بالسنتهم بما توتى به على القلب ونقل الامام
فخر الدين عن القفال قال يلوون السنتهم معناه ان يعمدوا الى اللفظة فيحرفونها
في حركات الاعراب تحريفا يتغير به المعنى وهذا كثير في لسان العرب فلا يبعد
مثله في العبرانية فلما فعلوا ذلك في الايات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
من التوراة كان ذلك هو المراد من قوله يلوون السنتهم بالكتاب وقيل انهم غيروا
صفة النبي صلى الله عليه وسلم من التوراة وبدلوها واية الرجم وغير ذلك مما
بدلوا وغيروا لتحسبوه من الكتاب يعني لتظنوا ان الذي حرفوه وبدلوه من الكتاب
الذي انزله الله على انبيائه وما هو من الكتاب يعني ذلك الذي يزعمون انه من
الكتاب ما هو منه ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله يعني الذي يقولونه
ويغيرونه وانما كرر هذا بلفظين مختلفين مع اتحاد المعنى لاجل التاكيد ويقولون
على الله الكذب وهم يعلمون يعني انهم كانوا كاذبين وقال ابن عباس ان الاية نزلت

بيان لفريقا

في اليهود والنصارى جميعا وذلك انهم حرفوا التوراة والانجيل واسقطوا
ما البسونه قوله تعالى ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة
ان نصارى نجران قالوا ان عيسى امرهم ان يتخذوه ربا فقال الله تعالى ردا عليهم
ما كان لبشر يعني عيسى ان يؤتيه الله الكتاب يعني الانجيل وقال ابن عباس في
قوله تعالى ما كان لبشر يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ان يؤتيه الله الكتاب يعني القرآن
وذلك ان ابا رافع من اليهود والسيد من نصارى نجران قالا يا محمد تريد
ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان امر بعبادة غير الله وما بذلك امرني
الله وما بذلك بعثني فانزل الله هذه الاية ما كان لبشر اي ما ينبغي لبشر
وهو جمع بني ادم لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط ويوضع موضع الواحد
والجمع ان يؤتيه الله الكتاب والحكم يعني الفهم والعلم وقيل امضاء الحكم عن الله تعالى
والنبوة يعني المنزلة الرفيعة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ومعنى
الاية انه لا يجتمع لرجل نبوة مع القول للناس كونوا عبادا لي من دون الله وكيف
يدعوا الناس الى عبادة نفسه دون الله وقد اتاه الله ما اتاه من الكتاب والحكم
والنبوة وذلك ان الانبيا موصوفون بصفات لا تحصل معها ادعاء الالهية
والربوبية منها ان الله تعالى اتاهم الكتب السماوية ومنها اتاء النبوة ولا يكون
الا بعد كمال العلم وكل هذه تمنع من هذه الدعوى ولكن كونوا ربانيين يعني ولكن
يقول لهم كونوا ربانيين فاضمر القول على حسب مذهب العرب في جواز الاضمار
اذا كان في الكلام ما يدل عليه واختلفوا في معنى الرباني فقال ابن عباس معناه
كونوا فقهاء علماء وعنه كونوا فقهاء معلمين وقيل معناه حكماء حلماء وقيل الرباني
الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره وقيل الرباني العالم الذي يعمل بعلمه
وقيل الرباني العالم بالحلال والحرام والامر والنهي وقيل الرباني الذي جمع بين علم
البصيرة والعلم بسياسة الناس ولما مات ابن عباس قال محمد بن الحنفية اليوم
مات رباني هذه الامة قال سيبويه الرباني المنسوب الى الرب بمعنى كونه عالما به
ومواظبا على طاعته وزيادة الالف والنون فيه للدلالة على كمال هذه الصفة
وقال المبرد الربانيون ارباب العلم واحدهم رباني وهو الذي يرب العلم ويرب الناس

اي يعلمهم

اي [illegible] والالف والنون للمبالغة فعلى قول سيبويه الرباني منسوب
الى الرب على معنى التخصيص بمعرفة الرب وطاعته وعلى قول المبرد الرباني
مأخوذ من التربية وقيل الربانيون هم ولاة الامر والعلماء وهم الفريقان
اللذان يطاعان ومعنى الاية على هذا التاويل لا ادعوكم الى ان تكونوا عبادا لي
ولكن ادعوكم الى ان تكونوا ملوكا وعلماء ومعلمي الناس الخير ومواظبين على طاعة
الله وعبادته وقال ابو عبيدة احسب ان هذه الكلمة ليست عربية انما هي عبرانية
او سريانية وسواء كانت عربية او عبرانية فهي تدل على الذي علم وعمل بما علم وعلم
الناس طريق الخير قوله تعالى بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون اي كونوا
ربانيين بسبب كونكم عالمين ومعلمين وبسبب دراستكم الكتاب فدلت الاية
على ان العلم والتعليم والدراسة توجب كون الانسان ربانيا فمن اشتغل بالعلم
والتعليم لا لهذا المقصود ضاع علمه وخاب سعيه قوله عز وجل ولا يامركم
قرئ بنصب الراء عطفا على قوله ثم يقول فيكون مردودا على البشر وقيل على اضمار ان اي
ولا ان يامركم وقرئ برفع الراء على الاستئناف وهو ظاهر ومعناه ولا يامركم الله
وقيل ولا يامركم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ولا يامركم عيسى وقيل ولا يامركم الانبيا
ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا يعني كفعل قريش والصابئين حيث قالوا
الملائكة بنات الله وكفعل اليهود والنصارى حيث قالوا في المسيح والعزير ما قالوا
وانما خص الملائكة والنبيين بالذكر لان الذين وصفوا بعبادة غير الله عز وجل من
اهل الكتاب لم يحك عنهم الا عبادة الملائكة وعبادة المسيح وعزير فلهذا المعنى
خصهم بالذكر ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون انما قاله على طريق التعجب والانكار
يعني لا يقول هذا ولا يفعله قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين قال
الزجاج موضع اذ نصب المعنى واذكر في اقاصيصك اذ اخذ الله وقال الطبري
معناه واذكروا يا اهل الكتاب اذ اخذ الله يعني حين اخذ الله ميثاق النبيين واصل
الميثاق في اللغة عقد يؤكد بيمين ومعنى ميثاق النبيين ما وثقوا به على انفسهم
من طاعة الله فيما امرهم به ونهاهم عنه وذكروا في معنى اخذ الميثاق وجهين
احدهما انه ماخوذ من الانبيا والثاني انه ماخوذ لهم من غيرهم فلهذا السبب اختلفوا

في المعني بهذه الاية فذهب قوم الى ان الله تعالى اخذ الميثاق من النبيين خاصة
قبل ان يبلغوا كتاب الله ورسالاته الى عباده ان يصدق بعضهم بعضا واخذ
العهد على كل نبي ان يومن بمن ياتي بعده من الانبيا وينصره ان ادركه وان لم
يدركه ان يامر قومه بنصرته ان ادركوه فاخذ الميثاق من موسى ان يومن بعيسى
ومن عيسى ان يومن بمحمد صلى الله عليه وسلم اجمعين وهذا قول سعيد بن جبير
والحسن وطاوس وقيل انما اخذ الميثاق من النبيين في امر محمد صلى الله عليه وسلم
خاصة وهو قول علي وابن عباس وقتادة والسدي فعلى هذا القول اختلفوا فقيل
انما اخذ الله الميثاق على اهل الكتاب الذي ارسل اليهم النبيين ويدل عليه قوله
ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه وانما كان محمد صلى الله عليه وسلم
مبعوثا الى اهل الكتاب دون النبيين وانما اطلق هذا اللفظ عليهم لانهم كانوا
يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل كتاب والنبيون منا وقيل اخذ الله الميثاق
على النبيين واممهم جميعا في امر محمد صلى الله عليه وسلم فاكتفى بذكر الانبيا لان
العهد مع المتبوع عهد مع الاتباع وهو قول ابن عباس قال علي بن ابي طالب ما
بعث الله نبيا ادم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في امر محمد صلى الله عليه وسلم
واخذ هو العهد على قومه ليومنن به ولئن بعث وهم احيا لينصرنه وقيل ان
المراد من الاية ان الانبيا كانوا ياخذون العهد والميثاق على اممهم بانه اذا بعث
محمد صلى الله عليه وسلم ان يومنوا به وينصرونه وهذا قول كثير من المفسرين وقوله
لما اتيتكم من كتاب وحكمة قرئ بفتح اللام من لما وبكسرها مع التخفيف في القراتين
فمن قرا بفتح اللام فالمعنى للاية واذ اخذ الله ميثاق النبيين من اجل الذي اتاهم
من كتاب وحكمة **ثم جاءكم رسول** يعني ذكر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة لتومنن به
الذي عندكم في التوراة ومن قرا بكسر اللام جعل قوله لتومنن به من اخذ الميثاق كما
يقال اخذت ميثاقك لتفعلن لان اخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف فكان معنى
الاية واذ استحلف الله النبيين للذي اتاهم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول **مصدق
لما معهم لتومنن به ولتنصرنه** وقوله ثم جاءكم رسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
مصدقا لما معكم وذلك ان الله وصفه في كتب الانبيا المتقدمة وشرح فيها

احواله

احواله فاذا جاء وكانت صفاته واحواله مطابقة لما في كتبهم المنزلة فقد صار
[illegible] فيجب الايمان به والانقياد لقوله واللام في قوله لتومنن به لام
القسم تقديره والله لتومنن به ولتنصرنه قال البغوي قال الله عز وجل
للانبيا حين استخرج الذرية من صلب ادم والانبيا فيهم كالمصابيح اخذ عليهم
الميثاق في امر محمد صلى الله عليه وسلم وقال الامام فخر الدين الرازي يحتمل ان يكون
هذا الميثاق ما قرر في عقولهم من الدلائل على ان الانقياد لامر الله واجب فاذا جاء
رسول وظهرت المعجزات الدالة على صدقه فاذا اخبرهم بعد ذلك ان الله امر الخلق
بالايمان به عرفوا عند ذلك وجوبه فتقرير هذا الدليل في عقولهم فهذا هو
المراد من الميثاق **قال اقررتم** يعني قال الله اقررتم فان فسرنا ان اخذ الميثاق
كان من النبيين كان معناه قال الله تعالى للنبيين اقررتم بالايمان به والنصر له
وان فسرنا بان اخذ الميثاق كان على الامم كان معناه قال كل نبي لامته اقررتم
وذلك لان الله تعالى اضاف اخذ الميثاق الى نفسه وان كان النبيون اخذوه
على الامم فلذلك طلب هذا الاقرار واضافه الى نفسه وان وقع من الانبيا
والمقصود ان الانبيا بالغوا في اثبات هذا الميثاق وتاكيده على الامم وطالبوهم
بالقبول واكدوا ذلك بالاشهاد **واخذتم على ذلكم اصري** اي عهدي الميثاق والاصر
العهد الثقيل وقيل سمي العهد اصرا لانه مما يوصر اي يشد ويعقد **قالوا اقررنا**
اي قال النبيون اقررنا بما الزمتنا من الايمان برسلك الذين ترسلهم مصدقين
لما معنا من كتبك **قال فاشهدوا** يعني قال الله عز وجل للنبيين فاشهدوا
يعني انتم على انفسكم وقيل على اممكم واتباعكم الذين اخذتم عليهم الميثاق وقيل
قال الله للملائكة فاشهدوا وهو كناية عن غير مذكور وقيل معناه فاعلموا وبينوا
لان اصل الشهادة العلم والبيان **وانا معكم من الشاهدين** يعني قال الله للانبيا
وانا معكم من الشاهدين عليكم وعلى اتباعكم وقيل للملائكة وانا معكم
من الشاهدين عليهم **فمن تولى** اي اعرض عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ونصرته
بعد ذلك الاقرار **فاولئك هم الفاسقون** اي خارجون عن الايمان
والطاعة قوله عز وجل **افغير دين الله يبغون** وذلك ان اهل الكتاب

اختلفوا فادعى كل فريق منهم انه على دين محمد صلى الله عليه وسلم ...
منهم انه على دين ابراهيم فاختصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ...
صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بري من دين ابراهيم فغضبوا وقالوا لا نرضى
بقضائك ولا ناخذ بدينك فانزل الله افغير دين الله الهمزة للاستفهام والمراد
منه الانكار والتوبيخ يعني افبعد اخذ الميثاق عليهم ووضوح الدلائل
لهم ان دين ابراهيم هو دين الاسلام يبغون قرئ بالتاء على خطاب الحاضر اي افغير
دين الله تطلبون يا معشر اليهود والنصارى وقرئ بالياء على الغيبة ردا على قوله
فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون وله اسلم اي خضع وانقاد من في
السموات والارض طوعا وكرها الطوع الانقياد والاتباع بسهولة والكره
ما كان من ذلك بمشقة واباء من النفس واختلفوا في قوله طوعا وكرها فقيل
اسلم اهل السموات طوعا واسلم بعض اهل الارض طوعا وبعضهم كرها من خوف
القتل والسبي وقيل اسلم المومن طوعا وانقاد واسلم الكافر كرها وقيل هذا في يوم
اخذ الميثاق وحين قال الست بربكم قالوا بلى فمن سبقت له السعادة قال ذلك
طوعا ومن سبقت له الشقاوة قال ذلك كرها وقيل اسلم المومن طوعا فنفعه
اسلامه يوم القيمة والكافر يسلم كرها عند الموت في وقت الباس ولم ينفعه
ذلك يوم القيمة وقيل انه لا سبيل لاحد من الخلق الى الامتناع على الله في
مراده فاما المسلم فينقاد لله تعالى فيما امره به او نهاه عنه طوعا واما الكافر
فينقاد لله كرها في جميع ما يقضي عليه ولا يمكنه دفع قضائه وقدره عنه
واليه ترجعون قرئ بالتاء والياء والمعنى ان مرجع الخلق كلهم الى الله يوم القيمة
ففيه وعيد عظيم لمن خالفه في الدنيا قوله تعا قل امنا بالله لما ذكر الله عز وجل
في الاية المتقدمة اخذ الميثاق على الانبياء في تصديق الرسول الذي ياتي مصدقا
لما معهم بين في هذه الاية ان من صفة محمد صلى الله عليه وسلم كونه مصدقا لما
معهم فقال تعالى قل امنا بالله وانما وحد الضمير في قوله قل وجمع في قوله امنا
لانه انما خاطبه بلفظ الواحد ليدل هذا الكلام على انه المبلغ لهذا التكليف
عن الله الى الخلق لا غيره ثم قال امنا تنبيها على انه حين قال هذا القول وافقه اصحابه

نحسن

... امنا ومعنى الاية قل يا محمد صدقنا بالله انه ربنا والهنا
لا اله غيره ولا رب سواه وانما قدم الايمان بالله على غيره لانه الاصل وما
انزل علينا يعني وقرانا به وصدقنا ايضا بما انزل علينا من وحيه وتنزيله
وانما قدم ذكر القران لانه اشرف الكتب وانه لم يحرف ولم يبدل وغيره حرف
وبدل وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما
اوتي موسى وعيسى انما خص هولاء الانبيا بالذكر لان اهل الكتاب يعترفون
بوجودهم ولم يختلفوا في نبوتهم والاسباط هم اولاد يعقوب الاثني عشر
وكانوا انبيا ثم عمم جميع الانبيا فقال والنبيون اي وما اوتي النبيون من ربهم
لا نفرق بين احد منهم وذلك ان اهل الكتاب يومنون ببعض النبيين ويكفرون
ببعض فامر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يخبر عن نفسه وعن
امته انه يومن بجميع الانبيا فان قلت لم عدي انزل في هذه الاية بحرف
الاستعلا وفيما تقدم من مثلها في البقرة بحرف الانتها قلت لوجود المعنيين
جميعا لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فجا تارة باحد المعنيين وتارة بالمعنى
بالمعنى الاخر ونحن له مسلمون اي موحدون مخلصون انفسنا له لا نجعل له
شريكا في عبادتنا قوله عز وجل ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه يعني
ان الدين المقبول عند الله هو دين الاسلام وان كل دين سواه غير مقبول عنده لان
الدين الصحيح ما يامر الله به ويرضى عن فاعله ويثيبه عليه وهو في الاخرة
من الخاسرين يعني الذين وقعوا في الخسار وهو حرمان الثواب وحصول العقاب
وروى ابن جرير الطبري عن عكرمة في قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل
منه قالت اليهود فنحن مسلمون فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم قل
لهم ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا قوله تعا كيف يهدي الله قوما كفروا
بعد ايمانهم نزلت في اثني عشر رجلا ارتدوا عن الاسلام وخرجوا من المدينة
واتوا مكة كفارا منهم الحارث بن سويد الانصاري وطعمة بن ابيرق وحوح بن
الاسلت وقال ابن عباس نزلت في اليهود والنصارى وذلك ان اليهود كانوا
قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يستفتحون به على الكفار ويقرون به ويقولون

قد اظل زمان نبي مبعوث فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كفروا به حسدا وبغيا
ومعنى كيف يهدي الله كيف يرشد الله للصواب ويوفق للايمان قوما كفروا
اي جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم اي تصديقهم اياه واقرارهم
به وبما جاء به من عند ربه **وشهدوا ان الرسول حق** يعني وبعد ان اقروا وشهدوا
ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله الى خلقه وانه حق وصدق **وجاءهم البينات**
يعني بالحجج والبراهين والمعجزات الدالة على صحة النبوة التي بمثلها تثبت النبوة
والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يوفقهم الى الحق والصواب لما سبق في علمه
تعالى انهم ظالمون وقيل لا يهديهم في الاخرة الى الجنة والثواب فان قلت كيف قال
في اول الاية كيف يهدي الله قوما كفروا وقال في اخرها والله لا يهدي القوم الظالمين
وهذا تكرار قلت ليس فيه تكرار لان قوله كيف يهدي الله قوما كفروا انما هو مختص
باولئك المرتدين عن الاسلام ثم انه تعالى عمم ذلك الحكم في اخر الاية فقال والله
لا يهدي القوم الظالمين يعني جميع الكفار المرتدين والكافر الاصلي وانما سمي الكافر
ظالما لانه وضع العبادة في غير موضعها **اولئك جزاؤهم** يعني الذين كفروا بعد
ايمانهم **ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها** اي في عذاب
اللعنة وقد تقدم تفسير هذه الاية في سورة البقرة **لا يخفف عنهم العذاب**
ولا هم ينظرون اي ولا يؤخرون عن وقت العذاب ولا يؤخر عنهم من وقت الى وقت
ثم استثنى سبحانه وتعالى فقال **الا الذين تابوا من بعد ذلك** يعني من بعد ارتدادهم
وكفرهم وذلك ان الحارث بن سويد الانصاري لما لحق بالكفار ندم على ذلك فارسل
الى قومه ان سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة ففعلوا فانزل الله
الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا الاية فبعث بها اخوه الجلاس مع رجل من قومه
فاقبل الى المدينة تائبا وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته وحسن اسلامه
واصلحوا اي وضموا الى التوبة الاعمال الصالحة فبين ان التوبة وحدها لا تكفي
حتى يضاف اليها العمل الصالح وقيل معناه واصلحوا باطنهم مع الحق بالمراقبات
وظاهرهم مع الخلق بالعبادات والطاعات **فان الله غفور رحيم** اي غفور لقبائحهم
في الدنيا بالستر رحيم في الاخرة بالعفو وقيل غفور بازالة العذاب رحيم باعطاء

الثواب

نزلت في اليهود وذلك قوله تعالى **ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل
توبتهم** نزلت في اليهود وذلك انهم كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى
وغيره من انبيائهم ثم ازدادوا كفرا يعني كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم لما رأوه بعد
ايمانهم به قبل مبعثه لما ثبت عندهم من نعته وصفته في كتبهم ثم ازدادوا
كفرا يعني ذنوبا في حال كفرهم وقيل نزلت في جميع الكفار وذلك انهم اشركوا
بالله بعد اقرارهم بان الله خالقهم ثم ازدادوا كفرا يعني باقامتهم على كفرهم
حتى هلكوا عليه وقيل زيادة كفرهم هو قولهم نتربص بمحمد ريب المنون وقيل
نزلت في احد عشر رجلا من اصحاب الحارث بن سويد الذين ارتدوا عن الاسلام
فلما رجع الحارث الى الاسلام اقاموا على كفرهم بمكة وقالوا نقيم على الكفر ما بدا لنا فمتى
اردنا الرجعة ينزل فينا ما نزل في الحارث فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم
مكة فمن دخل منهم في الاسلام قبلت توبته ونزل فيمن مات منهم على كفره ان الذين كفروا
وماتوا وهم كفار الاية فان قلت قد وعد الله قبول التوبة ممن تاب فما معنى قوله
تعالى لن تقبل توبتهم قلت اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى لن تقبل توبتهم فقال
الحسن وقتادة وعطاء والسدي لن تقبل توبتهم حين يحضرهم الموت وهو وقت
الحشرجة لان الله تعالى قال وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم
الموت قال اني تبت الان فان الذي يموت على الكفر لا تقبل توبته كانه قال اليهود او
الكفار او المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا ثم ماتوا على ذلك لن تقبل توبتهم وقال
ابن عباس انهم الذين ارتدوا وعزموا على اظهار التوبة لستر احوالهم والكفر في
ضمائرهم وقال ابو العالية هم قوم تابوا من ذنوب عملوها في حال الشرك ولم يتوبوا
من الشرك فان توبتهم في حال الشرك غير مقبولة وقال مجاهد لن تقبل توبتهم
اذا ماتوا على الكفر وقال ابن جرير الطبري معنى لن تقبل توبتهم مما ازدادوا من الكفر
على كفرهم بعد ايمانهم لا من كفرهم لان الله تعالى وعد ان يقبل التوبة عن عباده وانه
قابل توبة كل تائب من كل ذنب لقوله الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله
غفور رحيم فعلم ان المعنى الذي لا يقبل التوبة منه غير المعنى الذي يقبل منه فصح بهذا
ان الذي لا يقبل توبته هو الازدياد على الكفر بعد الكفر لا يقبل الله منه توبة ما اقام على كفره

لان الله تعالى لا يقبل عمل من مات على الشرك [illegible]
فان الله كما وصف نفسه غفور رحيم وقوله تعالى واولئك هم الضالون
الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا هم الذين ضلوا عن سبيل الحق واخطاوا
منهاجه قوله تعالى ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار قال ابن عباس لما فتح رسول
الله صلى الله عليه وسلم مكة دخل من كان من اصحاب الحارث بن سويد حيا في الاسلام
فنزلت هذه الاية فيمن مات منهم على الكفر وقيل نزلت فيمن مات كافرا من جميع
اصناف الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام فالاية عامة في جميع من
مات على الكفر فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا اي قدر ما يملأ الارض من شرقها
الى غربها ولو افتدى به قيل معناه لو افتدى به والواو زائدة مقحمة وقيل الواو على
حالها وفائدتها انما للعطف والتقدير لو تقرب الى الله بملء الارض ذهبا وقد مات على
كفره لم ينفعه ذلك ولو افتدى من العذاب بملء الارض ذهبا لن يقبل منه
وهذا اوكد في التغليظ لانه تصريح بنفي القبول من جميع الوجوه فان قلت الكافر لا يملك
شيئا في الاخرة فما وجه قوله فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا قلت الكلام ورد
على سبيل الفرض والتقدير والمعنى لو ان للكافر قدر ملء الارض ذهبا يوم القيمة
لبذله في تخليص نفسه من العذاب ولكن لا يقدر على شيء من ذلك وقيل معناه لو ان
الكافر انفق في الدنيا ملء الارض ذهبا ثم مات على كفره لم ينفعه ذلك لان الطاعة
مع الكفر غير مقبولة اولئك اشارة الى من مات على الكفر لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين
يعني مانعين يمنعونهم من العذاب ق عن انس بن ملك عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال يقول الله عز وجل لاهون اهل النار عذابا يوم القيمة لو ان لك ما في الارض
من شيء اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقول اردت منك اهون من هذا وانت
في صلب ادم لا تشرك بي شيا فابيت الا الشرك لفظ مسلم قوله عز وجل لن تنالوا
البر قال ابن عباس يعني الجنة وقيل البر هو التقوى وقيل هو الطاعة وقيل معناه لن
تنالوا حقيقة البر ولن تكونوا ابرارا حتى تنفقوا مما تحبون وقيل معناه لن تنالوا
بر الله وهو ثوابه واصل البر التوسع في فعل الخير يقال بر العبد ربه اي توسع
في طاعته فالبر من الله الثواب ومن العبد الطاعة وقد يستعمل في الصدق وحسن

الخلق



[illegible] عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى
[illegible] يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق
[illegible] عند الله وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل
[illegible] حتى يكتب عند الله كذابا م عن النواس بن سمعان قال سالت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك
وكرهت ان يطلع عليه الناس مسلم فعلى هذا يكون المعنى عليكم بالاعمال الصالحة
حتى تكونوا ابرارا وتدخلوا في زمرة الابرار ودس قال ان لفظ البر هو الجنة قال معنى
الاية لن تنالوا ثواب البر المودي الى الجنة حتى تنفقوا مما تحبون يعني من جيد
اموالكم وانفسها عندكم قال الله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وقيل هو
ان تنفق من مالك ما انت محتاج اليه قال الله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان
بهم خصاصة ق عن ابي هريرة قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال
يا رسول الله اي الصدقة افضل قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر
وتامل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا
الا وقد كان واختلفوا في هذا الانفاق فقال ابن عباس هو الزكاة المفروضة
والمعنى لن تنالوا البر حتى تخرجوا زكاة اموالكم فعلى هذا قيل ان الاية منسوخة باية
الزكاة وفيه بعد لانه ترغيب في اخراج الزكاة وقال ابن عمر المراد بها سائر الصدقات
وقال الحسن كل شيء انفقه المسلم من ماله مما يبتغي به وجه الله ويطلب ثوابه
حتى التمرة فانه يدخل في قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون عن انس بن
مالك قال كان ابو طلحة اكثر انصاري بالمدينة مالا وكان احب ماله اليه بيرحا
وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب
من ماء فيها طيب قال انس فلما نزلت هذه الاية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
قام ابو طلحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان الله تعالى
يقول في كتابه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان احب اموالي الي بيرحا
وانها صدقة لله عز وجل ارجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث
شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذلك مال رابح او قال ذلك مال رابح

ارى ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها ابو طلحة
في اقاربه وبني عمه قوله بخ بخ هي كلمة تقال عند المدح والرضى وتكرر
للمبالغة وهي مبنية على السكون فاذا وصلت حركت ونونت فقلت بخٍ بخٍ
وقيل بخ بخ قوله مال رابح اي ذو ربح وفي الرواية الاخرى ذاك مال رايح بالياء
معناه يروح عليك نفعه وثوابه وبيرحا اسم موضع بالمدينة وهو حائط
كان لابي طلحة وروي عن مجاهد قال كتب عمر بن الخطاب لابي موسى الاشعري
ان يبتاع جارية من سبي جلولا يوم فتحت فلما جاءت اعجبته فقال عمر ان الله
عز وجل يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها عمر وعن حمزة بن
عبد الله بن عمر ان عبد الله بن عمر خطرت على قلبه هذه الاية لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون قال عبد الله فذكرت ما اعطاني الله تعالى فما كان شيء احب
الي من فلانة فقلت هي حرة لوجه الله تعالى قال ولولا اني لا اعود في شيء
جعلته لله لنكحتها وعن عمرو بن دينار قال لما نزلت هذه الاية لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون جاء زيد بن حارثة بفرس يقال لها سبل كان يحبها الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال تصدق بهذه يا رسول الله فاعطاها رسول الله صلى الله
عليه وسلم اسامة بن زيد بن حارثة فقال يا رسول الله انما اردت ان اتصدق بها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبلت صدقتك وفي رواية كان زيدا
وجد في نفسه فلما راى ذلك منه النبي صلى الله عليه وسلم قال اما ان الله قد قبلها
وروي ان ابا ذر نزل به ضيف فقال للراعي ائتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة
فقال للراعي خنتني فقال الراعي وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم
اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي وقوله تعالى **وما تنفقوا من
شيء** يعني من اي شيء كان من طيب تحبونه او من خبيث تكرهونه **فان الله به عليم**
اي يعلمه ويجازيكم به قوله تعالى **كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم
اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة** سبب نزول هذه الاية
ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك تزعم انك على ملة ابرهيم وكان ابرهيم
لا ياكل لحوم الابل والبانها وانت تاكل ذلك كله فلست على ملته فقال النبي

صلى الله

صلى الله عليه وسلم كان ذلك حلالا لابرهيم قالوا كل ما نحرمه اليوم كان ذلك حراما
على نوح وابرهيم حتى انتهى الينا فانزل الله عز وجل كل الطعام كان حلا لبني اسرايل
الا ما حرم اسرائيل على نفسه وهو يعقوب من قبل ان تنزل التوراة يعني ليس
الامر على ما تدعيه اليهود من تحريم لحوم الابل على ابرهيم بل كان ذلك حلالا لا
على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب وانما حرمه يعقوب بسبب من الاسباب
وبقيت تلك الحرمة في اولاده فانكر اليهود ذلك فامرهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم باحضار التوراة وطلب منهم ان يستخرجوا منها ان ذلك حراما على
ابرهيم فعجزوا عن ذلك وافتضحوا وبان كذبهم فيما ادعوا من حرمة هذه
الاشياء على ابرهيم وقيل ان اليهود انكروا شرع محمد صلى الله عليه وسلم وادعوا
ان النسخ غير جائز فابطل الله ذلك عليهم واخبر ان الطعام كان حلالا لبني
اسرايل الا ما حرم اسرايل على نفسه فذلك الذي حرمه على نفسه كان حلالا
ثم صار حراما عليه وعلى اولاده فقد حصل النسخ وبطل قول اليهود بان النسخ
غير جائز فانكرت اليهود ذلك وقالوا بل كان ذلك حراما من زمن ادم الى هذا
الوقت فالزمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التوراة وقال ان التوراة
ناطقة بان بعض الطعام انما حرم بسبب ان اسرايل حرمه على نفسه فخاف اليهود
من الفضيحة وامتنعوا من احضار التوراة فحصل بذلك كذبهم وانهم ينسبون
الى التوراة ما ليس فيها وبطل قولهم بان النسخ غير جائز وفي هذا دليل على صحة
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان رجلا اميا لم يقرا الكتب
ولم يعرف ما في التوراة فلما اخبرهم ان ذلك ليس في التوراة علم ان الذي اخبر به
صلى الله عليه وسلم انه وحي من الله تعالى وقوله كل الطعام يعني كل انواع الطعام
وسائر المطعومات كان حلا اي حلالا لبني اسرايل الا ما حرم اسرايل
على نفسه اسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابرهيم عليهم السلام واختلفوا في
الذي حرم يعقوب على نفسه فقيل حرم لحوم الابل والبانها وروى الطبري بسنده
عن ابن عباس ان عصابة من اليهود حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
يا ابا القاسم اخبرنا اي الطعام حرم اسرايل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم بالذي انزل التوراة على موسى هل تعلمون
ان يعقوب مرض مرضا شديدا فطال سقمه منه فنذر لله نذرا لئن شفاه
الله من سقمه ليحرمن احب الطعام والشراب اليه وكان احب الطعام
اليه لحمان الابل واحب الشراب اليه البانها فقالوا اللهم نعم وقال ابن
عباس هي العروق وكان سبب ذلك انه اشتكى عرق النسا وكان اصل وجعه
فيما روي عن الضحاك ان يعقوب كان نذر لئن وهب الله له اثني عشر ولدا
واتى بيت المقدس صحيحا ان يذبح احدهم وفي رواية اخرهم فتلقاه ملك
من الملائكة وقال يا يعقوب انك رجل قوي فهل لك في الصراع فعالجه فلم يصرع
احدهما صاحبه فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق النسا من ذلك ثم قال اما
انا لو شئت ان اصرعك لفعلت ولكن غمزتك هذه الغمزة لانك نذرت
ان اتيت بيت المقدس صحيحا ذبحت اخر ولدك فجعل الله لك بهذه الغمزة
من ذلك مخرجا فلما قدم يعقوب بيت المقدس اراد ذبح ولده ونسي ما قال
له الملك فاتاه الملك وقال له انما غمزتك للمخرج وقد وفي نذرك فلا سبيل
الى ذبح ولدك وقال ابن عباس في اخرى اقبل يعقوب من حران يريد بيت المقدس
حين هرب من اخيه العيص وكان يعقوب رجلا بطشا قويا فلقيه ملك في
صورة رجل فظن يعقوب انه لص فعالجه ان يصرعه فغمز الملك فخذ يعقوب
وصعد الى السما ويعقوب ينظر فهاج به عرق النسا ولقي منه شدة فكان
لا ينام الليل من الوجع ويبيت وله زقا اي صياح فحلف يعقوب لئن شفاه
الله ان لا ياكل عرقا ولا طعاما فيه عرق فحرمه على نفسه فكان بنوه بعد
ذلك يتتبعون العروق فيخرجونها من اللحم ولا ياكلونها وقيل لما اصاب
يعقوب ذلك وصف له الاطبا تجنب لحمان الابل فحرمها يعقوب على
نفسه وقيل انما حرم يعقوب لحوم الجزور تعبدا لله تعالى وسال ربه ان
يجيز ذلك فحرمه على ولده وهو ظاهر الاية لان الله تعالى قال كل الطعام كان حلا
لبني اسرائيل ثم استثنى ما حرمه اسرائيل على نفسه فوجب بحكم الاستثنا
ان يكون ذلك حراما على بني اسرائيل اما قوله من قبل ان تنزل التوراة فمعناه

اذ قيل

[illegible] كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل سوى ما حرمه
اسرائيل على نفسه [illegible] اما بعد نزول التوراة فقد حرم الله عليهم اشيا كثيرة من
انواع الطعام ثم اختلفوا في حال هذا الطعام المحرم على بني اسرائيل بعد
نزول التوراة فقال السدي حرم الله عليهم في التوراة ما كانوا حرموه
على انفسهم قبل نزولها وقال عطية انما كان حراما عليهم بتحريم اسرائيل فانه
قال ان عافاني الله تعالى لا ياكله ولدي ولم يكن ذلك محرما عليهم في التوراة
وقال الكلبي لم يحرمه الله في التوراة وانما حرم عليهم بعد نزول التوراة بظلمهم
كما قال الله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات ما احلت لهم
وقال تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الى ان قال ذلك جزيناهم ببغيهم
وانا لصادقون فكانت بنو اسرائيل اذا اصابوا ذنبا عظيما حرم الله عليهم
طعاما طيبا او صب عليهم رجزا وهو الموت وقال الضحاك لم يكن شي من
ذلك حراما عليهم ولا حرمه الله في التوراة وانما حرموه على انفسهم اتباعا
لابيهم ثم اضافوا تحريمه الى الله عز وجل فكذبهم الله تعالى فقال تعالى قل فاتوا
بالتوراة يعني قل يا محمد لهم فاتوا بالتوراة فاتلوها اي فاقرؤوها وما فيها
حتى يتبين الامر كما قلتم ان كنتم صادقين يعني فيما ادعيتم فلم ياتوا بها وخافوا
الفضيحة فقال تعالى فمن افترى على الله الكذب الافترا اختلاق الكذب والافترا
الكذب والقذف والافساد واصله من فري الاديم اي قطعه لان الكاذب
يقطع القول من غير حقيقة له في الوجود من بعد ذلك اي من ظهور الحجة بان التحريم
انما كان من جهة يعقوب ولم يكن محرما قبله فاولئك هم الظالمون اي المستحقون
للعذاب لانهم كفروا وظلموا انفسهم ومن اضلوه عن الدين من بعدهم وهذا رد
على اليهود وتكذيب لهم حيث ارادوا براءة ساحتهم فيما نعى عليهم مما نطق به
القران من تعديد مساويهم التي كانوا يتكلمونها قل صدق الله يعني يا محمد
صدق الله فيما اخبر ان ذلك النوع من الطعام صار حراما على بني اسرائيل
واولاده بعد ان كان حلالا لهم فصح القول بالنسخ وبطل قول اليهود وقيل
معناه صدق الله في قوله ان لحوم الابل والبانها كانت محللة لابراهيم وانما

حرمت علي بني اسرائيل بسبب ...
في ان سائر الاطعمة كانت محللة علي بني اسرائيل و...
جزاء علي قبايح افعالهم ففيه تعريض بكذب اليهود والمعنى ...
تعالى صادق فيما انزل واخبر وانتم كاذبون يا معشر اليهود **فاتبعوا ملة**
ابراهيم حنيفا اي اتبعوا ما يدعوكم اليه محمد صلى الله عليه وسلم من ملة
ابراهيم وهي الاسلام وهو الدين الصحيح وهو الذي عليه محمد صلى الله عليه وسلم
ومن امن معه وانما دعاهم الي ملة ابراهيم لانها ملة محمد صلى الله عليه وسلم
وما كان من المشركين اي لم يدع مع الله الها اخر ولا عبد سواه **ان اول**
بيت وضع للناس للذي ببكة سبب نزول هذه الاية ان اليهود قالوا
للمسلمين بيت المقدس قبلتنا وهو افضل من الكعبة واقدم وهو مهاجر
الانبياء وقبلتهم وارض المحشر وقال المسلمون بل الكعبة افضل فانزل الله
هذه الاية وقيل لما ادعت اليهود والنصارى انهم علي ملة ابراهيم فاكذبهم
الله تعالى واخبر ان ابراهيم كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وامرهم
باتباعه فقال تعالى في الاية المتقدمة واتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وكان
من اعظم شعاير ابراهيم الحج الي الكعبة ذكر في هذه الاية فضيلة البيت ليفرع
عليه ايجاب الحج وقوله ان اول بيت وضع للناس الاول هو الفرد السابق
المتقدم علي ما سواه وقيل هو اسم للشي الذي يوجد ابتداء سواء حصل عقيبه
شي اخر او لم يحصل والمعنى ان اول بيت وضع للناس اي وضعه الله موضعا
للطاعات والعبادات وقبلة للصلوات وموضعا للحج والطواف وتزداد
فيه الخيرات وثواب الطاعات وكونه موضعا للناس يعني يشترك فيه جميع
الناس كما قال تعالى سواء العاكف فيه والباد فان قلت كيف اضافه الي نفسه
مرة في قوله وطهر بيتي واضافه الي الناس اخرى بقوله وضع للناس قلت
اما اضافته الي نفسه فعلى سبيل التشريف والتعظيم له كقوله ناقة الله واما
اضافته الي الناس فلانه يشترك فيه جميع الناس لانه موضع حجهم وقبلة صلاتهم
للذي ببكة قيل هي مكة نفسها والعرب تعاقب بين الباء والميم فيقولون ضربة



لان

... وقيل بكة اسم موضع البيت ومكة اسم للبلد وفي اشتقاق
... بكة قولان احدهما انه من البك الذي هو عبارة عن الدفع يقال بكه
اذا دفعه وزحمه ولهذا قال سعيد بن جبير سميت بكة لان الناس يتباكون
فيها اي يزدحمون في الطواف وهو قول محمد بن علي الباقر ومجاهد وقتادة الوجه
الثاني سميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها ولم يقصدها جبار بسوء
الا قصمه الله تعالى وهذا قول عبد الله بن الزبير واما مكة سميت بذلك لقلة
مائها من قول العرب مك الفصيل ضرع امه وامتكه اي مص كلما فيه من اللبن
وقيل لانها تمك الذنوب اي تزيلها وسميت ام رحم لان الرحمة تنزل بها والحاطمة
لانها تحطم من استخف بحرمتها او لان الناس يحطم بعضهم بعضا من الزحمة وسميت
ام القرى لانها اصل كل بلدة ومن تحتها دحيت الارض واختلف العلماء في كون
البيت اول بيت وضع للناس علي قولين احدهما انه اول في الوضع والبناء قال
مجاهد خلق الله هذا البيت قبل ان يخلق شيئا من الارضين وفي رواية عنه ان الله
خلق موضع البيت قبل ان يخلق شيئا من الارض بالفي عام وقيل هو اول بيت ظهر
علي وجه الماء عند خلق السموات والارض خلقه قبل الارض بالفي عام وكان زبدة
بيضاء علي وجه الماء فدحيت الارض من تحته وهذا قول ابن عمر ومجاهد وقتادة
والسدي وقيل هو اول بيت بني علي الارض وروي عن علي بن الحسين بن علي
ان الله تعالى وضع تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور وامر الملائكة ان يطوفوا
به ثم امر الملائكة الذين في الارض ان يبنوا بيتا في الارض علي مثاله وقدره
فبنوا هذا البيت واسمه الضراح وامر اهل الارض ان يطوفوا به كما يطوف اهل
السماء بالبيت المعمور وروي ان الملائكة بنوه قبل خلق ادم بالفي عام وكانوا
يحجونه فلما حجه ادم قالت الملائكة بر حجك يا ادم لقد حججنا هذا البيت
قبلك بالفي عام وقال ابن عباس انه اول بيت بناه ادم في الارض وقيل
ان ادم لما اهبط الي الارض استوحش وشكى الوحشة فامره الله ببناء الكعبة
فبناها وطاف بها وبقي ذلك البناء الي زمان نوح فلما كان الطوفان رفع
الله البيت الي السماء وبقي موضع البيت اكمة بيضاء الي ان بعث الله ابراهيم

عليه السلام فامره ببنائه [illegible] ... اول بيت
اول بيت وضع للناس مباركا ويدل عليه سياق الاية وهو قوله للذي
ببكة مباركا وروي ان رجلا قام الي علي بن ابي طالب فقال الا تخبرني عن البيت
اهو اول بيت وضع في الارض قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت
وضع للناس مباركا وهدي وفيه مقام ابراهيم ومن دخله كان امنا وقال
الحسن هو اول مسجد عبد الله فيه وقال مطر هو اول بيت وضع للعبادة
وقال الضحاك هو اول بيت وضع فيه البركة واول بيت وضع للناس يحج اليه
واول بيت جعل قبلة للناس ق عن ابي ذر قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن اول مسجد وضع في الارض قال المسجد الحرام قلت ثم اي قال المسجد الاقصى
قلت كم بينهما قال اربعون عاما ثم الارض لك مسجد فحيث ما ادركت الصلاة فصل
زاد البخاري فان الفضل فيه وقوله مباركا يعني ذا بركة واصل البركة النمو والزيادة
وقيل هو ثبوت الخير الالهي فيه وقيل هو اول بيت خص بالبركة وزيادة الخير وقيل
لان الطاعات وساير العبادات تتضاعف ويزداد ثوابها عنده ق عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة
فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وهدي للعالمين يعني انه قبلة للمومنين
يهتدون به الي جهة صلاتهم وقيل لان فيه دلالة على وجود الصانع المختار لما فيه
من الايات التي لا يقدر عليها غيره وقيل هو هدي للعالمين الي الجنة لان من قصده
بان صلى اليه او حجه فقد اوجب الله تعالى له الجنة برحمته قوله تعالى فيه ايات
بينات اي فيه دلالات واضحات على حرمته ومزيد فضله ثم اختلفوا في تفسير تلك
الايات فقيل هي قوله مقام ابراهيم ومن دخله كان امنا وقيل الايات غير مذكورة
وهي ما يدل على فضل هذا البيت منها ان الطير لا يطير فوق الكعبة في الهوى بل ينحرف
عنه اذا وصل اليه يمينا وشمالا ومنها ان الوحوش لا يوذي بعضها بعضا في الحرم حتى الكلاب
لا تهيج الظباء ولا تصطاد ومنها ان الطير اذا مرض منها شي استشفا بالكعبة ومنها
تعجيل العقوبة لمن انتهك حرمة البيت وما قصده جبار بسوء الا اهلكه الله كما
اهلك اصحاب الفيل وغيرهم ومن الايات التي فيه الحجر الاسود والملتزم والحطيم

وزمزم



وزمزم ومشاعر [illegible] ... الايات ومما ادعاه من بناء هذا البيت
[illegible] ... جبريل والباني هو ابراهيم الخليل والساعد في
بنائه هو اسماعيل ثم ذكره فضيلة عظيمة لهذا البيت قوله تعالى
مقام ابراهيم يعني الحجر الذي كان يقوم عليه عند بناء البيت وكان فيه اثر
قدمي ابراهيم فاندرس من كثرة المسح بالايدي ومن دخله كان امنا قيل
لما ذكرت الايات المذكورة عقيب قوله ان اول بيت وضع للناس موجودة
في جميع الحرم علم ان المراد بقوله ومن دخله كان امنا جميع الحرم ويدل عليه ايضا
قول ابراهيم حيث قال رب اجعل هذا البلد امنا يعني من ان يهاج فيه وكانت
العرب يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض وكان من دخل الحرم امن
من القتل والغارة وهو المراد من حكم الاية على قول اكثر المفسرين قال الله تعالى
اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم وقيل في معنى الاية
ومن دخله عام عمرة القضاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان امنا وقيل هو خبر
بمعنى الامر تقديره ومن دخله فامنوه وهو قول ابن عباس حتى ذهب ابو حنيفة
الي ان من وجب عليه القتل قصاصا كان او حدا فالتجي الي الحرم فانه لا يستوفي
منه القصاص او الحد في الحرم لكنه لا يطعم ولا يبايع ولا يشاري ولا يكلم ويضيق عليه
حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحد خارج الحرم وقال الشافعي اذا وجب عليه
القصاص خارج الحرم ثم التجا الي الحرم استوفي منه في الحرم واجمعوا على انه لو
قتل في الحرم او سرق او زنى فانه يستوفي منه الحد في الحرم عقوبة له وقيل
في معنى الاية ومن دخله معظما له متقربا بذلك الي الله تعالى كان امنا من
العذاب يوم القيمة وقيل ومن دخله كان امنا من الذنوب التي اكتسبها قبل
ذلك قوله عز وجل ولله على الناس حج البيت اي ولله على الناس فرض
حج البيت والحج احد اركان الاسلام ق عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان فعد النبي صلى الله
عليه وسلم الحج من اركان الاسلام الخمسة من استطاع اليه سبيلا يعني



وفرض الحج واجب علي من استطاع من اهل التكليف ... المسجد الحرام

فصل في فضل البيت والعمرة والحج

ق عن ابي ذر قال ... رسول الله صلي الله عليه وسلم ان اول بيت وضع للناس مباركا يصلي فيه الكعبة قلت ثم اي قال المسجد الاقصي قلت كم بينهما قال اربعون عاما ق عن ابن عباس قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم نزل الحجر الاسود من الجنة وهو اشد بياضا من اللبن وانما سودته خطايا بني ادم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم في الحجر والله ليبعثنه الله يوم القيمة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد علي من استلمه بحق م وله عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لاضاءتا ما بين المشرق والمغرب قال الترمذي ويعني ابو يروي عن ابن عمرو موقوفا ق عن ابي هريرة ان النبي صلي الله عليه وسلم قال لا تشدوا الرحال الا الي ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الاقصي ق عن ابي هريرة قال خطبنا رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل في كل عام يا رسول الله فسكت حتي قالها ثلاثا فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم عن ابن عمر قال جاء رجل الي النبي صلي الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما يوجب الحج قال الزاد والراحلة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وابراهيم بن يزيد الخوزي المكي قد تكلم فيه بعض اهل العلم من قبل حفظه ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال العمرة الي العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وفي رواية قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول من حج لله عز وجل وفي لفظ من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه واخرجه الترمذي وقال غفر له ما تقدم من ذنبه عن ابن مسعود ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الذنوب والفقر كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة

دليس

المبرورة ثواب الا الجنة وما من مؤمن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ما من مسلم يلبي الا لبي ما عن يمينه وشماله من حجر او شجر او مدر حتي تنقطع الارض من ها هنا وها هنا قال الترمذي هذا حديث غريب وله عن ابن عباس قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه قال الترمذي هذا حديث غريب

فصل في احكام تتعلق بالحج

قال العلماء الحج واجب علي كل مسلم وهو احد اركان الاسلام الخمسة ولوجوب الحج خمس شرايط الاسلام والعقل والبلوغ والحرية والاستطاعة ولا يجب علي الكافر والمجنون ولو حجا لم يصح لان الكافر ليس من اهل القربة ولا حكم لقول المجنون ولا يجب علي الصبي والعبد ولو حج صبي يعقل او عبد صح حجهما تطوعا ولا يسقط الفرض فاذا بلغ الصبي وعتق العبد واجتمع فيهما شرايط الحج وجب عليهما ان يحجا ثانيا ولا يجب علي غير المستطيع لقوله تعالي ولله علي الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا فلو تكلف غير المستطيع الحج وحج صح حجه وسقط عنه فرض حجة الاسلام والاستطاعة نوعان احدهما ان يكون مستطيعا بنفسه والاخر ان يكون مستطيعا بغيره فاما المستطيع بنفسه فهو ان يكون قويا قادرا علي الذهاب ووجد الزاد والراحلة لما تقدم من حديث ابن عمر في الزاد والراحلة قال ابن المنذر وحديث الزاد والراحلة لا يثبت لانه ليس بمتصل واما المرفوع انما رواه ابراهيم بن يزيد عن محمد بن عباد عن النبي صلي الله عليه وسلم وابراهيم متروك الحديث وقال يحيي بن معين ابراهيم ليس بثقة قال ابن المنذر واختلف العلماء في قوله من استطاع اليه سبيلا فقالت طايفة الاية علي العموم اذ لا يعلم خبرا ثابتا عن النبي صلي الله عليه وسلم

ولا اجماعا لاهل العلم يوجب ان يستثنى من ظاهر الاية [illegible]
مستطيع للحج يجد اليه السبيل باي وجه كانت الاستطاعة للحج على ظاهر
الاية قال وروينا عن عكرمة انه قال الاستطاعة الصحة وقال الشعبي
اذا كان شابا صحيحا فليؤجر نفسه باكله وعقبة حتى يقضي نسكه
وقال مالك الاستطاعة على اطاقة الناس الرجل يجد الزاد والراحلة
ولا يقدر على المشي واخر يقدر على المشي على رجليه وقالت طايفة
الاستطاعة الزاد والراحلة كذلك قال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد
واحمد بن حنبل واحتجوا بحديث ابن عمر المتقدم وقال الشافعي
الاستطاعة وجهان احدهما ان يكون الرجل مستطيعا ببدنه
واجدا من ماله ما يبلغه الحج فتكون استطاعة تامة فعليه فرض
الحج والثاني لا يقدر ان يثبت على الراحلة وهو قادر على من يطيعه
اذا امره ان يحج عنه او قادر على مال ويجد من يستاجره فيحج عنه فيكون
هذا ممن لزمه فرض الحج اما حكم الزاد والراحلة فهو ان يجد راحلة تصلح له
ووجد من الزاد ما يكفيه لذهابه ورجوعه فاضلا عن نفقته ونفقة
ونفقة من يلزمه نفقتهم وكسوتهم وعن دين ان كان عليه ووجد رفقة
يخرجون في وقت جرت العادة بخروج اهل البلد في ذلك الوقت
فان خرجوا قبله او اخروا الخروج الى وقت لا يصلون الا بقطع اكثر
من مرحلة لا يلزمه الخروج معهم ويشترط ان يكون الطريق امنا فان كان
فيه خوف من عدو مسلم او كافر او رصدي يطلب الخفارة لا يلزمه [illegible]
ويشترط ان تكون المنازل الماهولة معمورة يجد فيها ما جرت العادة بوجوده
من الماء والزاد فان تفرق اهلها لجدب او غارت مياهها فلا يلزمه الخروج
ولو لم يجد الراحلة وهو قادر على المشي او لم يجد الزاد وهو قادر على الاكتساب
لا يلزمه الحج عند من جعل وجدان الزاد والراحلة شرطا لوجوب الحج ويستحب
له ان يفعل ذلك ويلزمه الحج عند مالك واما المستطيع بغيره فهو

ان يكون

ان يكون الرجل عاجزا بنفسه بان يكون [illegible] ولا يرجى برؤه وله
مال يمكنه ان يستاجر من يحج عنه فيجب عليه ان يستاجر من يحج عنه وان لم يكن له مال
ويبذل له ولده او اجنبي الطاعة في ان يحج عنه لزمه الحج ان كان يعتمد على صدقه
لان وجوب الحج يتعلق بالاستطاعة وعند ابي حنيفة لا يجب الحج ببذل الطاعة وعند
مالك لا يجب على من غصب ماله وحجة من اوجب الحج ببذل الطاعة ما روي عن
ابن عباس قال كان الفضل بن عباس رديف النبي صلى الله عليه وسلم فجاءته امراة من خثعم
تستفتيه فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصرف وجه الفضل الى الشق الاخر قالت يا رسول الله ان فريضة الله على
عباده في الحج ادركت ابي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يثبت على الراحلة افاحج عنه
قال نعم وذلك في حجة الوداع اخرجاه في الصحيحين قوله تعالى ومن كفر فان الله
غني عن العالمين يعني ومن جحد ما الزمه الله من فرض حج بيته وكفر به فان الله
غني عن العالمين وعنه وعن حجه وعمله وعن جميع خلقه وقيل نزلت فيمن وجد
ما يحج به ومات ولم يحج فهو كفر به لما روي عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه ان يموت
يهوديا او نصرانيا وذلك ان الله تعالى يقول ولله على الناس حج البيت من استطاع
اليه سبيلا اخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه
وفي اسناده مقال وهلال بن عبد الله مجهول والحارث يضعف في الحديث وقيل
هو الذي ان حج لم يره برا وان قعد لم يره اثما وقيل نزلت في اليهود وغيرهم من
اصحاب الملل حيث قالوا انا مسلمون فنزلت ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا وقالوا
الحج الى مكة غير واجب وكفروا به فنزلت ومن كفر فان الله غني عن العالمين فعلى هذه
الاقوال تكون هذه متعلقة بما قبلها وقيل انها كلام مستانف ومعناه ومن كفر
بالله واليوم الاخر فان الله غني عن العالمين قوله تعالى قل يا اهل الكتاب قيل الخطاب
لعلماء اهل الكتاب الذين علموا صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الخطاب لجميع
اهل الكتاب اليهود والنصارى الذين انكروا نبوته لم تكفرون بآيات الله يعني الآيات
الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق وصدق والمعنى لم تكفرون بآيات الله

النبي ولتكم على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بآيات الله القرآن ...
صلى الله عليه وسلم والله شهيد على ما تعملون أي والله مطلع على أعمالكم فيجازيكم
عليها قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن يعني لم تصرفون
عن دين الله من آمن وكان صدهم عن سبيل الله بإلقاء الشبهة والشكوك
وذلك بإنكارهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم تبغونها عوجا يعني
زيغا وميلا عن الحق والعوج بالكسر الزيغ والميل عن الاستواء في الدين والقول
والعمل وكل ما لا يرى فأما الشيء الذي يرى كالحائط والقناة ونحو ذلك يقال
فيه عوج بفتح العين والهاء في قوله تبغونها عائدة على السبيل والمعنى
لم تطلبون الزيغ والميل في سبيل الله بإلقاء الشبهة في قلوب الضعفة وأنتم
شهداء قال ابن عباس يعني وأنتم شهداء أن في التوراة مكتوبا نعت محمد صلى الله عليه وسلم
وصفته وأن دين الله الذي لا يقبل غيره هو الإسلام وقيل معناه وأنتم تشهدون
المعجزات التي تظهر على يد محمد صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته وما الله
بغافل عما تعملون فيه وعيد وتهديد لهم وذلك أنهم كانوا يجتهدون ويحتالون
بإلقاء الشبهة في قلوب الناس ليصدوهم عن سبيل الله والتصديق بمحمد صلى الله
عليه وسلم فلذلك قال الله تعالى وما الله بغافل عما تعملون قوله عز وجل يا أيها
الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب قال زيد بن أسلم مر شاس
ابن قيس اليهودي وكان شيخا عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين بنفر من
الأوس والخزرج وهم في مجلس يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من ألفتهم وصلاح
ذات بينهم في الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية وقال قد اجتمع
ملأ بني قيلة بهذه البلاد والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار فأمر شابا
من اليهود وكان معه فقال له اعمد إليهم واجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان
قبله وأنشدهم بعض ما كانوا يتقاولون فيه من الأشعار وكان يوم بعاث
يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج
ففعل فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان
من الحيين على الركب وهما أوس بن قيظي أحد بني حارثة من الأوس وجبار بن صخر

أحد بني سلمة

أحد بني سلمة من الخزرج فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه إن شئتم والله رددناها الآن
جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة
والظاهرة الحرة فخرجوا إليها وانضمت الأوس والخزرج بعضهم إلى بعض على دعواهم في الجاهلية
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى
جاءهم فقال يا معشر المسلمين أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم
الله بالإسلام وقطع عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم ترجعون إلى ما كنتم عليه
كفارا الله الله فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا
السلاح من أيديهم وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم سامعين مطيعين قال جابر فما رأيت يوما أقبح أولا وأحسن
آخرا من ذلك اليوم فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا
من الذين أوتوا الكتاب يعني شاسا اليهودي وأصحابه يردوكم بعد إيمانكم كافرين
والكفر يوجب الهلاك في الدنيا بوقوع العداوة والبغضاء وهيجان الفتنة والحرب
وسفك الدماء وفي الآخرة بالنار ثم قال تعالى وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله
وفيكم رسوله وكلمة كيف تعجب والتعجب إنما يليق بمن لا يعلم السبب وذلك على الله محال
فالمراد منه المنع والتغليظ وذلك لأن تلاوة آيات الله وهي القرآن حالا بعد
حال وكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم يرشدكم إلى مصالحكم وذلك يمنع
من وقوع الكفر فكان وقوع الكفر منهم بعيدا على هذا الوجه قال قتادة في هذه
الآية علمان بينان كتاب الله ونبي الله صلى الله عليه وسلم أما نبي الله فقد
مضى وأما كتاب الله فقد أبقاه الله بين أظهركم رحمة منه ونعمة م عن زيد بن
أرقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا يوما خطيبا بماء يدعى خما بين
مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال أما بعد ألا أيها الناس
إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما
كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب
الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي وقوله تعالى ومن يعتصم
بالله أي يمتنع بالله ويستمسك بدينه وطاعته وأصل العصمة الامتناع

من لو وقع في آفة وقيه حتى لهم في الالتجاء إلى الله [illegible]
عنهم فقد هدي إلى صراط مستقيم أي الطريق الواضح [illegible] الحق الموصل إلى
الجنة قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته قال مقاتل بن حيان كان
بين الأوس والخزرج عداوة في الجاهلية وقتال فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى المدينة أصلح بينهم فافتخر بعد ذلك منهم رجلان وهما ثعلبة بن غنم من الأوس
وأسعد بن زرارة من الخزرج فقال الأوسي منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين
ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت بن أفلح حمي الدبر ومنا سعد
بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن له ورضي الله بحكمه في بني قريظة وقال الخزرجي
منا أربعة أحكموا القرآن أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد
ومنا سعد بن عبادة خطيب الأنصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا
وأنشدا الأشعار وتفاخرا فجاء الأوس والخزرج ومعهم السلاح فأتاهم النبي
صلى الله عليه وسلم فأصلح بينهم وأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
حق تقاته قال ابن عباس هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى
وقال مجاهد هو أن تجاهدوا في الله حق جهاده ولا تأخذكم في الله لومة لائم
وتقوموا لله بالقسط ولو على أنفسكم وآبائكم وأبنائكم وعن أنس قال لا يتقي الله
عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه وقيل حق تقاته يعني واجب تقواه وهو
القيام بالواجب واجتناب المحارم واختلف العلماء في هذا القدر من هذه الآية
هل هو منسوخ أم لا على قولين أحدهما أنه منسوخ وذلك أنه لما نزلت هذه
الآية شق ذلك على المسلمين وقالوا يا رسول الله ومن يقوى على هذا فأنزل الله
الناسخ هو قوله تعالى في سورة التغابن فاتقوا الله ما استطعتم وهذا قول
ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد والسدي والقول الثاني أنها محكمة
غير منسوخة وهو رواية عن ابن عباس أيضا وبه قال طاوس وموجب هذا
الاختلاف يرجع لمعنى الآية فمن قال أنها منسوخة قال حق تقاته هو أن يأتي
العبد بكل ما يجب لله ويستحقه فهذا يعجز العبد عن الوفاء به فتحصيله
ممتنع ومن قال أنها محكمة قال أن حق تقاته أداء ما يلزم العبد على قدر

طاقته

طاقته فكان قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم [illegible] معنى حق تقواه لا ناسخا ولا مخصصا
[illegible] ما استطعتم فقد اتقاه حق تقواه وقيل معنى حق تقاته كما يحق
أن يتقى وذلك بأن يجتنب جميع معاصيه وقيل في معنى قول ابن عباس هو أن يطاع
فلا يعصى هذا صحيح والذي يصدر عن العبد على سبيل السهو والنسيان غير قادح
فيه لأن التكليف في تلك الحال مرفوع عنه وكذلك قوله وأن يشكر فلا يكفر فواجب
على العبد حضور ما أنعم الله عليه بالبال فأما عند السهو فلا يجب عليه وكذلك قوله
وأن يذكر فلا ينسى فإن هذا إنما يجب عند الدعاء والعبادة لا عند السهو والنسيان
وقوله تعالى ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون لفظ النهي واقع على الموت والمعنى واقع على
الأمر بالإقامة على الإسلام المعنى كونوا على الإسلام فإذا ورد عليكم الموت صادفكم
على ذلك وقيل هذا في الحقيقة نهي عن ترك الإسلام المعنى لا تتركوا الإسلام
فإن الموت لا بد منه فمتى جاءكم صادفكم وأنتم على الإسلام لأنه لما كان يمكنهم الثبات
على الإسلام حتى إذا أتاهم الموت أتاهم وهم على الإسلام صار الموت على الإسلام بمنزلة
ما أنه داخل في إمكانهم وقيل معناه ولا تموتن إلا وأنتم مؤمنون مخلصون مفوضون
إلى الله أموركم محسنون الظن به عز وجل عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قرأ هذه الآية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون قال لو أن قطرة
من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون
طعامه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله عز وجل واعتصموا بحبل الله جميعا
أي تمسكوا بحبل الله والحبل هو السبب الذي يتوصل به إلى البغية وسمي الإيمان
حبلا لأنه سبب يتوصل به إلى زوال الخوف وقيل حبل الله هو السبب الذي به يتوصل
إليه فعلى هذا اختلفوا في معنى الآية فقال ابن عباس تمسكوا بدين الله لأنه
سبب يوصل إليه وقيل حبل الله هو القرآن لأنه أيضا سبب يوصل إليه
وفي أفراد مسلم من حديث زيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا وإني
تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن
تركه كان على ضلالة الحديث عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن هذا
القرآن هو حبل الله المتين وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك

به وذكره البغوي بغير سنده وقال ابن مسعود [illegible] الجماعة [illegible] عليكم بالجماعة فانها
حبل الله الذي امر به وان ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في
الفرقة وقيل بحبل الله يعني بامر الله وطاعته ولا تفرقوا يعني كما تفرق اليهود
والنصارى وقيل ولا تفرقوا يعني كما كنتم متفرقين في الجاهلية يقتل بعضكم
بعضكم بعضا وقيل معناه لا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع
والالفة التي انتم عليها ففيه النهي عن التفرق والاختلاف والامر بالاتفاق والاجتماع
لان الحق لا يكون الا واحدا وما عداه يكون جهلا وضلالا واذا كان كذلك وجب النهي عن
الاختلاف في الدين وعن الفرقة لان كل ذلك كان عادة الجاهلية فنهوا عنه وروى
البغوي بسنده عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يرضى لكم
ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا يرضى لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعتصموا
بحبل الله جميعا وان تناصحوا من ولى الله امركم ويسخط لكم قيل وقال واضاعة
المال وكثرة السؤال قوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين
قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا قال محمد بن اسحق وغيره من اهل الاخبار
كان الاوس والخزرج اخوين لاب وام فوقعت بينهما عداوة وقتال ثم تطاولت
تلك العداوة والحروب بينهم مائة وعشرين سنة الى ان اطفا الله ذلك بالاسلام
والف بينهم بنبيه عليه الصلاة والسلام وسبب ذلك ان سويد بن الصامت
اخا بني عمرو بن عوف وكان شريفا يسميه قومه الكامل لجلده ونسبه
فقدم مكة حاجا او معتمرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث وامر
بالدعوة فتصدى له حين سمع به ودعاه الى الله عز وجل والى الاسلام
فقال له سويد فلعل الذي معك مثل الذي معي فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم وما الذي معك قال مجلة لقمان يعني حكمة لقمان فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها علي فعرضها عليه فقال ان هذا لكلام حسن
ومعي افضل من هذا قرآن انزله الله علي نور وهدى فتلى عليه القرآن
ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال ان هذا لقول حسن ثم انصرف الى المدينة
فلم يلبث ان قتلته الخزرج يوم بعاث وان قومه يقولون قد قتل وهو مسلم

ثم قدم

[illegible] ابو الحيسر [illegible] عبد الاشهل
فيهم اياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج فلما سمع بهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاهم وجلس اليهم وقال لهم هل لكم الى خير مما جئتم
له فقالوا وما هو قال انا رسول الله قد بعثني الله الى العباد ادعوهم الى ان لا
يشركوا بالله شيئا وانزل علي الكتاب ثم ذكر الاسلام وتلى عليهم القران فقال اياس بن
معاذ وكان غلاما حدثا اي قوم هذا والله خير مما جئتم له فاخذ ابو الحيسر حفنة
من البطحاء فضرب بها وجه اياس وقال دعنا منك فلعمري لقد جئنا لغير هذا فصمت
اياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا الى المدينة فكانت وقعة
بعاث بين الاوس والخزرج ثم لم يلبث اياس بن معاذ ان هلك فلما اراد الله عز
وجل اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الموسم الذي لقي فيه النفر من الانصار فعرض نفسه على القبائل من العرب كما كان
يصنع في كل موسم فلقي عند العقبة رهطا من الخزرج اراد الله بهم خيرا وهم ستة
نفر اسعد بن زرارة وعوف بن الحارث وهو ابن عفرا ورافع بن مالك العجلاني
وقطبة بن عامر بن خريده وعقبة بن عامر بن نابي وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم — خريد
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من انتم قالوا نفر من الخزرج قال امن موالي اليهود
قالوا نعم قال افلا تجلسون حتى اكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله عز
وجل وعرض عليهم الاسلام وتلى عليهم القران قال وكان مما صنع الله لهم به في الاسلام
ان يهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا اهل كتاب وعلم وهم اهل اوثان وشرك
وكانوا اذا كان بينهم شي قالوا ان نبيا الآن مبعوث قد اظل زمانه نتبعه
ونقتلكم معه قتل عاد وارم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم اولئك النفر
ودعاهم الى الله عز وجل قال بعضهم لبعض يا قوم تعلمون والله انه النبي الذي
توعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فاجابوه وصدقوه واسلموا وقالوا انا قد
تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى الله ان يجمعهم بك وسنقدم
عليهم وندعوهم الى امرك فان يجمعهم الله عليك فلا رجل اعز منك ثم انصرفوا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم فلما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله

صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الانصار
الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم
من الانصار اثنا عشر رجلا وهم اسعد بن زرارة وعوف ومعاذ ابنا عفراء
ورافع بن مالك العجلاني وذكوان بن عبد القيس وعبادة بن الصامت
ويزيد بن ثعلبة وعباس بن عبادة وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر وهؤلاء
خزرجيون وابو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة من الاوس فلقوه
بالعقبة وهي العقبة الاولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء
على ان لا يشركوا بالله شيئا ولا يسرقوا ولا يزنوا الاية فان وفيتم فلكم الجنة وان
غشيتم شيئا من ذلك فاخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة وان سترتم عليه
فامركم الى الله عز وجل ان شاء عذبكم وان شاء غفر لكم قال وذلك قبل ان يفرض
الحرب قال فلما انصرف القوم بعث معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف
وامره ان يقرئهم القران ويعلمهم الاسلام ويفقههم وكان يسمى مصعب بالمدينة
المقرئ وكان منزله على اسعد بن زرارة ثم ان اسعد بن زرارة خرج بمصعب
فدخل به حائطا من حوائط بني ظفر فجلسا في الحائط واجتمع اليهما رجال ممن اسلم
فقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير انطلق الى هذين الرجلين اللذين اتيا
دارنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما فان اسعد بن خالتي ولولا ذلك لكفيتك
وكان سعد بن معاذ واسيد بن حضير سيدي قومهما من بني عبد الاشهل وهما
بعد مشركان فاخذ اسيد بن حضير حربته ثم اقبل الى مصعب واسعد وهما
جالسان في الحائط فلما راه اسعد بن زرارة قال لمصعب هذا اسيد قومه
قد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب ان يجلس اكلمه فوقف عليهما متشتما
وقال ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلا ان كانت لكما في انفسكما حاجة
فقال له مصعب او تجلس فتسمع فان رضيت امرا قبلته وان كرهته كف عنك
ما تكره قال انصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام
وقرا عليه القران فقالا والله لعرفنا الاسلام في وجهه قبل ان يتكلم في اشراقه وتسهله
ثم قال ما احسن هذا واجمله كيف تصنعون اذا اردتم ان تدخلوا في هذا الدين قالا

تغتسل

تغتسل وتطهر ثيابك وتشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين فقام فاغتسل
وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ثم صلى ركعتين ثم قال لهما ان ورائي رجلا
ان اتبعكما لم يتخلف عنه احد من قومه وسارسله اليكما الان سعد بن معاذ
ثم اخذ حربته وانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم فلما نظر سعد
الى اسيد مقبلا قال احلف بالله لقد جاءكم اسيد بغير الوجه الذي ذهب
به من عندكم فلما وقف اسيد على النادي قال له سعد ما فعلت قال كلمت
الرجلين فوالله ما رايت بهما باسا وقد نهيتهما فقالا نفعل ما احببت
وقد حدثت ان بني حارثة خرجوا الى اسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك انهم عرفوا
انه ابن خالتك ليحقروك فقام سعد مغضبا للذي ذكره من بني حارثة فاخذ
حربته ثم قال والله ما اراك اغنيت شيئا فانصرف اليهما فلما راهما مطمئنين
عرف ان اسيدا انما اراد ان يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال لاسعد
بن زرارة لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني تغشانا في دارنا بما نكره
وقد كان قال اسعد لمصعب جاءك والله سيد قومه ان يتبعك لم يتخلف عنك احد
منهم فقال له مصعب او تقعد فتسمع فان رضيت امرا ورغبت فيه قبلته وان
كرهته عزلنا عنك ما تكره فقال سعد انصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض
عليه مصعب الاسلام وقرا عليه القران قالا فعرفنا والله الاسلام في وجهه
قبل ان يتكلم به في اشراقه وتسهله ثم قال كيف تصنعون اذا انتم اسلمتم
ودخلتم في هذا الدين قالا تغتسل وتطهر ثيابك ثم تشهد شهادة الحق ثم
تصلي ركعتين فقام فاغتسل وطهر ثيابه وشهد شهادة الحق وركع ركعتين
ثم اخذ حربته واقبل عامدا الى نادي قومه ومعه اسيد بن حضير فلما راوه
مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع سعد اليكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم
فلما وقف عليهم قال يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون امري فيكم قالوا سيدنا وافضلنا
رايا وايمننا نقيبة قال فان كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله
ورسوله قال فما امسى في دار بني عبد الاشهل رجل ولا امراة الا مسلما او مسلمة ورجع
اسعد بن زرارة ومصعب بن عمير الى منزل اسعد فاقام عنده يدعو الناس الى الاسلام

حتى لم يبق دار من دور الانصار الا وفيها رهط من المسلمين رجال ونسا
الا ما كان من دار امية بن زيد وخطمة ووائل وواقف وذلك انه كان فيهم
ابو قيس بن الاسلت الشاعر وكانوا يسمعون منه ويطيعونه فوقف بهم
عن الاسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر
واحد والخندق قالوا ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة وخرج معه
من الانصار المسلمين سبعون رجلا مع حجاج قومهم من اهل الشرك حتى قدموا
مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من اوسط ايام التشريق
وهي بيعة العقبة الثانية قال كعب بن مالك وكان قد شهد ذلك
فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا
عبد الله بن عمرو بن حرام ابو جابر اخبرناه وكنا نكتم من معنا من المشركين من قومنا
امرنا فكلمناه وقلنا يا جابر انك سيد من ساداتنا وشريف من اشرافنا وانا
نرغب بك عما انت فيه ان تكون حطبا للنار غدا ودعوناه الى الاسلام فاخبرناه
بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة وكان نقيبا فبتنا
تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله صلى
الله عليه وسلم نتسلل مستخفين تسلل القطا حتى اجتمعنا في الشعب عند
العقبة ونحن سبعون رجلا ومعنا امراتان من نسائنا نسيبة بنت كعب
ام عمارة احدى نساء بني النجار واسما بنت عمرو بن عدي ام منيع احدى
نساء بني سلمة فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جانا
ومعه عمه عباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه الا انه احب
ان يحضر امر ابن اخيه ويتوثق له فلما جلسنا اول من تكلم العباس بن
عبد المطلب فقال يا معشر الخزرج وكان العرب يسمون هذا الحي من
الانصار الخزرج خزرجها واوسها ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه
من قومنا ممن هو على مثل راينا وهو في عز من قومه ومنعة في بلده وانه قد
ابى الا الانقطاع اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه
اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم به من ذلك وان كنتم ترون انكم

مسلموه

مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الان فدعوه فانه في عز ومنعة
قال فقلنا قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك
ما شئت قال فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلى القران ودعا الى الله
عز وجل ورغب في الاسلام ثم قال ابايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه
انفسكم ونساكم وابناكم قال فاخذ البرا بن معرور بيده ثم قال والذي
بعثك بالحق نبيا لنمنعنك مما نمنع منه ازرنا فبايعنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنحن اهل الحرب واهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر فاعترض القول
والبرا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو الهيثم بن التيهان فقال يا رسول الله
ان بيننا وبين الناس حبالا يعني عهودا انا قاطعوها فهل عسيت ان فعلنا
ذلك ثم اظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم انتم مني وانا منكم احارب من حاربتم
واسالم من سالمتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجوا الي منكم اثني عشر
نقيبا كفلا على قومهم بما فيهم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم فاخرجوا اثني عشر
نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس قال عاصم بن عمرو بن قتادة ان القوم
لما اجتمعوا للبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبادة بن نضلة
الانصاري يا معشر الخزرج هل تدرون على ما تبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه
على حرب الاحمر والاسود فان كنتم ترون انكم اذا نهكت اموالكم واشرافكم
قتلا اسلمتموه فمن الان فهو والله خزي في الدنيا والاخرة وان كنتم ترون انكم
وافون له بما تدعونه اليه على نهكة الاموال وقتل الاشراف فخذوه فهو والله خير
الدنيا والاخرة قالوا فانا ناخذه على مصيبة الاموال وقتل الاشراف فما لنا
بذلك يا رسول الله ان نحن وفينا قال الجنة قال ابسط يدك فبسط يده فبايعوه
واول من ضرب على يده البرا بن معرور ثم تتابع القوم قال فلما بايعنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من راس العقبة بانفذ صوت سمعته قط
يا اهل الجباجب هل لكم في مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عدو الله هذا ازب العقبة يعني شيطان اسمع

أي عدو الله أما والله لأفرغنّ لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انفضوا
إلى رحالكم فقال العباس بن نضلة والذي بعثك بالحق إن شئت لنميلنّ غداً
على أهل منى بأسيافنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نؤمر بذلك ولكن
ارجعوا إلى رحالكم فرجعنا إلى مضاجعنا فنمنا عليها حتى أصبحنا فلما أصبحنا
غدت علينا جلة قريش حتى جاؤونا في منازلنا فقالوا يا معشر الخزرج بلغنا
أنكم جئتم صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا
وإنه والله ما حي من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينكم منكم
قال فانبعث إليه من شركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه
وصدقوا لم يعلموا به وبعضنا ينظر إلى بعض وقام القوم وفيهم الحارث بن هشام
ابن المغيرة المخزومي وعليه نعلان جديدتان قال فقلت له كلمة كأني أريد
أن أشرك القوم بها فيما قالوا يا جابر أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد
من ساداتنا مثل نعلي هذا الفتى من قريش قال فسمعها الحارث بن هشام فخلعهما
من رجليه ورمى بهما إليّ وقال والله لتنتعلنهما قال أبو جابر مه والله أحفظت
الفتى فاردد إليه نعليه قال قلت لا أردهما قال والله صالح لئن صدق الفال
لأسلبنه قال ثم انصرف الأنصار إلى المدينة وقد شدوا العقد فلما قدموها
أظهروا الإسلام بها وبلغ ذلك قريشاً فآذوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه إن الله قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون
فيها فأمرهم بالهجرة إلى المدينة واللحوق بإخوانهم من الأنصار فأول من هاجر
إلى المدينة أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي ثم عامر بن ربيعة ثم عبد الله بن جحش
ثم تتابع أصحاب رسول الله أرسالاً إلى المدينة ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى المدينة فجمع الله عز وجل أهل المدينة أوسها وخزرجها بالإسلام وأصلح ذات
بينهم بنبيه عليه أفضل الصلاة والسلام وأنزل الله عز وجل واذكروا
يا معشر الأنصار نعمة الله عليكم يعني الإسلام إذ كنتم أعداء يعني قبل الإسلام
فألف بين قلوبكم يعني بالإسلام وبنبيه عليه السلام فأصبحتم بنعمته إخواناً
يعني فصرتم برحمته وبدينه الإسلام إخواناً في الدين والولاية بعد العداوة

وكنتم

٢٥٣



وكنتم يا معشر الأوس والخزرج على شفا حفرة من النار يعني على طرف حفرة مثل
النار ليس بينكم وبين الوقوع في النار إلا أن تموتوا على كفركم
فأنقذكم منها أي فخلصكم بالإيمان من الوقوع في النار كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون
قوله عز وجل ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر اللام في قوله ولتكن لام الأمر أي ولتكن منكم أمة دعاة إلى الخير منكم وقيل إن كلمة من في قوله
منكم للتبيين لا للتبعيض وذلك لأن الله عز وجل أوجب الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر على كل الأمة في قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر فيجب على كل مكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إما بيده
أو بلسانه أو بقلبه م عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه
فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان فعلى هذا يكون معنى الآية
كونوا أمة دعاة إلى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر ومن قال بهذا القول يقول
إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية إذا قام به واحد سقط الفرض
عن الباقين وقيل إن من هنا للتبعيض وذلك لأن في الأمة من لا يقدر
على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعجز أو ضعف فحسن إدخال لفظة من في قوله
ولتكن منكم أمة وقيل إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما يختص بالعلماء وولاة
الأمر فعلى هذا يكون المعنى ليكن بعضكم آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر خ عن النعمان
ابن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل القائم في حدود الله والواقع فيها
كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها
فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو
أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا
هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا والخير المذكور في الآية
هو كل شيء يرغب فيه من الأفعال الحسنة وقيل هو هنا كناية عن الإسلام
والمعنى ولتكن منكم أمة أي جماعة دعاة إلى الإسلام وإلى كل فعل حسن يستحسن
في الشرع والعقل وقيل الدعوة إلى فعل الخير يندرج تحتها نوعان أحدهما

الترغيب في فعل ما ينبغي وهو الأمر بالمعروف والثاني الترهيب [illegible]
وهو النهي عن المنكر فذكر الجنس أولا وهو الخير ثم اتبعه بنوعيه مبالغة في البيان
والمعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل والشرع حسنه والمنكر ضد ذلك وهو
ما عرف بالعقل والشرع قبحه وقوله تعالى وأولئك هم المفلحون تقدم
تفسيره قوله عز وجل ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا يعني ولا تكونوا
يا معشر المؤمنين كالذين تفرقوا يعني أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى
في قول أكثر المفسرين واختلفوا أي في دين الله وأمره ونهيه وقيل تفرقوا
واختلفوا بمعنى واحد وإنما ذكرهما للتأكيد وقيل تفرقوا بسبب العداوة
واتباع الهوى واختلفوا في الدين فصاروا فرقا مختلفين قال الربيع بن أنس هذه
الآية هم أهل الكتاب نهى الله أهل الإسلام أن يتفرقوا أو يختلفوا كما تفرق
واختلف أهل الكتاب قال ابن عباس أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم
عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم إنما هلك من كان قبلكم بالمراء والخصومات
في الدين وقال بعضهم هم المبتدعة من هذه الأمة وقال أبو أمامة هم
الحرورية قال عبد الله بن شداد وقف أبو أمامة وأنا معه على رؤوس الحرورية
على درج جامع دمشق فذرفت عيناه ثم قال كلاب أهل النار وكانوا مؤمنين
فكفروا بعد إيمانهم شر قتيل تحت أديم السماء وخير قتيل تحت أديم السماء الذين
قتلهم هؤلاء قلت فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من أهل
الإسلام فكفروا بعد إيمانهم ثم أخذ بيدي وقال إن بأرضي منهم كثيرا وفي رواية
ثم قرأ بعد قوله فكفروا بعد إيمانهم ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا
إلى قوله أكفرتم بعد إيمانكم ورواه الترمذي عن أبي غالب قال رأى أبو أمامة
رؤوسا منصوبة على درج دمشق فقال أبو أمامة كلاب أهل النار شر قتلى
تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوه ثم قرأ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه
إلى آخر الآية قلت لأبي أمامة أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاثا أو أربعا حتى عد سبعا ما حدثتكموه
وقال فيه حديث حسن وقوله تعالى من بعد ما جاءهم البينات يعني الحجج الواضحات

تعلموها

[illegible] جاءهم [illegible] ولم يقل جاءتهم لجواز حذف علامة التأنيث
من الفعل إذا تقدم [illegible] تشبيها بعلامة التثنية والجمع وأولئك لهم عذاب
عظيم يعني الذين تفرقوا واختلفوا عذاب عظيم في الآخرة وفيه زجر عظيم
للمؤمنين عن التفرقة والاختلاف م عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه أخرجه أبو داود
أراد بربقة الإسلام عقد الإسلام وأصله أن الربق حبل فيه عدة عرى
يشد به الغنم الواحدة من العرى ربقة وروى البغوي بسنده عن عمر بن الخطاب
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يسكن بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة
فإن الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين أبعد بحبوحة الجنة وسطها والفذ
هو الواحد قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه يعني اذكروا يوم تبيض
فيه وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين وقيل تبيض وجوه أهل السنة
وتسود وجوه أهل البدعة وقيل تبيض وجوه المخلصين وتسود وجوه
المنافقين وفي بياض الوجوه وسوادها قولان أحدهما أن البياض كناية عن
الفرح والسرور والسواد عبارة عن الغم والحزن وهذا مجاز مستعمل يقال
لمن نال بغيته وظفر بمطلوبه ابيض وجهه يعني من السرور والفرح ولمن
ناله مكروه اسود وجهه واربد لونه يعني من الحزن والغم قال الله تعالى
وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا يعني من الحزن فعلى هذا بياض
الوجوه إشراقها وسرورها واستبشارها بعملها وذلك أن المؤمن إذا ورد
القيامة على ما قدم من خير وعمل صالح استبشر بثواب الله ونعمه عليه
فإذا كان كذلك وسم وجهه ببياض اللون وإشراقه واستنارته وابيضت
صحيفته وأشرقت وسعى النور بين يديه وعن يمينه وشماله وأما الكافر
والظالم إذا ورد القيامة على ما قدم من قبيح عمل وسيئات حزن واغتم
لعلمه بعذاب الله فإذا كان كذلك وسم وجهه بسواد اللون وكمودته
واسودت صحيفته وأظلمت وأحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ
بفضل الله وسعة رحمته من الظلمات يوم القيامة والقول الثاني أن بياض

الوجوه وسوادها حقيقة تحصل في الوجه فيبيض وجه المؤمن ويكتسي نورا
ويسود وجه الكافر ويكتسي ظلمة لان لفظ البياض والسواد حقيقة فيهما
والحكمة في بياض الوجوه وسوادها ان اهل الموقف اذا راوا ابيضاض وجه
المؤمن عرفوا انه من اهل السعادة واذا راوا اسوداد وجه الكافر عرفوا انه
من اهل الشقاوة فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتقريع
فان قلت كيف قال اكفرتم بعد ايمانكم وهم لم يكونوا مؤمنين فمن المراد بهولا
الذين كفروا بعد ايمانهم قلت اختلف العلماء في ذلك فروي عن ابي بن كعب
انه قال اراد به الايمان يوم اخذ الميثاق حين قال لهم الست بربكم قالوا بلى فامن
الكل فكل من كفر في الدنيا فقد كفر بعد الايمان وقال الحسن هم المنافقون وذلك
انهم تكلموا بالايمان بالسنتهم وانكروه بقلوبهم وقال عكرمة هم اهل الكتاب وذلك
انهم امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعث انكروه وكفروا به وقيل هم
الذين ارتدوا زمن ابي بكر الصديق وهم اهل الردة ق عن ابن مسعود قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض وليرفعن الي رجال منكم حتى
اذا اهويت اليهم لاناولهم اختلجوا دوني فاقول اي رب اصحابي فيقال
انك لا تدري ما احدثوا بعدك ق عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ليردن علي الحوض رجال ممن صاحبني حتى اذا رفعوا الي اختلجوا دوني فلاقولن
اي رب اصيحابي اصحابي فليقالن لي لا تدري ما احدثوا بعدك زاد في رواية
فاقول سحقا سحقا لمن بدل بعدي ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يرد علي يوم القيمة رهط من اصحابي او قال من امتي فيحلؤن عن الحوض
فاقول يا رب اصحابي فيقول انه لا علم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا
على ادبارهم القهقرى وقيل هم الخوارج الذين خرجوا على علي بن ابي طالب
وقتلهم وهم الحرورية م عن زيد بن وهب انه كان في الجيش الذين كانوا مع
علي الذين ساروا الى الخوارج فقال علي ايها الناس اني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول يخرج قوم من امتي يقرؤن القران ليس قراءتكم الى قراءتهم

بيان الذين

بشيء

بشيء ولا صلاتكم الى صلاتهم بشيء ولا صيامكم الى صيامهم بشيء يقرؤن القران
يحسبون انه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الاسلام
كما يمرق السهم من الرمية وفي رواية سويد بن غفلة عنه يقرؤن القران
لا يجاوز ايمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فاينما
لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم اجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيمة
ق عن يسير بن عمرو قال قلت لسهل بن حنيف هل سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول في الخوارج شيا قال سمعته يقول واهوى بيده
الى العراق يخرج منهم قوم يقرؤن القران لا يجاوز تراقيهم يمرقون من
الاسلام مروق السهم من الرمية وقيل هم اهل البدع والاهواء من هذه
الامة كالقدرية ونحوهم ومن قال بهذا القول يقول كفرهم بعد ايمانهم
هو خروجهم من الجماعة ومفارقتهم في الاعتقاد م عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل
مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا
وقال الحارث الاعور سمعت علي بن ابي طالب يقول على المنبر ان الرجل ليخرج
من اهله فما يؤوب اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به الجنة وان الرجل ليخرج
من اهله فما يعود اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به النار ثم قرا يوم تبيض
وجوه الاية ثم نادى هم الذين كفروا بعد الايمان ورب الكعبة وقوله تعالى
واما الذين ابيضت وجوههم يعني المؤمنين المطيعين لله عز وجل ففي رحمت
الله يعني في جنة الله وانما سميت الجنة رحمة لانها دار رحمة وفيه اشارة
الى ان العبد وان عمل بالطاعات لا يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى هم فيها
خالدون قيل انما كرر كلمة في لان في كل واحدة معنى غير الاخرى المعنى انهم
في رحمة الله وانهم في الرحمة خالدون تلك ايات الله يعني القران وقيل
هذه الايات التي تقدمت نتلوها عليك بالحق اي بالمعنى الحق لان المتلو
حق وما الله يريد ظلما للعالمين يعني لا يعاقب احدا بغير جرم واستحقاق
للعقوبة وانما ذكر الظلم هنا لانه قد تقدم ذكر العقوبة في قوله فاما الذين



اسودت وجوههم [illegible] العذاب بما كنتم تكفرون [illegible]
فيما وقعوا فيه بسبب افعالهم المنكرة وانه لا يظلم احدا من خلقه ولله
ما في السموات وما في الارض لما ذكر الله انه لا يريد ظلما للعالمين [illegible] حاجة
به الى الظلم وذلك ان الظالم انما يظلم غيره ليزداد ما لا [illegible]
او ينتم نقصانه بما يظلم غيره ولما كان الله عز وجل مستغني عن ذلك ولـ[illegible]
صفة الكمال اخبر ان له ما في السموات وما في الارض وان جميعها في ملكه
واهلها عبيده واذا كان ذلك كذلك يستحيل في حقه سبحانه وتعالى ان يظلم
احدا من خلقه لانهم عبيده وفي قبضته ثم قال والى الله ترجع الامور يعني
والى الله مصير امور جميع الخلائق المومن والكافر والطايع والعاصي فيجازي
الكل على قدر استحقاقهم ولا يظلم احدا منهم عز وجل قوله تعالى كنتم خير امة
سبب نزول هذه الاية ان ملك بن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين قالا
لعبد الله بن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة نحن افضل
منكم وديننا خير من دينكم الذي تدعوننا اليه فانزل الله هذه الاية واختلف
في لفظة كان فقيل هي بمعنى الحدوث والوقوع والمعنى حدثتم ووجدتم
وخلقتم خير امة وقيل كان هنا ناقصة وهي عبارة عن وجود الشي في زمان
ماض ولا يدل على انقطاع طارئ بدليل قوله وكان الله غفورا رحيما فعلى
هذا التقدير يكون المعنى كنتم في علم الله خير امة وقيل كنتم مذكورين في الامم
الماضية بانكم خير امة وقيل كنتم في اللوح المحفوظ موصوفين انكم خير امة
وقيل معناه كنتم مذ انتم خير امة وقيل قوله خير امة تابع لقوله فاما
الذين ابيضت وجوههم والتقدير انه يقال لهم عند دخول الجنة كنتم في دنياكم
خير امة فلهذا استحقيتم ما انتم فيه من بياض الوجوه والنعيم المقيم وقيل
كنتم بمعنى انتم وقيل يحتمل ان يكون كان بمعنى صار فقوله كنتم اي صرتم
خير امة فاما المخاطبون بهذا ففيه خلاف قال ابن عباس في قوله كنتم
خير امة هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن جرير
عن عمر بن الخطاب قال لو شاء الله لقال انتم فكنا كلنا ولكن في خاصة من اصحاب

رسول الله

السابع والعشرون من تفسير الخازن من الجزء الاول

ما صنعتم



[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] كنتم خير امة اخرجت للناس
يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقال الضحاك هم اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعني [illegible] كانوا هم الرواة الدعاة الذين امر الله عز وجل
المسلمين باتباعهم وطاعتهم ق عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا ادري
اذكر بعد قرنه قرنين او ثلاثة ثم ان بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون
ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن زاد في رواية
ويحلفون ولا يستحلفون ق عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجي قوم تسبق شهادة
احدهم يمينه ويمينه شهادته قوله خير الناس قرني يعني اصحابي والقرن
اهل كل زمان ماخوذ من الاقتران فكان الزمان الذي يقترن فيه اهل ذلك
الزمان في اعمارهم واحوالهم وقيل القرن اربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة
سنة ق عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي
فلو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه النصيف
النصف وقال ابن عباس في رواية عطاء في قوله كنتم خير امة هم امة محمد صلى
الله عليه وسلم قال الزجاج قوله كنتم خير امة الخطاب فيه مع اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولكنه عام في كل الامة ونظيره قوله كتب عليكم الصيام كتب
عليكم القصاص فان كل ذلك خطاب مع الحاضرين بحسب اللفظ ولكنه عام في
حق الكل ويدل عليه ما روي عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده انه سمع النبي صلى الله عليه
وسلم يقول في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس قال انتم تتمون سبعين
امة انتم خيرها واكرمها على الله تعالى اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن واصل الامة الجماعة المجتمعة على الشي وامة محمد صلى الله عليه وسلم هم الجماعة
الموصوفون بالايمان بالله عز وجل وبمحمد صلى الله عليه وسلم ق عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يابى
قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى خ عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ان الله لا يجمع امتي او قال امة محمد على ضلالة ويد الله على الجماعة ومن شذ
شذ في النار اخرجه الترمذي عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
امتي امة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة عذابها في الدنيا الفتن
والزلازل والقتل اخرجه ابو داود عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم مثل امتي كمثل المطر لا يدري اوله خير ام اوله اخرجه الترمذي وله
عن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهل الجنة عشرون ومائة صف
ثمانون منها من هذه الامة واربعون من ساير الامم وله عن ابن عمر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم باب امتي الذي يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة
الراكب المسرع المجد ثلاثا ثم انهم ليتضاغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول
قال الترمذي سالت محمدا يعني البخاري عن هذا الحديث فلم يعرفه وقال لخالد بن
ابي بكر مناكير عن سالم بن عبد الله زاد عنه في هذا الحديث وهم شركاء الناس في ساير
الابواب م عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من امتي من
يشفع في الفئام من الناس ومنهم من يشفع في القبيلة ومنهم من يشفع في العصبة
ومنهم من يشفع للواحد اخرجه الترمذي ق عن سهل بن سعد قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من امتي سبعون الفا او سبعمائة الف متماسكين
اخذ بعضهم ببعض حتى يدخل اولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر
ليلة البدر عن ابي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
وعدني ربي ان يدخل من امتي الجنة سبعون الفا لا حساب عليهم ولا عذاب
ومع كل الف سبعون الفا وثلاث حثيات من حثيات ربي اخرجه الترمذي
وروى البغوي باسناد الثعلبي عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان الجنة حرمت على الانبياء كلهم حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتي
وقوله تعالى **اخرجت للناس** معناه كنتم خير الامم المخرجة للناس في جميع الاعصار
ومعنى اخرجت اظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وقيل معناه كنتم للناس خير
امة اخرجت خ عن ابي هريرة قال كنتم خير امة اخرجت للناس قال خير الناس
للناس ياتون بهم في السلاسل في اعناقهم حتى يدخلون في الاسلام وقيل اخرجت

صلة

صلة والتقدير كنتم خير امة للناس وقيل معناه ما اخرج للناس امة خيرا
من امة محمد صلى الله عليه وسلم **تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر** هذا كلام مستانف
المقصود منه بيان علة تلك الخيرية وكونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم
الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم والمعروف هو التوحيد والمنكر هو الشرك
والمعنى تامرون الناس بقول لا اله الا الله وتنهونهم عن الشرك **وتؤمنون
بالله** اي وتصدقون بالله وتخلصون له التوحيد والعبادة فان قلت لم قدم
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على الايمان بالله في الذكر مع ان الايمان بالله يلزم
ان يكون مقدما على كل الطاعات والعبادات قلت الايمان بالله امر مشترك
بين جميع الامم المؤمنة وانما فضلت هذه الامة الاسلامية بالامر بالمعروف
والنهي عن المنكر على ساير الامم واذا كان كذلك كان المؤثر في هذه الخيرية
هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واما الايمان بالله فهو شرط في هذا الحكم
لانه ما لم يوجد الايمان لم يصر شيء من الطاعات مقبولا فثبت ان الموجب
لهذه الخيرية لهذه الامة هو كونهم آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر فلهذا
السبب حسن تقديم ذكر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على ذكر الايمان وقوله
تعالى **ولو آمن اهل الكتاب** يعني ولو آمن اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم
وبالدين الذي جاء به **لكان خيرا لهم** يعني مما هم عليه من اليهودية والنصرانية
وانما حملهم على ذلك حب الرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لحصلت لهم الرياسة
في الدنيا والثواب العظيم في الآخرة وهو دخول الجنة **منهم** يعني من اهل الكتاب
المؤمنون يعني عبد الله بن سلام واصحابه الذين اسلموا من اليهود والنجاشي واصحابه
الذين اسلموا من النصارى **واكثرهم الفاسقون** اي المتمردون في الكفر وقيل ان الكافر
قد يكون عدلا في دينه وهؤلاء مع كفرهم هم فاسقون قوله تعالى **لن يضروكم
الا اذى** سبب نزول هذه الآية ان رؤساء اليهود عمدوا الى من آمن منهم
مثل عبد الله بن سلام واصحابه فآذوهم لاسلامهم فانزل الله تعالى لن يضروكم
الا اذى يعني لن يضروكم ايها المؤمنون هؤلاء اليهود الا اذى يعني باللسان من
طعن في دينكم او تهديد او الفاظ مبهمة وتشكيك في القلوب وكل ذلك يوجب

الاذى والغم **وان يقاتلوكم يولوكم الادبار** يعني منهزمين [illegible] **ثم لا ينصرون**
يعني لا يكون لهم النصر عليكم بل تنصرون عليهم ونبه تعالى [illegible]
لانهم كانوا يوذونهم بالقول ويهددونهم ويوبخونهم فاعلمهم الله تعالى انهم لا يقدرون
ان يجاوزوا الاذى بالقول الى غيره من الضرر ثم وعدهم الغلبة والانتقام منهم
وان عاقبتهم الخذلان والذل فقال تعالى **ضربت عليهم الذلة** يعني جعلت الذلة
ملصقة بهم كالشي يضرب على الشي فيلتصق به والمراد بالذلة قتلهم وسبيهم وغنيمة
اموالهم وقيل الذلة ضرب الجزية عليهم لانها ذلة وصغار وقيل ذلتهم انك
لا ترى في اليهود ملكا قاهرا ولا رئيسا معتبرا بل هم مستضعفين في جميع البلاد
اينما ثقفوا اي حيث ما وجدوا وادركوا **الا بحبل من الله** يعني بعهد من الله وهو
ان يسلموا فتزول عنهم الذلة **وحبل من الناس** يعني المؤمنين ببذل الجزية والمعنى ضربت
عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس وهو ذمة الله
وعهده وذمة المسلمين وعهدهم لا عز لهم الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى
الذمة لما قبلوه من بذل الجزية وانما سمي العهد حبلا لانه سبب يوصل الى الامن
وزوال الخوف **وباءوا بغضب من الله** اي رجعوا بغضب من الله واستوجبوه وقيل
اصله من البواء وهو المكان والمعنى انهم مكثوا في غضب من الله وحلوا فيه **وضربت
عليهم المسكنة** يعني كما يضرب البيت على اهله فهم ساكنون في المسكنة غير خارجين منها
قال الحسن المسكنة هي الجزية وذلك لان الله اخرج المسكنة عن الاستثناء وذلك يدل
على انها باقية عليهم والباقي عليهم هو الجزية فدل على ان المسكنة هي الجزية وقيل المراد
بالمسكنة هو ان اليهودي يظهر من نفسه الفقر وان كان غنيا موسرا **ذلك** اشارة
الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبواء بالغضب **بانهم** اي بسبب انهم **كانوا يكفرون
بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** اي ذلك الذي
نزل بهم بسبب عصيانهم الله عز وجل واعتدائهم لحدوده فنزل بهم ما نزل قوله عز وجل
ليسوا سواء الآية قال ابن عباس لما اسلم عبد الله بن سلام واصحابه قالت احبار اليهود ما آمن
بمحمد صلى الله عليه وسلم الا شرارنا ولولا ذلك ما تركوا دين آبائهم فانزل الله تعالى هذه
الآية وفي قوله ليسوا سواء قولان احدهما انه كلام تام يوقف عليه والمعنى ان اهل الكتاب

الذين

الذين سبق ذكرهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون ليسوا سواء وقيل معناه لا يستوي
اليهود وامة محمد صلى الله عليه وسلم القائمة بامر الله الثابتة على الحق والقول الثاني
ان قوله ليسوا سواء متعلق بما بعده ولا يوقف عليه وقوله **من اهل الكتاب امة قائمة**
فيه اختصار والتقدير ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة ومنهم امة مذمومة
غير قائمة فترك ذكر الامة الاخرى اكتفا بذكر احد الفريقين وهذا على مذهب العرب
[illegible] كون ذكر احد الضدين يغني عن ذكر الاخر قال ابو ذويب

عصاني اليها القلب اني لامره ... مطيع فلا ادري ارشد طلابها

اي ام غير رشد فاكتفى بذكر احد الرشدين دون الاخر وقال الزجاج لا حاجة الى
اضمار الامة المذمومة لانه قد جرى ذكر اهل الكتاب بقوله كانوا يكفرون بايات الله
ويقتلون الانبيا بغير حق فاعلم الله ان منهم امة قائمة فلا حاجة بنا الى ان نقول وامة غير قائمة
وانما ابتدي بذكر غير الاكثر منهم وهو الكفر والمشاقة ثم ذكر من كان مباينا لهم في فعلهم
فقال ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة قال ابن عباس قائمة اي مهتدية قائمة على امر الله
اي عادلة وقيل قائمة على كتاب الله وحدوده وقيل قائمة في الصلاة **يتلون آيات الله**
اي يقرؤن كتاب الله عز وجل **آناء الليل** يعني ساعاته **وهم يسجدون** يعني يصلون
عبر بالسجود عن الصلاة لان التلاوة لا تكون في السجود وقيل هي صلاة التهجد بالليل
وقيل هي صلاة العشا لان اليهود لا يصلونها وقيل يحتمل انه اراد بالسجود الخضوع
والخشوع لان العرب تسمي الخشوع سجودا وقال عطا في قوله ليسوا سواء من اهل الكتاب
امة قائمة يريد اربعين رجلا من اهل نجران من العرب واثنين وثلاثين من الحبشة
وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وآمنوا به
وكان عدة نفر من الانصار منهم اسعد بن زرارة والبرا بن معرور ومحمد بن مسلمة
وابو قيس صرمة بن انس ومحمود بن سلمة كانوا قبل الاسلام موحدين يغتسلون من الجنابة
ويقومون بما عرفوا من شرايع الحنيفية حتى جاءهم الله عز وجل بالنبي صلى الله عليه وسلم
فآمنوا به وصدقوه ثم وصفهم الله تعالى بصفات ما كانت في اليهود فقال **يؤمنون
بالله واليوم الآخر** وذلك ان ايمان اهل الكتاب فيه شرك ويصفون اليوم الآخر
بغير ما يصفه المؤمنون وقيل ان الايمان بالله يستلزم الايمان بجميع انبيائه

ورسله واليهود يؤمنون ببعض الانبياء ويكفرون ببعض ويصفون اليوم الاخر
يستلزم الحذر من فعل المعاصي واليهود لا يحترزون منها فلم يحصل الايمان الكامل
بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر يعني غير مداهنين كما يداهن
اليهود بعضهم بعضا وقيل يامرون بالمعروف يعني بتوحيد الله والايمان بمحمد صلى الله
عليه وسلم وينهون عن المنكر يعني عن الشرك وعن كتم صفة محمد صلى الله عليه وسلم
ويسارعون في الخيرات اي يبادرون اليها خوف الفوت وذلك لان من رغب في امر
سارع اليه وقام به غير متوان عنه وقيل يسارعون في الخيرات غير متثاقلين فيها
ولا كسالى واولئك اشارة الى الموصوفين بما وصفوا به من الصالحين اي من جملة الصالحين
الذين صلحت احوالهم عند الله تعالى ورضي عنهم واستحقوا ثناءه عليهم وذلك لان الصلاح
ضد الفساد فاذا حصل الصلاح للانسان فقد حصل له اعلى الدرجات واكمل
المقامات وقيل يحتمل ان يريد بالصالحين المسلمين والمعنى واولئك الذين تقدم
وصفهم من جملة المسلمين قوله تعالى وما تفعلوا من خير فلن تكفروه قرئ بالياء لان
الكلام متصل بما قبله من ذكر مؤمني اهل الكتاب وذلك ان اليهود لما قالوا لعبد الله
ابن سلام واصحابه انكم خسرتم بسبب هذا الدين الذي دخلتم فيه فاخبر الله انهم
فازوا بالدرجات العلى وما فعلوا من خير يجازيهم به ولا يمتنع من خصوص السبب
عموم الحكم فيدخل فيه كل فاعل للخير وقرئ بالتاء على انه ابتداء كلام وهو خطاب لجميع المؤمنين
ويدخل فيه مؤمني اهل الكتاب ايضا ومعنى الاية وما تفعلوا من خير ايها المؤمنون فلن
تكفروه اي فلن تجحدوا ثوابه ولن تحرموه او تمنعوه بل يشكر لكم ويجازيكم به والله
عليم بالمتقين فيه بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده الا اهل
الايمان والتقوى ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا قال ابن عباس
يريد بني قريظة والنضير وذلك لان رؤساء اليهود مالوا الى تحصيل الاموال في معاداة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كان مقصودهم بمعاداته تحصيل الرياسة والاموال فقال
الله عز وجل لن تغني عنهم اموالهم وقيل نزلت في مشركي قريش فان ابا جهل كان كثير الافتخار
بالاموال وانفق ابو سفيان مالا كثيرا في يومي بدر واحد على المشركين وقيل ان الاية
عامة في حق جميع الكفار لان اللفظ عام ولا دليل يوجب التخصيص فوجب اجراء الكلام على

عمومه

عمومه ومعنى الاية ان الذين كفروا لن تغني [illegible] عنهم اموالهم بالفدية
[illegible] من الله ولا اولادهم بالنصرة وانما خص الاموال والاولاد
بالذكر لان الانسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة
بالاولاد فاعلم الله تعالى ان الكافر لا ينفعه شيء من ذلك في الاخرة ولا يخلصه من
العذاب وهو قوله واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لا يخرجون منها ولا
[illegible] قوله تعالى مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا قيل اراد نفقة
ابي [illegible] واصحابه ببدر واحد في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
اراد نفقة اليهود على علمائهم ورؤسائهم وقيل اراد نفقات جميع الكفار وصدقاتهم
في الدنيا وقيل اراد نفقة المرائي الذي لا يريد بما ينفق وجه الله وذلك لان
انفاقهم المال اما ان يكون لمنافع الدنيا او لمنافع الاخرة فان كان لمنافع الدنيا
لم يبق له اثر في الاخرة في حق المسلم فضلا عن الكافر وان كان لمنافع الاخرة كمن
يتصدق ويعمل اعمال البر فان كان كافرا فان الكفر محبط لجميع اعمال البر فلا ينتفع
بما انفق في الدنيا لاجل الاخرة وكذلك المرائي الذي لا يريد بما ينفق وجه الله فانه
لا ينتفع بنفقته في الاخرة ثم ضرب لذلك الانفاق مثلا فقال تعالى كمثل ريح فيها
صر فيه وجهان احدهما وهو قول اكثر المفسرين واهل اللغة ان الصر البرد الشديد
وبه قال ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد والوجه الثاني ان الصر هو السموم
الحارة التي تقتل وهو رواية عن ابن عباس وبه قال ابن الانباري من اهل اللغة وعلى
الوجهين فالتشبيه صحيح والمقصود منه حاصل لانه سواء كان فيها برد فهو مهلك
او حر فهو مهلك ايضا اصابت يعني الريح التي فيها صر حرث قوم اي زرع قوم ظلموا انفسهم
يعني بالكفر والمعاصي ومنع حق الله فيه فاهلكته يعني فاهلكت الريح الزرع ومعنى الاية
مثل نفقات الكفار في ذهابها وقت الحاجة اليها كمثل زرع اصابته ريح باردة فاهلكته
او نار فاحرقته فلم ينتفع به اصحابه فان قلت الغرض في تشبيه ما انفقوا وبطلان
ثوابه وعدم الانتفاع بالحرث الذي هلك بالريح فكيف شبهه بالمهلكة الحرث قلت هو من
التشبيه المركب وهو ما حصلت فيه المشابهة بين ما هو المقصود من الجملتين وان لم تحصل
المشابهة بين اجزاء الجملتين فعلى هذا زال الاشكال ومن التشبيه ما حصلت المشابهة

بين المقصود من الجملتين اجزاء كل واحدة منهما فان جعل [illegible]
من هذا القسم فيه وجهان احدهما ان يكون التقدير مثل الكفر [illegible]
ما ينفقون كمثل الريح المهلكة للحرث الوجه الثاني مثل ما ينفقون [illegible]
مهلك الريح وهو الحرث والمقصود من ضرب المثل هو تشبيه ما ينفقون
بشيء يذهب بالكلية ولا يبقى منه شيء وقوله تعالى **وما ظلمهم الله** يعني بان
يقبل نفقاتهم **ولكن انفسهم يظلمون** يعني انهم عصوا الله فاستحقوا عقابه
فابطل نفقاتهم واهلك حرثهم وقيل ظلموا انفسهم حيث لم ياتوا بنفقاتهم
مستحقة للقبول قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة
من دونكم** الاية قال ابن عباس كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم
من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع فانزل الله عز وجل هذه الاية
ونهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم ويدل على صحة هذا القول ان الايات المتقدمة
فيها ذكر اليهود فتكون هذه الاية كذلك وقيل كان اقوام من المؤمنين يصافون
المنافقين ويفشون اليهم الاسرار ويطلعونهم على الاحوال الخفية فنهاهم الله
عن ذلك وحجة هذا القول ان الله ذكر في سياق هذه الاية قوله واذا لقوكم قالوا
امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وهذه صفة المنافقين لا صفة
اليهود وقيل المراد بهذه جميع اصناف الكفار ويدل على صحة هذا القول ان معنى الاية
لان الله تعالى قال لا تتخذوا بطانة من دونكم فمنع المؤمنين ان يتخذوا بطانة من غير
المؤمنين فيكون ذلك نهيا عن جميع الكفار والبطانة خاصة الرجل المطلع على سره
واشتقاقه من الثوب بدلالة قولهم لبست فلانا اذا اختصصته ويقال فلان
شعاري ودثاري والشعار الذي يلي الجسد وكذلك البطانة والحاصل ان الذي
يخصه الانسان بمزيد القرب يسمى بطانة لانه يستبطن امره ويطلع منه على
ما لا يطلع عليه غيره من دونكم فقيل من صلة زائدة والتقدير لا تتخذوا بطانة
من دون اهل ملتكم والمعنى لا تتخذوا اولياء واصفياء من غير اهل ملتكم ثم بين
سبحانه وتعالى علة النهي عن مباطنتهم فقال تعالى **لا يالونكم خبالا** يعني لا يقصرون
ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد وهو الخبال لان اصل الخبال

الفساد

من دونكم وقيل من للتبيين
اي لا تتخذوا بطانة من سواكم



الفساد [illegible] الضرر الذي يلحق الانسان فيورثه نقصان العقل **ودوا ما عنتم**
[illegible] عنتكم وهو ما يشق عليكم من الضرر والشر والهلاك
[illegible] المشقة **قد بدت البغضاء من افواههم** اي ظهرت العداوة من
افواههم بالشتيمة والوقيعة بين المسلمين **وما تخفي صدورهم** يعني
من العداوة والغيظ **اكبر** اي اعظم مما يظهرونه **قد بينا لكم الايات**
يعني الدلالة على وجوب الاخلاص في الدين من موالاة المؤمنين ومعاداة
الكافرين **ان كنتم تعقلون** يعني ما بين لكم فتتعظون به قوله تعالى **ها انتم**
تنبيه وانتم كناية للمخاطبين من الذكور **اولاء** اسم للمشار اليهم في قوله
تحبونهم والمعنى انتم ايها المؤمنون تحبون هؤلاء اليهود الذين نهيتكم
عن مباطنتهم للاسباب التي بينكم وبينهم من القرابة والرضاع والمصاهرة
والحلف **ولا يحبونكم** يعني اليهود لما بينكم وبينهم من المخالفة في الدين
وقيل تحبونهم يعني تريدون لهم الاسلام وهو خير الاشياء ولا يحبونكم لانهم
يريدون لكم الكفر وهو شر الاشياء لان فيه هلاك الابد وقيل هم المنافقون
تحبونهم لما اظهروا من الايمان وانتم لا تعلمون ما في قلوبهم ولا يحبونكم لان
الكفر ثابت في قلوبهم وقيل تحبونهم وذلك بان تفشوا اليهم اسراركم ولا يحبونكم
اي لا يفعلون مثل ذلك معكم **وتؤمنون بالكتاب كله** يعني وهم لا يؤمنون
واعاد ذكره بلفظ الواحد والمراد به الجمع لانه ذهب به الى الجنس كقولهم كثر الدرهم
في ايدي الناس والمعنى انكم تؤمنون بالكتب كلها وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم
واذا لقوكم قالوا امنا يعني ان الذين وصفهم في هذه الاية بهذه الصفات
اذا لقوا المؤمنين قالوا امنا كايمانكم وصدقنا كتصديقكم وهذه صفة المنافقين
وقيل هم اليهود **واذا خلوا** اي خلا بعضهم الى بعض **عضوا عليكم الانامل من الغيظ**
الانامل جمع انملة وهي طرف الاصبع والمعنى واذا خلا بعضهم ببعض اظهروا
العداوة وشدة الغيظ على المؤمنين لما يرون من ائتلافهم واجتماع كلمتهم
وصلاح ذات بينهم وعض الانامل عبارة عن شدة الغيظ وهذا من مجاز
الامثال وان لم يكن هناك عض يد من الغيظ والغضب **قل موتوا بغيظكم**

وقد دعا عليهم ان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد [illegible]
من قوة الاسلام وعزة اهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي [illegible]
ابقوا بغيظكم الى الممات **ان الله عليم بذات الصدور** يعني
الخواطر القايمة بالقلب والدواعي والصوارف الموجودة فيه
وهي لكونها حالة في القلب منتسبة اليه تسمى ذات الصدور
والمعنى انه تعالى عالم بكل ما يحصل في قلوبكم من الخواطر فاخبرهم انه
عليم بما يسرونه من عض الانامل غيظا اذا خلوا وانه عليم بما هو اخفى
منه وهو ما يسرونه في قلوبهم قوله عز وجل **ان تمسسكم** اي تصبكم
ايها المومنون واصل المس باليد ثم يسمى كل ما يصل الى الشي ماسا له على
سبيل التشبيه كما يقال مسه نصب وتعب اي اصابه **حسنة** المراد
بالحسنة هنا منافع الدنيا مثل ظهور على عدو واصابة غنيمة منهم وتتابع
الناس في الدخول في دينكم وخصب في معايشكم **تسوهم** اي تحزنهم وتغمهم
والسوء ضد الحسنى **وان تصبكم سيئة** اي مساة من اخفاق سرية لكم او
اصابة عدو منكم او اختلاف يقع بينكم او جدب او نكبة او مكروه تصيبكم **يفرحوا**
بها اي بما اصابكم من ذلك المكروه **وان تصبروا** يعني على اذاهم وقيل وان تصبروا
على طاعة الله وما ينالكم فيها من شدة **وتتقوا** تخافوا ربكم وقيل وتتقوا
ما نهاكم عنه وتتوكلوا عليه **لا يضركم** اي لا ينقصكم **كيدهم** اي عداوتهم
ومكرهم **شيا** اي لانكم في عناية الله وحفظه **ان الله بما يعملون** قرئ بالياء
على الغيبة والمعنى انه عالم بما يعملون في عداوتكم واذاكم فيعاقبهم عليه وقرئ
بالتاء على خطاب الحاضر والمعنى انه عالم بما تعملون ايها المومنون من الصبر
والتقوى فيجازيكم عليه **محيط** اي عالم بجميع ذلك حافظ له لا يعزب عنه
شي منه قوله تعالى **واذ غدوت من اهلك تبوي المومنين مقاعد للقتال**
قال جمهور المفسرين ان هذا كان في يوم احد وهو قول عبد الرحمن بن عوف وابن
مسعود وابن عباس والزهري وقتادة والسدي والربيع وابن اسحاق وقال
الحسن ومجاهد ومقاتل انه يوم الاحزاب ونقل عن الحسن ايضا انه يوم

[illegible] والاول اصح لقوله تعالى اذ همت طايفتان
[illegible] وقد اتفق العلماء ان ذلك كان يوم احد قال مجاهد
[illegible] والواقدي غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل عايشة
فمشى على رجليه الى احد فجعل يصف اصحابه للقتال كما يقوم القدح
قال محمد بن اسحاق والسدي عن رجالهما ان المشركين نزلوا باحد يوم
الاربعا فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزولهم استشار اصحابه
ودعا عبد الله بن ابي ابن سلول ولم يدعه قط قبلها واستشاره فقال
عبد الله بن ابي واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم
فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا
اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم يا رسول الله فان اقاموا اقاموا بشر
محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان
بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خايبين فاعجب رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذا الراي وقال بعض اصحابه يا رسول الله اخرج بنا الى هذه
الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم وضعفنا وخفناهم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اني قد رايت في منامي بقرا فاولتها خيرا ورايت في ذباب
سيفي ثلما فاولتها هزيمة ورايت اني ادخلت يدي في درع حصينة
فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فان اقاموا
اقاموا بشر وان دخلوا علينا قاتلناهم فيها وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعجبه ان يدخلوا عليه المدينة فيقاتلهم في الازقة فقال رجال من
المسلمين ممن فاتهم يوم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا
الى اعدائنا فلم يزالوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من حبهم للقاء القوم
حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله فلبس لامته فلما راوه قد
لبس السلاح ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله
صلى الله عليه وسلم والوحي ياتيه فقاموا واعتذروا اليه وقالوا يا رسول
الله اصنع ما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لنبي

المدينة

ان يلبس لامته فيخلعها حتى يقاتل وكان قد اقام [illegible]
الاربعاء والخميس وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم [illegible]
ما صلى باصحابه الجمعة وكان قد مات في ذلك اليوم رجل من الانصار
فصلى عليه ثم خرج اليهم فاصبح بالشعب من احد يوم السبت من
شوال سنة ثلاث من الهجرة وقيل كان نزوله في جانب الوادي
وجعل ظهره واصحابه الى احد وامّر عبد الله بن جبير على الرماة
وقال ادفعوا عنا بالنبل حتى لا ياتونا من ورائنا وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اثبتوا في هذا المقام فاذا عاينوكم وولوا الادبار
ولا تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا من هذا المقام ولما خالفه رسول الله
صلى الله عليه وسلم راى عبد الله بن ابي ابن سلول شق عليه ذلك وقال
لاصحابه اطاع الولدان وعصاني ثم قال لاصحابه ان محمدا انما يظفر
بعدوه بكم وقد وعد اصحابه ان اعداءه اذا عاينوهم انهزموا فاذا رايتم
اعداءه فانهزموا انتم فيتبعونكم فيصير الامر الى خلاف ما قاله محمد
لاصحابه فلما التقى الجمعان وكان عسكر المسلمين الفا وكان المشركون
ثلاثة الاف فانخذل عبد الله بن ابي ابن سلول بثلاثمائة من اصحابه من
المنافقين وبقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو سبعمائة من اصحابه فقواهم
الله وثبتهم حتى هزموا المشركين فلما راى المؤمنون انهزام المشركين طمعوا
في ان تكون هذه الواقعة كواقعة بدر فطلبوا المدبرين وخالفوا امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد الله ان يفطمهم عن هذا الفعل لئلا يقدموا
على مثله في مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلموا ان الله ظفرهم يوم
بدر انما كان ببركة طاعة وطاعة رسوله ثم ان الله نزع الرعب من قلوب
المشركين فكروا راجعين على المسلمين فانهزم المسلمون وبقي رسول الله
صلى الله عليه وسلم في جماعة من اصحابه منهم ابو بكر وعلي والعباس وطلحة وسعد
وكسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم واشج وجهه يومئذ وكان من [illegible]
امر غزوة احد ما كان فذلك قوله تعالى واذ غدوت اي واذكر اذ غدوت

من اهلك

[illegible] لعائشة
[illegible] من اهلك فنحو الله تعالى على انها من اهله تبوئ المؤمنين
[illegible] المؤمنين مقاعد للقتال اي مواضع ومواطن للقتال وتنزل
[illegible] عسكر للقتال والله سميع يعني لاقوالكم عليم يعني بنياتكم وما
ضمائركم قوله عز وجل اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا اي تجبنا
تضعفا عن القتال والطائفتان بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة
من الاوس وكانا جناحي العسكر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج
الى احد في الف رجل وقيل في تسعمائة وخمسين رجلا وكان المشركون ثلاثة
الاف فلما بلغوا الشوط انخذل عبد الله بن ابي ابن سلول بثلث الناس
ورجع في ثلاثمائة وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعه ابو جابر
السلمي فقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله بن ابي لو نعلم
قتالا لاتبعناكم وهمت الطائفتان بالانصراف مع عبد الله بن ابي فعصمهم
الله فلم ينصرفوا ومضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس اضمروا ان
يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا فذكرهم الله عظيم نعمته فقال اذ همت
طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما اي ناصرهما وحافظهما ومتولي امرهما
بالتوفيق والعصمة فان قلت الهم العزم على فعل الشيء والاية تدل
على ان الطائفتين عزموا على الفشل وترك القتال وذلك معصية فكيف مدحهم
الله بقوله والله وليهما قلت الهم قد يراد به العزم وقد يراد به حديث النفس
واذا كان كذلك فحمل الهم على حديث النفس في هذه الاية اولى والله تعالى لا يواخذ
بحديث النفس ويعضده قول ابن عباس انهم اضمروا ان يرجعوا فلما عزم الله
لهم على الرشد ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدحهم الله بقوله والله وليهما
وعن جابر رضي الله عنه قال فينا نزلت اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله
وليهما قال نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما يسرني انها لم تنزل
لقول الله والله وليهما ففيه استبشار بما حصل لهم من الشرف العظيم وانزاله
فيهم اية ناطقة مفصحة بان الله وليهم وان تلك الهمة التي هموا بها ما اخرجتهم

عن ولاية الله تعالى قوله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون
من وكل امره الى غيره اذا اعتمد عليه في كفايته والقيام به
هو العجز والاعتماد على الغير وقيل هو تفويض الامر الى الله تعالى ثقة بحسن
تدبيره فامر الله عباده المؤمنين الا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا امورهم الا
اليه قوله عز وجل ولقد نصركم الله ببدر بدر اسم موضع بين مكة والمدينة
معروف وقيل هو اسم لبئر هنالك وكانت البئر لرجل يقال له بدر فسميت
به ذكر الله المؤمنين منته عليهم بالنصر يوم بدر وانتم اذلة جمع ذليل و
جمع قلة واراد به قلة العدد فان المسلمين كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر
وفي رواية وثلاثة عشر رجلا والمراد بذلهم ضعف الحال وقلة السلاح والكراع
والمال وعدم القدرة على مقاومة العدو وذلك انهم خرجوا على نواضح وكان
النفر منهم يتعقب على البعير الواحد واكثرهم رجالة ولم يكن معهم الا فرس واحد
وكان عدوهم من الكفار قريش في حال الكثرة زهاء الف مقاتل ومعهم مائة فرس
وكان معهم السلاح والشوكة فنصر الله المؤمنين مع قلتهم على عدوهم مع كثرتهم
فاتقوا الله يعني في الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلكم تشكرون يعني
بتقواكم ما انعم به عليكم من نصرته قوله تعالى اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم
ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين اختلف المفسرون في ان
هذا الوعد بانزال الملائكة هل حصل يوم بدر ام يوم احد على قولين احدهما
انه كان يوم بدر قال قتادة كان هذا يوم بدر امدهم الله بالف من الملائكة
كما قال اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة منزلين
مردفين ثم صاروا ثلاثة الاف ثم صاروا خمسة الاف كما ذكرها هنا بلى ان
تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف
من الملائكة فصبروا يوم بدر واتقوا فامدهم الله بخمسة الاف كما وعدهم
قال ابن عباس لم تقاتل الملائكة في المعركة الا يوم بدر وفيما سوى ذلك
يشهدون القتال ولا يقاتلون انما يكونون عددا ومددا وقال الحسن
هولاء الخمسة الاف ردء للمؤمنين الى يوم القيامة وقال الشعبي بلغ رسول الله

صلى الله عليه



والمسلمين يوم بدر ان كرز بن جابر المحاربي يريد ان يمد
[illegible] ذلك عليهم فانزل الله الن يكفيكم الى قوله مسومين فبلغ
كرزا الهزيمة فرجع ولم يأتهم فلم يمدهم الله بالخمسة الاف وكانوا قد
امدوا بالف من الملائكة وفي صحيح البخاري من حديث ابن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه اداة
الحرب واحتج لصحة هذا القول ايضا بان الله تعالى قال قبل هذه الاية
ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة وظاهر هذا يقتضي ان الله نصرهم حين
قال النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم الاية وان العدد
والعدد كانت يوم بدر قليلة فكان الاحتياج الى الامداد اكثر القول الثاني
ان هذا الوعد بامداد الملائكة كان يوم احد وهو قول عكرمة والضحاك
ومقاتل قال محمد بن اسحاق لما كان يوم احد انجلى القوم عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبقي سعد بن ابي وقاص يرمي وفتى شاب يتنبل له كلما فني النبل اتاه
به وقال ارم ابا اسحاق ارم ابا اسحاق مرتين فلما انجلت المعركة سئل عن
ذلك الرجل فلم يعرف ق عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال رايت عن يمين
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان
عنه كاشد القتال ما رايتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل واحتج لصحة
هذا القول بان المدد كان يوم بدر بالف من الملائكة كما نص عليه في سورة
الانفال ولم يكن بثلاثة الاف وخمسة كما هنا وايضا فان الكفار كانوا يوم
بدر الفا او ما يقرب منه وكان المسلمون على الثلث من ذلك فانهم كانوا ثلاثمائة
وبضعة عشر فانزل الله يوم بدر الفا من الملائكة في مقابلة عدد الكفار فوقع
النصر يومئذ للمسلمين والهزيمة للكفار وكان عدد المسلمين يوم احد الفا
وعدد الكفار ثلاثة الاف فناسب ان يكون المدد يوم احد للمسلمين ثلاثة الاف
من الملائكة ليكون ذلك مقابلا لعدد الكفار كما في يوم بدر واجيب عن احتجاج
الاول لهذا القول بانه تعالى لما امدهم يوم بدر بالف كما ذكر في سورة الانفال
ثم لما سمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بامداد كرز للكفار قريش شق عليهم



وعدوا بان يمد وابثلاثة الاف وبخمسة الاف لتقوى قلوبهم [illegible]
عن الثاني وهو ان الكفار كانوا يوم بدر الفا فانزل الله الفا [illegible]
ثلاثة الاف فانزل الله ثلاثة الاف بان هذا تقريب حسن وتقييد ان يمسهم
ما شابه اي وقت شاء ولهذا قال عكرمة في قوله بلى ان تصبروا وتتقوا
ويأتوكم من فورهم هذا قال يوم بدر قال ولم يصبروا ولم يتقوا يوم احد
فلم يمدوا ولو امدوا لم يهزموا يومئذ وقيل لم يصبروا ولم يتقوا الا في يوم
الاحزاب فامدهم الله بالملائكة حين حاصروا قريظة ق عن عائشة قالت
لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح واغتسل اتاه
جبريل فقال له قد وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم قال فالى
اين قال ها هنا واشار الى بني قريظة فخرج النبي صلى الله عليه وسلم اليهم خ
عن انس قال كاني انظر الى الغبار ساطعا في زقاق بني غنم موكب جبريل حين سار
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة وقال عبد الله بن ابي اوفى كنا محاصرين
قريظة والنضير ما شاء الله فلم يفتح علينا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بغسل فهو يغسل راسه اذ جاءه جبريل عليه السلام فقال او وضعتم السلاح
ولم تضع الملائكة اوزارها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخرقة فلف بها
راسه ولم يغسله ثم نادى فينا فقمنا حتى اتينا قريظة والنضير فيومئذ
امدنا الله بثلاثة الاف من الملائكة ففتح لنا فتحا يسيرا وقال ابن جرير الطبري
واولى الاقوال بالصواب ان الله تعالى اخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم انه قال للمؤمنين
الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة فوعدهم بثلاثة الاف من
الملائكة مددا لهم ثم وعدهم بخمسة الاف ان صبروا لاعدائهم واتقوا الله
ولا دلالة في الاية على انهم امدوا بهم ولا على انهم لم يمدوا بهم فقد يجوز ان الله
امدهم ويجوز ان لا يكون امدهم ولا يثبت ذلك الا بنص يقوم به الحجة في
ذلك وقد ثبت بنص القران انهم امدوا يوم بدر بالف من الملائكة كما في سورة
الانفال فاما يوم احد فالدلالة على انهم لم يمدوا ابين منها بانهم امدوا وذلك
انهم لو امدوا لم يهزموا ولم ينل منهم ما نيل منهم فان قلت فما يصنع بحديث

سعد بن ابي

[illegible] عن [illegible] في يوم احد وانه راى ملكين عن يمين النبي
صلى الله [illegible] قلت انما كان ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة
لا [illegible] كما انهزم اصحابه يوم احد واما التفسير فقوله تعالى اذ
تقول للمؤمنين فعلى قول من قال ان هذا كان يوم بدر قال بعض الاية ولقد نصركم
الله ببدر وانتم اذلة اذ تقول للمؤمنين ومن قال ان هذا يوم احد يقول نظم
الاية ان الله ذكر قصة احد ثم اتبعه بقوله ولقد نصركم الله ببدر وانتم
اذلة فكذلك هو القادر على ان ينصركم في ساير المواطن ثم رجع الى قصة
احد فقال تعالى اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ومعنى الكفاية هو سد الخلة
والقيام بالامر [illegible] المراد ان يمدكم ربكم الامداد اعانة الجيش فما كان على جهة
القوة والاعانة يقال له امده امدادا وما كان على جهة الزيادة يقال فيه مده
مدا وقيل المد في الشر والامداد في الخير بثلاثة الاف من الملائكة منزلين
انما وعدهم بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويثقوا بنصر الله ويعزموا على الثبات
بلى تصديق لوعد الله اي بلى يمدكم وقيل بلى ايجاب لما بعد لن يعني يكفيكم
الامداد بهم فاوجب الكفاية ان تصبروا اي على لقاء عدوكم وتتقوا يعني
معصية الله ومخالفة امر نبيه صلى الله عليه وسلم ويأتوكم يعني المشركين من فورهم
هذا قال ابن عباس من ابتداء الامر يوجد فيه ثم يوصل باخره قال يعني من فورهم
من وجههم اراد ابتداء مخرجهم يوم بدر ومن قال معناه من غضبهم اراد ابتداء
غضبهم لقتلاهم يوم بدر لانهم رجعوا للحرب يوم احد من غضبهم ليوم بدر
يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة لم يرد خمسة الاف سوى الثلاثة
المتقدمة بل اراد معهم فمن قال ان هذا الامداد كان يوم بدر قال ان الله تعالى
امدهم بالف فلما سمعوا ان كرز بن جابر المحاربي يريد ان يمد المشركين فشق ذلك
على المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم الاية
على تقدير ان يجي للمشركين المدد فلما لم يمد ولم يمد الله المؤمنين بغير الالف
وروى ابن الجوزي في تفسيره عن جبير بن مطعم عن علي بن ابي طالب قال بينا
انا امتح من قليب بدر جاءت ريح شديدة لم ار اشد منها ثم جاءت ريح شديدة

لم ار اشد منها الا التي قبلها ثم جاءت ريح شديدة لم ار اشد منها الا التي
قبلها فكانت الريح الاولى جبريل نزل في الف من الملائكة وكان مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل في الف من الملائكة
وكانوا عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم والريح الثالثة اسرافيل نزل في الف
من الملائكة عن يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت عن يساره وهزم الله اعداءه
ومن الناس من ضم العدد القليل الى الكثير فقال لان الله تعالى ذكر الالف
في سورة الانفال وذكر هنا ثلاثة الاف وخمسة الاف فيكون المجموع تسعة
وان حملناه على غزوة احد فيكون المجموع ثمانية الاف لانه ليس فيها ذكر الالف
المردفة مسومين قرئ بفتح الواو وكسرها فمن فتح الواو اراد ان الله سومهم
ومعناه معلمين قد سوموا فهم مسومين والمسومة والسيما العلامة وعنده
العلامة يعلمها الفارس يوم اللقاء ليعرف بها قال عنترة
فتعرفوني انني انا ذلكم · شاك السلاح في الحوادث معلم ومن كسر الواو نسب
الفعل الى الملائكة والمعنى انهم اعلموا انفسهم بعلامات مخصوصة او اعلموا خيلهم
واختلفوا في تلك العلامة فقال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق
وعليهم عمائم صفر وقال علي وابن عباس كانت عليهم عمائم بيض قد ارسلوها بين
اكتافهم وقال هشام بن عروة والكلبي كانت عمائم صفر مرخاة على اكتافهم
وقال قتادة والضحاك كانوا قد اعلموا بالعهن يعني الصوف المصبوغ في
نواصي خيلهم واذنابها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم بدر
تسوموا فان الملائكة قد تسومت بالصوف الابيض في قلانسهم ومغافرهم
ذكره البغوي بغير سند وقيل كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت
الملائكة كذلك وقيل كانوا قد سوموا انفسهم بسيما القتال قوله تعالى وما جعله
الله يعني هذا الوعد والمدد الا بشرى لكم يعني بشارة بانكم تنصرون فتستبشروا
به ولتطمئن اي ولتسكن قلوبكم به اي فلا تجزعوا من كثرة عدوكم وقلة
عددكم وما النصر الا من عند الله يعني لا تحيلوا النصر على الملائكة والجند
وكثرة العدد فان النصر من الله لا من عند غيره والغرض ان يكون توكلهم على الله

لا على

[illegible] وفيه تنبيه على الاعراض عن الاسباب والاقبال
على مسبب الاسباب العزيز الحكيم يعني ما تستعينوا به وتوكلوا عليه
الا العزيز وهو كمال القدرة والقوة والحكيم وهو كمال العلم له فلا يخفى عليه
مصالح عباده ليقطع طرفا من الذين كفروا هذا متعلق بقوله لقد نصركم
الله ببدر والمعنى ان المقصود من نصركم ببدر ليقطع طرفا اي ليهلك
طائفة من الذين كفروا وقيل معناه ليهدم ركنا من اركان الشرك بالقتل
والاسر فقتل يوم بدر من قادتهم وسادتهم سبعون واسر سبعون
ومن حمل الاية على غزوة احد قال قد قتل منهم ستة عشر وكان النصر فيه
للمسلمين حتى خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم او يكبتهم اصل الكبت
في اللغة صرع الشيء على وجهه والمعنى انه يصرعهم على وجوههم والمراد منه
القتل والهزيمة والاهلاك او اللعن والخزي فينقلبوا خائبين اي بالخيبة
لم ينالوا شيئا من الذي املوه من الظفر بكم قوله عز وجل ليس لك من الامر شيء او
يتوب عليهم او يعذبهم اختلفوا في سبب نزول هذه الاية فقيل انها نزلت في اهل
بئر معونة وهم سبعون رجلا من القراء بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بئر
معونة وهي بين مكة وعسفان وارض هذيل وذلك في صفر سنة اربع من الهجرة
على راس اربعة اشهر من احد بعثهم ليعلموا الناس القرآن والعلم وامر عليهم
المنذر بن عمرو فقتلهم عامر بن الطفيل فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ذلك وجدا شديدا وقنت شهرا في الصلوات كلها يدعو على جماعة من تلك
القبائل خ عن ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع راسه
من الركوع في الركعة الاخرة من الفجر يقول اللهم العن فلانا وفلانا بعد
ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد فانزل الله عليه ليس لك من الامر شيء
الى قوله فانهم ظالمون ق عن ابي هريرة قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الركعة الثانية قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش
ابن ابي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطاتك على مضر
اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف زاد في رواية اللهم العن فلانا وفلانا

لاحيا من العرب حتى انزل الله ليس لك من الامر شي الاية ...
اللهم العن رعلا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله قال ... بلغنا انه
ترك ذلك لما انزل الله ليس لك من الامر شي او يتوب عليهم او يعذبهم
فانهم ظالمون وقيل انما نزلت يوم احد ثم اختلفوا في سببها فقيل ان عتبة
بن ابي وقاص شج وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسر رباعيته
م عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته وشج في
راسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا
رباعيته وهو يدعوهم الى الله فانزل الله ليس لك من الامر شي وقيل اراد
النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعو عليهم بالاستيصال فنزلت هذه الاية
وذلك لعلمه ان اكثرهم يسلمون وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وقف على عمه
حمزة وراى ما صنعوا به من المثلة فاراد ان يدعو عليهم فنزلت هذه الاية
قال العلما وهذه الاشيا كلها محتملة فلا يبعد حمل الاية على كلها ومعنى الاية
ليس لك من امر مصالح عبادي شي الا ما اوحي اليك وان الله تعالى هو المالك امرهم
فاما ان يتوب عليهم ويهديهم فيسلموا او يهلكهم ويعذبهم ان اصروا على الكفر
وقيل ليس لك مسئلة اهلاكهم والدعا عليهم لانه تعالى اعلم بمصالحهم
فربما تاب على من يشا منهم وقيل معناه ليس لك من امر خلقي شي الا ما امرتك
امري انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل ان قوله او يتوب
عليهم معطوف على قوله ليقطع طرفا وقوله ليس لك من الامر شي كلام معترض
بين المعطوف والمعطوف عليه والتقدير ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم
او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ليس لك من الامر شي بل الامر امري
في ذلك كله قال بعض العلما والحكمة في منعه صلى الله عليه وسلم من الدعا عليهم
ولعنهم ان الله تعالى علم من حال بعض الكفار انه سيسلم فيتوب عليهم ويولد
منهم ولد يكون مسلما برا تقيا فلاجل هذا المعنى منعه الله تعالى من الدعا
عليهم لان دعوته صلى الله عليه وسلم مجابة فلو دعا عليهم بالهلاك اهلكوا
جميعا لكن اقتضت حكمة الله وما سبق في علمه ابقاهم ليتوب على بعضهم

ويخرج



الثامن والعشرون
من تفسير الخازن ...
الجزء الاول



ويخرج من بعضهم ذرية مؤمنة صالحة ويهلك بعضهم بالقتل والموت
... فيحتمل ان يكون المراد تعذيبهم في الدنيا وهو القتل
والاسر وفي الاخرة وهو عذاب النار فانهم ظالمون هو كالتعليل لعذابهم
يعني وانما يعذبهم لانهم ظالمون ثم قال تعالى ولله ما في السموات وما في
الارض وهذا تاكيد لما تقدم من قوله ليس لك من الامر شي والمعنى انما
يكون له ما في السموات وما في الارض وليس ذلك الا لله تعالى وليس لاحد معه
امر يغفر لمن يشا بفضله ورحمته ويعذب من يشا بعدله بحكمته بما يشا
لا يسال له في فعله والله غفور رحيم يعني انه تعالى يستر ذنوب عباده
ويغفرها لهم ويرحمهم بترك العقوبة عنهم عاجلا وانما يفعل ذلك على
سبيل التفضل والاحسان الى عباده لا على سبيل الوجوب عليه لانه تعالى
لو ادخل جميع خلقه الجنة كان ذلك برحمته ولو ادخل جميع خلقه النار كان
ذلك بعدله لكن جانب المغفرة والرحمة غالب قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة اراد به ما كانوا يفعلونه في الجاهلية
عند حلول الدين من زيادة المال وتاخير الاجل كان الرجل في الجاهلية اذا كان
له على انسان دين فاذا جا الاجل ولم يكن للمديون ما يؤدي قال له صاحب الدين
زدني في المال حتى ازيدك في الاجل فربما فعلوا ذلك مرارا فيصير الدين اضعافا
مضاعفة فنهى الله عز وجل عن ذلك وحرم اصل الربا ومضاعفته واتقوا الله
يعني في امر الربا فلا تاكلوه لعلكم تفلحون اي لكي تسعدوا وتبقوا في الاخرة
وقيل ان الفلاح يتوقف على التقوى فلو اكل ولم يتق لم يحصل الفلاح وفيه
دليل على ان الربا من الكبائر ولهذا اعقبه بقوله واتقوا النار التي اعدت
للكافرين يعني واتقوا ايها المؤمنون ان تستحلوا شيئا مما حرم الله فان من
استحل شيئا مما حرم الله فهو كافر بالاجماع ويستحق النار بذلك قال ابن عباس
هذا تهديد للمؤمنين ان يستحلوا ما حرم الله عليهم من الربا وغيره مما اوجب
الله فيه النار قال بعضهم هذه الاية اخوف اية في القران حيث اوعد الله
المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه ويجتنبوا محارمه وقال الواحدي

في هذه الاية تقوية لرجا المومنين رحمة من الله تعالى لانه تعالى ...
فجعلها معدة للكافرين دون المومنين **واطيعوا الله** يعني فيما امركم به
او نهاكم عنه من اكل الربا وغيره **والرسول** اي واطيعوا الرسول ايضا فان
طاعته طاعة الله قال محمد بن اسحاق في هذه الاية معاتبة للذين
عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد **لعلكم ترحمون** اي لكي ترحموا ولا تعذبوا
اذا اطعتم الله ورسوله فان طاعة الله مع معصية رسوله ليست بطاعة
قوله عز وجل **وسارعوا الى مغفرة من ربكم** يعني وبادروا وسابقوا
الى ما يوجب المغفرة من ربكم وهي الاعمال الصالحة المامور بفعلها قال ابن
عباس الى الاسلام ووجهه ان الله تعالى ذكر المغفرة على سبيل التنكير والمراد
منه المغفرة العظيمة وذلك لا يحصل الا بسبب الاسلام لانه يجب ما قبله
وعن ابن عباس ايضا الى التوبة لان التوبة من الذنوب توجب المغفرة
وقال علي بن ابي طالب الى اداء الفرايض لان اللفظ مطلق فيعم الكل وكذا
وجه من قال الى جميع الطاعات وروي عن انس بن ملك وسعيد بن جبير
انها التكبيرة الاولى يعني تكبيرة الاحرام وقيل الى الاخلاص في الاعمال لان
المقصود من جميع العبادات هو الاخلاص وقيل الى الهجرة وقيل الى الجهاد
وجنة اي وسارعوا الى جنة وانما فصل بين المغفرة والجنة لان المغفرة هي
ازالة العقاب والجنة هي حصول الثواب وفيه اشعار بانه لا بد من المسارعة
الى التوبة الموجبة للمغفرة وذلك بترك المنهيات والمسارعة الى الاعمال
الصالحة الموديه الى الجنة **عرضها** اي عرض الجنة **السموات والارض** يعني كعرض
السموات والارض لان نفس السموات والارض ليس عرضا للجنة والمراد سعتها وانما
خص العرض للمبالغة لان الطول في العادة يكون اكثر من العرض يقول هذا صفة
عرضها فكيف بطولها والمراد وصف الجنة بالسعة والبسط فشبهت
باوسع شي علمه الناس وذلك انه لو جعلت السموات والارض طبقا طبقا
ثم وصل البعض بالبعض حتى تكون طبقا واحدا كان ذلك مثل عرض الجنة
فاما طولها فلا يعلمها الا الله تعالى وقيل المراد بالعرض السعة كما تقول

العرب

العرب بلاد عريضة اي واسعة عظيمة قال الشاعر

كان بلاد الله وهي عريضة • على الخايف المطلوب كفة حابل •

والاصل فيه ان ما اتسع عرضه لم يضق ولم يدق وما ضاق عرضه
فجعل العرض كناية عن السعة وروي ان هرقل ارسل الى النبي صلى الله عليه وسلم
انك كتبت تدعوني الى جنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سبحان الله فاين الليل اذا جا النهار قيل معناه والله اعلم بذلك
انه اذا دار الفلك حصل النهار في جانب والليل في ضده من الجانب فكذلك
الجنة في جهة العلو والنار في جهة السفل وروي ان طارق بن شهاب قال
ان ناسا من اليهود سالوا عمر بن الخطاب وعنده اصحابه فقالوا ارايتم قولكم
وجنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال عمر ارايتم اذا جا الليل فاين يكون
النهار واذا جا النهار فاين يكون الليل فقالوا انه لمثلها في التوراة ومعناه
حيث شا الله تعالى فان قلت قال الله تعالى وفي السما رزقكم وما توعدون
واراد بالذي وعدنا به الجنة ومذهب اهل السنة انها في السموات
وان كانت في السما فكيف يكون عرضها السموات والارض قلت المراد من قولنا
انها في السموات انها فوق السموات وتحت العرش كما سيل انس بن ملك عن
الجنة افي السما ام هي في الارض فقال اي ارض وسما تسع الجنة قيل له فاين
هي فقال فوق السموات تحت العرش وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم
الفردوس فقال سقفها عرش الرحمن وقال قتادة كانوا يرون الجنة فوق السموات
السبع وان جهنم تحت الارضين السبع وقيل ان باب الجنة في السما وعرضها
كعرض السموات والارض **اعدت للمتقين** اي هيئت للمتقين وفيه دليل
على ان الجنة والنار مخلوقتان الان قوله تعالى **الذين ينفقون في السرا والضرا**
يعني في اليسر والعسر لا يتركون الانفاق في كلتي الحالتين في الغنى والعسر
والرخا والشدة ولا في حال فرح وسرور ولا في حال محنة وبلا وسوا كان
الواحد منهم في عرس او في حبس فانهم لا يدعون الاحسان الى الناس فاول
ما ذكره الله من اخلاقهم الموجبة للجنة السخا لانه اشق على النفس وكانت الحاجة

إلى إخراج المال فيه ذلك الوقت أعظم الأحوال للحاجة إليه في [illegible]
ومواساة الفقراء من المسلمين (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار
والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل
سخي أحب إلى الله من عابد بخيل أخرجه الترمذي (ق) عن أبي هريرة أنه سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما
جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت
أو وفرت على جلده حتى تخفي بنانه وتعفو أثره وأما البخيل فلا يريد
أن ينفق شيئا إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع الجبة
الدرع من الحديد (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم
يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا
ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا (ق) عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال قال تبارك وتعالى أنفق ينفق عليك (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من أنفق زوجين في سبيل الله دعاه خزنة الجنة كل خزنة باب أي فل
هلم فقال أبو بكر يا رسول الله ذلك الذي لا توى عليه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إني لأرجو أن تكون منهم قوله أي فل يعني يا فلان وليس بترخيم
والتوى الهلاك يعني ذلك الذي لا هلاك عليه وقوله تعالى والكاظمين الغيظ
يعني والجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه والكظم حبس الشيء عند امتلائه
وكظم الغيظ هو أن يمتلئ غيظا فيرده في جوفه ولا يظهره بقول ولا فعل ويصبر
عليه ويسكت عنه ومعنى الآية أنهم يكفون غيظهم عن الإمضاء ويردون غيظهم
في أجوافهم وهذا الوصف من أقسام الصبر والحلم (ق) عن سهل بن معاذ بن أنس
الجهني عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يستطيع
أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي الحور شاء
أخرجه الترمذي وأبو داود (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وروي

عن عايشة

عن عائشة [illegible] لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ
شفاء والعافين عن الناس يعني إذا جنى عليهم أحد لم يؤاخذوه فيكون
على العموم وقيل أراد بالناس المماليك لسوء أدب يقع منهم فيكون
الخصوص وقيل يعفون عمن ظلمهم وأساء إليهم وهو قريب من القول
الأول والله يحب المحسنين يحتمل أن تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن
ويحتمل أن تكون للعهد فتكون إشارة إلى المذكورين في الآية والإحسان
إلى الغير إما أن يكون بإيصال النفع إليه أو بدفع الضرر عنه وقيل
الإحسان أن يحسن إلى من أساء إليه فإن الإحسان إلى المحسن متاجرة
وقيل المحسن هو الذي يعم إحسانه كل أحد كالشمس والمطر والريح وقيل
الإحسان وقت الإمكان وليس عليك في كل وقت إحسان وقيل الإحسان
هذه الخصال المذكورة في هذه الآية فمن فعلها فهو محسن ولما كانت
هذه الخصال إحسانا إلى الغير ذكر الله ثوابها بقوله والله يحب
المحسنين فإن محبة الله للعبد أعظم درجات الثواب قوله عز وجل
والذين إذا فعلوا فاحشة قال ابن مسعود قال المؤمنون للنبي
صلى الله عليه وسلم يا رسول الله كانت بنو إسرائيل أكرم على الله منا كان أحدهم
إذا أذنب ذنبا أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابه اجدع أنفك
أذنك افعل كذا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية
وروي عن عطاء عن ابن عباس أنها نزلت في نبهان التمار أتته امرأة
حسناء تبتاع منه تمرا فقال لها إن هذا التمر ليس بجيد وفي البيت أجود
منه فذهب بها إلى بيته فضمها إلى نفسه وقبلها فقالت اتق الله
فتركها وندم على ذلك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك
فنزلت هذه الآية وفي رواية أبي صالح عن ابن عباس أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم آخى بين رجلين أحدهما أنصاري والآخر ثقفي فخرج الثقفي
في غزوة واستخلف أخاه الأنصاري على أهله فاشترى لهم ذات
يوم لحما فلما أرادت المرأة أن تأخذه منه دخل على أثرها وقبل يدها

ثم ندم وانحرف ووضع التراب على راسه وهام على وجهه
رجع الثقفي لم يستقبله الانصاري فسال امراته عن حاله فقالت
لا كثر الله في الاخوان مثله وذكرت له الحال والانصاري يسيح في
الجبال تائبا مستغفرا فطلبه الثقفي حتى وجده فاتى به الى ابي بكر رجاء
ان يجد عنده راحة وفرجا فقال الانصاري هلكت وذكر القصة
فقال ابو بكر ويحك اما علمت ان الله يغار للغازي ما لا يغار للمقيم
ثم لقيا عمر فقال لهما مثل ذلك فاتيا النبي صلى الله عليه وسلم
فقال لهما مثل مقالتهما فانزل الله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة
خارجة عما اذن الله فيه والفاحشة ما عظم قبحه من الاقوال والافعال
واصل الفحش القبح والخروج عن الحد قال جابر الفاحشة الزنا وقوله
او ظلموا انفسهم وظلم النفس هو ما دون الزنا مثل القبلة والمعانقة
واللمس والنظر وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس هي الصغيرة
وقيل الفاحشة ما يكون فعله كاملا في القبح وظلم النفس هو اي ذنب
كان ذكروا الله يعني ذكروا وعيد الله وعقابه وان الله سائلهم
عن ذلك يوم العرض الاكبر وقيل ذكروا جلال الله الموجب للحياء منه وقيل
ذكروا الله باللسان عند الذنوب وهو قوله فاستغفروا لذنوبهم
يعني لاجل ذنوبهم فتابوا منها واقلعوا عنها نادمين على فعلها عازمين
على ان لا يعودوا اليها وهذه شروط صحة التوبة المقبولة ومن يغفر
الذنوب الا الله وصف نفسه بسعة الرحمة وقرب المغفرة وان
التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين
الا الى فضله وكرمه واحسانه وعفوه ورحمته وفيه تنبيه
على ان العبد لا يطلب المغفرة الا منه انه القادر على عقاب المذنب
وكذلك هو القادر على ازالة ذلك العقاب عنه فثبت انه لا يجوز
طلب المغفرة الا منه ولم يصروا على ما فعلوا يعني ولم يقيموا
على الذنوب ولم يثبتوا عليها ولكن تابوا منها واتابوا واستغفروا

قيل

[قيل في] نزول الاستغفار عن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه
[ان رسو]ل الله صلى الله عليه وسلم قال ما اصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة
[اخرجه] ابو داود وقال حديث غريب وعنده عوض ولو عاد ولو فعل وهم يعلمون
[قال] ابن عباس وهم يعلمون انها معصية وقيل يعلمون ان الاصرار ضار
وقيل معناه وهم يعلمون ان الله يملك مغفرة الذنب وان لهم ربا يغفر لهم
وقيل وهم يعلمون ان الله لا يتعاظمه العفو عن الذنوب وان كثرت وقيل
معناه وهم يعلمون انهم ان استغفروه غفر لهم قال ثابت البناني بلغني ان
ابليس بكى حين نزلت هذه الاية والذين اذا فعلوا فاحشة الى اخرها فصل
في فضل الاستغفار عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال اني كنت اذا سمعت
من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعني الله منه بما شاء ان ينفعني واذا حدثني
احد من اصحابه استحلفته فاذا حلف لي صدقته وانه حدثني ابو بكر وصدق
ابو بكر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد مؤمن او قال ما من رجل
يذنب ذنبا فيقوم فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الله الا غفر الله له ثم قرا هذه
الاية والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله الى اخر الاية اخرجه
ابو داود والترمذي وقال هذا حديث قد رواه غير واحد عن عثمان بن المغيرة
فرفعوه ورواه ابن مسعود و سفيان عن عثمان بن المغيرة فوقفاه ولم يرفعاه
ولا يعرف لاسما الا هذا الحديث عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث
لا يحتسب اخرجه ابو داود م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون
فيغفر لهم ق عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه تبارك وتعالى قال
اذا اذنب عبد ذنبا فقال اللهم اغفر لي ذنبي فقال تعالى اذنب عبدي ذنبا
علم ان له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب ثم عاد فاذنب فقال اي رب
اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى اذنب عبدي ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب
ويأخذ بالذنب ثم عاد فاذنب فقال اي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى

اذنب عبدي ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ...
اعمل ما شئت فقد غفرت لك قال عبد الاعلى لا ادري اقال في الثالثة
او الرابعة اعمل ما شئت عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قال الله تبارك وتعالى يا ابن ادم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت
لك على ما كان منك ولا ابالي يا ابن ادم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم
استغفرتني غفرت لك ولا ابالي يا ابن ادم لو اتيتني بقراب الارض خطايا
ثم لقيتني لا تشرك بي شيا لاتيتك بقرابها مغفرة اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن عنان السما بفتح العين قيل هو السحاب وقيل هو ما عن لك
منها اي ما ظهر لك منها وقراب الارض بضم القاف وروي بكسرها والضم اشهر وهو
ما يقارب ملأها عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال
استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه غفرت ذنوبه وان كان
قد فر من الزحف اخرجه ابو داود والترمذي والحاكم وقال حديث صحيح على شرط
البخاري ومسلم عن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل
ذنب عسى الله ان يغفره الا من مات مشركا او مؤمن قتل
مؤمنا متعمدا اخرجه ابو داود قوله تعالى اولئك اشارة الى من تقدم ذكره في قوله
والذين اذا فعلوا فاحشة الاية جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من
تحتها الانهار يعني الاية ان المطلوب بالتوبة امران احدهما الامن من العقاب
واليه الاشارة بقوله مغفرة من ربهم والثاني ايصال الثواب اليه واليه
الاشارة بقوله وجنات تجري من تحتها الانهار اي ذلك لهم ذخر لا يبخس
واجر لا يوكس خالدين فيها اي في الجنات ونعم اجر العاملين اي ونعم ثواب
المطيعين يعني الجنة قوله عز وجل قد خلت من قبلكم سنن يعني قد انقضت
من قبلكم سنة الله في الامم الماضية بالهلاك والاستئصال لانهم خالفوا
الانبيا والرسل للحرص على الدنيا وطلب لذاتها الفانية فانقرضوا ولم
يبق منهم احد وقيل في معنى السنة الطريقة المستقيمة والمثال المتبع
لكل امة سنة ومنهاج اذا اتبعوه رضي الله عنهم بذلك وقيل سنن اي شرائع

وقيل

وقيل سنن اي امم والسنة الامة ... ويعني الاية قد مضت وسلفت مني سنن
فيمن قبلكم من الامم الماضية الكافرة بامهالي واستدراجي اياهم حتى يبلغ
الكتاب اجله فيهم الذي اجلته لاهلاكهم فسيروا في الارض امر ندب
لا على سبيل الوجوب بل المقصود تعرف احوال الماضين بقوله فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين ترغيب امة محمد صلى الله عليه وسلم في تامل احوال
الامم الماضية ليصير ذلك داعيا لهم الى الايمان بالله ورسوله والاعراض
عن الدنيا ولذاتها وفيه ايضا زجر للكفار عن كفرهم لانه اذا تامل احوال
الكفار واهلاكهم صار ذلك داعيا له الى الايمان لان النظر الى اثار المتقدمين
له اثر في النفس كما قيل ان اثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الاثار
وفي هذه الاية تسلية لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جرى لهم في غزوة
احد يقول فانما امهلت الكفار حتى يبلغ الكتاب اجله فيهم الذي اجلت لهم في
اهلاكهم ونصر محمد صلى الله عليه وسلم واوليائه واهلاك اعدائه قوله تعالى هذا
يعني القران وقيل هو اشارة الى ما تقدم من امره ونهيه ووعده ووعيده بيان
للناس يعني عامة وهدى يعني من الضلالة وموعظة للمتقين يعني خاصة
وقيل في الفرق بين البيان والهدى والموعظة لان العطف يقتضي المغايرة
فالبيان هو الدلالة التي تفيد ازالة الشبهة بعد ان كانت حاصلة والهدى
هو طريق الرشد المامور بسلوكه دون طريق الغي والموعظة من الكلام الذي
يفيد الزجر عما لا ينبغي في طريق الدين فالحاصل ان البيان جنس تحته نوعان
احدهما الكلام الهادي الى ما ينبغي في الدين وهو الهدى والثاني الكلام الزاجر
عما لا ينبغي في الدين وهو الموعظة وانما خص المتقين بالهدى والموعظة
لانهم هم المنتفعون بها دون غيرهم قوله عز وجل ولا تهنوا ولا تحزنوا نزلت
بعد يوم احد حين امر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بطلب القوم مع ما
اصابهم من الجراح فاشتد ذلك على المسلمين فانزل الله تعالى هذه الاية وحث
فيها اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على الجهاد على ما اصابهم من الجراح والقتل
وكان قد قتل يوم احد من الانصار سبعون رجلا ومن المهاجرين خمسة رجال

منهم حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] يعني
الآية ولا تهنوا أي ولا تضعفوا عن الجهاد ولا تحزنوا يعني على من قتل منكم
لأنهم في الجنة **وأنتم الأعلون** يعني بالنصر والغلبة عليهم وإن العاقبة
لكم وقال ابن عباس انهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب
فأقبل خالد بن الوليد في خيل المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلون علينا اللهم لا قوة لنا إلا بك وثاب
نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى انهزموا
وعلا المسلمون الجبل فذلك قوله وأنتم الأعلون وقيل وأنتم الأعلون
لأن حالكم خير من حالهم لأن قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار وأنتم تقاتلون
على الحق وهم يقاتلون على الباطل وقيل وأنتم الأعلون في العاقبة لأنكم
تظفرون بهم وتستولون عليهم **إن كنتم مؤمنين** أي إذ كنتم مؤمنين وقيل
معناه إن كنتم مصدقين بأن ناصركم هو الله تعالى فصدقوا بذلك فإنه
حق وصدق قوله تعالى **إن يمسسكم قرح** قرئ بضم القاف وفتحها وهما
لغتان ومعناهما واحد وقيل إنه بالفتح مصدر وبالضم اسم وقيل إنه بالفتح
اسم للجراحة وبالضم ألم الجراحة والآية خطاب للمسلمين حين انصرفوا من أحد
مع الحزن والكآبة يقول إن يمسسكم أيها المسلمون قرح يوم أحد **فقد
مس القوم** يعني الكفار **قرح مثله** يعني في يوم بدر وقيل إن الكفار
قد نالهم يوم أحد مثل ما نالكم من الجراح والقتل فقد قتل منهم نيف وعشرون
رجلا وكثرت الجراحات فيهم **وتلك الأيام نداولها بين الناس** المداولة
نقل الشيء من واحد إلى آخر يقال تداولته الأيدي إذا انتقل من واحد إلى آخر
ويقال الدنيا دول أي تنتقل من قوم إلى آخرين ثم منهم إلى غيرهم والمعنى
أن أيام الدنيا هي دول بين الناس فيوم لهؤلاء ويوم لهؤلاء وكانت الدولة
للمسلمين على المشركين يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين رجلا وأسروا سبعين
وأديل المشركون من المسلمين يوم أحد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسا
وسبعين خ عن البراء بن عازب قال جعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرجالة

يوم أحد

[illegible] وكانوا خمسين رجلا عبد الله بن جبير فقال إن رأيتمونا
تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم حتى أرسل إليكم وإن رأيتمونا هزمنا
القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم فهزموهم قال فأنا والله
رأيت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن وأسوقهن رافعات
ثيابهن فقال أصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة أي القوم الغنيمة
ظهر أصحابكم فما تنتظرون فقال عبد الله بن جبير أنسيتم ما قال لكم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا والله لنأتين الناس فلنصيبن من
الغنيمة فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين فذلك قوله
والرسول يدعوكم في أخراكم فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم غير اثني عشر
رجلا فأصابوا منا سبعين رجلا وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أصاب
يوم بدر من المشركين أربعين ومائة سبعين أسيرا وسبعين قتيلا فقال
أبو سفيان أفي القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه
ثم قال أفي القوم ابن أبي قحافة ثلاث مرات ثم قال أفي القوم عمر بن الخطاب
ثلاث مرات ثم رجع إلى أصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه
فقال كذبت والله يا عدو الله إن الذين عددت لأحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك
قال يوم بيوم بدر والحرب سجال إنكم ستجدون في القوم مثلة لم آمر بها
ولم تسؤني ثم أخذ يرتجز أعل هبل أعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ألا تجيبوه فقالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله أعلى وأجل قال أبو سفيان
لنا عزى ولا عزى لكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا تجيبوه قالوا يا رسول الله
ما نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم قال البغوي وقد روي هذا المعنى
عن ابن عباس وفي حديثه قال أبو سفيان يوم بيوم وإن الأيام دول والحرب
سجال فقال عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار قال الزجاج الدولة
تكون للمسلمين على الكفار لقوله تعالى وإن جندنا لهم الغالبون فكانت يوم أحد
للكفار على المسلمين لمخالفتهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله **وليعلم الله
الذين آمنوا** بما يظهر من صبرهم على جهاد عدوهم أي ليعرفهم بأعيانهم إلا أن سبب



العلم وهو ظهور المعلوم فيه هنا وقيل معناه واقعا منهم لان الله يعلم الشيء قبل وجوده وهو لا
يحتاج الى سبب حتى يعلم والمعنى ليقع ما علمه غيبا ناوشاهدة للناس والمجازاة انما
تقع على الواقع دون المعلوم الذي لم يوجد وقيل معناه ليعلم اولياء الله فاضاف
علمهم الى نفسه تفخيما وقيل معناه ليحكم الله بالامتياز بين المومن والمنافق فوضع
العلم موضع الحكم لان الحكم لا يحصل الا بعد العلم ويتخذ منكم شهداء اي وليكرم قوما
منكم بالشهادة ممن اراد ان يكرمه بها وذلك لان قوما من المسلمين فاتهم يوم بدر
فكانوا يتمنون لقاء العدو وان يكون لهم يوم كيوم بدر يقاتلون فيه العدو و
يلتمسون فيه الشهادة والشهداء جمع شهيد وهو من قتل من المسلمين بسبب
من الكفار في المعركة واختلفوا في معنى الشهيد فقيل الشهيد الحي لقوله تعالى بل احياء
عند ربهم فارواحهم حضرت دار السلام وشاهدتها وارواح غيرهم لا تشهدها وقيل
سمي شهيدا لان الله يشهد له بالجنة وقيل سموا شهداء لانهم يشهدون يوم القيمة مع
الانبياء والصديقين على الامم لان الشهادة تكون للافضل فالافضل من الامة ولان
منصب الشهادة منصب عظيم ودرجة عالية والله لا يحب الظالمين يعني المشركين
وقيل هم الذين ظلموا انفسهم بالمعاصي وقيل هم المنافقون الذين يظهرون الايمان
بالسنتهم ويضمرون الكفر والمعنى والله لا يحب من لا يكون ثابتا على الايمان صابرا على
الجهاد وليمحص الله الذين آمنوا اي ليطهرهم من ذنوبهم ويزيلها عنهم واصل المحص
في اللغة التنقية والازالة ويمحق الكافرين اي يفنيهم ويهلكهم ومعنى الاية ان قتلكم
الكافرون فهو شهادة وتطهير لكم وان قتلتموهم فهو محقهم واستيصالهم
قوله عز وجل ام حسبتم اي بل حسبتم وظننتم والمراد به الانكار والمعنى لا تحسبوا

